بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وصحبه

القسم الرابع
من
المعسول

وفيه فصلان

الاول فيمن أخذوا من المدرسة الالغية

الثاني فيمن أخذوا من الزاوية الالغية

الفصل الاول

من (القسم الرابع) في الذين اخذوا من المدرسة الالغية ، والمذكورون في هذا الجزء .

سيدي بلقاسم التاجارمونتي المجاطي
سيدي احمد الاهريبي التاجارمونتي المجاطي
سيدي جامع الايصليتني المجاطي
سيدي العربي بن محمد الساموكني
سيدي عبد الله بن الحسين التايزرتي الساموكني
سيدي محمد بن محمد بووا زي الساموكني
سيدي بلقاسم ين محمد بووا زي الساموكني
سيدي محمد بن احمد الانامري الساموكني
سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمن الساموكني
سيدي ابرهيم بن علي الساموكني
سيدي ابرهيم التاغاجيجتي
سيدي ادريس التاغاجيجتي
القائد الحاج احمد اضارضور التاغاجيجتي
سيدي محمد بن مبارك أولموش التاغاجيجتي
سيدي الحاج عبد الله التامانارتي
سيدي الحسين الايموكاديري
سيدي ابرهيم المنتري
سيدي محمد بن الحسن القاضي الايموكاديري
سيدي محمد بن الطاهر الايفتي

سيدي ابو بكر الايكيوازي ثم الأقاوي
سيدي الهاشم القاضي الاقاوي
سيدي الحسن الاعرج السالمي الايسي
سيدي المكي اليزيدي
سيدي الطيب اليزيدي
سيدي محمد بن عابد الكبير اليزيدي
سيدي عبد الله بن الحاج محمد اليزيدي
سيدي احمد بن الحاج محمد اليزيدي
سيدي محمد بن عابد الصغير اليزيدي
سيدي محمد بن احمد الواعظ اليزيدي
سيدي محمد بن الحاج احمد اليزيدي
سيدي احمد بن الحسن الواكنيمي اليزيدي
سيدي محمد بن محمد الكثيري
سيدي احمد بن محمد الكثيري
سيدي محمد بن سعيد الاكناري الايلالني



العلامة سيدي بلقاسم التاجارمونتي

نحو 1284 هـ = ليلة 19ـ1ـ1364 هـ

بلقاسم بن مسعود بن على بن أحمد بن سعيد بن موسى بن محمد • لهذا الاستاذ الجليل الطائر الصيت فى عالم التدريس والتخريج يد طولى على المدرسة الالغية • فانه هو الذى تولى ادارة التدريس فيها زهاء ربع قرن • بهمة فذة لاتعرف البطالة ولا يمسها ضجر ، فأصدرت عنها من أفذاذ التلاميذ من رفعوا للمدرسة االالغية ألوية خفاقة ، وهل تخفى نار على علم ؟

حقا ان الاستاذ التاجارمونتى سحاب منهمر القطر ، صاب ما صاب فى الغ حتى غادر الحدائق ممرعة ، والكؤوس مترعة ، والافكار متدفقة، والازهار متفتحة فكانت له يد عظيمة لاتنسى على الالغيين ، باعانته اعانة لاتقوم فى تشييد المجد الالغى • بل كان هو اليد العاملة فيه وحده سنوات فسنوات ، أفلا يحق لالغ وابناء الغ بدورهم أن يعرفوا مكانة الرجل المكينة • ومقدار عمله الخالد ؟ ما دامت الصالحات خالدة فى دفتر التاريخ الذهبى •

يرى القارئ فى الغالب من كل الذين ينتسبون الى الغ بالتخريج اسم هذا الاستاذ فى اول القائمة التى تعلن اسماء الاساتذة الالغيين • افلا يدل هذا بالصراحة التامة على ماكانت يد الاستاذ التاجارمونتي ادته للالغيين وتلاميذهم؟ وهل مجد الالغيين العلمى الا من هذا السبيل ؟ افلا يستحق تاجا مرصعا من ايديهم ، وثناء عطرا ، واكبارا متناهيا . من كان نهج لهم هذا السبيل ؟ ثم قام على يفاع ينادى بملء فيه (هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى)

ان التدريس المواظب من اوائل العقد الثانى الى اواسط العقد الرابع ، لهو اكبر شاهد يشهد للاستاذ التاجارمونتي ولم يكن علمه هذا الفريد ليذهب ضياعا ، او ليتطاير سدى ؟ و (هل جزاء الاحسان الا الاحسان؟)

(هيهات يذهب سعى المحسنين هبا)

انى ككل الغى يعرف ما مجد الغ العلمى • اعلن للاستاذ التاجارمونتى على صفحات التاريخ المنشورة على الابد شكرنا الجم ، واعترافنا بالجميل ، ووفاءنا كما تقتضيه اخلاق التلاميذ البررة. من احتذاء الهام امام مشائخهم الكرام الخيرة ، (والله لا يضيع أجر من احسن عملا) •

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

أولية أسرته

اصل اهله الاصيل من قرية تاشنانين من قبيلة امانوز فى تاسريرت على ما فى عقود اسلافهم • ثم من هناك انتقلوا منذ أجيال الى قرية (تاجارمونت) حيث هيىء منهم لتلك القرية الواطئة أن ترتفع بهم مجدا ، وتشمخر بهم شرفا •

وما زيـن الارجاء الا رجالها   والا فما ترب باشرف من تـرب

متلقاه للقرءان

تلقى القرءان من مسجد قريته اولا • ثم انتقل الى قرية (ابى الخير) بقبيلة ايغشان ، فاخذ هناك عن سيدى سعيد الامام لمسجدهم . وهو من تلك القرية ، ثم اخذ بعد ذلك عن سيدى عبلا بن الحسين من (أكنى ايعدان) من (مجاط) ، وعن سيدى عبد الله التيزكيبى البعقيلى . وعن سيدى عبد الله الماسينى البعقيلى ، كما أخذ عن غيرهم قليلا. ولكن بهؤلاء أتقن حفظ القرءان.

أساتذته في العلوم

التحق بالمدرسة الالغية وهى كما اسست ، وكان نزوله فيها فى ذى القعدة 1298 هـ بعد ما شيدت بسنة ، فلازم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغـى ، ومن كان يخلفه فى التدريس احيانا ، كالاستاذ سيدى الحاج محمد اليـزيدى ، وسيدى عبد الرحمن السالمي الايسى ، والشيخ سيدى الحاج على الالغـى الذى كان ياخذ عنه في المدرسة وفي زاويته احيانا بعض الدروس ، كما كان يحكـى ذلك بنفسه • كما كان ياخذ معهم عن الاستاذ ابى الحسن خلف الاستاذ محمـد صنوه فى المدرسة ، وعن الاستاذ على بوضاض الفرضى الاخصاصى ، فلم يزل هناك فى جد واجتهاد من 1298 هـ الى 1310 هـ ، فنال مقاما كبيرا فى التحصيل ، وشفوفا ساميا على غالب اقرانه ، خصوصا فى العربية التى أتقنها اتقانا عجيبا، لغة وتصريفا فيستحضر فى ذلك العجب العجاب . كما احكم متـون الفقـه المتداولة : العاصمية والزقاقية والمختصر والعمل الفاسى والرسالة . واما النحو واللغة فهو قطب رحاهما• يدور على طرف لسانه كل شواهدهمـا ومتونهمـا دورانا عجيبا . كل ذلك كان منه على طرف الثمام . فبهذه المثابة تخرج من المدرسة الالغية التى لم يغادرها قط منذ حل فيها ، حتى ءاب قـرير العيـن بامنيته . ولم يرحل الى معهد ءاخر سواها ، ولا ابتغى باساتذتها بديلا .

في مسجد قريته

رجع الى دار اهله مكتفيا من الاخذ سنة 1310 هـ فاقام فيها غيـر كثير ، يزاول فيها التعليم للقرءان الموجود فى ذلك المسجد • وسمعه يحوم حـوله •

ويقول له بلسان الحال : ان اليعابيب لم تخلق الا للسباق فى الميادين ، ولاحراز الخصل بين الاقران ، والثواء هكذا عين التوى ، ومن خلق للثريا لا يخلد الى الثرى . وهل من كانت فيه اهلية لادارة الدراسة العلمية الفذة . يثوى هكذا فى قعر مسجد صغير بين ولدة قصاراهم تعلم احرف الهجاء ، وصغار السور .؟

في مزاولة النوازل

برقت له بارقة وهو فى مسجد قريته ، فتمشى نحت ضوئها اليه البحث فيقصده اصحاب النوازل ، وميدان النوازل ميدان الظهور لكثيرين من امثاله العلماء المتقنين . ان كانت فيهم اهلية للقيام بشؤونها ، والقضاء صناعة كما يقولون ، فكم عالم كبير لايحسنه. وكم ضئيل التحصيل يعرف منه كيف تؤكل الكتف ؟ وكيف تحل الانشوطة ؟ فيكون له ما يكون ، والمترجم كان يظن من نفسه اهلية للخوض فى تلك الامواج ، وقوة للجرى فى تلك المضامير ، غير انه تكشفت نازلة عن انه ما خلق لذلك .

دارت نازلة فحكم فيها هو والفقيه سيدى الطيب بن ابراهيم الاكمـارى فاختلفا فيها . كل واحد منهما مع فريق ، فكتب كل واحد منهما لاصحابه ، ورفع الحكمان معا كاستيناف الى الفقيه سيدى محمد بن عبد الوفى الاكمـارى فايد ما كتبه سيدى الطيب ، ورد ما كتبه المترجم بالادلة الواضحة ، فانهزم المترجم فى اول معركة جاول فيها قرنا من اقرانه . فسارت بذلك الركبان ، وتطايرت به الانباء ، فوصل ذلك الى الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى . فاوعز الى المترجم ان يقلع عن ذلك الخوض فى النوازل ، فانه لم يخلق لها . ولم يخلق الا للتدريس ، ففتح له مصراعى باب المـدرسة الالغيـة ، ليقـوم بالتدريس فيها ، وليكون خير معين للاستاذ الالغى فى اداء هذه المهمة العظيمة التى لا يستقل بها كاهل واحد . وان بلغ من المنة ما بلغ .

استاذ المدرسة الالغية

تولى الدراسة فى هذه المدرسة انقيادا للواجب . وانصياعا لاوامر استاذه المطاعة ، وذلك من نحو اوائل 1312 هـ او فى التى قبلها . فكان اولا يدرس بصفة معين للاستاذ ، يعلم بعض الطبقات الابتدائية . ثم لم يزل تتسع دائرة دراسته ، والاستاذ الالغي يحيل عليه مهام القيام بالتدريس شيئا فشيئا ، الى ان توسطت سنة 1314 هـ وقد دهم الكيلوليون البلاد . فكان الاستاذ الالغى يقوم ازاءهم بما يقوم به ــ كما ذكرناه فى ترجمته ــ فاستقل اذ ذاك بكل ما فى المدرسة من الدراسة العليا . فاتخذ معينين له من نجباء الطلبة . وكان اليه المرجع فى تنظيم طبقات التلاميذ ، وهو الذى يتكلم فيهم ، واليه مقاويدهم. فيهذب ويؤدب . ويرشد ويعظ ، ثم لا يلتفت الاستاذ الالغى الى المدرسة الا من بعيد . وان كان لا يزال يلقى فيها دروسا عليا فى بعض الاحايين ، ان

انس بعض فراغ من ادارة شؤونه الخاصة • ومن مقابلة أصحاب النوازل الذين يحلقون حول داره دائما . وما كان طالب يحل او يرتحل ، او يفتتح الدراسة من اول يوم الا بإذنه الخاص . وما سوى ذلك فالى المترجم .

اقام الاستاذ التاجارمونتي في المدرسة من ذلك العهد الى 1335هـ زهاء ربع قرن . كان فيها مثال الجد والاكباب على التدريس . يلازم ملازمة الطلبةوعاكف نظيرهم فى كل أيام السنة الا في العواشر المعهودة ، فتأتى له بهذه المواظبة الغريبة التي لاتعرف تقطعا ولا بطالة ولا مغادرة الا الى مشارفة اهل أو مال ، أو الى تسوق موسم أو سوق الا ماقل • أن خرج طبقات كثيرة من نجباء التلامذة المتقنين اتقانا كثيرا كل ما أخذوه ، كما تيسرت النظم في الدراسة ، فيستتمون الالفية والمختصر والمقامات الحريرية والبخاري وأمثالها • مما يكبون عليه في كل أطوار السنه ، أو في بعض فصولها ، في ازمنة محدودة • دوقع لهم منذلك تنظيم يشبه تنظيم سيدى سعيد الشريف الكثيرى من غير أن يتعمدوا ذلك • وان كانت الانصبة أصغر من أنصبة الشريف لما يعتنون به من اطالة البحث والتنقيب •

في هذا الدور الذى مثله الاستاذ التاجارمونتي تجلت عظمة المدرسة الالغية ، وتمكنت في أن تؤدى مهمة عظيمة للعلوم التى تدرس فيها • وكان الغ في ذلك العهد عهد العليين ، على بن عبد الله الفقيه الالغي وعلى بن احمد الشيخ الالغي بحرا زاخرا بالمعارف ، وكعبة يحج اليها طلاب الفنون، ومرتادو التصوف ومحافل الادب مائجة في جهة ومجالس الذكر والاذواق الصوفيه زاخرة في جهة اخرى ، والوفود تترى في كل يوم من رواد هذا وذاك • ومتى انتظم مجلس حافل بالعلماء • كان الاستاذ التاجارمونتي يملأ منه فراغه المعهود لامثاله• فلا يسير موكب من مواكب العلماء ، ولا تقام حفلة من حفلات اكرام لهم في دار أحد العليين ، او في دار صهر الغ الحاج ابراهيم الايغشاني أو ولده الرئيس احمد ، الا رأيت الاستاذ التاجارمونتي في عرض الموكب ، أو في صدر من صدور تلك الحفلات ، ثم لا ينسيه ذلك أن يواظب على موالاة الدراسة في المدرسة . وهذه قطعة يستدعى بها الشيخ الالغي جمعا من العلماء في دار الاستاذ سيدى علي بن عبد الله ، يؤكد فيها على أن يقدموا مع الاستاذ ابى القاسم، وان لا ينسوه وذلك من أكبر البراهين على ماذكرناه من اعتباره في تلك الهالة العلمية دائما • وذلك في 14 ـ 9 ـ 1314هـ

أبا الحسن الفقيه من يبرىء المرضى اذا ما بيان منه قد ملا الارضا
عليكم سلام من على أخيكم نواجذه تزداد فى ودكم عضا
وكل الالى في ذلك المحفل الذى غدا بهم ريان من علمهم غضا
وبعد ففى هذا العشي عشاؤهم لدينا اذا أدوا عشائهم الفرضا
فيا مرحبا بالجمع شرف وفدهم بنور ابتهاج كان من قمر اوضا
واعلم اخا المجد الصميم وكنز العلوم بتدريس ابا القاسم الارضي

وقد سمعت المترجم يقول : لايرانى الشيخ الا بادر بالبيت انشادا ـ من الهمزية •

يا ابا القاسم الذى ضمن القسا مى عليه مدح له وثناء

حالته المادية اذ ذاك

كان يتوصل من المدرسة بأجرة المشارطة ، ومفتاح هرى المدرسة أحيانا يكون في يده فيعطى منه للطلبة مئونتهم المعتادة . ويتناول منه بالمعروف . وكان عزوفا لا تدعه نفسه أن يسف لالتقاط الفتات . ولا للحس الاوانى . ولم يمكن له ان يؤدى في المدرسة تلك المهمة العظيمة الا بصبر ايوب . والا فذلك ما لا يكاد يكفي . ولكنه باقتصاد جبل عليه امكن له ان يؤثل قليلا يزداد شيئا فشيئا . حتى كان من اغنى اهل قريته نسبيا .

يغادر المدرسة

كان زوج ولده محمدا الكبير ، فحضر الاستاذ الالغي فحين قدم ما سيذهب به المرسلون الى اهل الزوجة ليأتوا بها ، وكان نعالا عدة . فرط من الاستاذ الالغي ان قال : من هنا ذهب هرى المدرسة ، وربما كان ذلك منه انما هو مباسطة او يقصد ما يتوصل به الاستاذ من اجرة المشارطة ، وايا كان فان تلك الكلمة النابية اثرت تاثيرها في الإستاذ التاجارمونتي ، ولم يرد ان يمد حبله بعد مع من يرونه بهذه النظرة ، فاقلع عن المدرسة ، بعد ما راوده الاستاذ ابو الحسن ان يبقى ولعله اعتذر له عما كان . ولكن انفة التاجارمونتي املت عليه لزاما ان لا يبقى هناك .

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل

هكذا حكى لى من يطلع على الخبايا عن السبب الذى غادر به المدرسة . كما ذكر لى من اسباب ذلك ايضا ان ابا الحسن الاستاذ الالغي اخرج من المدرسة بعض الطلبة الذين يحسب التاجارمونتي اخراجهم وطردهم منها فيه ما لا يتمشى مع ما يظهر له انه حق . وللناس انظار مختلفة ، وايا كان . فقد آن للاستاذ التاجارمونتي ان يستبدل مكانا بمكان . فانه .

لولا التنقل ما ارتقى در البحور الى النحور

ثم زم هو لسانه لا ينبس ببنت شفة في جانب استاذه الإلغي . تهيبا وتعظيما واحتراما . فانطوت بذلك صفحات ذهبية الغبة من تلك المدرسة ، ثم لم يات بعده من الف في المدرسة مثله ، ولا من ادى فيها مثل اعماله العظيمة .

في المدرسة الإيغشانية

لم يكد يفارق الغ حتى خاطبه الرئيس احمد الإيغشاني في الالتحاق بمدرستهم . فبادر اليها بل قيل ان لهذا الرئيس يدا خفية في اتمام عزيمة الاستاذ التاجارمونتي على استبدال مدرسة الغ بمدرسة ايغشان . وسرعان ما حلق عليه الطلبة من جديد في هذه المدرسة فرجعت اليه سعادتـه في انجاب التلاميذ ، فأكب هناك ايضا احدى عشرة سنة . ملأها علما ، فصدرت عنه طبقات اخرى من الطلبة . وقد نالوا امانيهم من المعارف ، وقد وجد هناك ما كان يفقده في الالغية من الاتساع في المادة ، ومن حرية العمل . فامكن له ان يتوسع في النفقة ، وفي الذى يتوصل به من اجرة المشارطة . فاتسعت دائرته (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسـعـة) .

في داره عاطلا

غادر تلك المدرسة سنة 1346 هـ فلزم داره بلا مشارطة . والمعالي تخطبه . وعوادي الدهر المغرمة بمعاكسة امثاله ، تتأبى ان تفرغ له في الدرجات العليا مرتبة اخرى لا يليق بامثاله ان يشتغل الا فيها . وانما البدور للسماوات ، ولكن الحظوظ تلعب دورها فلم تنشب ان تنبهت . فالتفتت اليه اولا

في الايغشانية ايضا

ثم عاودها سنة 1349 هـ فاعاد اليها الازدهار النسبي بين المدارس الشاغرة . لان تلك الفترة بعد مجاعة 1345 هـ مبتدأ اقفار المدارس السوسية بالكلية ، ولا يبقى في بعضها التي لاحظتها عيون السعادة الا افراد معدودون ، وقد حصل له في هذه المرة فتور الشيخوخة . ووهن الضعف ، فلم تكن له بعد — وان كان لا يزال يدرس — تلك الجولات التي عهدت منه . وقد اخبرني بعض من زاره اذ ذاك فسأله عن حاله . فانشده بيت الطغرائي المشهور في لاميته

هذا جزاء امرء اقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

ثـانـيـا .

في فض النوازل رسميا

لم يظهر له منذ ان انهزم في النازلة التي تجاول فيها مع قرنه الفقيه سيدي الطيب بن ابرهيم الاكماري اثر بارز في النوازل ، الا ما كان له من

بعض جولات قلائل بعد 1333 هـ حين كان في المدرسة الإيغشانية ، ثم لما جاء الاحتلال سنة 1352 هـ قدمته قبيلة ايغشان ، فكان يحضر في مركز (تافراوت) بأملن . في جلسة فض النوازل . فعراه تعجب حين راى الضعفاء ينتصرون في كل ما يتطلبونه من الظلمة . ولم يكن يحسب انه يعيش حتى يشاهد ذلك ، وقد كان الاحتلال ظهر بهذا المظهر الخلاب اثر امتداده — ذرا للرماد في الاعين — فقال يوما : احلف بالله ان الحق قد رجع الى الدنيا ثانيا . فالتقف بعض قصار الانظار هذه الكلمة . فاستنتجوا منها انه ممن يحبون الاحتلال ، ويريدون ان ترتفع كلمة غير الاسلام . وذلك ما هو براء منه ، ولا يدل عليه اعلانه بان ضعفة شاهدهم امامه نالوا من الظلمة مالم يكونوا ينالونه قبل هذا الوقت اذ الناس فوضى : من عز بز . ومن غلب سلب ، وما قاله حق في رجال الاحتلال اذ ذاك سياسة منهم ، فان غالبهم يتمشون على ما قاله شاعرهم هيكوا .

قتـل امـرء فى غـابـة   جـريـمـة لا تـغـتـفـر
وقـتـل شـعـب كامـل   مسالة فـيـهـا نـظـر

وقد رآه الناس يوما يستدير في سوق الاربعاء في (تافراوت) مع كبر سنه حول دراجة لاول مرة رآها . فاظهر عجبه من تركيبها . واقترح على صاحبها ان يحمله عليها . فقالوا . انه غشي على بصيرة الفقيه . فافتتن بما يراه في العصر الجديد . فبنوا على حبة — كما املته عليهم اهواؤهم — قبة ، وهذا ليس بشيء ، وانما الرجل طلعة الى معرفة كل شيء رآه . وذلك من اوضح البراهين على أنه ذو نظرة مجلوة . وفكرة نيرة . ولكن ما يصنع مثله بين الرعاع الهمج الا ان يديم الاطراق الكاذب الزائف . ان اراد أن ينجو من غمزاتهم وهمزاتهم ، ولا ننكر ان نظيره ينبغي ان لا يفارق ما كان معتادا من امثاله ، لئلا يجعل لالسنة البسطاء ما يقولون في جانبه . ولكن بعد ان وقع ونزل . فليس عليه من ملام ؟ والحريـة التامة لا يدركها في المجتمعات الا الحمقى وحدهم .

دام على هذه الحالة يحضر في المحكمة هناك اياما معلومة في الشهر (1353 هـ — 1355 هـ) ثم اعفي من الحضور لكبره ، وضعف بصره . فجاءته هذه العطلة في وقت كانت توافقه فيه لوهن جسمه . ورقة عظمه .

في داره ثانيا

من اواسط 1355 هـ رجع الى داره فلزم السكون والهدوء مبتعدا عن كل احد . وقد ازداد عليه الضعف في بصره . حتى فقد النور من كريمتيه . فعالجهما فتراجع اليه شيء ضئيل يستطيع به تناول ما بين يديـه ، واما المطالعة فيعجز عنها . وكان يتمنى لو استنار بصره اكثر ليجاور في احد

المساجد الى ان يلاقى ربه ، لانه لا يالف اهل داره ولا يالفونه ، لكونه امضى جل عمره او كله فى بعد عنهم ، ولكن هذه الامنية لم تتيسر له . وهو على هذه الحالة الى الآن 1358 ه . ختم الله علينا وعليه بخير .

اخـــلاقـــه

كان سهلا لينا ، صاحب نكتة لطيفة ، سريع الضحك ، يفلت زمـام وقاره من يده كلما دهمته عاصفة من الضحك ، وكثيرا ما يدرس فى المجلس مع الطلبة . ثم لا يكاد يبادر سبب من اسباب الضحك حتى يتفجر من بين الطلبة غلبة . ثم لايهدأ الا بعد حين ، وكان متواضعا عارفا قدر نفسه . لا يتعالى الى ما يعجز عن ادراكه ، نصوحا للطلبة ، خافض الجناح لهم غاية . يعاشرهم ويواكلهم ، ويجيب داعيهم الى بيوتهم ، وربما يباسطه احدهم عند استدعائه فيرسل اليه ان ياتى من عنده بشيء من السكر او الاتاى ، فيصاحبه معه فرحا منشرحا ، وهو يعد ذلك من ميادين الفكاهة والاريحية . وقـد كتب اليه يوما تلميذه الاديب ابوكرع محمد بن الحاج الحسين البعمراني :

يــا شيخنا لب البنى لبيتــه فالشوق منه كما علمت جليل
واصحب اتايا ان تكن لكفضلة تــكــفى فما منه لدى قليــل

فاستطاب البيتين ، واستصحب معه المراد ، وله بين الطلبة حكايات فيها مباسطات يتداولونها . منها ان طالبــا اسود ــ والسود دائما فى المجتمعات السوسية مقهورون ظلما ــ اجتمع عليه طلبة مدرسة (الغ) فمالوا عليه عدوانا وظلما بالضرب منبطحا حتى اوجعوه جدا . فبكى على الاستاذ متشكيا . فقال له او قد ضربوك ياسيدى فـلان حقيقة ؟ فقال له نعم يــاسيدى . فيطيل الشكوى ، فما زاد الاستاذ على ان قال له (فيه خير . فيه خير) ثم اتبع ذلك بقوله (فحسن فحسن ما فعلوه) . كأنه يرى أنه يستحق ذلك الضرب ، ثم انفتل الاسود عنه . ثم لم يقل للطلبة شيئا . فكانت قولة يتندر بها بين طلبة الالغيين اذ ذاك . وهناك حكايات امثالها يتندر بها فى المحافل .

يـزعم بعضهم ــ وبئس مايزعم ــ ان فيه خلق ابى الاسود الدؤلى . عرف به فى داره على الخصوص . فلا يكاد يرى سوادا مقبلا ، حتى يزور عنه ما امكن . الا ان اخذه عن غفلة . او لم يجد عنه محيصا ، وقيل : وقع له ذلك مرارا مع الفقهاء الالغيين كما أنه عاب يوما اهل بلده (تاجارمونت) حين لم يطعموا طلبة المدرسة ، وقد اقاموا حفلة طعام على مشهد سيدى احمد ابن عبد الله بن سعيد فادى ذلك حتى قال فى ذلك بعض اشياخنا قصيدة لم تكن عندنا الآن . وفيها مس بالاستاذ فاغضبته . وتلك الخصلة الدؤلية هى كل ما يرمى به . وانا بنفسى على قلة معاشرتى اياه ــ لا اظن ذلك منه وصفا ثابتا لازما دائما ، لانى كنت طرقته مع تلميذه ابن العم الفقيه سيدى محمد بن احمد ابن الحاج صالح ، فلاقانا ببشاشة ، لم ما قصر فى كل شيء ،

كما زرته يوما اخر فى المدرسة الايغشانية اخر 1336 ه فبت عنده كذلك ليلة . وقد كنت على نية ان انتقل اليه حين غادرت تانكرت ، ولكن تحدث من بعد الامور امور . ففى هاتين المرتين زرته . والذين صاحبوه وداخلوه لا يذكرون عنه هذا الخلق كخلق لازب . ولا ارى الذى يحمله على ما يرى منه احيانا ينشا الا عن بعض اهله الذين غلبوه على ادارة شئون داره كما يريد . فيستحيى ان يلاقى من لا يقوم له بحق الضيافة ، او مثل ذلك من الاعذار التى لا تبتعد عن مثله ــ لعل له عذرا وانت تلوم ــ

حكى لى ابن العم سيدى ابراهيم بن احمد ان انسانا مر به يوما ، مرجعه من سوق ، فناوله كبشا مسلوخا ، ثم بعد لاى طلبه منه . فحين ذهب وقف يلوم نفسه يقول : كدت افتضح . فقد كنت اظنه اتانى بذلك كهدية فكدت اقطع منه ما اطبخه له . ولكن الله سلم ، ثم صار يعنف نفسه الطماعة لوما عنيفا .

وكان ذاكرا خاشعا دينا . متهجدا متحينا لاوقات النوافل والخيرات . لا يغفل عن كل ما فيه ادنى خير . حتى الاذان بنفسه فما كان يتركــه الا نادرا فى كل وقت . ويلزم الوحدة فى المدرسة فى غير اوقات الدراسة او الاكل . فيطالع كثيرا او يذكر . ولا يحبه خادمــه من الطلبة . وكان من يخدمونه يفارقونه عن رضا من الجانبين ، فممن خدمه فى الايغشانية ابنا العم الفقيه سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح . واخــوه الاستاذ ابو سالم . ويذكران عنه من الصفات المحمودة ، والسجايا المغبوطة ، ما هو له اهل . وبه احرى ، بين اقرانه ، ولم يزالا دائما يأثران عنه كل خير من جميع نواحى اخلاقه . بل يذكران عنه كرما وايثارا ــ وذلك مذكور فى ترجمتهما ــ

وكان لدماثة اخلاقه ممن يالف ويولف . حسن العهد ، يتفقد اصحابه ويتذكرهم بالسلام ، ويستحضر خير احاديثهم . ولا ريب انه لو لم يكن كذلك كله لم يقع به النفع العام الشامل الذى وقــع بـه فى المدرستين الالغيــة والايغشانية .

علاته فى المعارف

كان نحويا مبرزا يستحضر كل ما فى الاشمونى والصبان والموضح وحواشيه . والشواهد كلها على اطراف لسانه ، وكذلك المقطعات من الابيات التى تنظم فيها القواعد والشواذ . ولا يحتاج الى مراجعة اى درس سيدرسه. لانه كله امام عينه ، وللغة منه نصيب وافر بكثرة ما درس من الكتب التى تمده بذلك . وله مثل هذه الدرجة عينها فى الفقه . فالمختصر عنده ماثل كله امام عينه ، وكذلك شراحــه . خصوصا الدردير والدسوقى ــ وبهما الدراسة فى المختصر ــ فلا يفوته منهما قيد ولا منصوص عليه . وكذلك العاصمية وشرحاها التاودى ، والتسولى . فانهما طوع يمينه . فمـلوم

العربية وما اليها من النحو والتصريف واللغة وعلوم الفقه وما اليها من العبادات والمعاملات والفرائض وما تحتاج اليه من الحساب ، وكذلك علم الهيأة المذكور في المقنع . وعلم العروض المذكور . في الخزرجية او الحمدونية . هذه هي علومه التي يروج فيها ولا يتجاوزها الا الى البخارى فى الرمضانات ، وقد ذكر لي الفقيه سيدى موسى بن الطيب انه قال له يوما : الى متى ونحن في الالفية والمختصر والعاصمية والمقامات الحريرية والمعلقات ولامية العجم والدريرية والشمقمقيه والمقنع والخزرجية ، فاين المنطق والبيان والاصول والتفسير ؟ فاجابه ، ان هذه هى اللب ، ومن جوابه هذا نعرف انه لا يد طولى له فى غير هذه ، والا فكيف يستغنى عن الاصول والبيان والمنطق ، وليس المقصود انه لم يجل قط فى هذه الثلاثة ، انما مقصودنا ان نعلن انه لا يعتنى بها كثيرا فى المدرسة الالغية ، وان درسوها فذلك منهم فى مكان من الندور ، وقد عرفنا ان التلخيص وجمع الجوامع والسلم قد تكون من مدروسات الالغيين، لكن على سبيل القلة . او كان يدرسها الاستاذ ابو الحسن لا غير ، وان كان علوم البيان والاصول لم يتمكن منها الالغيون ، وقد الم العلامة محمد يحيا الولاتى بذلك فى (رحلته) . وقد يرسل الاستاذ الالغى بعض تلاميذه ليقراوا هذه العلوم عند غيره .

وللمترجم اعتناء بالتفسير مطالعة لا تدريسا ، فقد طالع تفاسير منها (روح البيان) جزءا جزءا ، كما يطالع كتب التواريخ ، وكتب الادب . وهو وان لم يكن من الادباء البارزين ، فان له نظراتهم ، وكثيرا ما يقول . انا انما اسبر المصوغ ولا اصوغ ، ومقولاته الشعرية قليلة جدا . او على الاقل لم نتصل من ذلك بكثير .

آثار أدبية منه واليه

قال بعض تلاميذه يخاطبه سنة 1314 هـ

امن وجد ريم يفضح البدر سافرا — غدا النوم عن عينيك فى الليل نافرا
رمتك تباريح الجوى بجماله — فاصبحت بالسلوان عمرك كافرا
اتاك جمال من محياه بالذى — اتاك العذول للذى كان غافرا
والا فما هذا الهيام الذى ارا — ه من كل صوب قد اتى متضافرا
نعم انني ممن تتيم قلبه — ولكن بغير الريم يفضح سافرا
بحسن مزايا من يقود الى الهدى — . . . . (كذا فى الاصل)
ابا القاسم الارضى الهمام الذى به — ارى من مجال الجهل اخرج ظافر
امام يسوى عند تعليمه الظبا — يهذبهم من علمه واليعافرا
فيصدرهم مثل البحور ومن ترى — يقيس بهاتيك البحور الجعافرا (1)
يخوضون امواج البحوث ومنهم — عزائم تغد وسردهم والمغافرا (2)
عليك سلام الله من متعلم — يحاول أن يرقى فمد الاظافرا

(1) الجعفر : النهر الصغير .
(2) السرد : الدرع للحرب . والمغفر : ما يجعل على الرأس عند الحرب .

السلام والرحمة والبركة على شيخي وطريقي ووليدى ، ومن هو فوق امي وابي ووديدى ، العلامة الدراكة البحالة السميدع الاورع . سيدى بلقاسم (وبعد) فلا غرض الا ان ينظر سيدى هذه القطعة بنظرته المصيبة . ويسبرها ليصلح من وزنها عيوبه . فانما انا متطفل . وعلى همة سيدى التكل . والسلام. فكتب الاستاذ عليها .

لله درك من شاعر كبير . واديب اعظم قدرا من ثبير . فقد اجدت فيما قلت . وان لم اكن حيث جلت . ولو كنت من فرسان الميدان . ومقارع الاقران لاجبتك نظما كما ينبغى ويجب . ولكننى طالما دعوت القريض فلم يستجب . فعليك بالفقيه (3) فى هذا الفن . فانه فيه مفتن . واليه مقاليد رسنه . ومقاويد احسنه وحسنه . حفظك الله حتى تنال كل ما تريد . فظل النجابة على مثوالك عديد . والسلام .

وقال محمد بن الحسين بوكرع البعمراني فيه . بعد ابلاله من وكمة :

هنيئا بابلال الفقيه امامنا — فنلنا بذاك البرء مجتمع المنى
فما انت الا المجد كيف ترى يرى — ابتهاجا وحزنا والتقوى والضنا
عليك سلام الله ما طلعت على — نواحي الاراضي الشمس في هالة السنا

وقال يستدعيه الى بيته .

حضر اللحم الحنيذ المشتهى — معه خبز سميد نير
وغلى الماء والقى من بخا — ر دنابى مستشار اشقر
حين يجرى والمهاميز على — شاكلتيه كبرق ان يسر
وانا وحدى ولا مونس لى — غير ما القاه بين الدفتر
هل لشيخى ان يزور البيت كى — يبصر الحال بوفق المخبر

واستدعاه يوما آخر بهذه القطعة اللطيفة المعنى ؟ وان كانت ركيكة المبنى .

ابا قاسم ان الكئوس توسلت — اليك بلحم فوقه البيض حلت
وشاركها خبز من القمح فارتوت — قريحة قلبى من معين الشلالة
فقالت لذا الجمع الشهى تربصى — الى الصبح تلقى من تريدين حضرتى
فقال لها مالى وللصبح انما — زيارة اهل الحب وسط الدجنة

ووجدت قطعتين خوطب بهما من تلاميذه ولا استحضر الآن صاحبهما .

ابا القاسم المولى الامام المعظما — فحياك ربى ما حييت وسلما
ودمت لعلم الدين تنشره على — تلاميذ كانوا قبل فى ظلمة العما
وبعد فانى قد نويت زيارة — لاهلى غدا فى السبت كيما اسلما
فان ياذن الشيخ الامام فمرحبا — والا فانى لست اجتاز كل ما . . .

(3) يعنى أبا الحسن الاستاذ الالغى .

والقطعة الاخرى قدمت ال الاستاذ يستدعيه بها القائل ان يدعو للعواشر .

هـذي العواشر قد زفـت عرائسها ... واجتنت الامـل المبـغى مغارسهـا
حلت وقـد بلدت منا القرائح بـل ... قـد اطفئت ضجرا منـا نبارسهـا
فليـدع سيدنا من هـو بين مـيـا ... ديـن العـلوم جميعهن فـارسهـا
من غـير ابـداء عـذر لاو لاعـذل ... منه لنـا كلت الشهبـا وسائسها

وكتب اليه الفقيه الكزولى التملى حين كان ياخذ عنه ولده سيدى الحنفى .

عليـك سـلام الله يـا خـير عـالم ... يـنـير بضوء العلم كل الـعـوالم
وبعد فهـذا النجل نجلك قـد اتى ... اليـك الا انـظـره بمقـلة راحـم

وكتب الاستاذ ابو محمد الطاهر الى التاجارمونتى المترجم :

عليك سـلام يـا ابا القاسم الارضى ... سلامـا ذكيـا نفحـه يمـلا الارضا
سـلام اخ يـزكـو على البعـد وده ... يرى حفظ اركان الهوى لازما فرضا

وكتب اليه ايضا .

ابـا قاسم انى للقيـاك مشتـاق ... كما حـن مضنى عزبـلواه تريـاق
فصل ولك الفضل الذى أنت اهله ... اخـا لم يغير منه عهـد وميثـاق
عليـك سـلام مثـل ودك لم يـزل ... كما جـاء ازهـار الحديقة غيـداق

وكتب اليه ايضا .

ابـا القاسم الارضى سـلام عليكم ... سـلام اخ واف مشـوق الـيـكم
يجيء اليكم كل حـين وقلبـه ... وان صد عند العذر رهـن لديكم
فـداه لك الشوق الحثيث فعاقـه ... على رغمه الدهـر المراغم عـنـكم
فلا تعذلن واعـذر اخاك وان جـفـا ... فقد كان قدمـا يعرف العفو منـكم

وكتب معه كتحية لقبر والده سيدى محمد بن ابرهيم فى (تامانارت) قوله .

اسعد ابـا قاسم واحمل تحيـة ذى ... شجو لشلو بـذاك السفح مضطجع
تحيـة يشرق المسك الذكى بـهـا ... والبرق يسرى بها فى كل منتجـع
وحى قبرا اذا مـا جـزت ثم ونـب ... عن نازح الجسم خلو القلب منصدع
والثم فديتـك ذاك القبر وادم بـه ... من لؤلـؤ الدمع عنى كل مبتـدع

وكتب اليه بعد ما عزاه فى مفقود :

يـا سيدا طلب الفخـار فـنـالـه ... وبـدا بـافق المكرمـات هـلالـه
راجـا رعى حفظ المـودة بعـد مـا ... ابـدى سـواه فى الورى اغـفـالـه
بعث الكتـاب معزيـا فـازاح مـا ... بالقلب من حـر الجـوى وازالـه
واهى فكـف مسيـل دمـع طـالمـا ... اجـراه افـراط الاسى واسـالـه
نزهت طـرفى فى محاسن روضـه ... ووردت من مـاء البـيـان زلالـه
لـلـه مـنـاك قريـحـة اهـدت من ... الـسـحـر البديـع البابلى خلاله
لا زلـت فى اوج الـعـلا متفيئـا ... من غصـن افـنـان الامان ظلالـه
فليهنك الاجـر الجـزيـل فان من ... عـزى المصاب حوى الثواب ونـالـه

ادام الله سعادة الاخ العلامة الاديب . الحائز من البلاغة اوفر نصيب . والضارب فى بحر البيان بالسهم المصيب . المزرى فى حياكة القريض بالحسن . وفى صنعة الانشاء بعبد الحميد وابن الخطيب . الاخ الاكرم الودود . الحافظ عل رعى العهود . سيدى بلقاسم بن مسعود . وسلام عل سيادته الغراء . الغالية فى ملابس السودد . وحفظه من كل مكروه . وفداه بعداه من ان حادث بعروه . واقر له الخلد . بالمال والولد . هذا وقد وردت رسالة سيدنا بارك الله فيه . فسلت وسرت . واقرت العين بعنايته بنا وحفظه العهد . فالله يثيبك ويجزيك . فقد ورد فى الخبر من عزى مصابا فله مثل اجره . فالله تعالى يحفظكم ويديم سعادتكم . ويتم عليكم نعمه . والسلام فى صفر ١٣١٧ هـ .

ووفد ادباء افران ال الغ مع الفقيه محمد بن الطيب السكرادى فرحب بهم الالغيون على العادة . فقال الاستاذ ابو الحسن :

اهـلا بمن لم يجد من بينهم خلدى ... الا اعـتـاد لـه لـقـيـاهـم راحـا
ولا لـقيـت صـدق وعـد قـربـهم ... الا رايـت همومى والجـوى راحـا
واليف اصحـو وقلبى بعد بعـدهم ... قد راح لما احتسى من قربهم راحـا
لا يـشفى قلبى المضنى بفرقتـهم ... مـالم اضـم على هـامـاتـهم راحـا
فـلا يـزالون مغنى العـز فى كـرم ... ولا يـزالـون يجتـنـون افـراحـا

فاجابه سيدى الطاهر بقوله :

اهدت شـذا المسك انفاسا وارواحا ... فانعشت انفسـا مـنـا وارواحـا
فريـدة نفثت بالسحـر فى كلم ... كأنهـا اكـؤس قـد ضمنت راحـا
وافت بها فكرة الشيخ الامام ولا ... غرو اذا الزهر من روض الربى فاحا
مولاى لورك طـبـق الـعـلا فـلـذا ... غـدا به كل عافى المجـد او راحـا
رحب بالضيف والترحيب شيمتك الـ ... ـغـراء لازلت تول الضيف افراحا
لا زال جودك ممناحا وفضلك ملـ ... ـتـاحـا وحاسـدك المقـوت مجتـاحـا

ورحب بهم سيدى عبد الله بن محمد الالغى بقوله :

جـرت الصبـا فـتـضـوع الـنـشـر ... ودنـا المـنى فتنـاسـق البـشـر
وهمت شئـون فى جفـون مثل مـا ... در تـسـاقـط او همى الـقـطـر
اذا البـشـير مهنئـا ان قـد اتى ... من نـحـو (يـفـرن) سـادة غـر
فبـدت ربـوع الانـس آهـلة بهم ... من بـعـد مـا هـن بـلـقـع قـفـر
وسمت بـدور فى سمـاء سـعـادة ... لا الشمـس تشبـهـهـا ولا البـدر
اهـلا وسهلا بـالال حـازوا العـلا ... بين الـورى ولـهـم بـهـا الفخـر
كنز التقى مـاوى المنى نجم الهـدى ... سيف الردى . كف الـنـدى البحر
شيـخ الشيـوخ ابى محمد الذى ... يـرضى العفـاة بـبـابـه الـوفـر
والسـيـد البحـر البشـير الـنـاصرى ... وابـن الامـام الـطـيـب الـبـر
ازكى الـسـلام عـلـيـكم من قـائـل ... (جـرت الصبـا فتضـوع الـنـشـر)

فاجابه سيدى الطاهر بقوله :

برزت فنعم قلوبنا البشر — هذى الزواهى الخرد العشر
نشرت فنم بما تسر نسيمها — والزهر يبدى سره النشر
صاغت سبيكة لفظها نار الذكا — والنار يزكو فوقها التبر
وابانها فكر الاخ الندب الذى — يعنو له القرطاس والحبر
ايه لك العلياء عبد الله قد — ابدى تقدم طرفك الحضر (1)
فازت يمينك بالمنى حتى لقد — اضحى مقامك دونه البدر
لازلت ترفل فى مطارف سودد — حتى يطيب بطيبك العصر

ورحب بهم الشيخ الالغى بقطعة مطلعها :

بشير وطاهر ونجل لطيب — ثلاثة اقمار ببيض طوالع

فاجابه سيدى الطاهر باخرى مطلعها :

انفح نسيم الروض والروض ناصع — ام الشق معروف من الفجر ساطع

ورحب بهم ابو القاسم المترجم بقوله :

اقول لركب الزائرين الالى راوا — زيارة ارض الشيخ من اعظم الاجر
فسارت مطايا الشوق منهم بانجم — فحازوا بحسن الظن منهم ذرى الفخر
شفيتم قلوبا بالفراق تقرحت — ولولا لقاكم الحدث سبسب القبر
فقام بكم جمع طوالع سعده — زرت بدرار فى السماء مع الفجر

فاجابه سيدى الطاهر بقوله :

ابا قاسم يا فارس النظم والنثر — ويا خير غواص على الدر بالفكر
اتتك العلا عفوا فكم رام وصلها — فما فاز منها لا بفرخ ولا وكر
خليت النهى لما اتيت بغادة الـ — ـقريض تسلى عن هوى الغادة البكر
بدت فازدهت كل القلوب كانما — اتتنا بسحر او بنوع من السكر
بقيت لفضل تجتنيه مهنئيا — بما نلت من صيت شهير ومن ذكر
عليك سلام من اخ صح وده — فاعلن بالذكر الجميل وبالشكر

ثم وفد ايضا وفد من الالغيين وغيرهم على الافرانيين فرحب بهم سيدى محمد ابن الطاهر بقوله :

يا قلب جد وخل كل توان — هذى جميع المكرمات دوان
قالوا النواحى اشرقت فاجبتهم — طلعت شموس العلم والعرفان
قدم الالى حازوا المفاخر وارتووا — من شرب كل تواصل وتدان
اكرم بهم من سادة سادوا الورى — بالفضل والعلم الرفيع الشان
الله فضلهم واعلى قدرهم — فسموا على الجوزاء او كيوان
وبهم هدى الله العباد فاصبحت — تثنى عليهم فرقة الايمان
وبهم تحل المشكلات وتنجلى — ظلم الضلال بهذه الازمان

(1) الطرف بالكسر والسكون: الفرس الكريم. والحضر بالفتح فالسكون: الجرى.

هم فخر هذا الغرب نور ظلامه — وهم علينا نعمة المنان
يا سادتى يا من بهم صين الهدى — من بدعة ترديه او شيطان
انى انبئكم بقلب مدنف — ابدا يكابد شدة الاحزان
صلوا بما يبغى العبيد فانتم — ملجا المروع مرشدو الحيران
لا زال هذا الدهر يسعد بالذى — تبغونه فى السر والاعلان
وصديقكم لا زال فى ظل الهنا — وعدوكم لا زال فى الخذلان
بنبينا صلى عليه الله مع — آل وصحبه سادة اعيان

فاجابه ابو الحسن الالغى بقوله :

حييت فاحييت كل قلب فان — حوراء ترفل فى ثياب معان
واسرجت لما تبدت انفسا — مغصوبة بالشوق مذ ازمان
ولمت لطافتها ورقة طبعها — والدل أن الاهل فى افران
ما كنت احسب قبل غرة وجهها — ان الغزالة ترتدى ببيان
الا ولا خلت البيان وان همى — جود البلاغة مورقا ببنان
لله بنت قريحة مزفوفة — لم تقترح مهرا سوى الرضوان
ام لا ابيح لها الرضا واجلها — وهى العروبة من ذوات الشان
جمعت بجودة لفظها ومرامها — حسنا تتيه به الى الاحسان
فالله يكلا حال ناسج بردها — ويديم رفعته على الاقران

واجابه المترجم بقوله :

در يلبات الحسان سباني — ام لا برق فى الدجى فشجاني
ام روضة غناء شدو حمامها — يغرى المشوق الصب بالهيمان
بل كاعب خود زهت بدلالها — وبحسن غنج واختضاب بنان
قد زفها فكر الاديب محمد بن — الطاهر الندب الرفيع الشان
نجل الاماثل والاماجد والالى — حازوا السباق بكل ما ميدان
ما شئت من علم ومن كرم ومن — مجد ومن شرف الى عدنان
يا سيدا اعيا البليغ احاطة — بخصال فضل حزته ببيان
لا زلت فى اوج المفاخر ترتقى — حتى تسود اعالى الاقران
بمحمد صلى عليه الله ما — هبت صبا وتعاقب الملوان
وعليك خير تحية موصولة — ما رنحت ريح غصون البان

ووفد المترجم مع سيدى المدنى بن على بن عبد الله التلميذ اذ ذاك ، على سيدى الطاهر ، وهو فى المدرسة (البومروانية) . فكانت حركة ادبية بهذه الوفدة . واليك ما جرى فيها . ارسل معه ابو هذا التلميذ العلامة ابو الحسن هذه الرسالة الى سيدى الطاهر .

(عيبية الاسرار ، ونخبة الاطهار . حلية لبة الزمان . وكهف الامن والامان . ابو محمد سيدى الطاهر بن محمد ابن ابراهيم الافرانى ثم البومروانى شرطا . السلام والرحمة والبركة على تلك الحضرة المتكفلة بنجح وسعادة القاصد . وظفر الوارد . ومن بها واليها

(وبعد) فيسر الله الكل لليسرى . وختم لنا جميعا بالحسنى . فلا باس لله الحمد . ونحمد الله على سلامة الجميع . وعلى قضاء واجبات زيارة الاهل والولدان . والرجوع بسلامة وعافية . الى مقر الافادة ، وهالة بدر الكمال والمجادة . فأسهم لاخيك من الادعية المرضية . ويرد عليك السيد الاجل . والمشارك الافضل . والمدرس الصابر الشاكر . الفقيه سيدى بلقاسم بن مسعود . يقضى بعض الفرض من زيارة جنابك . ووصلة فضلك الذى هو المثل السيار . ويرتوى من نمير بحر احسانك التيار . فاقبل عليه اقبال المحبة الخالصة الصادقة . ورفرف بين يديه رفرفة الطيور الطارقة . فهو لذلك وفوقه اهل (ولا ينبيئك مثل خبير) وكفى منبئا عن صدق اخوته منها هذه الوصلة الرائقة . والزورة الصادقة . بلغه الله كل امل ، ووفقه وايانا لصالح القول والعمل . ولقد بعثنا الولد المدنى للتبرك بتلك المعاهد . ولم اخل انك من زيارة الاهل ءايب . ولذلك لم يصحب اليك كتابا ، فادع له . ووجهه مع الشيخ الخامل . وسلم على الاولاد والاخوان جميعا والسلام) (انتهى باختصار هكذا ما نقلنا منه ، وقد حذف من الرسالة انتقاد نبه عليه فيها . ثم رحب به الاديب سيدى محمد بن الطاهر بقوله :

روض المحبة يانع الازهار   اذ جاد برق الوعد بالامطار
فتعطرت ارواحه وغصونه   لعبت بها ايدى صبا الاسحار
وشدت به ورق السرور تطربا   فكأنما كرعت بصرف عقار
وكأنما نفح النسيم اذا سرى   سرعان ينشركا من الاسرار
متحمل بشرى بوصل ممجد   شيخ فضائله زرت بسدرار
ناهيك من تقوى ومن زهد ومن   علم رسوخ محكم الانظار
ماذا أقول بحق من شهدت له الا   علام بالفضل المبين السارى
من معشر لا يبتغون تفاخرا   كلا وافسادا بارض البارى
يا سيدى ارجو دعاء خالصا   من فضلك الصافى الزلال الجارى
منى عليك نوافح التسليم ما   صدحت مطوقة على الاشجار

وقال فى ذلك الاديب ابو العباس احمد اليزيدى :

جادت وقد ضنت بطيف خيال   سعدى فهبت نسمة الاقبال
اسعدت يا سعدى بوصل مغرما   صبا غدا من قبل فى اهوال
ان آنس الاطلال من سوح الحمى   فاضت مدامع موقه فى الحال (1)
واذا تذكر ما مضى بربوعه   من عيشه الغض الشهى الحالى
فاضت بقية روحه اسفا على   ما مر فيه من لذيذ وصال
واذا تنشق نسمة تلقاءه   هزته مثل بشادة بشمال
وترنح القلب المعنى ان سرت   بروائح الزهر النضير العالى
أسقى على تلك الربوع وحسنها   سقيت بوبل دائم مهطال

---

(1) الموق بالضم: مجرى الدمع في العين .

الى يميل القلب من سكن بهم   شيخ الرسوخ وصاحب الاحوال
شيخى الامام الراقى البحر الرضا   تاج الشيوخ وصادق الاقوال
فرد به تجلى الخطوب اذا دجا   خطب الزمان وطارق الاهوال
يا من الى والقلب مشتاق الى   لقياه اين من المديح مقالى
بالله يا شيخى جودا بالرضا   عنى عن الاقوال والافعال
منى سلام الله ما هبت صبا   نجد فاهدت لى خيال خيال

وقال سيدى داود الرسموكى معهما مالا نستحضره الآن . فاجابهم المترجم بقوله :

اضحت تميس باخطر الاقدار   امداح اعلام ذوى اخطار
نجد الهمام الطاهر البحر الخضـــم وصاحبيه السادة الابرار
من حسن ظن بالغوا فى وصف من   لعبت به ايدى هوى الاغيار
الفهم حازوا الضياء فاظهرت   مرءاتهم منهم سنا الاسرار
فجزاهم الله المهيمن عن فتى   متزحزح عن رتبة الاخيار
مسى فلا يبدى الذى لهم من الا   حوال والاداب والانوار
فانا لهم فوق الرجا من كل ما   يرجون منا منزل الامطار
بالله والجاه الذى يعزى الى   من حاز حقا اخطر الاقدار
صلى عليه الله ما هبت صبا   وتغردت ورق على الازهار

ثم قرض الجميع الامام العلامة الشاعر سيدى الطاهر بقوله :

لله در ثلاثة الاقمار   نظموا النجوم بصورة الاشعار
من كل فذ لا يشق غباره   مهما جرى للفضل فى مضمار
انسوا برقتهم وسحر بيانهم   ذكرى حبيب والفتى بشار
قدمت قرائحهم مقام الفضل والا   فضال والعلم الخضم الجارى
السيد البر الكريم القاسم البـــدر المنير الساطع الانوار
لما تفضل زائرا صباثوى   بضلوعه زند اشتياق وار
فجزاه عن حسن الوفا وجزاهم   عن مدحه المولى الكريم البارى
وانا لنا من فضله ما نرتجى   طرا وطهرنا من الاكدار
بالمصطفى صلى عليه الله ما   ضحك الاقاح لوافد الامطار

ثم اجاب سيدى الطاهر رسالة ابى الحسن الالغى المتقدمة بهذه :

(وعلى سيدى تحية يفصح طيبها ، وينهل صيبها ، من عبد ذاب شوقا ، وضاق بالنوى طوقا ، حنينا للتملى من ذلك الجناب الارقى ، الذى سيقت اليه ركائب الامال سوقا ، ادام الله امتداد ظله ، وانفساح فضله ، وكلاءة اهله . هذا وقد مد العبد يده . بعد ما بلغ من غاية الافتقار امده ، الى دعوة تقيم اوده ، وتصلح خلده ، وتغزر مدده ، وتكثر عدده وعدده ، وتعم نفسه واهله وولده ، ومن امه بصدق الرجاء وقصده ، فقد ضم ضميره على حسن الظن وعقده ،

وارتوى من زلال جميل الاعتقاد لما ورده ، فسيدى اكرم من ان يخيب امله ، واحلم من ان لا يغطى خطاه وخطله . ثم ان ما نبه عليه سيدى مما زل به قلم ولده البرقي رسالته ، قد تنبه له بمجرد ادارة الفكر واجالته ، فانما هى غفلة عرضت ، ومخيلة سهو أو مضت فمضت ، وعثرة من قريحة كبت لما ركضت ، والغفلات تعرض للاريب ، وبصدق همته يرجى له (نصر من الله وفتح قريب) (هذا) وما انس لاانس ما من به الاخ الناجح المقاصد والمراسم ، الفائت بحسن وفائه وصدق اخائه ، كل رامل وراسم ، ومعمل سنابك ومناسم (1) . الفقيه المحصل المدرس سيدى ابو القاسم ، الذى افتر الدهر بسناه عن ثغره الباسم ، انجح الله آماله ، وحفظ كماله ، ما هبت النواسم ، واعار الملاح عينيه احور من جئاذر جاسم ، فلقد آنس وآسى ، وانقذ وروده القلب مما قاسى . فقامت له الحضرة واهلها . وجاده من قرائح ادبائنا وفرهم الله وبلها . فعادت ركائبه من الثناء بجر الحقائب (2) . وكان بحمد الله خير وافد وخير آئب) . وخاطب المترجم سيدى البشير الناصرى فى احدى وفداته الى الغ بهاذين البيتين :

علوتم ذرى المجد الصميم وفقتم — على الغير ابناء الامام ابن ناصر
ومن ذا يروم شاوكم ومن انتمى — اليكم يفوز من فخار بوافر

كانت حرب قائمة بين نحلتى (تاكوزولت) و (تاحكات) تحت جبل (باتى) فبقيت ما شاء الله . فعزم ابو الحسن الالغى ان يسعى فى الصلح بين الفريقين ، فذهب عن اذنه وفد من الفقهاء منهم المترجم ، وسيدى عبد الله بن محمد . وسيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى البشير الناصرى ، والعم ابراهيم بن احمد . وقد تخلف ابو الحسن لمرض الم به . وفى الطريق وهم سائرون . قال سيدى عبد الله بن محمد :

سعدت ونلت المرتجى ايها الركب — وطاب لك الممشى وزايلك النكب

فقال سيدى الطاهر :

ورافقك المهنا وباينك العنا — وعزمك لا ينبو وحظك لايكبو

وقال البشير الناصرى

ولا زلت فى حفظ وعز ومنعة — وسعدك فى زيد ونورك لا يخبو

وقال التاجارمونتى المترجم :

ولا زال منهلا بربعك هاطلا — غمام له بالسعد والرحمة السكب
طلعت كبدر التم زالت بك الدجا

فقال سيدى عبد الله :

عن الخلق طرا مثل ما انكشف الحجب

(1) المناسم للابل كالحوافر للخيل.
(2) مأخوذ من قول الفرزدق.
فعادو فأثنوا بالذي أنت أهلــه — ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثم خاطبهم المترجم تلك الليلة :

ايها الركب نجحكم مضمون — لا تبالوا فسعيكم ميمون
كيف لا وهو فى رضا الله حقا — فهو لا خائب ولا مغبون

ثم لم يقدر الله نجاح ذلك المسعى ، فقال لهم الشيخ الالغى — ولم يكن يوم ذهابهم حاضرا بالغ . لانه كان سائحا باصحابه — ان السلم لا يعين عليه الا امراء المتحاربين من الحرب . والا فان سعى الداعين الى المصالحة سيذهب هباء .
وقال سيدى البشير بن الطيب فى المترجم :

عليك سلام مثل خلقك ينفح — والا كبحر بالجواهر يطفح
طلبت هديت الرشد والمجد ان تعـــيرنى — دفترا انى لمثله اصلح
اطالعه فى الغرب ثم ارده — وفى الطرة اسمه لدى الرمق يفصح
جزيت امام الدين خيرا وجنة — لها غرف ابهى واشهى وافسح

الجواب :

فهاك الذى تبغيه دون تاخر — وان رد لى فى القرب ارضى وافرح

وقال فيه ايضا :

امامى الذى افوه فى صلواتى — ففى خلواتى نوره وجهاتى
ابو القاسم الفذ الهمام الذى له — معارف قد طمت لكل جهات
[illegible] لما يولى علينا دراسة — متابعة الحبات كالسبحات
[illegible] فلا قصد سوى دعوة بها — أنال الذى ابغيه طول حياتى
[illegible] حظى فى الحياة كما اشا — فينصرنى حظى على كل عات
وادرك فى العلياء والعلم منيتى — ففى ذين ما أشهاه من منياتى
الى سيدى ازكى سلام معطر — لحضرته الشماء بالنفحات

مراثيه

يستحق المترجم من تلامذته عشرات من المراثى . ولكن لم يقع الينا الا ما ستراه امامك . وقد كان يوم نعيه الينا يوما عبوسا قمطريرا ، دمعت فيه العيون . واتقدت فيه الاشجان فى الصدور . فغدا الالغيون يعزى بعضهم بعضا فى شيخهم ، ومفخرة مدرستهم . ثم ما لبث بعضهم ان صار يتلو ما تيسر له من القوافى .

قال الاستاذ سيدى الطاهر بن على الالغى . بادئى ذى بدء . ولذلك صب جام اللوم على الساكتين عن رثائه .

ابخلا بماء الجفن عن ذلك البحر — فليس لنا من حاجة بعد فى الصبر
ايمضى امامنا الخلاحل سيدى — ابو القاسم المزرى بذى الانجم الزهر

وليس لــه من سـادة تلمـذوا لــه   قصيدة شعـر او كلام لذى نـثـر
الـزعم انــا مغرسـون لـفـقـده   وليس لنا والله فى ذاك من عـذر
قضى الشيخ سيدى ابو القاسم الرضا   فخلـف اكـبـادا احـر من الجمـر
مضى وهو سلطـان البلاغـة فانبرت   جموع الهدى والمجد تبكى الى الحشر
وقد بث فى العلم الشريف كتائبا   تدمر جيش الجهل فى كل مـا قطر
مضى الشيخ وهو فى الجنان مخلد   وخلف ذكرا ليس ينسى مدى الدهر
وكيف بنسيـان وقـد مـلأ الثـرى   بأخبـاره مـا بـين (الـغ) الى مصر
فكم مصعب فى النحـو ذلـلـه وكم   له من أيـاد فى البلاغـة والشعر
له همـة تـابى التكاسـل حائمـا   فلست ترى للشيخ ندا بذا العصر
عليـه من الرحمان مـا دام ذكـره   سلام يحاكى الروض قد بل بالقطر

وقال الفقيه سيدى بلقاسم بن محمد السليماني نجل ابن عمتنا محمد بن بلقاسم :

قضى شيخنا الميمون خير بنى الرشد   وفاز برضوان من الـرب والرفـد
ابو القاسم المرضى فى كل موطـن   حليف سـيـادة وفخـر وذو مجـد
ولا غرو اذ هو ابن مسعود فارتقى   بعلم وحـلم فى المـعـالى بـلاجـد
وبالعـلم والحـلم السيـادة وارتـقى   الى ذروة العلـيـاء والكسب للحمد
له همـة قعساء نـال بهـا العـلا   فريـدا بدرس للعـلوم بـلا صـد
يفيـد الجليـس لا يـمـلـه بـرهـة   ويبسط معه ان بدا البسط فى القصد
فـلله ذلك الحـال ليـس لـغـيره   لدى الدرس والتحصيل فى الحل والعقد
افـاد لـنـا مما استـفـاد فشكره   يحق علينا فى الحيـاة وفى اللحـد
فـلو اننا نفديـه من بعد فـقـده   فديـنـاه حـقـا بالنفوس وبالوجـد
ولكـن قضـاء الله ذاك ومـا لنـا   بـكل قضـاء نـافـذ منـه من رد
فصبرا جميلا اذ بـدا الـرزء مكمدا   فبالصبر يسلى غب رزء على العبـد
فنطلب رحمى الـرب فى كل حالة   وعفوا جميلا فى الخطاء وفى العمد
فـهـذا رثـاء من خويدمـك الذى   يرجى شفاعـة ولقيـاك من بـعـد

ثم بضت قريحتي انا جامع هذا الكتاب بدورى بهذه القصيدة :

لماذا اعـانى فى العـروض القوافيـا   اذا لا أوفى للشيوخ المـراثـيـا
رزئـت لسـانى ان رزئت يـراعـة   تـثـير رثـاء يستجيش المـآقـيـا
فـرزء ابن مسعود عظيم . وحـقـه   عظيم . فأجر الدمع يـا جفن قانيـا
ايمضى ابن مسعود وأضحك بعـده   هنيئا . فما للمضحكات وما ليا ؟
فان ردى حـبر نـصـوح نـظـيره   لداهيـة عظمى تفـوق الدواهـيـا
فـمـار مسوه فى القبـور وانـمـا   هموا رمسوا تلك البحوث الغواليا
فما كان الا اليم يطمـو عـبـابـه   بحوثـا اذا عن العويـص طوامـيـا
فلله فـكـر مشرق بـين صـدره   يزحـزح أثنـاء الدروس الدواجيـا
يـكـر بميـدان الدراسـة طـرفـه   صبـاح مساء ليس ينفـك جاريـا

فقـد شهـدت منه مـدارس زانها   زهورا ملث الدرس ما زال هاميا(1)
فلم يصدر طابت فى لراهـا مطامـه   بطالة يـوم مـد تصدى مناقـيـا
اقـام بثلث الـقـرن خـير مدرس   مكب يـروى الـواردات الصواديـا
فقد شهدت الـغ وغشـان كل مـا   يحـل بـه تـلك السنـين الخواليا
فـلا يطبيـه عن مـوالاة شـغـلـه   جليس عدوا يغتدى او مصافيا (2)
ولا كل مـا قـد يستميل لـدانـه   عن الدرس ان شاموا عنا او امانيا
فـكان له من مفخـر الدرس خالصا   مسمـاه والاقـران حازوا الاساميـا
كذا خـلد التاريـخ أعمـال عمـره   ومن غاص فى الاعماق نال الغواليا
فليس كتدريس ابن مسعود عهـده   نظير فسل تلك العـلوم الدوانيـا
سـلام عليـه يـوم كان مدرسـا   ويـوم غـدا بـين المقابـر ثـاويـا
ويـوم وشى الذكـر الجميـل رثـاءه   فـرف به زهـر العروض قوافيـا

الاخذون عنه

تلاميذ المترجم كثيرون . وهم على فرقتين . من اخذوا عنه فى المدرسة الالغية، وممن اخذوا عنه فى المدرسة الايغشانية . وخذ الجميع متتبعا للقبائل .

الالـغيـون

1 ـ احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى المعتبط .
2 ـ عبد الله اخـوه الاستاذ الكبـير .
3 ـ عبد الرحمن اخوهما .
4 ـ محمد بن على بن عبد الله الصالحى الاديب الكبير .
5 ـ المدنى بن على بن عبد الله اخوه المدرس المخرج .
6 ـ الحسين بن ابرهيم الصالحى الشاب المعتبط .
7 ـ عبد الله بن احمد ابن عمه الصالحى المعتبط ايضا .
8 ـ ابو القاسم بن محمد السليمانى الفقيه المجذوب .
9 ـ محمد بن احمد بن الحاج صالح السليمانى القاضى .
10 ـ ابرهيم اخوه العلامة المدرس فى ابن كرير .
11 ـ الحسين اخوهما . المعتبط .
12 ـ موسى بن الطيب الفقيه الصالح .
13 ـ البشير اخـوه الفقيـه المـرح .
14 ـ عبد الله بن ابراهيم بن احمد الذكى المستحضر .
15 ـ ابرهيم بن احمد السليمانى ابوه النوازلى الاخبارى .
16 ـ عبد الله بن مسعود التيبيوتى الاستاذ المتنقل .
17 ـ على بن صالح الاوفقيرى الفقيه المسكين .

ذكر هؤلاء كلهم فى (القسم الاول) من هذا الكتاب .

(1) ألث المطر الثانى اذا انهمى كثيرا .
(2) اطباه بتشديد الطاء : استماله .

الوفقاويون

18 ـ العلامة الحاج مسعود . الخنذيذ الفذ .
19 ـ محمد بن مبارك النوازلى البصير .
20 ـ الحاج احمد نيت أوبريك الفقيه النوازلى .
ذكر هؤلاء فى (القسم الثانى) من الكتاب .

الايغشانيون

21 ـ الحاج احمد البناءى الاستاذ المدرس للفنون .
23 ـ الحاج محمد البناءى اخوه الاستاذ فى احدى المدارس الحديثة .
24 ـ المحفوظ بن هاشم الديانى السيد القنوع .

الامانوزيون

25 ـ محمد بومليك الفقيه المنعزل .
26 ـ المحفوظ التارسواطى الفقيه الفقير .
تقدم فى (القسم الثانى) فى الوفقاويين والايغشانيين والمانوزيين كل هؤلاء .
27 ـ الحسن بن الحنفى الحضيكى .
28 ـ الحسن بن البشير الحضيكى .
29 ـ محمد بن الحنفى الحضيكى .
30 ـ محمد بن عبد الله الكرسيفى .

الايغيون

31 ـ المكى اليزيدى الاستاذ المخرج .
32 ـ الطيب اخوه اليزيدى .
33 ـ احمد بن الحاج محمد اليزيدى العلامة القليل النظر .
34 ـ محمد بن عابد الكبير اليزيدى .
35 ـ محمد بن عابد الصغير اليزيدى .
36 ـ احمد بن الحسن اليزيدى .
37 ـ محمد بن الحاج احمد اليزيدى الاستاذ المدرس .
38 ـ محمد الواعظ اليزيدى الفقيه المجذوب .
39 ـ الحسن الاعرج السالمى الفقيه الجوال بلسانه وبقدمه .

التمليون

40 ـ مبارك التملى .
41 ـ محمد الاسمناتى الاديب .

42 ـ محمد بن الاعسرى الاديب .
43 ـ احمد بن محمد الرمال .
44 ـ احمد بن بلقاسم .
45 ـ بلقاسم التملى المغتبط .
46 ـ الحنفى بن على الكرولى .

السملاليون

47 ـ احمد بن الحسين الاعضباوى المفكاه .
48 ـ احمد الورحمانى الفقيه البارز .
49 ـ محمد التقى الفقيه الحسن .
50 ـ عبد الله السملالى المافامانى الفقيه الساكن النامة .
51 ـ الحسن عمه الاستاذ المخرج فى القرءان .

الرسموكيون

52 ـ عبد الوهاب الفقيه الفقير الناهض لربه .
53 ـ على بن الطاهر اخوه العلامة الصوفى العظيم .
54 ـ ابرهيم التازيلالتى الرسموكى العلامة المحصل المستحضر .
55 ـ صالح الزعنونى الفقيه الصالح المرشد .
56 ـ احمد الرسموكى .

البهليون

57 ـ ابرهيم القاسمى .
58 ـ على القاسمى .
59 ـ احمد بن ذكرى الفقيه الحسن .

التازاروالتيون

60 ـ محمد بن احمد الخياطى الاديب المقتر عليه .

الماسيون

61 ـ المدنى الاغبالويى الماسى الصوفى .

المعدريون

62 ـ محمد المارسى النوازلى .

التزنيتيـون

63 ـ حسون الناظر الساموكني الممتع المجالسة .

البعمرانيـون

64 ـ محمد بن الحسين بوكرع الاديب .
65 ـ محمد بن الحسن .
66 ـ محمد بن الحسين الموساكناوى .
67 ـ عبد الله بن الحسين الموساكناوى القاضى .

الاخصاصيون

68 ـ مولاى عبد الرحمن الاديب الذى لا يطار تحت جناحه .
69 ـ محمد التاكانتى المقدام الاديب الجرىء .
70 ـ مبارك الايكيسلى .
71 ـ محمد بن على التاكانتى المعمر .
72 ـ محمد أوبلوش صاحب الفتكات .
73 ـ عمر أوبلوش .
74 ـ محمد بن ابرهيم المانوزى الاخصاصى الفقيه النوازلى .
75 ـ محمد بن احمد التاكانتى .

الافرانيـون

76 ـ الحسين التيمولاءى الفقيه النوازلى .
77 ـ البشير الناصرى الاديب الكبير .
78 الطاهر الناصرى الاديب المغتبط .
79 ـ احمد بن صالح الشكوكى .
80 ـ احمد بن صالح من ادعدى الاديب المدرس المخرج .

التاغاجيجتيـون

81 ـ ادريس الفقيه الصالح .
82 ـ ابرهيم المنعزل القنوع .
83 ـ محمد بن مبارك أولموش الفرضى الحيسوبى .
84 ـ القائد الحاج احمد اضارضود الرئيس المشهور صاحب الغرائب .
85 ـ اليزيد الحرثانى المتوفى قريبا .

التامانارتيون

86 ـ الحاج عبد الله الفقيه .
87 ـ الطيب اوباحو .
88 ـ ابرهيم العنترى .
89 ـ الحسين بن بلقاسم الفقيه النوازلى .
90 ـ محمد بن الطاهر الايشتى .

الساموكنيون

91 ـ محمد بن الحاج عبد الرحمان الفقيه المسكين .
92 ـ بلقاسم بن محمد بوواصى المغتبط .
93 ـ والده محمد بوواصى الفقيه النوازلى .
94 ـ محمد بن احمد بن الحسين .

المجاطيـون

95 ـ احمد الاهريبى التاجارمونتى الفقيه المحصل .
96 ـ عبد السلام ولد المترجم .
97 ـ على البهلالى الفقيه المشهور .
98 ـ جامع الايصلينتى الشهيد .
99 ـ الهاشم بن ابى بكر الاستاذ المدرس .
100 ـ الحسين بن ابى بكر . الاغوديدى اخوه .

الحاحيون

101 ـ محمد بن سعيد الزلطنى .
102 ـ سيدى محمد بن سعيد الاكنارى العلامة .
103 ـ سيدى احمد الطاطاءى النجيب .

الآخرون :

هؤلاء من نستحضرهم الآن ممن اخذوا عنه فى الايفشانية والالفية ممتزجين . فاما الذين اخذوا من المدرسة الالفية . فسيذكرون كلهم فى هذا (الفصل) ان شاء الله (ان لم يتقدموا) واما غيرهم ففى فرص اخرى .

خـاتمة

ذلك هو العلامة سيدى بلقاسم التاجارمونتى العلى الهمة . العزوف من الدنايا وله فى هذا الخلق مقامات . رفعه الله بها درجات . وكان بها عند المطلعين عليها من الايات . وهؤلاء من يتصلون به من رايناهم ممن يمازجونه ويخدمونه ويزاولون شئونه كالاستاذين سيدى محمد بن احمد . واخيه

محمد الاوكانتي . اخذ عنهما في زاوية (تيليلت) وهو نجيب الى الغاية . وقد تخرج بعد هاذين بالعلامة الحاج مسعود الوفقاوى وهو الى الآن 1361 هـ لا يزال فى تلك المدرسة وهو يغزل باحدى رجليه (ثم بعد الاستقلال صار عدلا فى امينتانوت) .

هذه المدارس هى التى اخذ منها المترجم . وكان لا يستقر كثيرا فى اية منها . ولعل ذلك هو السبب حتى لم يستتم الى الآن كما ينبغى . وكما يحبه هو لنفسه .

لم اكن اعرفه حتى زارنى هذه السنة 1361 هـ بالغ مرتين . فرايت له همة وتطلعا الى المعالى . الا انه يبكى على عدم مواتاة الدهر له . ولا يزال يطمع فى ادراك ما يريده ، وقد كان شارط فى مسجد بحاحة ، ثم رجع الى والديه المسنين ، فلازمهما وقد احتاجا الى يده وهذا ما يخاف ان يحول بينه وبين الاستتمام ، وقد رايت له معرفة بهذا العصر استقاها من مجاورته للسويرة فى حاحة . فعلمت ان قمره اهل للابدار .

اما معلوماته فقد مر على جميع الامهات عربية وفقها وفرائض ونحوها فيها . ولعله ان اقبل من جديد سيدرك شاوا بعيدا ان شاء الله .

كان صاحب كثيرا فى حاحة الاستاذ سيدى محمد بن احمد ابن عمنا ، فنفعه ذلك نفعا ظاهرا فى عقله وفي كل احواله . وقد كان عندى يوم الاربعاء تاسع جمادى الثانية 1361 هـ. ثم لما ودعنى قلت هذا استنهض همته للطيران الى المعالى حتى يتسنم ذورة الاوج العالى .

مضى العلم الا قطرة تترقرق   فكم معهد للعلم بيداء سملق
لقد كان سوس العلم سوسا ممجدا   وابناؤه فى حلبة العلم سبق
اذا ما مضى جيل فثاخر رافع   لاعلام مجد العلم فى الجو تخفق
فمن عهد (وكاك) المدرس عمره   تنير ربوع العلم فيه وتشرق
فاين تجل طرفا تر العلم ساطعا   وامواجه فى كل سوس تدفق
اماتت بنو تلك العزائم ام سرت   بهم نحو اوداء الجهالات اينق ؟
ام استبدلوا عز العلوم بذلة الجـهالات فاستخذوا واغضوا واطرقوا
اما فيهم ذو همة يعشق العلا   كما كانت الاباء للمجد تعشق ؟
فيعزم ان يحيى من العلم ما انطوى   لعل غصون العلم ترهى فتورق
اليس بعار ان نسف وغيرنا   بأجواء كل العرفات يحلق ؟
يساير سوس دائما سير غيره   فيسبق اما عن فى المجد مسبق
فماذا دهانا اليوم حتى تقلصت   عزائمنا فاستمجدوا وتفوقوا ؟

. . . .

سليل العلا عبد السلام أسامع   مصيخ لصيحات تقول فتصدق ؟
فمثلك من يشكى المدارس انها   تراثك لا الاجداء ترعى واعتق
اعيذك ان تلتاح فى الافق مبدءا   اذا بك بعد اليوم بالجهل تمحق

ابرهيم السليمانيين سوهما من خدمه الاخصاء لا يجعلون معه ثانيا فى الاخلاق العليا . يحكون فى ذلك حكايات شتى . وقد حكى لى احدهما ما تقدم ذكره من الكرم والايثار والعبادة وكرم الاخلاق والعزوف . ثم كانت هناك حكايات كثيرة . منها ما كان قاله يوما لبعض ابناء رؤساء تلك القبيلة الايغشانية . وقد رآه يتطاول على الطلبة . اتظن ان اهلك هم الذين وضعونى فى المدرسة . فاننى ممن يعبدون الله لا اهلك . فاكثر عليه فى ذلك اكثار من لا يعتبر امثالهم رحم الله تلك النفوس العلية واجرنا فى مصابنا به .

اولاده

ادرك له ولدان : كل واحد منهما اخذ عنه : احدهما ـ وهو الصغير ولادة الكبير معنى ـ عبد السلام . وقفت على قطعة يهنا بها والده حين ولد له سنة 1332 هـ. للسيد الاديب على بن صالح الاوفقيرى . ولم تحضر عندى الآن . فاجابه والده سيدى بلقاسم بقصيدة يقول فيها :

ثناء لمن يحلو لعبد ثناؤه   ومن ارضه افق العلا وسماؤه
ويعلى بفضل منه من نال بهجة   بيانية . افضل بمن قد يشاؤه
على علا افق البلاغة يافعا   فان زار حفلا اذعنت فصحاؤه
يقول فاين الدر من درر بدت   بقرطاسه ان بان فيه سناؤه
يهنئنى بابنى بشعر كانه   تجمع من نور الصباح ضياؤه
لقد حاز لبا فى البيان منخلا   على حين يحوى قشره علماؤه
غرائب فى الافصاح ابدى ومن يجد   كنوزا يجد فيما انتقاه اعتناؤه

اخذ عبد السلام القران عن الاستاذ محمد بن الموذن السملالى . وبه ختم الختمة الاولى فى مسجد القرية ، ثم عن آخرين منهم الاستاذ عبلا التاكتولتى البعقيلى . ثم افتتح عند والده فى المدرسة الايغشانية مبادئ العلوم 1351 هـ فبقى هناك سنة ونصفا . ثم انتقل الى المدرسة التانكرتية عند الاستاذ شيخنا ابن الطاهر . وربما اخذ عن والده الاستاذ الكبير . ولم يبطئ هناك هذه المرة . ثم الى المدرسة الالغية وفيها اذ ذاك حوالى 1353 هـ الاستاذ عبد الله بن ابرهيم الالغى . تحت اشراف الاستاذ سيدى المدنى بن على . ومن هناك انتقل الى الايغشانية عند والده ايضا . ثم الى التانكرتية ايضا . ثم الى المدرسة البومروانية وفيها ابن عمه الاستاذ احمد الاهريبى التاجارمونتى تحت اشراف الفقيه محمد الادرارى المافامانى . ثم الى مدرسة (ايكونكا) بهشتوكة عند الاستاذ محمد الاعرابى الهوارى . ممن تخرجوا بالعلامة الحاج عابد الشهير . وهو لا يزال الآن شابا لم يخطه الشيب بعد ، وهو عالم حسن مذكور . وهو اليوم 1361 هـ فى مدرسة بهوارة ، ومن ايكونكا انتقل المترجم الى مدرسة سيدى (حسين أو حسين) بحاحة . وفيها الاستاذ ابرهيم ابن الحاج الحسين الازنيرى من اداكركان الكيلولى من الاخذين عن الفقيه سيدى احمد الجيد الحاحي الشهير . وعن الفقيه صاحبنا فى الاخذ بالحمراء سيدى

امثلك يا عبد السلام تميله ... عن المجد مجد العلم اشياء تبرق
وانت ابن مجد شامخ وسلالة ... لاصل اصيل في المعارف يعرق
فلا كانت الدنيا ولا كان اهلها ... اذا لم يكن الا الجهالات تطبق
ولا عاش من يستبدل الجهل بالهدى ... فيلزم اذناب الحمير فيغرق
طرقت لك الحصا اذا كنت عاقلا ، ... ويا طالما مثل لمثلك يطرق

ثم ها نحن الآء في سنة 1379 هـ. وصاحب الترجمة لم يتقدم تقدما محسوسا ليكون كابيه من المتفوقين لا من مطلق الفقهاء المتفهمين ، وقد توفى اخوه سيدى محمد ثم والده ، فاضطر ان يشارط . ولكن بكل اسف لم يعل همته ، فقنع بالمساجد مع ان كثيرين من امثاله تعمر بهم المدارس ، فيزدادون علما ، ويكتسبون جاها . ولكن ازمة الاقدار لا تكون في يد الانسان ، فان المرء مصير لا مخير . ولو خير كل واحد لاختار .

حكى لى ابن العم سيدى محمد بن احمد نزيل (تمانار) بحاحة ان المترجم كان يوم نزل عندهم هناك متهيئا للتفوق والتقدم المبلغ الى المدى . قال : فقد كنت اكلفه باستخراج المسائل . وبتحرير كثير مما ازاوله من المواريث ومن النوازل التى تروج بين العدول والقاضي ، فكان سرعان ما تقر به العين بما ياتى به . وكنت اتمنى لو ثابر عندنا لينال المرتبة التى تنتظر نظراءه ولكن ذلك لم يقدر له ، وقد سبقت المقادير ان لا يجول الا فى مجالات المصلين فى الميدان . لا فى مجالات المجلين بين الاقران .

(وقد كان فى آخر الاحتلال عضوا فى محكمة الاستيناف بتزنيت نحو سنة فقط ثم جاء الاستقلال ، ثم ها هو ذا يجول فى ميادين المحاكم الجديدة فى مجاط كمعاون فيها . ولو استتم لكان من اقطابها ، ولله فى خلقه شئون)
واما اخوه محمد ، فانه كان لازم والده واعتنى به اعتناء عظيما فى المبادىء حتى حصلها . وفى المتون الكبرى حتى مر بها وشدا . وسار سير اخوانه ، الا انه كان لا يحافظ على خاطر والده . فلم يبارك له فى حياته ، فسقط دون المدى فى كل ميدان . ثم لم ينشب ان مات من غير ان يكون له اى ظهور ، فرحمه الله وغفر لنا وله .

سيدي احمد الاهريبي التاجارمونتي

مفتتح 1315 هـ = حي

نسبه

احمد بن مبارك بن حمو بن محمد بن سعيد بن موسى بن محمد – فنعما – هو من ابناء عمومة العلامة المتقدم سيدى بلقاسم بن مسعود . وقد تقدم ان اصل اسلافهم من (اما نوز) فى (تاسريرت) ثم نزلوا فى قرية (تاجارمونت) المعدودة من قبيلة ايت على طبة المجاطية . واول من انتقل من الاجداد – كما قال المترجم – سعيد بن موسى .

هذا الاستاذ الكبير من نجباء المتخرجين من (الغ) . واحد البارزين الآن فى ميادين المعارف . وقد كنت اسمع به وهو لا يزال ياخذ فى المدرسة . فاسمع تفوقا وتحصيلا واستحضارا للفنون التى اخذها .

مأخذه للقرآن

كان والده محمد بن مبارك من حفظة كتاب الله . فكان يعلمه فى المساجد . فخرج كثيرين ، منهم ولده هذا ، وكان يلازمه فى المساجد وفى الحقول ابان الحرث والحصاد . وقد يرعى غنم الاسرة فى صغره . ولوحته فى كل ذلك لا يدعه ابوه تفارق يده . وربما يشتغل ابوه فى عمل من اعماله فى ناحية . ويا مره ان يجلس فى ناحية اخرى لحفظ لوحته . وقد يراه يلعب فيحذفه بالحصا ان بعد منه . او بالعصا ان قرب منه – كما يحكيه المترجم فى سجل تاريخ حياته – ولم يزل والده يعتنى به حتى حصل عليه حفظ القرآن فى ست ختمات . فكان والده هو استاذه الوحيد فى القرآن .

فى أخذ العلوم

فى سنة 1330 هـ. التحق بالمدرسة الالغية . فافتتح عند الاستاذ ابن عمه الاستاذ الكبير سيدى بلقاسم ، وذلك باذن والده الذى يعلم ان هذا الاستاذ سيواخذ ولده فى العلوم بما كان هو يواخذه به فى حفظ القرآن . فلم يخيب الله ظن هذا الوالد المبارك . فاقبل الاستاذ على هذا التلميذ الجديد يدربه شيئا فشيئا . فهما وحفظا ، حتى تمكن فى المبادئ . ثم تبحبح به فى

المتون الكبرى ، فلازم الاستاذ سبع سنين ، الى ان فارق المدرسة سنة 1336 هـ. ثم لازم الذين خلفوا ابا القاسم التاجارمونتي . وفي مقدمتهم العلامة الكبير ابو العباس سيدي احمد بن الحاج محمد اليزيدي في الثلاث السنوات التي كان فيها في المدرسة الالغية . ثم العلامة سيدي المدني بن علي بن عبد الله الذي خلف اليزيدي في التدريس . مع اخذه عن عميد المدرسة الاستاذ الكبير سيدي علي بن عبد الله الذي لا يكاد يغب التدريس كلما وجد أدنى فـراغ من اشتغاله . وفي اثناء أخذه عن هؤلاء كان يلازم الاديب الذي لا يقعقع له بالشنان ، ولا يشق له غبار . مولاي عبد الرحمان البوزاكارني الملازم لحضرة عميد المدرسة اذ ذاك .

هكذا لازم وثا فن وثنى ركبتيه للتعليم من سنة 1330 هـ. الى أن توفي عميد المدرسة سنة 1347 هـ. سبع عشرة سنة . وفي فيها شروط أخذ العلوم مرابطة ومصابرة . وليس صبره مقصورا على الدروس فقط . بل حتى على لاواء الغ واعا صبره واقلاله ، وقد وصف ذلك فيما سجل فيه حياته بقوله . (وقد مرت علي سنوات عجاف . وأوقات شديدة . وأيام سوداء لا أملك فيها بلغة ، ولا اجد في جرابي مضغة – كما قال الحريري – وقد اضطر فاتقمم النفاية مما يلقيه أملياء الطلبة ، وطالما تبلغت باوراق الاتاي التي تلقى بعد شرابه أمام بيوت الطلبة في أواني الكناسات والقمامات . والاعواز يسدل على ذيوله والاقلال مع عزة النفس أعظم ما يقاسيه الطالب المعوز المسكين) .

هذا هو حال هذا المتعلم المكب الحريص على استشفاف ما عند أساتذته . يقنع ببلغة ان وجدها وبقميص صوف غليظ ان أمكن أن يجده . فلم يزل يعض على حكمة اللجام الى أن قضى غرضه على رغم الفقر وقلة ذات اليد .

في المدارس مشارطة

1 – اول مدرسة ظهر فيها بعد تخرجه مدرسة أكنس واسيف – مدرسة داخل الوادي – في قبيلة أملن سنة 1348 هـ. فبقي فيها عامين . يدرس فيها تدريسه المستقل . لأنه حين كان في المدرسة الالغية كان منذ حصل يعين في المبتدئين دائما الاساتذة . على العادة من ان نجباء الطلبة يقومون بذلك في المدارس دائما ليتمرنوا . وليستعدوا للمجاراة في الحلبات بعد التخرج . وقد بقي في هذه المدرسة سنتين .

2 – مسجد (تاجارمونت) مسقط رأسه ، التحق به سنة 1350 هـ. فلازم فيه التعليم سنة ونصفا .

3 – المدرسة (البومروانية) فقد استدعاه أستاذها سيدي محمد بن ابرهيم كودراء – الجبل – سنة 1352 هـ. ليقوم عنه بالتدريس للطلبة . فقام بذلك ثلاث سنين . انتفع به فيها طلبة ظهرت نجابتهم على يده ثم استتموا عند غيره.
4 – مراجعة مسجد قريته سنة 1355 هـ. حيث بقي عاما واحدا ، فصادف ذلك

الوقت وقت احتلال تلك الناحية . فكان المراقبون الفرنسيون ينظرون في نجباء الطلبة ليقربوهم اليهم اذلالا واستخداما .

في قسمة الاملاك

عينه المراقبة في (افران) ليدور على الاملاك التي يراد قسمها . فيقف على فرعها وعلى وصفها وعلى تبيين حدودها . فلم يجد متملصا من ذلك . فانصاع للقضاء . فبقي كذلك الى سنة 1363 هـ.
5 – في المدرسة الوفقاوية

استطاع ان يفلت من ربقة مراقبة (افران) فشارط في هذه المدرسة نحو ثلاث سنين . كان يدرس فيها . وقد عرفنا اناسا أخذوا عنه فيها وانتفعوا به.

يراجع العمل للمراقبة

الزم ثانيا رغم انفه ان يراجع ذلك العمل . فبقي فيه الى سنة 1371 هـ. فكان يدعو الله أن يرأف به فقال الدهر آمين بعد حين . فاطلق سراحه من سجنه .

6 – ثم شارط في زاوية (أكلميم) سنة 1371 هـ. فرجع ايضا الى ديدنه ، والوقت اذ ذاك صعب ، والازمة المغربية في اشد عركاتها . فاختار الابتعاد عن اهله حتى ينقشع السحاب الاسود .

7 – ثم شارط في الجامع الكبير في مدينة (ايفني) سنة 1375 هـ. حيث بقي بضعة اشهر فقط . لان الجو معتكر .

8 – مدرسة الخميس في قبيلة (ايت بوبكر) من أيت بعمران . عاما ونصفا . ثم رجع بعد ذلك الى بلده وقد انقشع السحاب ببزوغ الاستقلال .

9 – مدرسة (فيلالت) من قبيلة (تاجاجت) من سنة 1378 هـ. ولا يزال فيها الى الآن 1380 هـ.

هذه هي الميادين التي امضى فيها . وقد صار كالكرة التي تترامى بها الاحداث . ومن ذا الذي يقدر ان يغلب القضاء فيما يريده .

آثار ادبية منه واليه

رايت له رسالة الى بعض اقرانه أنشد فيها .
نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
وانشد فيها ايضا .
سلام يزري بشذا الغوالي على خدن العلا ابي المعالي

وقد ورد عليه حين كان في المدرسة الوفقاوية استاذه ابو العباس البزيدي، والفقيه سيدي محمد بن مبارك الوفقاوي . فخاطبهما بقطعة مطلعها:

اهلا بمقدم من حازا الكمالات ونيرين هما سعد السعادات

وليس عندنا الآن الا هذا المطلع ، فخاطبه استاذه البزيدي بقوله يلومه على قصر ما خاطبهما به :

الا يا ابا العباس سلوة محزون عليك سلام مثل ورد ونسرين
وانت مدحت اذ مدحت بنتفة وقللت حتى قلت هذا ابن ليون

وابن ليون الاندلسي معروف بولوعه باختصار الكتب الطوال ، فكان من النوادر أن بعض الادباء الاندلسيين راى طويلا فقال. لو رآه ابن ليون لاختصره هذا كل ما تسرب الى من نفثات الادبيات حول المترجم . وقد ضرب بيننا بحجاب البعد . ولولا الاستاذ سيد الطاهر بن علي الالغي لما أمكن لي أن أعرف عن حياته أي شيء . لأنني لم أعرف وجهه الى الآن . مع الجوار في مسقط رؤوسنا .



جامع الاصليتني المجاطي

1293 هـ = 1335 هـ

نسبه

جامع بن محمد بن باها

كان لمحمد بن باها ظهور ناصع بين رؤساء قبيلته . والناس اذ ذاك من قوي صال ، ومن استغنى استطال . فدل ذلك على انه ذو عزيمة ورثها عنه ولده جامع . الا ان هذا اعملها في تحصيل المعارف . والسمو على الاقران بالعلوم .

مأخذه للقرءان

التحق بعد ما اخذ في مسجد قريته بالاستاذ احمد بن عبد الله . في مدرسة (الفهم) من (تازاروالت) فبه تخرج في القرءان ، وهو عمدته وعمدة الترين من لدائه في تلك الجهة عهد ذلك الاستاذ الكبير الشان . وقد ذكرناه قبل في (الفصل الثاني) من (القسم الثالث) .

ملامه للمعارف

اتصل بالاستاذ الخريت سيدي محمد - فتحا - بن المحفوظ السملالي في مدرسة (امسرا) فبه افتتح سنة 1315 هـ. فبقي هناك ما شاء الله . وقد اخبرني من رآه هناك يجتهد . قال فداعبته . فقلت له متى كان علماء من قبيلة مجاط حتى تريد انت ان تكون عالما مجاطيا فاجابه بقوله . (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء) فكان هذا الجواب من القرءان دليلا على انه تقدم الى الفهم حتى كان يتذوق معاني العربية في ذلك الطور . ثم التحق بالاستاذين ابي الحسن الالغي وابي القاسم التاجارمونتي ، فلازم المدرسة الالغية تحت رعايتهما ما شاء الله . حتى حصل ما حصل نحوا ولغة وحسابا وفرائض وفقها ، وبعض ادبيات قليلة ، ولم يكن يابه بكتب الادب كثيرا ، كما يابه اخوانه في المدرسة بها . ولذلك امكن له ان يحصل من القواعد اكثر مما حصله بعضهم الذين كانوا يذكرون كثيرا في عالم الادب بكل شفوف . بذلك وصف لي . وسنرى بعد مقدار تحصيله في العربية . حدثني الفقيه سيدي موسى بن الطيب انه كان يراه في المدرسة مكبا على الحفظ وعلى مراجعة كتب الدراسة . في الوقت الذي يكب فيه غيره على مطالعات ادبية ، ومن مالت همته الى شيء لا يستميله عنه احد .

بعد مغادرته للمدرسة

غادر المدرسة الالغية حوالي 1324 هـ. فلازم مسجد قريته . ولم يغادره قط . يعلم كتاب الله . وكان يميل الى الخمول والى الاستكانة ، ولا يتطلع الى الظهور بعلمه . الا انه اذا استفتى فى شئ يفتى بلسانه . ولا يحاول قضاء ولا افتاء . ولا ان ينتصب محكما فى النوازل ، ككثيرين من اقرانه ، الا انني اخبرت بانه لا يزال مكبا على مراجعة المتون التى درسها . يمر بها وحده فى الشروح ، وهذا مما دل على همته ، وعلى حرصه ان لا يفلت منه ما تعلمه .

اخلاقه

ان المجاطيين وان كانوا مشهورين غالبا بالغلظة والجفاء ، فانهم ايضا لمن خالطهم موسومون بسلامة الصدر . ودماثة الاكناف لمن يمازجونهم . خصوصا من هذبه العلم . وثقفته ممارسة اصول الدين من مكارم الاخلاق ، وكفانا دليلا على ذلك هذا المترجم . فان المعروف عن حاله انه هين لين ، منحاش الى الخير . مع انفة وعزوف ، وبهذا مال عن ميادين عامة اهله . ولو كان مضطرا الى ذلك ، فقد اخبرني مخبر من جيرانه انه كان خصام يوما بين اهله وبين آخرين حول حقول . فاداهم ذلك الى اعداد السلاح ، فلم يستفز ذلك المترجم ، ولا استثارته تلك الاعاصير . ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وجل خصومات الناس اذ ذاك انما تدور حول مثل هذه المصادمات ، فكان جلها مما لا يعنى من له أثارة من عقل .

آثار له

ظللت اسأل كل من له به اتصال . عنه ، لعلهم سمعوا منه انشادا او فائدة ، او راوا له اثرا يستحق الاعتناء ، فتأتى لى من ذلك ما اسوق بعضه مجموعا عن كثيرين منهم ، ومن رسائله ما كتبه الى شيخه سيدى محمد بن المحفوظ (شيخنا الهمام الذى هو مثل السماء شرفا . واستاذنا الذى به نلنا الدر ان نال غيرنا صدفا . شمس العلوم ، وقطب دائرة الفهوم . سيدى محمد بن المحفوظ التازيمامتي اصلا . الافراني مسكنا واهلا . سلام اعبق من الازهار . واجرى من الانهار . على جنابك الذى هو كعبة الكرم . من استلمه فقد لمس ركن الكعبة المشرفة واستلم . اما بعد فقد تطلبت من سيدى دعاء مستجابا ، يقينا غدا من ذنوبنا عذابا . وتطلبت منه ايضا ان ينظر الى حاجتي نظر الوالد لولده ، والمرء لفلذة كبده ، فانني احب مكانا للشرط ، لينفسح لى ما اريده من مراجعة علمي ، وتجديد فهمي . وفقا لرسالتك التى ارسلتها الى حين تحضني على ان لا اضيع ما تعلمت ، فانني ان بقيت فارغا عاطلا أعواما سدمت

وندمت ، فاحوال قبيلتنا يعرفها سيدنا الفقيه النبيه . فقد كان اناس طلبوا مني ان اذبح على القبيلة لاكون فى مدرسة الشيخ سيدى احمد بن موسى ، فابيت من ذلك رفعا للهمة مني لئلا ادنس العلم بالذل للجهال . ثم ما قدر سبحانه ، ولما كانت الاسباب لا بد منها عرضت امرى على سيدى مقترحا ان ظهر له مكان هناك . اما فى تاغجيجت او فيما ظهر له . فسيدى البصيرة ، ورحم الله من قال .

اذا كنت فى حاجة مرسلا   فارسل حكيما ولا توصه

ومن قال ايضا :

فاذا قصدت لحاجة   فاقصد لمعترف بقدرك

وبيد الحامل هدية اطلب من سيدى ان يتقبلها من تلميذه ، واخبار هذه النواحي لا باس . وخصوصا عند اشياخنا من الغ ، والسلام .

وكتب ايضا الى بعضهم – مجيبا – :

وعليك من السلام الفائح ، ما يملأ البطائح . اما بعد فانني على خير كثير ، ورزق وفير . ونعمة شاملة ، وصحة ضافية ، وانما الذى نحتاج اليه هو اللقاء . فقد كدر هذا الفراق الصفاء ، وعسى ان يكون ذلك قريبا . واسرع بالله ان يكون لدعائنا مجيبا .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وكتب الى الفقيه موسى بن الطيب الالغي (الى اخى فى الله وفى الاشياخ ، من هو فى كسب المعالى غير متراخ ، ابى عمران سيدى موسى بن الطيب . صاحب الخلق الطيب . فعليك تحية تحف بك ، وتليق بمنصبك . اما بعد فالقصد اولا ان لا تنسى اخاك من الدعاء الصالح . ليكون ضمن الحزب الفالح . وثانيهما ان تاخذ بيد الحامل سيدى عبد الله الهماني فى حاجته ، فلا يرجعن الا بقرة عينه فى مهمته . فلا يخفى عنك ان من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ، وهو حديث مشهور . واثر ماثور . وعلى الاخوة والسلام) .

على هذه الكيفية يكتب المترجم . ومقصودنا ان يدرك القارئ ان المتخرجين من الغ . وان لم يكونوا ادباء ، فان نفحات الادب فى بنات اقلامهم لا تزال تنفح ، ومن جالس العطارين فلا بد ان يشم طيبا ، او يعبق من ذيوله ، وان لم يشتر منه شيئا . الا انني لابد ان انبه على انني ربما وقفت على بعض لحن قليل فى كلام المترجم . مما يدل على انه اضر به عدم اعتنائه بالادبيات التى تقي صاحبها مداحض الاقدام . ومزال الاقلام .

كيف قضى نحبه شهيداً

كان لا يتداخل فى جموع قبيلته . ولكنه حين نفر الناس اجمعون الى (وجـان) ذودا عن حماهم سنة 1335 هـ. كان فى السابقين الاولـين . ففى السبت مفتتح جمادى الثانية من تلك السنة . جاش النـاس الى (وجـان) فقابلهم جند الحكومة المركب غالبه من جنود الاحتلال . بقنابر هائلة ، فكان المترجم من الاولين الهالكين فى الساعة الاولى في كثيرين من اهـله ، وقد اصيب ذلك النهار كثيرون من طلبة مجاط ، وكثيرون غيرهم من ولتيته ، تقبل الله عمل الجميع . واكتتبها لهم شهادة بها يرزقون فى حواصل طـير خضر ، آمـين .

سيدي العربي الساموكني

نحـو 1270 هـ = 13 - 12 - 1329 هـ

ذلك الاستاذ اول عبقري عرفته (الغ) قادما الى مدرستها ، لينضوي تحت جناح استاذها الجديد سنة 1291 هـ. ، عند ما شارط في مسجد الزاوية واتخذه مدرسة ، ونوى ان يؤسس لمستقبله العلمي ، فانه لم يكد يستقر حتى تتابع التلاميذ من كل جهة ، فكان العربي الساموكني دائما سباقا في طليعتهم ، كما كان سبقهم للانخراط في سمط الغ الجديد ، فكان اسمه العربي جاء فالا حسنا لالغ ، ليكون كعنوان لما سينتشر فيها من علم عربي مبين ، تدار به على الشاربين كاس دهاق فياضة بالسلسبيل المصفى .

من ذا يجهل سيدى العربى الساموكنى رفيق سيدى الطاهر الافرانى ؟ فقد كانا دائما كالفرقدين . يطلعان معا على بلد ويغربان عنه معا ، فكانما هما للادب قطبان قائمان ، يتولى الشاعر ما يتولى ثم يعرف صاحبه العربى كيف ينضد ما قاله بخطه الانيق ، وسجعه اللطيف ، فيقدمه الى الاذواق زبدة طريـة .

كثير من الذين يبتعدون عن (الغ) يسمعون بسيدى العربى الساموكنى كرفيق خاص للشاعر الافرانى ، فقد كان معه فى السفرة الردانية ، ثم فى الرحلة الفاسية ، كما يسير اسمه مع اسمه دائما ، ولكنهم لا يدركون منزلة الرجل في المعارف ، ولا ألموا ببعض مـا يصدر عنه من الادبيات ، فـكأن شمس رفيقه كسفت بدره ، فعولنا على ان نبرزه للوجود كما هو بحول الله ، ليبقى العربى اديبا خالدا ، وعلامة عبقريا ، ومدرسا بحاثة ، ودراكة فهامة ، ما دام التاريخ يعرض على القراء ما فى ضمائر كتبه من فوق مسرحه المتفسح الى ابد .

نشأته

لم يكن العربى فلتة من فلتات ساموكن ، ولا جاءه ما جاءه من العبقرية والنبوغ عرضا ، بل ذلك من الاعراق ، وكم من نجابة دستها الاعـراق ، فجاءت بها فى الاولاد آيات بينات .

لم يكن احد ليجهل العلامـة الحسن الساموكنى ابن الفقيـه الطيفور الشهير ، ولكن كثيرا من الناس يجهلون انه خال العربى ، فكانت يد الام على العربى يدا لا تنسى أبد الدهر ، ولولاها لما عدا أن يكون كاحد افـراد الطلبة من اهل ذلك الوادى ، ولكن سبق ما سبق ، فجاء العربى بارث من اخواله خالص له وحده .

كان والده محمد من حفظة كتاب الله ، يشارط عند أعراب الصحراء كثيرا ، حتى ان أهله يسمونه اعرابيا . ثم شارط في مسجد قرية (امتضي) فهنالك علم ولده العربي كتاب الله ، ولا نعلم له فيه استاذا سواه ، ويجب أن تحفظ هذه الذكرى لتلك القرية ، كما يحفظ مثلها لقرية (تامسولت) مسقط راسه من وادي ساموكن ، فكم ذكريات مثل هذه ترتفع بها القرى ، وتشمخ بها في طيات التاريخ . كالقرية التي هي مسقط راس ابن حزم . فتعجب منها يعقوب لما مر بها .

في مناغاة العلوم

لم يكد الاستاذ محمد بن عبد الله الالغي يكتفي من الاخذ ، حتى شارط في مسجد الزاوية ، فاقبل يؤسس فيه مجلسا للدروس ، فكان العربي وقليلون غيره أول من جنى باكورة الجد من شيخهم ، وللظفر بمثل ذلك تاثير في النجابة ، ثم صاحبهم معه سنة 1294 هـ. الى المدرسة البومروانية وقد شدوا ، فجال بهم في الدراسة العليا ، وهناك أخذ العربي ايضا عن الشيخ سيدي الحاج علي الالغي ، حين استخلفه الاستاذ هناك ، وكان من بين ما ياخذه عنه مع طبقته التسهيل والمختصر وغيرهما ، ثم انتقلوا الى الالغية ، وقد تاسست ، فكان للعربي مثول أمام الاستاذ الحاج محمد اليزيدي سنة 1300 هـ. حين شارطه الاستاذ ، وللعربي اذ ذاك تفوق ، وقد شارف أن يستتم دراسته ، ولذلك كان معينا للاستاذ في المبتدئين ، فهناك قطعة بائية كتبها اليه استاذه ، وقد امره ان يعلم مبتدئا اسمه موسى مطلعها :

رأيت موسى يبتغي ويستمد العربي

فهكذا قضى عشرا ملاها بالجد حتى تفوق في الفنون ، فكان نحويا لغويا اديبا فقيها فرضيا حيسوبيا ، فلذلك لا نعجب ان راينا همته يسري اليها الفتور في الدوام على المواظبة .

في صحبة الفقراء

في تلك الفترة نحو 1301 هـ ، لوى به ما لا نعلمه الآن ، حتى اتصل بالشيخ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ، فانخرط في اصحابه ، فساح معهم على عادة الفقراء ، وقد عزم على أن لا يفارقهم ليذوق من خمرتهم ، غير أن ذلك لم يسبق له به القضاء ، فبينما هو بين الفقراء في زاوية (تازامورت) بمجاط مع التاموديزتي ، اذا بالاستاذ أبي عبد الله الالغي طرق القرية مارا الى (الغ) فذكر له ان هناك تلميذه ، فأرسل اليه ، فبمجرد ما وصله ساقه أمامه الى (الغ) وهو يثرب عليه في اعراضه عن الميدان العلمي ، ولاقباله على ما يقبر ما أخذه ، فكأنه استحضر ما قاله ابن عرفة : اذا رايت طالب العلم يعتاد مخالطة الصوفية ، فاعلم أنه لا ياتي منه شيء ، فاستاصل ذلك من قلبه جذور الالتفات الى تلك الجهة ، فلازم الدراسة ثانيا .

في صحبة القائد الحاج احمد التامانارتي

توفي استاذه أبو عبد الله (1302 هـ) ، وقد راينا منه ان له تفوقا يحس به أن قد استغنى عن متابعة الدروس ، فنزل في بلده ، فجال في فض بعض النوازل ، وسرت سمعته الى القائد الحاج احمد التامانارتي ، فارسل اليه ، فراوده على الانقطاع اليه ككاتب لرسائله ، وعالم لحضرته ، يراجعه في الشرعيات ، وكان ذلك كله في شهور قليلة ، ثم لما نزل ركاب السلطان المولى الحسن في (اكليميم) عام 1303 هـ ، سافر القائد مع كاتبه الجديد الى حضرة السلطان ، وقد اهتبل القائد بفقيهه ، وهيا له مركوبا جيدا ، وفسطاطا على حدة ، ليتجمل به امام الناس ، في معسكر السلطان ، على عادة القواد السوسيين اذ ذاك ، من تجملهم بصحبة العلماء المرشدين ، فباتوا في (تافنيجت) ، فصادف هناك الشيخ سيدي المدني الناصري ، فلم يكد يختلي بسيدي العربي ، حتى الحفه سوطا من التانيب حين رضي بعد ذلك النبوغ في العلوم بين اقرانه ، أن يمثل بين يدي جاهل يستخدمه في اموره ، ويقلبه كيف شاء ، مع أن العلم يقتضي أن يستخدم امثال هؤلاء القواد فمن دونهم لا ان يستخدموه ، ثم لم يقلع عنه سيدي المدني حتى رده الى الـغ ، فثوى ايضا في حضرة أبي الحسن الاستاذ الجديد بعد وفاة اخيه ابي عبد الله ، يحضر الدروس ، وينتظر أن يبتسم له سعد من ناحية اخرى ، هذا وقد كنت رايت مخطوطا في رسم مؤرخ بسنة 1299 هـ ، كان المترجم كتبه اذ ذاك بعبارة رشيقة ، وخط مرونق ، فعلمنا كيف كان في هذه السنة .

في مدرسة أداي الحربيلية

كان أهل الاستاذ ابي عبد الله المرحوم حدبين كلهم على ابن مدرستهم النابغة ، فادركوا أنه لا بد متطلب مخرجا الى ميدان فسيح ، بعد ان احس باله شرب الكاس الى ثمالتها ، وأنه محصل للمتون وما حواليها ، فقال لسان حالهم : بيدي لا بيد عمرو ، فقام سيدي الحاج عبد الله والد الاستاذين ابي عبد الله وابي الحسن ففاتح المداولة مع الادائيين ، فتم الامر ، فشارط الاستاذ مشارطة تروي غلته ، وتقر عينه ، فكان ذلك المكان أول مكان لتدريسه ، واول تجربة لمقدار منته (1) في العلم الاجتماعي ، فاذا به فوق ما يظن ، واحسب أن مشارطته من أواسط عام 1305 هـ. الى التي بعدها ، وما اخاله تجاوز هنالك سنة .

في مدينة ردانه

أعمل الركاب مع رفيقه الشاعر الكبير سيدي الطاهر بن محمد الافراني الى تارودانت حاضرة سوس ، فاخذ الاصول وغيرها عن سيدي احمد امزاركو ،

(1) المنة بالضم والتشديد : القوة .

ثم استجازا معا الاستاذ ابا العباس الجشتيمي الذي هو استاذ امزاركو ، فصاحب الترجمة هو مقصود الشاعر الافراني في قوله من قصيدته التي استجاز بها الشيخ الجشتيمي اذ ذاك :

وجد جبر ما مول باشراك صاحب   له من عرى محمود ودك اقواها

وقد ذكرت القصيدة في ترجمة ابي العباس الجشتيمي في (القسم الثالث)

وكانت هذه الرحلة سنة ست من هذا القرن ، وقد ذكر لي شيخنا الافراني كثيرا عن هذه الرحلة ، وأثنى على همة سيدي احمد أمزاركو كثيرا ، وذكر أنه من حفاظ المختصر وكل المتون . ومما ذكره ان الاستاذ جال يوما في مسألة فقهية . فقال له سيدي العربي جملة على انها نص من المختصر . وقد كان أمزاركو يحفظ المختصر ، فقال لسيدي العربي وهو يبتسم : لعل هذه الجملة حدثت في المختصر بعدنا . فاننا لم نتركها فيه .

في المدرسة الايغشانية

ثم انتقل الى المدرسة الايغشانية المرة الاولى التي كان فيها ، فهناك بدات شهرته تظهر في الوجود ، ومرانته الدراسية ، وهمته في نشر العلم ، تسير بهما الركبان ، كما بدأت أعمـاله في القضاء ، فعرف من أين تؤكل الكتف ، وكيف أعراف البلاد ورواج سككهم ، فكان ذلك سعد السعود له .

في أنامر ايتريون

لعله لم يتجاوز سنة هناك ، ثم القى مراسيه في مسجد بايت موسى بمجاط ، فاقبل في فض النوازل وأدبر ، حتى اصطدم هناك وبعض اصحاب القحة ، فكانت مشادة حامت حادثتها حول هامته ما شاء الله ، حتى نودى به في مجمع القبيلة ، فتداخل أناس في الحادثة حتى انحلت العقدة ، وذلك مما يجره أحيانا الانكباب على النوازل التي تجر الى الحاكم فيها معاداة المحكوم عليه ، سواء بحق او بغير حق :

ان نصف الناس اعداء لمن   ولى الاحكام ، هذا ان عـدل

في المدرسة الايغشانية ثانيا

راجـع هذه المدرسة سنة 1310 هـ ، بعد وفـاة سيدي الحاج محمد اليزيدي ، وفي هذه المرة تكاثر لديه التلاميذ ، وأمعن في التهذيب ، فسنت بتلك الجهود التي يبذلها اذ ذاك أفكار أناس هم اليوم بعض زينة هذا الجيل ، وقد لفت أيضا وجهه الى القضاء ، فكانت نوازل الايغشانيين قاطبة في يده ، مع بعض نوازل القبائل التي تجاورهم كالسملاليين وغيرهم ، وكانت رئاسة الحاج ابراهيم الايغشاني تدعمه وتنفذ ما يحكم به في قبيلته .

في فاس

في سنة 1314 هـ ، عقد أيضا مع صديقه الاستاذ الافراني الرحلة الى فاس ، فسلكا طريق الصويرة ، ومنها ابحرا الى طنجة ، فصمدا الى فاس ، فحلا بها ، فكان ممن راوهم من العلماء الحاج محمد كنون الصغير افصح اهل عصره على الاطلاق . هذا ما سمعته ، وقد وجدا هناك الاضراب عن القراءة في القرويين ، فتعطلت القراءة ثلاثة اشهر ، فلذلك لم ياخذا من فاس ولو حرفا واحدا ، كما حدثني به شيخنا سيدي الطاهر الافراني نفسه ، ثم رجعا عن طريق سلا ، فالبيضاء ، فالصويرة ، فرجعا بحقائب بجر من الادبيات بينهم وبين ادباء هناك ، وكان لرحلتهما تدوين ببراعة صاحب الترجمة ، الذي جمع كل مـا راج فيها بين صاحبه وبين من يلاقيهم كالبلغيثي وابن شقرون الفاسيين وغيرهما ، وقـد زارا ضريح سيدي العربي بن السائح بالرباط وكتبا من اقواله كثيرا .

في المدرسة الايغشانية ثالثا

بعد رجوعه من فاس ، راجع الايغشانية ايضا ، فرجع اليه كثير من تلاميذه ، فبقي هناك سنتين الى اواسط 1317 هـ ، ثم غادرها .

في المدرسة البوزا كارنية

بعد مفارقته المدرسة الايغشانية ، استقر توا في البوزاكارنية التي بقي فيها سنوات ، وقد التحق به غالب تلاميذه الذين كانوا التحقوا بعد رحلته بالمدرسة الالفية ، فادار هناك عليهم كؤسا طافحة ، وان كانوا دون العدد الذي وصلوه في الايغشانية ، لأنهم تناقصوا الى نحو خمسة عشر ، وقد امضى هناك سنتين .

في المدرسة الايغشانية رابعـا

في سنة 1321 هـ ، راجع أيضا هذه المدرسة ، فرجع اليها مجددا ، فعمرها أيضا بما تعهده من يده ، فاقبل وادبر في التدريس ، وقد نال من الشهرة ما نال ، وابدر قمره ، وأينع ثمره ، فربض هناك الى منتهى عـام 1327 هـ ، فغادرها ، غير انه وان غادرها فقد ابقى لها سمعة كبيرة زاحمت بها المدارس الكبرى ، وطارت باسمها الاحاديث في الاسمار .

في دارة

كان الاستاذ قد اقترن من سنين كثيرة قبل هذا الوقت ، ببنت الفقير سعيد الهندقي الدرقاوي من تانكرت بافران ، فسكن في قرية (تاباحنيفت)

وبنى داره ، واثل هناك املاكا ، وتوسع في الفلات ، وأمدته مشارطته والنوازل التي فضها بما كون به من المال ما كان هالة متسعة حول بدره الكامل ، والقى عليه ابهة علمية في أعين الذين لا يقدرون قدر العلماء الا بقدر ما يحتجنونه من الاموال ، وبقدر ما تتسع حولهم هالة الغنى ، ولذلك وجد بعد مغادرته الايغشانية أخيرا فراغا لادارة شئونه الخاصة ، وهو مع ذلك في وسط علمي في قبيلة تجاور فيها مع الشاعر رفيقه ، ومحمد بن الحاج الاديب ، والبشير بن المدني الاريحي الكريم ، واخيه الطاهر ، وأحمد بن صالح العلامة الكبير ، والبشير العزيبي ريحانة المجالس ، وأمثالهم وأولادهم ومن اليهم . فكانت (تانكرت) ندوة ادبية علمية ، لا يزال مجاورها في سبح دائم في امواج المعارف والآداب . ولذلك يستحق ان يسمى ذلك الوادي (وادي الادباء) .

مدارکه

كان الاستاذ العربي الساموكني علامة كبيرا ، غواصا على المعاني ، حلالا للمشكلات . مستحضرا في النحو واللغة غاية الاستحضار ، وقد كان احد من أحيوا هذا الفن من تلك الحلبة الالغية البارعة ، كما كانت له في الفقه وما اليه مقامات لا تجهل ، وأما الادب فهو فيه ريحانة الانيس ، وزهرة الجليس ، فكأنه خلق من الادب وللادب ، فكان اليد اليمنى للاستاذ الطاهر ، واول من أعلن للعالم معجزات بيانه ، وقد كان مؤمنا بها غاية الايمان ، مقرا بانه الحائز وحده للخصل في صناعة القريض ، وقد مصح الله نفسه من ان ينفس عليه مكانته ، كما يقع بين الاقران غالبا ، ولو لم يكن له الا تلك المزية لكفته .

كان مطلعا كبيرا ، مستحضرا للتاريخ عامة ، وللادب الاندلسي خاصة ، دارسا للاشعار العربية الجاهلية والمولدية ، فكانت نوادر الابيات ولطائف الامثال مما يتدفق به يراعه حين ينثر بخطه الرائق ، وسجعه العذب .

أما استحضاره في الدروس لأقوال الناس ، ومعرفته بالخلاف في مسالة نحوية أو فقهية ، فانه من اكابر الالغيين الذين اعتيد منهم ذلك ، حتى صار الثناء عليهم به كما يكون الثناء على الشمس بالانوار والرفعة ، وعلى الزهر بالأريج واللون الناصع ، فكم تلميذ للاستاذ يقول ان تدريسه فريد . ولا ريب أن العربي الساموكني الذي جال وراى تدريس الحواضر ، وشاهد كيف فصاحة كنون الصغير الفاسي ، لابد أن يتأثر بما رأى وشاهد ، فيحدوه الاحتذاء حتى ياتي في أثناء تقريراته بالعجب ، فلئن كانت دراسته لا تكون الا بالشلحة ، فان حسن التقرير يمكن في كل لغة ، والعبرة باللب لا بالقشور .

كان الاستاذ متتبعا لخطوات استاذه ابي عبد الله الالغي ، فيتمشى في تلاميذه بالدرجات ، مع مواخذتهم بالاستظهار وتلاوة كتب الادب اوقات

الراحة ، وبالاكباب على مطالعة الدروس واعادتها ، فبذلك تجب منهم الكون ، ومن لازم الاصول ، فاز بالمحصول وظفر بالوصول ، وكان ذا خط مال لانه لساخ دائما لا يمل من ذلك .

أخلاقه وبعض أخباره

كان رحمه الله صليبا في آرائه ، طلعة الى كل شيء ، طموحا الى المجد ، فيجهد له بكل ما أمكن ، وما العلم وما الرحلة وراءه ، وما السعي في الثروة ، وما كل الجهود التي يبذلها طول عمره الامراق يريد ان يترقى بها الى ما يراه المثل الاعلى ، فكان كما حافظ على مروءته منكبا على الطلوع في هذه المراقي العلياء ، فما ذلك الذي يذكر عنه وراء النوازل من المغالاة في الاجرة الا من هذه الناحية ، والغاية في نظره تبرر الوسيلة ، كما أن الشدة التي يأثرها عنه تلاميذه الذين يلزمهم ويجشمهم الامعان في التفهم ، لا تستمد الا من هذه الناحية ، فكل من أيقن ان الغاية محمودة ، لا يبالي اي طريق يسلك اليها .

وهنالك ناحية افترق فيها مع رفيقه الشاعر الافراني ، وهي كثرة الاحتمال ، والبعد عن التأثر بالعوارض البشرية التي لا بد منها ، فان الشاعر افسح رقعة ، واوسع صدرا ، وأكثر غضا للطرف ، واعلى مسامحة ، بخلاف العربي ، فانه وان كان لا يخلو من طرف طرف من كل ذلك ، فقد ينطلق أحيانا من العقال ، ويزور جانبه بتوهمه ما لم يكن ، فاذا بزمام ارادته يفلت من يده ، فلو كان الاستاذ الشاعر الافراني مثله ، لافترق ما بينهما من زمن بعيد ، غير أنه لا يزال يرقيه بقوافيه ، ويلاينه بادبه الغض ، حتى يمسح ما يلم بصدره ، وسترى من آثار هذا كثيرا فيما سياتي ، فان كان صاحبه الذي يجله أكبر اجلال يلاقي منه العنت ، فكيف ترى غيره من عرض الناس ، فلذلك سرعان ما انقلبت سحنته ، وفارت غضبته على عامي في الايغشانية ، فينادي الطلبة فيمدونه للجلد ، حتى ليلعن هذا العامي المدرسة ومن فيها ، ويلعن العلوم واصحابها ، بل تجاوز هذا الى العلماء وقد هم بالجلد يوما في المدرسة البوزاكارنية الفقيه سيدي احمد من آل ابن سالم ، وهو شيخ مسن ، فاختلفت عليه الاسواط وهو يقول له : اطلقني يا صبي ، اطلقني يا صبي ، ولهذا الخلق الذي يخطر في الاستاذ كان يصطدم احيانا ومن لا يستحيي منه ، فيقاومه ، وقد قاومه بعض المجاطيين في (ايامر ايرون) كما طعنه بعض الناس في البوزاكارنية ، فأين كل هذا من خلق رفيقه الشاعر الافراني الوديع الهين اللين ، كأنه مخلوق من اللطافة ، فلا يخطر منه هذا الخلق ولو توهما .

ذلك ، ولا يفهمن القارىء من هذا أن الاستاذ العربي انسان شرس ، فلا والف كلا ، بل الغالب عليه الاريحية والمفاكهة ، وسلامة الصدر ، وانما يهيجه من لا يعرف كيف يخالق امثاله ، فيفلت زمامه من يده احيانا ، فيصدر منه ما يكون هو اول من يستغفر منه ، ومن كان عاقلا فليسامح

الغضبان ، ولأمر ما ورد ان لا راي للغضبان ، وان طلاقه هباء ، فلا طلاق في اغلاق (كما يذهب اليه بعض المحدثين) ولا ينبغي في جانب هذا الاستاذ الا ان يحمل مثل ذلك منه ــ وهو قليل ــ على محامل حسنة ، فقد مجد عند كل الناس مع هذا الطبع ، وقـد ادركنا ان العـربي الساموكني والطاهر الافراني توأمان شرفا وعلما وسيادة ، فلولا ان على المؤرخ ان يلقى نظرة على كل نواحي مترجميه لكان الاولى نبذ هذا الفصل ، لئلا يفرط به الى ذهن بعض الناس ما يغمز به مجد هذا الاستاذ ، على حين أننا نحن لا نريد الا ان نشيد له في التاريخ ما كان أشاده هو لنفسه من المجد في حياته .

ومن مميزاته رحمه الله أنه كان كريما ، أبي النفس ، يحب المعالي ويداب في ادراكها ، ويانف من كل ما يسف بـه في أعين بيئته ، ولذلك كان يحافظ على حسن البزة لباسا ومركبا ومجلسا ، وكان متدينـا قائما باذكار ونوافل لا يغفل عنها ، مراعيا للناس ، قائما بحقوق من أوى اليه ، وان كان تدينه مقتصرا على أداء الصلاة وعلى ملازمة الوظيفة الاحمدية ، من غير أن يستولي عليه من الخشوع ما يستولي على الآخرين .

مر بدارنا سنة 1329 هـ ، مع رفيقه الشاعر الافراني ، فركبت انـا وراءه في (باردا) بسيط في الغ وأنا صغير كما آخـذ في الايغشانية عند استاذنا سيدي عبد الله بن محمد ، ففرط مني أن أنشدت هذا البيت :

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا   وأقبح الكفر والافلاس في الرجل

فاستعاده مني ، ولم يكن يجهله ، وانما مقصوده أن يلتـذ من صبي مثلي بسماع ما يتضمنه معناه ، لأنه على فكرتـه ، فهو يستحسن جمـع الدين والدنيا ، ثم أثنى علي ونشطني ، وهي المرة الوحيدة التي رأيته فيها .

كانت له مباسطات توثر ، منها أنه قال مرة لاحد اصدقائه : ان الله قد شرفني بالعلم والمال والجاه ، غير أنني كلما تذكرت أني ساموكني صغرت عندي نفسي ، وهانت علي مكانتي في نظري ، فهل تعرف طريقة اتملص بها من هذه الساموكنية اللئيمة ؟ فقال له صاحبه وهو الخياط التوماناري وقد كال له الصاع بالصاع : ان عندي والله لطريقة سهلة ان سلكتها فسرعان ما تنسى عنك الساموكنية ، وهي أن تدخل (الملاح) وتتهود حتى يشيع عنك ذلك ، فان الناس لابد مجتمعون عليك فمستتيبوك ، ثم ان تبت وراجعت الاسلام تسمى بالمسلم الجديد (أوشهيد) فذلك لعمري أخف من ان تسمى ساموكنيا ، فقال له فعل الله بك وفعل ، أتطلب منك غسل نقطة دم فاذا بك تشير على أن أنغمس في حفرة المجزرة .

ومن المزايا التي هيأها الله لهذا الاستاذ أن أطال عمر والده حتى قرت عينه بولده هذا ، اذ شاهد مجده وسمعته الطائرة ، وتصدره للمجالس ، ولم يمت الا بعد عام 1318 هـ .

بعض منشداته

لما كان الاديب لا ينشد في المناسبات الا ما حفظ ، ولا يحفظ الا ما يختار ، وكان اختياره دليلا على عقله ، كان لا بد للمؤرخ للادباء ان وجد هذه الناحية ان لا يغفل عنها ، وقد تيسرت لنا منشدات عن الاستاذ رواية عن تلاميذه كسيدي موسى بن الطيب الالغي ونظرائه ، فاوردنا ها هنا ، فمن ذلك قول الطغرائي :

اذا ما لم تكن ملـكا مطـاعـا   فـكن عـبـدا لمـا لـكه مطيـعـا
وان لم تـمـلك الدنـيـا جميعـا   كمـا تـهـواه فاتـركـها جميـعـا
همـا سـيـان من ملك وزهـد   ينـيـلان الـفـتى الشرف الرفيعـا
ومن يقـنـع من الدنـيـا بشيء   سوى هـذين عـاش بهـا وضيعـا

وقول بعضهم :

اذا لم يذاكـر ذو العـلوم بعلمـه   ولم يستفـد علمـا نسي مـا تعلمـا

وكان في الانشاد يكسر سين نسي ، ولو قرأه بالفتح لوافق لغة طيء المشهورة .

وقول بعضهم :

ان له غـرض يسعى لـيـدركـه   والحـر يجعل ادراك العـلا غرضـا

وقول ابن مكانس :

في انقـبـاض وحـشـمـة فـاذا   صادفـت أهـل الـوفـاء والكـرم
ارسلـت نـفـسي على سجيـتهـا   وقلـت مـا قـلـت غـير محتـشـم

وقول بعضهم :

اذا الجد لم يشغلك عن كل شاغل   فما ظـفـرت منه يـداك بطـائـل

وقول بعضهم في بليد يملى عليه :

اقول لـه زيـدا فيكتب خـالـدا   ويـقـرؤه عمـرا ويمليـه جعفـرا

الى ما اخترناه له مما كان ينشده في بعض الفرص حتى حفظ عنه .

منه واليه في الادبيات

كتب الى بعضهم :

اما بعد فلا تسل عما تبطنته من الاشواق ، والتحفته بعد الفراق ، فقد اخذ بالتلابيب والاطواق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئـذ المساق .

ساءلا احبتـه من لم يمت كـمـدا   يوم الفراق وان اجرى الدموع دما(1)

فاما أن ترد الوديعة ، وتعظم الصنيعة ، واما تسيل نفس أخيك على اسلات الالفاس ، بعد ما كادت تسيل مع سيلان هذه الانفاس (2) .

---

(1) من قصيدة لابي العباس المقري في اول نفح الطيب .

(2) الانفاس جمع نفس بكسر فسكون : المداد .

الى لاغبط كتبي اذ تصافحها منها يد هي سول القلب لو يجد (1)

فمتى يتوب الدهر فيكفكف من غلوائه ، ويرد كل ودود الى اوداته .

وكتب اليه بعض تلاميذه يستعطفه وقد كان أراد طرده من مدرسته ، ولم استحضر الآن من هو هذا الكاتب :

شيخنا الذى به تتزين المجالس ، وبفهومه تنحل عويصات الفهارس ، امام الدنيا والدين ، ونبراس أمثالى من المسترشدين ، سيدى ابو محمد المولى العربي بن محمد ، السلام على سيدى وسندى ، وعضدى ويدى ، وروحى التى فى جسدى ، أما بعد ، فياسيدى اننى كثير الحياء من ذلك الذنب الذى قدر على ، وساقه القضاء الى ، فقد عرفت أن ما يقصده سيدى وابى من تلك المخاصمة انما هى دواء الاب الشفوق ، لولد يالف العقوق ، واليوم عندى عظيم ، مما هو فى الصدر كظيم . واننى أتوب الى سيدى توبة نصوحا . ولا أرجع ما طلعت على الاكوان يوحى (2) ، فسامحنى ياسيدى بحقك العظيم ، وقابل ذنبى بالمعتاد من الحليم ، فاننى لا أقدر أن أخرج من المدرسة ، ولا أن ارجع بصفقة مبخسة ، فلا وجه عندى للقاء أحد بعدك ، وهيهات أن أجد عند غيرك ما أجده عندك ، فها أنذا يا سيدى عندك كعبد مكسوب ، فاجعلنى كما شئت ما دمت راضيا عنى كابنـك المضروب ، فضرب الحبيب ، كاكل الزبيب ، وقد أرسلت الرسول ، فاجبه ياسيدى بمجرد الوصول ، والسلام ، ابنك محمد .

فكتب على ظهر الرسالة :

لا باس ان شاء الله ، فالعن الشيطان ، وتلق منى بكلتا يديك الرضوان، فالله يهديك ويرشدك الى ما يريده منك ناصحوك ومحبوك ، ولم تر منى ما رايت الا بكثرة الشفقة ،

ما ماحضتك خبايا الود من رجـل مـالم ينـلك بمكـروه من العـذل

محبتى فيـك تـابى أن تسامحنى بـان اراك على شئ من الـزلـل

فارسل الى حوائجك وارجـع الى محلك الساعة ، ولتلزم دائما الطاعـة ، فالوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك ، والسلام .

مع شيخ الجماعة الاستاذ علي بن عبد الله الالغى

كتب هذا الاستاذ الى صاحب الترجمة يقول :

الفقيه البركة ، فارس المعركة ، والسلام عليك ، وعلى من معك واليك ، اما بعد ، فياعربى ، التؤدة التؤدة ، فان المنبت لاظهرا ابقى ولا ارضا قطع ، فقد جاء تلميذك خائفا يترقب ، كانما يطارده قاطع الرقب ، فما هدأناه الا

(1) يظهر انه بيت قديم وان كنت لم أره قبل اليوم .
(2) من اسماء الشمس

[illegible] حين ، وبعد ترويع الامهات والبنين ، وها هو ذا مع الحامل ، فاستعمل الرفق ما امكن بين بين ، من غير ان تتجاوز الحد فى الطرفين ، فالخير فى الوسط ، وفى الحديث ان الله يعين على الرفق ما لا يعين على الخرق ، وذلك لعمرى خير الطرق ، والله يوفقك والسلام .

ولعل المكتوب فيه احد الذين ياخذون عن المترجم من آل ابى الحسن [illegible] عبد الله شيخنا الالغى .

وكتب المترجم الى الاستاذ ابى الحسن ابن عبد الله هذا يقول :

[illegible] قرة العصر ، وطلعة النصر ، شيخنا الهادى الى الصراط ، الحازم بترك التفريط والافراط .

اما بعد ، فقد كنت عزمت على الزيارة ، مع تلك السيارة (1) ، فاذا [illegible] النوى كلف بقضية ، وندبنى لارتياد ناحية ، وجير مثل خاطره على مثل [illegible] ومن اشارته متاكد ، وعذرى متقو عند سيدى بذلك متايد ، والا فلو [illegible] الفطاء ، عما فى السويداء لـرأى فيها طرفـك تلك المنـزلة التى [illegible] والقمة التى توقلتها (2) ، فلك ما هو اعلى من الوالدين من الحقوق ، [illegible] ان اشين سيرتى بالعقوق ، فسابكر الى مولاى بكور الغراب ، قاضيا [illegible] تلك الآراب (3) .

[illegible] البدار ، لو تاتى ، لـمـا تشـا فمثلى من فى حاج مثلك قد مشى

[illegible] سوان ان تشر وان التظى هجير أو الديجور فى الليل اغطشا (4)

[illegible] سلام مثـل غنـاء ربـيـة سقى زهرها وبل السحائب فانتشى (5)

[illegible] كان مرض لى فى الاسبوع الماضى الم ، احتدم به الراس واضطرم ، [illegible] ان هذا الصيف الشديد الاوار ، الملتهب النار ، هو الذى يذيب [illegible] ويقطع النخاع (6) ، والانسان ضعيف ، لولا ان ربه به لطيف ، [illegible] فى يمرضه ، ويقده ويقرضه (7) ، ولكن حين نزلت العافية ، حمدنا [illegible] الشافية .

(1) المراد بالسيارة القافلة كما ورد فى قول الله تعالى (وجاءت سيارة) وليس المراد بها الآلة المركوبة .
(2) توقل الجبل صعده ، والقمة بالكسر رأس الجبل .
(3) الآراب : جمع ارب الحاجة .
(4) الهجير وقت اشتداد الحرارة من النهار ، والديجور الظلام ، واغطش الليل اظلم .
(5) الحديقة الغناء الكثيرة العشب ، والربية المعشبة ، وانتشى سكر .
(6) الخيط الابيض الممتد فى جوف فقار الظهر ، وهو ممتد من الدماغ ، ومن قطع منه هلك .
(7) القد القطع طولا ، والقرض القطع مطلقا .

وقال المترجم يخاطب الاستاذ سيدى علي بن عبد الله الالغي :

دعا داعي الرشاد الى حبيب   فسرى اذ دعا عن ذا الكئيب
ولي شوق الى تلك المعالي   ووجد خارق خلب القلوب
اقول لمن يؤنب عن وصولي   لها مهلا اسير الى الطبيب
عماد الدين والدنيا ملاذي   وشيخي جامع الفضل الغريب
بمجلس جلة لا لغو فيه   ولا صخب وعد للذنوب

الجواب :

الا اهلا بمنظوم عجيب   أتى من فكرة الخل الحبيب
رعى حق الاخاء ففاح وجدا   وحيانا على ظهر المغيب
وعاطانا حميا الود صرفا   وأطفأ غلة القلب الشبيب
ولم لا والوفا العربي مما   تواتر عند كل فتى اديب
فبورك من أخ ما زال يرمي   الى العلياء بالسهم المصيب

كان الاديب محمد بن الحاج حين اصيب المترجم بطعنة من يد جهول اثر مغاضبة كتب اليه فاجابه صاحب الترجمة بما يلي (1) :

الاخ المواسي مع تنكر الاخوة . والثابت في الميدان مع نكوص ارباب الفتوة .

(اما بعد) فاني اكتب اليك ولا باس ، وماذا يؤثر النسناس في الناس ، فهل تدمي البعوضة مخلب الاسد ؟ وهل ينال في النجم الثاقب اهل الحسد ؟

القني في لظى فان غيرتني   فتيقن ان لست باليا قوت

وعند الملاقاة ، وقد طافت بالكؤوس السقاة . احكي لك ما رايته من الجفاة ، الذين ليست لهم اناة . ولا في صدورهم حصاة (2) ولكن لا يطعن الا المقاديم لا الرعاديد (3) ولا يصادم اذ اجد الجد الا الصناديد ، والشرف لا يدوى بقرصة ، والبحر لا يغيض بمصة .

وكتب اليه في حاجة ايضا .

من هو مني ، بمنزلة السواد من عيني ، وقلبه ينبئه عني (وبعد) فان الانسان لا يدخر اخوانه الا للملمات ، ويريدهم للحياة لا للممات . والاشجار ورق وثمر . والمتصفون بالاخوة خيبة وظفر . فاقرأ هذه البطاقة التى في طي هذه الرسالة ، فاختر لنفسك اما الزيت واما الذبالة (4) .

---

(1) كان ذلك حين شارط في بوزاكارن سنوات 1318 هـ والطاعن له احد المدررين
(2) من معاني الحصاة ، العقل والراي وهو المراد هنا .
(3) المقاديم جمع مقدام ، ضد الرعاديد جمع رعديد وهو الجبان .
(4) الذبالة الفتيلة المشتعلة .

فهل تكون ثمرا بالماء واقفا نافعا ، او انما انت ملالة ، وعلى الاخوان عالة (1)

سوف ترى اذا انجلى الغبار   افرس تحتك ام حمار ؟

هذه مداعبة اخ لاخ . والا فانا عالم انك خير مصرخ للمصرخ (2) .

مع الاستاذ العلامة عبد الله بن محمد الالغي

كتب المترجم الى هذا الاستاذ الذى هو تلميذه بما يلي :

اسيدنا عبد الاله الذى غدا   امير البرا يا في اقتناء المفاخر
عليك سلام من اخ لك صادق   يرى ودك الاسنى اجل الاواصر (3)

وبعد فانا كتبنا اليك مستحثين على ذلك الغرض ، ومستقصين منك فيه ما هو الحق المفرض ، فاشدد حيازيمك في استخلاصه لنا ، ولك الجزاء الذى لا يضيع عند الله . وعجل بالجواب بما وقف عليه الحال ، ولم يتجدد من الخبر ما تعلمني به .

وقال المترجم ايضا يخاطب سيدى عبد الله بن محمد الالغي المذكور :

اليه صبح راق طيب نسيمه   في محفل طابت كؤوس مدامه
ويهدا به بدر العلوم يديرها   ويزيح من اشكالها بحسامه
فالهيه ان صار قطب زمانه   علما وآدابا ومن افهامه

.. الاديب سيدي محمد بن علي الالغي

وهو كالذى قبله واللذان يليانهما من تلاميذ المترجم .

قال هذا الاديب يخاطب المترجم عن نفسه وعن ابن عمه سيدي صالح ابن احمد ، وفي القطعة اصلاح لبعض الالغيين ، لان الاديب قالها في ايامه الاول :

هل الشيخ المنير بكل علم   حليم ساد غيره في المعالي
وذا شيخي الذى ارجو المعالي   به فاحوز ما قد كان غالي
وذا البحر الغطمطم ان اغص فيه   فزت بثروة وكثير مال

---

(1) الملالة بالضم ، الشيء القليل يتعلل به ويتبلغ به صاحب الحاجة . وفلان عالة على فلان ، متكل عليه .
(2) المصرخ اغاثه واعانه ، وتقرا الاولى بكسر الراي والثانية بفتحها .
(3) الاواصر جمع آصرة ، وهي ما عطفك على رجل من قرابة او معروف .

سلام كالنوافج او كقسط   تضوع به بمدحك فى مقال (1)
فناولنى مرامى من دعاء   مع ابن العم يسطع فى الليالى

فاجابه المترجم بقوله :

انجل الشيخ يا بدر الكمال   ويا فرد المحاسن والخلال (2)
ويا من حل فى قلبى محلا   ابى التعبير عنه كل قالى (3)
لك البشرى بما ترجو لدينا   من الفوز العزيز عن المثال
فجد ولا تقصر فى طلاب   (فمن طلب العلا سهر الليالى (4)
واياك الركون الى أناس   رضوا بالدون من تلك المعالى
فبالله استعن وبنجل عم   كريم (صالح) جم النوال

وقال المترجم ايضا يخاطبه :

فيالك من نجم سما فوق كيوان   ومن ولد يرنى له بين اقران (5)
فديتك لا تشغل بما لا تحبه الامـاجد من أسلافكم خير عبدان (6)
ولا تهدمن ما شيدوه من العلا   وكن تابعا لهم بجد واحسان

وخاطبه ايضا يستفز همته الى قول القريض بقوله :

امحمد بن على ان اخاك قد   ابدى نظاما صيغ من حر الذهب
واود يارب البلاغة لو ترى   متقفيا لسبيله فى ذا الادب
وعليك يا نجل الفقيه تحية   تزرى حلاوتها برشفك للضرب (7)

مع الاستاذ صالح بن احمد الالغى

هذا هو صالح المذكور مع من قبله ، قال يخاطب المترجم :

ايا قمر الدنيا ويا خير اهلها   اتيناك نرجو كل خير بلا حصر
فعطفا علينا بين خل وصاحب   فخصصن وابن العم بالود والسر

فاجابه المترجم بقوله :

اتانى فحل القلب من ربقة الاسر   نظام فتى حاز السيادة فى العصر
يسائل تخصيصا له وابن عمه   بود صفا والعطف والسر والخير
وقد علم الرحمان ان اخاكم   يخصكم من ذاك بالذخر والوفر
فلا زلتما للعلم بدرى سمائه   ويعلو بكم سهم الاجادة فى الشعر

(1) من معانى النافجة انها وعاء المسك ، وذلك هو المراد هنا ، والقسط بالضم من الاعواد الطيبة الرائحة عند الاحتراق .

(2) سماه نجل الشيخ لانه ابن شيخه الاستاذ علي بن عبد الله .

(3) القالى المبغض . ويمكن ان يكون القال بمعنى القول .

(4) ذلك شطر البيت الشهير :

يغوص البحر من طلب اللئالي   ومن طلب العلا سهر الليالي

(5) كيوان اسم نجم معروف .

(6) اى خير عباد الله .

(7) الضرب بفتح الراء : العسل الابيض .

مع البشير العزاوى التانكرتى

كان هذا الاديب انشأ نونية يخاطب بها الاستاذ محمد بن على ليتوسط له عند المترجم فى شىء ، مطلعها :

يا زائرا زار اشرافا بغسان   حى خليلا ثوى قلبى وانسانى (1)

وقد توجد النونية كلها فى هذا الكتاب فى (القسم الخامس) ان وجدناها .
فاجابه المترجم يقول :

يا من اتى زائرا اشراف غسان   من بعد صدعتنا وطول ليان (2)
اهلا بمقدمك الاشهى الى دنف   من وصل غانية عن فرط هجران
فمرحبا بك من حب له قدم   قد امتطت فى العلا متون كيوان
هذا وكم لك اذ وافيتنا كرما   من حسن احدوثة تزرى بعقيان (3)
ومثلكم من يراعى اهل نسبته   وليس ينفك عن فضل واحسان
جازاك ربى بما ترجوه من امل   كما تحب ومن رد لاوطان
بجاه سيدنا المختار من مضر   وآله من بهم يستصرخ العانى
عليه ثم عليهم من تحية ر   ب العرش اذكى كما ورد وريحان

وقال ايضا البشير يخاطبه :

اتيت الامام العربى الهمام   فأسبل البر كصوب الغمام
فهش وقبل ورحب بى   واحسن السيرة فعل الكرام
واكرم الضيف الغريب وما   قصر بالعطف ورعى الذمام
البسه الله لباس الرضا   وأكرم البر بحسن الختام
وشكر الله الصنيع له   وأحسن العقبى له بالسلام

الاستاذ ابي العباس أحمد بن الحاج اليزيدى

كتب هذا الاستاذ الى المترجم يقول :

الفقيه الصالح الناصح العالم المدرس ، السلام والرحمة والبركة على مقام سيدى السعيد ، المبدئ لكل خير المعيد ، يورد فيصدر فى الاحسان ، حتى يملك كل انسان ، وبعد فالحمد لله على قضاء الغرض كما تريد ، فقد تيسر قريبا من بعد ما هو قبل اليوم بعيد ، فخذه من يد الحامل ، ولا باس باعانته بما تيسر من فضلكم الشامل ، لانه ذو متربة ، وصاحب مرتبة ، وقد امرنا باكرام غنى قوم افتقر . وعزيز قوم ذل .

اما القضية الايفشانية فلا يمكن قضاؤها . ولا تتدانى سماؤها . الا

(1) لعل مراده بالانسان : انسان العين ، ويعنون بغسان : قبيلة ايفشان فى الغ .

(2) الصدعة : التفرق ، والليان بفتح اللام وتشديد الياء : مصدر لوى اذا امال رأسه او أعرض .

(3) والعقيان : من اسماء الذهب .

ان كان الفقيه سيدي علي الالفي هو المباشر لها ، والمريح لعللها ، فاندب لها أبا الحسن . ياتيك بالامر الحسن اليسن ، فكل قضية لا أبا حسن لها لاتتم ، ومن كان له فانه مخول معم . والسلام . نعم ولا باس ان تريه هذه الرسالة ليكون ذلك له أنشط ، فالعارفون اذا مدحوا فرحوا ، فادع لنا بخير .

وكان الاستاذ ابو العباس اليزيدي كتب الى المترجم قطعة لم نقف عليها . اجابه عنها بمايلي :

يـاذا الذي أهدى لنحـوي غاليـا ... من أريـج مسك نظـامـه المتـاود
دم باقيـا للمجـد تحيي رسـمـه ... رغمـا لمعـطـس كل شـهـم سيـد(1)

وله فيه ايضا قطعة اخرى لم نقف عليها ايضا . ومما جاء في جواب المترجم عنـهـا .

هذا نظام قد حكى طوق الطلى ... وزرى بنجمة زهرة فوق السما

مع أديب تامانارت سيدي المدني

ولسيدي المدني التامانارتي في المترجم يهنئه بولده احمد .

هنيئـا بمن ابدى محاسنه السعـد ... فاسـكنـه أعـلى مـنـازله المـجـد
وعـاد بـه للبشر والانـس والمـنى ... وقـد درست أطـلالهـا ذاك العهـد
وحياه انسان العـلا وحـواه للـســيادة والاجـلال ذلــكم المـهـد
وأرضعـه من ثديـه الفضل واعتنى ... على جـهـده بأن يربـيـه الرشـد
ولـيـد لـه الـعـز المكـين قـلادة ... وفي جيده الاسنى نجـوم العـلا عقد
حمته سماء الفخر والفضل أن يرى ... على قدره الاتـراب بل خلفه تعـدو
فما هـو الا البـدر بين نـجـومـه ... والا كزهر الروض من بينها الورد
يقوم بفضل الله في الناس سيدا ... مهيبـا كما قامت بغـابتهـا الاسـد
فلا زال مـرفوع الجـنـاب مخـلدا ... الى أن يـرى من بعد أعقابـه الولد
ولا زال محفـوفـا بـكل فضيــلة ... حبيب الورى يحتفه القرب والـود
ولا زال محـمي الجـنـاب عظيمـه ... مصونا يصون قدره الصمد الفـرد
بجـاه رسـول الله والصحب كلهم ... عليهم صـلاة مـا لهـا ابـدا حـد

مع الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي

كتب المترجم الى هذا الاستاذ يقول :

شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، زهرة العلم الندية ، ورب المرتبة السنية ، ابو عبد الله سيدي محمد بن العربي ، الذي يقر بمجده كل عجمي وعربي ، سلام ارق من شمائلك اللطيفة ، واسنى من علاك المنيفة ، على مقامك الكريم ، وفضلك العميم .

اما بعد فالمقصود اولا ، ان لا تنسونا من الدعاء في مجالسكم العامرة ،

(1) المعطس : كمجلس الانف .

الغصب امكنتنا الغامرة (1) ، ثم اعلام سيدي باني حكمت في قضية سملالين ، ثم طلبوا مني ان اخاطب سيدي بان يكون المفتي (2) ، لما حكمت به ، فاسعفتهم وان كان ابداء الحكم اولا هو اولى بمقام سيدي ومنصبه ، ولو كنت اعلم الغيب ، وادرك ما في الجيب (3) لرفعت القضية اولا الى سيدي ليحكم فيها ، ثم اعطف عليه ، ولكن لم اعرف ذلك الا بعد ما ابرمت ، فرضيت بما كان وسلمت ، فليشرف سيدي عبده بقضاء المرام ، على مـا تقتضيه الاحكام وسيدنا الفضل اولا وآخرا والسلام عبدكم الضعيف العربي بن محمد لطف الله به .

فكتب الاستاذ الادوزي على ظهر الرسالة :

وعليك السلام ايها الفقيه الدراكة المفضال ، سيدي العربي ملازم مدرسة عشان وقته . اما بعد فقد قرات رسالتك ، وقضيت وطـرك . ونحن ذات واحدة لنتعاون على الشرع الحنيف ، وليس منـا دنيء ولا شريف ، وكلنـا سواسية تتكافا دماءنا ، وادع لنا بالخير ، وسلم على الفقيه الاجل ابي الحسن سيدي علي بن عبد الله اتم السلام ، ونحن بخير كثير والسلام ، محمد بن العربي الادوزي .

نعم ان ما نقلته عن التسولي ، لعلك ـ وقد اطلقته كما اطلقه التسولي ـ لم تقف على كلام ابن رحال وعلى كلام المسناوي اللذين قيداه ، ولذلك الحقت ذلك القيد لئلا يجد قائل ما يقول ، وما فعلت ذلك الا اتماما للمرام ، والسلام .

مع الاستاذ ابي فارس عبد العزيز الادوزي

وقفت للمترجم على كلام نفيس حرره في نازلة ، صدره بقوله :

نحمدك يامن حملت اعباء الشريعة على كواهل العلماء في كل جيل ، وجعلت صوارم الادلة حاسمة لسوالف (4) الظلم بيد حاكم التسجيل (5) ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد قائد اصحاب الغرة والتحجيل ، وعلى آله المخصوصين بالانتماء اليه بمزية التعظيم والتبجيل ، واصحابه ذوي المسارعة الى الطاعة والتعجيل ، اما بعد ، فان مما تقرر علمه بكل قلب سليم ، وارتسم بمرآة الاذهان من كل متعلم فضـلا عن عليم ، ان من شروط المساوقة بانواعها ، التي لا تصح ولا تعتبر الا باجتماعها ، عدم الجهل باحد العوضين الخ (6) .

فكتب الاستاذ ابو فارس الادوزي على ذلك ما نصه :

الحمد لله الذي لا معقب لحكمه ، حمد معترف بالعجز عن شكر نعمه ، والصلاة والسلام على نبي استمد العالمون من فضله وعلمـه ، واستاصل شافة الظلم بسيفه ونقمه ، وعلى آله الذين شادوا للاسلام مناره ، واظهروا

(1) الغامر ، الخالي .
(2) مقصوده في جبال جزولة بالمفتي، من يتعقب حكم الفقيه المحكم في القضية اما بنقض او تاييد .
(3) يعني ما سيعطيه صاحب القضية كاجرة لمن يشتغل بقضيته على عادتهم .
(4) جمع سالفة : صفحة العنق عند معلق القرط .
(5) القاضي لان احكامه تسجل عليه بعدلين .
(6) تمام هذه الكتابة في (المجموعة الفقهية).

الواره ، اما بعد ، فلما اتصل بهذا الفقير ، المقر على نفسه بالعجز والتقصير الحكم الذى ابرمه الالمعي ، ذو الفهم الثاقب اللوذعي ، المفترع صهوة العلوم ، المدرك حقائق المنطوق والمفهوم ، سيدى العربى بن محمد الساموكنى اعلى الله قدره ، واطار صيته وذكره ، سرح فى معانيه المتقنة ، ومبانيه المحكمة ، فكره القاصر ، ونظره الفاتر ، فاذا هو والله ذهب محض ، لم يغادر من نفل ولا فرض ، فاعترف لمبتكره بالعلم والتحرير ، ولنفسى بالعجز والتقصير ، ولقد حق لهذه النصوص ، التى هى أحسن من الفصوص ، وأتقن من البنيان المرصوص ، أن يورد فيها المثل السائر ، وان يذاع لها قول الشاعر : كم ترك الاول للآخر ، وافق شن طبقة ، والحدأ بندقة ، ومن لم يكن هكذا فليس بالسيد ، فلله دره من جهبذ وقاد ، وعالم نقاد ، كثر الله مثله فى الناس ، ولا رمي فى دنياه ولا اخراه بباس ، ولقد وفق بين النقول اى توفيق ، وحقق اى تحقيق ، تتبع أقصى أدواء القضية فشفاها ، وهز القناة فسقاها ورواها ، فما ولد الابكار ولا العون مثله ، يبحر فلا ارض يجف بمد بحره ثراها ، لم يغادر فى النازلة صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ولا شاذة ولا فاذة الا تتبعها ورعاها ، ولقد اتى من النصوص المهذبة ، والعبارات المستعذبة ، بما لا مزيد عليه ، ولا سكون لاحد الا عليه ، ولقد أتقن النظر ودقق ، وبالغ فى التحرير وحقق ، حتى انه لم يترك مقالا لقائل ، ولا مرمى لرام ولا نابل ،

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بمتضحات لا يرى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذى اربة في القول جدا ولا هزلا

اصاب المفصل مع قسلة المحز ، وأصاب الثغرة مع المهز ، فمن سعى بعده لاستدراك ، فشوطه وراء خطوه ولو مشى على مهل ، وسعيه دون مشيه وان مشى على كسل ، لم يتبين لي سقطه ، ولا تراءى لى غلطه ، الا فى امرين : احدهما معقول ، والآخر منقول ، ولم أقل ذلك حطا من قدره ، ولا ازدراء به ، حلا والله انى لست أهلا أن أعقب حكمه بالصحة والفساد ، وكيف يتخطى المسك الى الرماد ، بل قلت للمذاكرة ، لا للمناكرة والمفاخرة الخ . (والبقية فى المجموعة الفقهية) .

مع رفيق حياته الشاعر الفحل
العلامة الطاهر بن محمد الافرانى

قد رأيت أيها القارىء الكريم فيما مضى كيف كانت العلاقات وثيقة بين المترجم والاستاذ الطاهر الافرانى ، والآن نعرض أمامك بعض أخبارهما الادبية ، فمن ذلك أن صاحب الترجمة أهدى للشاعر الافرانى ثوما وحرفا (1)، وكتب اليه معهما مداعبا : أن الهدية على قدر المهدى له ، فى رسالة لم نقف عليها ، فاجابه الشاعر بما يلى ، وقد أرسل اليه سلة عنب :

(1) الحرف بضم الحاء : حب الرشاد .

اصلح الله الاخ الاول ، والصاحب الاحفى (1) ، الفقيه سيدى العربى وسلام عليه ، هذا ، ولا باس عندنا وعند اهلك ، غير اشتياقهم اليك ، ثم انه قد وصل ما بعثت به زاعما انه على قدر استحقاقى واستيهالى ، وانى لو كنت اهلا لافضل منه لبعثته ، ولم تدر ان الهدية على قدر المهدى لا المهدى له ، وانه يسبر عقل الرجل فى ثلاث : كتابه ، ورسوله ، وهديته ، فانقلبت عليك الحجة ، وطمت اللجة ، وانسدت عليك فى الاعتذار كل محجة ، فهيهات والطبع املك ،

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه (2)

وقد دلت هديتك عليك كما دلت على اهلها براقش (3) ، وقد انشدت ابياتا فيك وفى هديتك هذه (تكون واياها بها مثلا بعدى) (4) ، نصها :

يا ايها المتحف من جهله بالانتنين الفوم والحرف (5)
ما ان لنا اهديت من ثالث اخبث فى المطعم والانف
يا هكذا ، يا مزدرى صاحب يكرمه ، هدية الالف
اهديه طبعك من خبثه يستحسن الميل الى الصنف (6)
فما ترى تنفك فى حالة عن صفتين : النذل والجلف
فهاك من ذى خلة صلة تعشق بالسمع وبالطرف
تحسبك ان كرعت من ريقها رشف لمى ذى غيد خشف (7)
فان عارضت فومك طيبا كما عارضت غلظتك باللطف

فانهض مع انها عورة تستر ، وفضيحة لا تنشر ، فاكتم السر الذى بينى وبينك يا حجاج (8) ، ودونك سلة عنب كليلة الوصال طيبا وقصرا (9) .

(1) افعل التفضيل من الحفاوة اى المبالغة فى الاكرام .
(2) بيت لصالح بن عبد القدوس من قطعة فى الحكم والاخلاق ، وهو سبب هلاكه .
(3) اسم كلبة نبحت ليلا فاستدل اعداء اهلها بنباحها عليهم .
(4) ذلك شطر بيت هو :

فاليت لا انفك احدو قصيدة تكون واياها بها مثلا بعدي

(5) الفوم : لغة فى الثوم .
(6) يشير الى قول المتنبى :

وشبه الشيء منجذب اليه واشبهنا بدنيانا الطغام

(7) اللمي مثلث اللام : سمرة او سواد يستحسن في الشفاه ، والغيد : ميلان في العنق يستحسن ، او لين في الاعطاف ، والخشف ولد الظبية .
(8) يحكون ان الحجاج بن يوسف الثقفي الجبار خرج الى الصيد في موكبه ، فانفصل عن اصحابه ، فصادف اعرابيا وجعل يسأله عن سيرة الحجاج ، فجعل الاعرابي يصارحه بافعاله ويذمه ، فاذا بالخيل قد احدقت بالحجاج ، وسلمت عليه بالامارة ، فعلم الاعرابي انه هو وخاف على نفسه ، فقال له ياحجاج اكتم السر الذي بيني وبينك ، فعفا عنه للطفه ، فصارت مثلا .
(9) يصفون ليالي الوصال بالقصر ، لانهم لا يبالون بالليل حتى يمر .

فاجابه المترجم بقوله :

سبحان من له الحجة البالغة ، والبينة الساطعة الدامغة ، وصلى الله على سيدنا محمد ذى الايادى السابغة ، القائل : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والقائل : ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستحى فاصنع ما شئت ، وسلام الله على الجموح المسترسل فى طلقه (1) ، المعتسف على حمقه (2) هذا . . . (سقط هنا من الاصل ما سقط) .

ذلك ما عندى من الجواب ، والبرق الخاطف ، يدل على الرعد القاصف .

ثم كتب العربى الى شيخ الجماعة الاستاذ على بن عبد الله الالغى مايلى :

تاج هامة الليالى ، وعقد لبة (3) المعالى ، امام البلاغة وانسانها ، وحبيب الفصاحة وحسانها (4) ، سلام يخجل المسك الاذفر (5) ويسترقه ويوفى الجناب الاعلى من التحية ما يستحقه .

هذا وانني ممن ينحاش الى الله واليك من تلمظ (6) سيف هذا الشجاع ، ومن التقلص عن انياب (7) ذلك الهزبر الذى مكافحته لا تستطاع ، كيف وهو من لا يواجه فى ميدان الاقذاع بالقراع (8) ، ولا تحل بواديه السباع ، لما اوتيه من التصرف فى مضامير (9) الابداع ، فهو المديد الباع ، والطويل الذراع ، اذا عدت فرسان المصاع (10) ، والمفوهون بالانطباع ، فاليك الوذ من لسانه النضناض ، ومن فتكات سنانه التى لا تحاكيها فتكة البراض (11) ، ثم نافح عنى سيدى بما يجعله فى المقعد المقيم ، ويرده من فصل التشفى الى النظر فى فصل فضل الحليم ، فيدخل بذلك فى باب من رزق التسليم ، ليلتئم بذلك ما بين الاسد والظليم (12) ، ويكتب سيدى ما حضر ان حضر يوم الثلاثاء .

---

(1) الطلق بفتح اللام الشوط في الجرى .
(2) يقرأ بضم الميم ليناسب ما قبله .
(3) اللبة محل العقد من الصدر .
(4) المراد أبو تمام حبيب بن أوس، وحسان بن ثابت الشاعران .
(5) الشديد ذكاء الرائحة .
(6) التلمظ تحريك اللسان في الفم .
(7) يشير الى قول الشاعر: (فالليث يبدو نابه اذ يغضب).
(8) الاقذاع: الشتم والرمى بالفحش، والقراع: المقارعة والمقاتلة .
(9) المضامير جمع مضمار: ميدان المسابقة .
(10) المصاع : القتال .
(11) أحد فتاك العرب، وبسببه قامت بعض الحروب العربية الكبرى .
(12) الظليم : ذكر النعم .

ثم كتب الاستاذ على بن عبد الله الالغى للشاعر الافرانى ما يأتى ، وقد اجرنزم لينباع (1) ، ان تمادى الشاعر الافرانى فى ميدان القراع ، وكان العربى اذ ذاك مشارطا فى مدرسة ازاء الغ ، فوجب على براثن الغ ان تذود عنه :

مالك لا تغمد سيف العدا ... عن محتم بنا من الحيف
فهو لنا جار وحق الجوار ... رواته تسمو عن الزيف (2)
لا بد من تبييض ما سودت ... من عرضه قصيدة الحرف
ان لم تبادر بالثناء كما ... بادرت بالذم على الالف
فاعلم بانا فى محاربة ... يلهو بها نصفك عن نصف
فهو اذا ما كان فى أرضكم ... تخدمه بالسمع والطرف
واذ انى ارضى تهدده ... وتنثنى نحوه بالعنف
ان كنت لا ترهب ذمى لما ... تعرف من حلمى ومن لطفى
فربما جاشت بوادر من ... يحلم ان منى بالخسف
فشم لسانك ولا ترم من ... نؤويه بالنذل وبالجلف
فكل شخص انما يقتدى ... بخله فى كل ما وصف

فاجاب الافرانى ، وقد استسلم ، بما يلى :

هل لاح لى محكم الرصف (3) ... ام نفث سحر معجز الوصف
ام اسفرت حسناء عن وجنتى ... تفاحة ومقلتى خشف
ام فاح من دارين نشر صبا ... شم شذاه كل ذى أنف (4)
غفرانك اللهم ، بل هذه ... ابيات شعر خالص صرف
جادت بها فكرة أفصح من ... زان بنقس صفحة الصحف
مولاى من ما زال احسانه ... يعود بالتفضيل واللطف
لولاك لاامسك عن صاحبى ... حتى يذوق سورة الحتف (5)
وهو الذى ساورنى أولا ... جر عنى الاقذاع بالقذف (6)
والحر لا يغمد سيف العدا ... عن معتد يسوم بالحيف (7)

---

(1) اجرنزم لينباع: تجمع لينقض على فريسته .
(2) الزيف: الغش.
(3) الرصف : الضم والتسوية .
(4) دارين : محل بارض العرب يذكرونه بجودة الطيب .
(5) السورة الحدة والسطوة، والحتف الموت والهلاك .
(6) ساوره : واثبه الاقذاع الرمي بالفحش .
(7) العداء مصدر عدا يعدوا : ظلم ، وسامه الشيء : كلفه اياه، والحيف: الجور.

الـجسم لـولا انـه لائـذ ... بالحـرم المؤمن من خـوف (1)
لاسترسل الفكـر على طبعـه ... جـرى جواد سابق طـرف (2)
حتى يرى ان لا تـقـاوم فى الـمـعـرك عـكازتـه سـيـفى
لكنـه مـنـذ اوى عـائـذا ... من حـرزك الحامى الى الكهف
ما ان له عـنـدى غير الرضـا ... ـ مع جرمه ـ والعفـو والكف
مخـافـة من سـطـوة تـرتمى ... تذهـل نصفـا فى عن نصف

اقول : كنت كتبت على هذه الابيات يوم هيأتها لهذا النشر ما يلي :

تلك صحف أدبية ، كانت قبل اليوم مطوية ، فقدر لهـا أن تنشر ، لتنشر بها صفحة حافلة بالظرف واللطف ، من تلك الطبقـة المتـازة في جيلها بسلامة الطوايا ، وامتزاج الافئدة ، واداء فن الادب كل حقوقه موفورة، فيشارك الشيخ الالغى المعروف منه الوقار ، في المجاراة في الميدان ، فاحيوا سنة المعافرى ورماحه الثلاثة من ذلك المهفهف اللمتونى الذى لوكان منه رمح واحد لاتقاه ، ولكنه رمح وثان وثالث (3) ، وردوا لطافة القاضى البلوطى المنذر بن سعيد وهو يمشى في موكبه (4) ، ونشروا فكاهة ابن حـزم وابن عبد البر (5) ، ولا يصدق وصف الادب الاعلى من لا يملك أريحيته أحيانا وقد خامرته اللطافة ، وملك عليه الظرف قياده ، فاداره كما كان يدير ابن

---

(1) يشير الى قوله تعالى : وءامنهم من خوف .
(2) الطرف من الناس والخيل : الكريم الطرفيـن : الاب والام .
(3) ذكروا في ترجمة الامام ابى بكر ابن العربى المعافري انه قال في غلام لمتوني :
يهددني بالرمح ظبى مهفهف ... لعوب بالباب البرية عابـث
فلو كان رمح واحد لا تقيته ... ولـكنه رمح وثـان وثالـث
ولعله اراد بالرمح الاول الالة الحربية المعروفة ، وبالثاني قامة مهدده ، وبالثالث عينيه ، وتشبيه القدود بالرماح والاغصان والعيون بالسيوف والنصال مشهور في الادب العربي .
(4) كان هذا القاضي يمشي في موكبه القضائي المتكون من جماعة القضـاة فصادفوا جروا وامه فقال بعضهم انه بلوطي اي سمين فقال القاضي لعله ابن جماعة
(5) انشد الامام ابن حزم لابن عبد البر في حكاية :
وذى عذل فيمن سباني حسنه ... يطيل ملامي في الهوى ويقـول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الجسم انت قتيل
فقلت له اسرفت في اللوم ظالما ... وعندي عذر لو اردت طويل
الم ترانى ظاهري وانـنـي ... على مـا بدا حتى يقوم دليل

ابى عتيق عايد المدينة واديبها وظريفها (1) .

ارمس (2) اليوم على بن عبد الله الالغى ، والعربى بن محمد الساموكنى وغرب العصر الذهبى للادب الالغى ، ولكن آثار ذلك لا تزال تبسم فى وجوه القارئين ، ابتسامة الرحيق المشعشع فى وجوه الشاربين ، فما كان اذ ذاك قوة تستر ، وفضيحة لا تنشر ، فانه اليوم من اغل الدرر فى سوق الآداب ، يتغالى فيها القراء ، ويستروحون منها ما يستروحه العاشق الولهان من نحو جبلى نعمان اذا خلص اليه نسيم صباهما (3) ، وقد اطال الله عمر استاذنا الشاعر الافرانى حتى راى شباب أدبه الالغى تقمص حلة لا تبـلى ، وارتاش بقسمات الخلود ، ولا اطيب عند الشيوخ من استعادة ذكريـات الشباب فى كل شيء .

وكتب الشاعر الافرانى الى المترجم يقول :

العربى الذى ادحض بهندى بلاغته خميس (4) كل عجمة ، واطلع السعد فى مشارق الادب فاضاء فى ديجوره نجمه ، وزأر فى خميس البراعة هزبر (5) بيانه فوجمت منه اسد (خفان) اية وجمة ، من جلى فى مراكض الفصاحـة يعبوب قلمه ، واستعاذت غرائب الادب من عاديات العى با"من حرمه ، وكلنا الالغى فى عقد اخائه الثمين ونعده على سر الوداد خير امين ، العربى بن محمد ، ادام الله قلمه فى مهامه الادب دليلا ، وروض قريحته فى هواجر الطلب ظلا ظليلا ، وسلام عليه يزرى باللطيمة (6) عاطرة ، وبالديمة ماطرة ، اما واهم الامور ان كان لديك فضل وقت أن تغتنم اجر الزيارة ، فهنالك [illegible] العذر ، وبالجملة فان تيسر لك الاتيان فالعجل العجل ، فقد والله بلغ الشوق غايته ، ورفع الوجد رايته .

---

(1) قيل انه سمع قول الشاعر :
الا يا بانعم ليلة حتى بدا ... صبح تلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الوداع صبابة ... اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر
فاقبل بهما حتى ان قاضى المدينة ابو السائب المخزومي سلم عليه فلم يجب الا بهما فى حكاية لطيفة .
(2) الارماس : الاقبار .
(3) قال الشاعر :
ايا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ... على نفس مهموم تجلت همومها
(4) الخميس : الجيش
(5) الهزبر بكسر فسكون : الاسد والخيس بالكسر : عرينه
(6) اللطيمة : وعاء المسك

وكتب اليه هذه القطعة مع الرسالة :

على العـــربي خـــير اخ ولى … سلام مثل مـا هطل الولى (1)
اخ حـاز الكمال بحسن طبـع … أرق من النـــســيم الشمـالى
وحلتـــه العـــلا لمـا تـجـلى … عروســا بالعـــلا بدل الحلى
فاصبح فـــرد هـــذا العصر لمـا … غـــدا بالظـــرف ذا ظـــرف مـــلى
فمن خلق كزهـــر الروض لينا … وآداب كـــسحـــر بـــابـــلى
فـلا زالت أكف المجـد تـولى … لـه مـا دام بـالفـضـل الجلى
ولا زالت صروف الدهر تجرى … بما يـهـوى لمنصبـه العـلى

الاخ الذى سكن القلب باخائه ، وآنس بترداد ثنائه ، وتحلى بحلية ولائه ، واشرق باشعة ولائه من صفاله الضمير . صفاء الماء النمير . واتخذ ذكره عند غيبته خير سمير . العربى بن محمد حلى الله بحلية التقوى عاطلـه . وسكب عليه من وابل الالاء هاطله . عجل الله لنا طلوع طلعته ليسكن من القلب أوار لوعته . وسلام على ساحته ، ومحل راحته .

ومما كتب به المترجم الى سيدى الطاهر فى احدى ثوراته عليه ـ ولعـل الابيات له ـ

لو كنت حيث أنا وكنت على الغضا … لاتيت نحـوك ساعيـا بـل طائـرا
لكنّ لكـونى خامـلا لم اسـتـفـد … خـلا على جـور الزمـان مـوازرا
اولا فمـالى لم أشـاهـد طلـعـة … يـسـعى السرور بهـا الى مـبـادرا

الجـواب :

امـا انـا فـالله يـعـلم انـنى … مـازلت مهتما بـشـانـك نـاصرا
مـا غبـت عـنـك زهـادة لكننى … خففـت كى لا اشغـلـنـك زائـرا
هبـنى نـأيت تخففـا فالقـلـب لم … يـبرح ببابـك غائـبـا او حـاضرا

ومما خاطبه به ايضا سيدى الطاهر فى مثل هذا المقام قوله :

امرتـك شرق ثم غرب فان تجـد … اخا كاخيك اليوم فى الناس فانفض (2)
والا فـاقصر عـن عمـايـتـك التى … تريك القذى فى صفحة القمر المفى
فانى أنا الخل الذى لم يـزل وان … جـفـوت ورنـقـت المسرة يـرتضى

وقـولـــه :

لعمرى لئـن لم يغفـر الله زلـتى … لقـد هلكت نفسى ودامت مـذلـتى
أتيت عظيمـا حين أغضبت صاحبا … كريما على نصحى حريصا وصحبتى
وكـائـن لـه حـقـا على اضعـتـه … وما زال يغضى عن جفـائى وغلظتى

وقـولــه :

الا أبلـغـا عنى حبيبـا تـحـيـة … بـأنى لا انسـاه أحسن أو بـذا
فـو الله مـا بغـيره كنت آنـسـا … وان كان بـالرحمان منى تـعـوذا

(1) يقرأ هطل باسكان الطاء على انه مصدر مضاف الى كلمة الولى وهو المطر الثاني بعد الاول من الربيع وهو الوسمي .

(2) اي انفض يدك مني ان وجدت من يعادلني

وقولـــه :

ان كنت جلدا ذا اصطبار على النوى … لعمرك انى قد امات النوى صبرى
وما يستوى قلبان قلب اذا به الـــبـعـاد وقلب كان جلدا على الجمر
وانى اراك اليوم تزهـد فى الذى … يخصك وجـد منه اصفى من الخمر
فهـرك ولا عتـب وتنسب لى الذى … جنيت نعم فاغفر فديتك من اصرى (1)
فواصـل اذا مـا شئت اولا فانـه … ودادك ما ان زال يزدا دفى صدرى

وقـولـه :

عليـك ازكى سـلام طـيـب ارج … من ضيق الصدر من فرط النوى حرج
يـامن اذا ماطفى جيش الهمـوم على … قلبى فطلعـتـه تـوذن بـالـفـرج
ثم راكبا من جـواد العـز صهوتـه … ومن خضم بحار العلم فى ثبج (2)
وجـد اذا ساعـد المقدور عن كثب … بالوصـل انى لى لقيـاك ذو لهـج
وان يكـن ضن دهـر باللـقـاء فما … ارى عليك اذا مـا عقـت من حـرج
وعلما كنت فـادع ان يخلص من … كل المـهـاوى اخـاك منقـد المهـج
وان يقـال لـه ان جـاء يسـال من … باب الكريم الرضا يامرحبا فلج (3)

وقـولـه :

ازكى سـلام طـيـب منـى عـلى … خـل اذا خـان الـزمـان مـواسى
لم الـق يـومـا بـغـير وداده … ووفـائـه مـن بـين كل الـنـاس
الصاحب العـربى من مـا كنت فى … حـال لعـهـد وفـائـه بالـنـاسى
لا زال منقـادا لـه الآمـال مـحـروس المكانـة من أذى الارجـاس

وكان صاحب الترجمة كتب الى صاحبه هذا قطعة لم نقف عليها ، اولها :

ترقب ورودى عند أول حجة

فخالف من هذا الموعد فكتب اليه الاستاذ الافرانى :

عليـك سـلام طـيـب من اخ اذا … نهى النفس عن شوق لوصلك لجت (4)
… لك عهدا لا يحـل وان رمـا … ه رامى النوى يوما بازبد لجـة (5)
… ، وان خانت وعودك ـ تاركا … لعتبـك ـ عـذرا قاطعـا كل حجـة
… ك العـهـد النسى وانـه … (تـرقب ورودى عند اول حـجـة)

ومما قاله فيه الاستاذ الافرانى قطعة صدر كل بيت منها بحرف من حروف اسم المترجم وهى :

عراني من نحـو الحبيب بسكرة … زمـان سـقـانى مـن لماه بخمـرة
… بـدل من بـراعـة حسنـه … ومن حبـه بالسقم فى اللحظ مولتى
اعطالـه المعـروف حـاتم طـيء … يبخـل لكـن ضـن عنى بـوقـفـة
… بالبعـد ان كنت لاطـفـا … كاخلاقـه ، بـذاك خففت لـوعتى

(1) الاصر مثلث الهمز : المقصود به الذنب.

(2) الثبج من كل شيء وسطه او معظمه.

(3) من باب فعل

(4) لجت : عاندت .

(5) ازبد البحر تماوج شدة حتى علاه الزبد. واللجة بالضم: معظم البحر.

وقوله بديهة وقد سايره يوما :

خليل غن ، ان ذا اليوم طيب — صقيل السما والارض خضراء ، بمنيتي
وفي جلجلاني من غنائك طربة — وفي الشعر عن خير الورى اي حكمة(1)
فمن يك للغنا كريها فانه — لئيم ، ومن يكرم يكن حلف طربة

وقوله يمازحه كانه حبيب معشوق :

اليس بالظلم خلط الجد باللعب — وجفوة بعد وصل ، ذا بلا سبب
أحببتني بلذيذ الوصل ثم تشا — بمر هجرانكم قتلي مع النصب
من ذا الذي عن حياة الوصل عندكم — يسلو وعن خمرة من ظلمك الشنب(2)
حقا حياتي وموتي عند ذكركم — (الله اكبر كل الحسن في العربي (3)

ومن سيدي الطاهر اليه :

يا علما نودي بالرفع — معظما في كل ما جمع
ويا اماما حل في جسد الفضل محل العين والسمع
وافت رسالتك محفوفة — من المنا بكل ما نوع
هزل كما يبسم زهر الربا — والمزن تذري صيب الدمع
او مثل ما هدد ذو الوجد من — يهواه قصد المزح بالصفع
حتى اذا كان اللقا ابدل الصفع بفرط الصفح والنفع
حقا لأنت الروض في طيبه — ما تشتهي الانفس بالطبع
قد حزت في الآداب خصل المدى — مقدما في الشعر والسجع
اني تجاري في الفخار وقد — قرات حرف الظرف بالسبع
لا زالت الالطاف تسعى الى — بابك من وتر ومن شفع
ودمت ملحوظا بعين الرضا — بدر الهدى في دارة الشرع
مسددا في كل ما مسلك — مؤمنا من كل ما روع

وخاطبه ايضا بقوله :

اتم سلام ضاع كالمندل الرطب — على الالمعي السيد العربي الندب
فتى جمعت كل الكمال خصاله — وأضحى فريد الدهر في الشرق والغرب
فيا سيدي دم في هناء ورفعة — وحاسدك المبغوض لا زال في كرب
وذا بائس عطشان حط ببابكم — لترويه من بحر فضلكم العذب
ولا تنس يا مولاي من صالح الدعا — نزيلا غدا حيران من كثرة الذنب
بقيت ولا لقيت في الدهر نكبة — بجاه النبي المبعوث للعجم والعرب
عليه مع الاصحاب والغر آله — صلاة تعم الكون كالمندل الرطب

---

(1) الجلجلان بضمتين : القلب.

(2) الظالم بفتح الظاء وسكون اللام : ريق الثغر وبريق الاسنان، والشنب بياض الاسنان وحسنها .

(3) ضمن في اخر هذا البيت شطر بيت من قصيدة لابن النبيه وهو :

الله اكبر ليس الحسن في العرب — كم تحت لمة ذا التركي من عجب

وكتب اليه يستدعيه :

يا أيها العربي يا من وصله — اشهى الي من الزلال البارد
صلنا عشية يومنا هذا تجد — جمعا كفيلا بالمنى بالوارد
ازكى السلام عليك ما رقصت غصو — ن البان من طرب لصوت الغارد

وقال يخاطبه مع رسالة :

يا ايهذا العربي الذي — ما زال ماوى الفضل مغناه
عليك من مصفى الهوى مخلص — أعطر تسليم واذكاه
فلم هلالا في دجى ساحة — ضمت على حبك احشاه

هذه ثلاث خيالات سنحت بالخاطر ، ونفاثات سحاب غير ماطر ، جاءت على حسب ما تسنى ، لتهز عطف الاريحية من ذالك الجناب الاسنى ، فقابلها بالاثنين على مثالها ، فالحسنة بعشر امثالها ، والا فبحسب ما جادت به القريحة ، مما يجد به يعقوب الحزن من يوسفه ريحه ، فقد تنوب البطاقات مناب الالاقاة ، بل المساقات ، هي روح العلاقات ، وارع المناسبة في الجواب فهي اقرب الى الصواب ، وان شح ـ ومعاذ الله ـ الزناد ، او كبا الجواد ، فاستمر على الصنعة بصالح اهلها ، صانك الله من كلال القريحة او جهلها .

وقال ايضا يخاطبه :

الا ابلغا ان جزتما ارض (غسان) — أخا لم تثق نفسي سواه بانسان
سلام امرئ يرعاه بالغيب حافظ — ذمام الهوى ما دام حيا باحسان
وقولا له هل انت سال فانني — لعهدك لا أنسى كما كنت تنساني
والا فمالي لم اشاهد رسالة — تجدد عهدا من طريقة (ساسان)
تولى كاس المزاح على النوى — على نحو نثر الفتح او شعر حسان(1)
فمنى فكرا لم يزل عنك مثنيا — ثناء شذا ورد على جود نيسان

فاجاب الشيخ سيدي ابو الحسن الالفي عنه :

فقل ما للدهر من بعد احسان — يسيء وما للحب يعكس حسباني
بلى امر الشوق اعظم سلواني — واني لا ارعى العهود باحسان
الا وخصال حزتها ان تباعدت — مغانيك ما معناك ينسى بانسان
وقد خبل الشوق المبرح انني — لديكم وان عرقت في ارض غسان
سواد في سوداء قلبي وكيف لي — بنسيان من كلي وبعضي انساني
والفني نظم القريض وقد قرضت — قلبي برجل البين عنك وفرسان
واني انى من صادق الود مخلص — كسبعين جاءت من طريقة (ساسان)
عليك من الرحمان ازكى تحية — وازكى سلام ما تتابع املسان

وقال ايضا يخاطبه :

الــمس المجد والعز — وخلا بالصفا يجزى
عل مثواك ما غنت — حمام البان والجوز
سلام من اخ اصفا — ك ودا ثابت الغرز

---

(1) يعني الفتح بن خاقان ، وحسان بن ثابت .

وسارت نفسه وقفا　　عليك لم بالفوز
فما يخلو على حال　　لسهم الوجد من وخز
وان الهاك ما الهها　　ك عن تسليمة الرمز
وصدتك النوى عنه　　وما ان فيه ما يجزى
واقبال على اكل　　طحين اللوز بالخبز (1)
وقد أقسمت ان ساقتك أقدار الى حرزى
لاقتصن ما جورا　　بوكز فيك او لكز
على أني الى لقيا　　ك دأبا دائم الهز
وأدعو الله يولينا　　جميعا هيبة العز
وينجينا من الاسوا　　ء والادواء والرجز (2)
ويسقينا مع الاخوا　　ن كاس العفو والفوز

وكتب اليه أيضا :

من منصفي ممن أمازحه　　ثقة به فيغض من قدرى
ويعدنى سقط المتاع وقد　　أعددته لملمة الدهر
رأيي لديه مسفه فاذا　　ما قلت ينميني الى الهجر
ما حيلتي في جبره فلكم　　أبليت في ارضائه عذرى
يرضى ويغضب دون ما سبب　　ويسوء صاحبه ولا يدرى
ذهبت به في الغى نخوته　　فمضى على غلوائه يجرى
كالدهر لا يلوى على أحد　　والسيف لا يدرى بما يفرى

وله يخاطبه ويستدعيه هذا البيت المنفرد :

الا ان نار الشوق جاش بها الصدر　　اليك فمن بازديارك يا بدر

وكتب اليه على ظهر مكتوب :

وجهزتها بالفور لكن تاخرت　　زيارتها رغما ، فمهد لها العذرا

وله ايضا يخاطبه :

هب النسيم فاهدى القلب اشواقا　　وساق نحوى من الاهواء ما ساقا
سرى فاذكر عهدا بالحبيب مضى　　فأورث القلب ما عن حمله ضاقا
فبات مفترق الشمل ومجتمع الا　　حزان والدمع مثل القطر رقراقا
وكنت أعهده في كل نائبة　　جلدا يخف عليه كل ما لاقى
واليوم لما ألم الوجد ساحته　　ضم الجناح الى الترحال خفاقا

---

(1) قوله طحين اللوز بالخبز : فيه تعريض بان المكتوب اليه جبان ، اشارة الى قول من امر بالقتال :

فلا تامرني بالقتال فانني　　وحقك عبد ياكل الخبز بالجبن

على ان طحين اللوز يكثر في (إغشان) حيث المخاطب .

(2) الرجز بالكسر فالسكون : العذاب .

ان قلت ياقلب ان الرشد ان لاترى(1)　　تصبو لكل فتى سال وان راقا
يقول ما لى بهذا الرشد من أرب　　فانني لا ارى الاخلاف اخلاقا
هب انهم طردوني عن قبابهم　　فسوف انظر بعد الهجر اشفاقا
يا من اذا رحلوا حلوا القلوب وان　　حالوا على عهدنا جددت ميثاقا
وان سلونا سلونا نار وجدهم　　وان قلونا بقينا نحن عشاقا
ما ذا الذى ضركم ان جزتمونا(1) اذا　　احييتمونا فتحيوا منا ارماقا
فكيفما شئتم كونوا فلا بقيت　　نفسي اذا ما سلت او كنت مذاقا
فهاك منى عروسا متنقبة　　بكرا تغض حياء منك احداقا
عليك منى سلام الله ما زينت (1)　　من الطروس عقود الشعر اعناقا
وما تشوق صب للقاء وما　　هب النسيم فاهدى القلب اشواقا

سلام طيب الانفاس ، يزرى بعبير المسك من ذات الكناس (2)، يملأ الافاق ، ويسرى اليكم ما بين ارقال واعناق (3) تحمله الصبا فيثقل منها الكواهل والاعناق ، وتشيعه جيوش الاشواق ، وتغرد به حمائم الوجد ، على اغصان بان الفواد والرند ، فتخفف بعض الحنين والاشتياق ، عليكم وعلى من بكم ورحمة الله وبركاته .

هذا الروح قد بلغت التراق (4) والتفت الساق بالساق ، وعجز كل مداو وراق (5) وليس دون الله من واق ، وكل ذلك من الم البين والافتراق ، وليس له من ترياق الا التلاق ، فان كان موجبه ذنب اذنبناه . او غرض اخطاناه وما اصبناه . فقد اشهدنا الله انا تبنا . واليه في كل ذلك انبنا ، وان كان غير ذلك مما لم نعرفه . فنسالك ان تجاوز والافصل على قلوبنا ، صلاتك على الجنائز ، والسلام من اخيك المعتكف على اخائك . والواقف بقلبه على رسوم اخائك .

وقال ايضا :

هو الحب ان تختره فلتسحب الصبرا　　على كل ما تلقى وان تعلق الصبرا(6)
والا فدع عنك التملق انه　　محال يعود الرمل في تله تبرا
وخل ميادين الصبا بسلامة　　لاربابها واسلك سبيل الهدى تبرا
فما الحب الا نفحة حاجرية　　تزور الفتى يوما فتملكه دهرا
وتسلمه ما بين راج وخائف　　يرجي وصالا حان او يتقي هجرا

---

(1) كذا وكثيرا ما يقع في عروض البسيط مثل هذا لسيدي الطاهر ، وقد كنت داولته في ذلك يوما ، فقال انها غفلة .

(2) الكناس بالكسر : ما يكون فيه الغزال ، والمسك من الغزلان .

(3) ارقل في مشيه : اسرع ، وكذلك اعنق .

(4) التراقي : النحر .

(5) رقاه يرقيه رقية : استعمل له ما يعوذ به ، مما يتضرر منه .

(6) مخفف صبر بكسر الباء ولا يسكن الا في الضرورة وهو ككتف .

وقال ايضا يستدعيه :

يا عيبة الانس والعلياء والادب ... يا بدر افق سماء المجد يا عربي
هذا اخولا مشوق نحو وصلك في ... جمع بهي زدي بالانجم الشهب
فطر بريش الهوى والشوق نحوهم ... فانت قطب مدار الانس والطرب
عليك ازكى سلام الله ما طلعت ... يوما بمشرق كاس انجم الحبب

وقال ايضا يستدعيه :

ايها العربي طر بجناح الشـــوق نحو فتى اليك يحن
انت روح المنى وانس ضمير الشـــوق فيما يبديه او ما يجن

وقال ايضا وقد مشى معه في ليلة مقمرة :

وليـة انس لم يسامح بمثلها ... زمان ولم تظفر بها كف ظافر
تفضل فيها الدهر اذمات صرفه ... «فقال سيدى العربي»
بجمع كنظم صاغه فكر طاهر

ثم قال سيدى الطاهر :

وسر فؤاد الليل اذ نحن سره ... كما سر بالمحبوب خاطر زائر
وقدت مواضي البشر برد ظلامه ... كخمر اميطت عن وجوه نواضر (1)
ويرنو اغتباطا بدر ذا الجو اذ رأى ... بدور الفلا تمشي بمقلة حاضر

ولسيدي العربي :

يا شريفا علا على ذروة المجـــد فأضحى أمير جند السعادة
واماما غدا على منهج القو ... م فنال بذاك أوج السيادة
جد بوصل لعبد أمرضه الشـــوق لرؤيتكم فرام العيادة

وخاطبه ايضا بقوله :

سبحان من فاوت بين الورى ... قدم من قد شاء أو أخرا
وخصك الرحمان فضلا بما ... يرضى ، فما أولاك أن تشكرا
لو قيل أنت الناس كلهم ... ما كان مردودا ولا مفترى
ما ذاك الا أنه ربما ... اغنى عن الصيد اقتناص الفرى (2)
أو قيل أنت الطود حلما فمن ... أنكره يكاد أن يكفرا
أخ اذا أذنبت ذنبا غدا ... كأنه المذنب معتذرا
فاسمح فدتك النفس عن كل ما ... ذنب فان العبد ذا ذو اجتراء
لا زلت محفوظا ومرتفعا ... حتى تفوق الشمس والقمرا

(1) خمر . جمع خمار .

(2) يشير الى المثل المعروف : كل الصيد في جوف الفرى : اي ان الصغير ينطوي في الكبير .

وقوله يتغزل معرضا بما له من صحة الوداد نحوه :

ابى الحب ينبى عن فؤادى وطالما ... اقام به والقلب منى كالما (1)
ولم يرع لي حق الجوار ولو راى ... لانس مبعد الحبيب وسالما
اقول له والدمع بالخد سائل ... ونار الجوى تذكو وتبكي الغمائما
أتلمني ولا تروعك دعوتي ... فقال تظن غير قلبك سالما
ان شمت برقا او شممت حظيرة ... أو ان تسمع الآذان منك الحمائما (2)
تذكرت عهدا بالاحبة سالفا ... وأتعبت قلبا للصبابة رائما
فقلت : وبي ما شئت فافعل فانني ... على عهد أصحابي وان مت حائما
فكيف بسلوان وهم روح جثتي ... وما ان تراه خاليا منه قائما
بدور اذا جادوا غصون اذا انثنوا ... ظباء اذا هادوا رماح قوائما (3)
شمائل اخلاق ذوابل اعين ... وبالهمة القعساء ماطوا التمائما (4)
سلام عليهم ما ترجع طائر ... بايك لوى الاغصان منه عمائما (5)
فدوموا على عهد الصحابة صنتم ... بجاه الذى للكفر هد الدعائما
عليه صلاة الله ما نم مدمع ... باسرار صب ليس يسمع لائما
وآل وصحب شهب ملته ومن ... يشحذ للنصر القنا والصوارما

وقال يستثيره لقرض الشعر :

أمطلا وانت اليوم صاحب مال ... بدين اخ صافي الوداد موال
ومثلك يعتاد الوفاء خليقة ... ويمسك من هام العلا بقذال (6)
فلم لم تجرد صارم العزم صارما ... عرى العي عنك مثل حل عقال
فتدخل في بحر البلاغة آتيا ... بعقد قواف لا بعقد لئال
قواف اذا ما مص خمرة ثغرها ... كريم كساه العشق ثوب خيال
وان غازلت يوما نسيب صبابة ... تسلى بها عن عهدها المتعالي
وان سفرت كادت تميز غيرة ... عليها وغيظا كل ربة خال
فدا العيش ، لاراح براحة شادن ... على روضة حفت بكل جمال
فعجل بها نلت الكمال فانه ... لقلبي أحلى من لذيذ وصال

(1) اسم فاعل من كلم : جرح . والقلب مفعول به مقدم .

(2) الحظيرة : ما احيط بحاجز والمقصود ما تحاط به خيم الحبائب .

(3) هادوا : تهادوا .

(4) ماط وأماط : نحى وازال وتنحى وزال ، والمراد الاول ، اي لما ازالوا تمائمهم عوضوها بالهمة القعساء .

(5) اي شجر الايك الذي جعل الاغصان مكان العمائم ، كناية عن نموه وازدهاره .

(6) القذال : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .

وقال ايضا :

صحا بعد طول سقام فؤادي   واورى ، وكان شحيحا ، زنادي (1)
وسابق في الشأو كل ضليع   وقد كان قبل ضعيفا جوادي (2)
ونلت من الدهر ما أبتغيه   وأصبح يسعفني بمرادي
فلو رامني كل خطب لما   هداه الى موطني كل هاد
فاصبح يرمقني من بعيد   بعين طريد عن الوصل صاد
(أويت الى حرز حامي الذما   ر منيع الجوار رفيع العماد) (3)
شفيق رفيق حفي وفي   رحيم حليم صفي الوداد
عيادي ملاذي اخي العربي   اكرم من في الربا والوهاد
له في الفؤاد من الود ما   مدى الدهر ما ان له من فساد
ويعجز شكر الذي كان عندي   له من أياد فصيح اياد (4)
ولو أن كل عضاه الفلا   ة وما في البسيط لسان ينادي
وافنيت عمري في شكره   وما في طريفي وكل تلادي (5)
لما بلغت عشر معشاره   أيحصى الذي ما له من نفاد ؟
جزاه الاله برضوانه   وايانا اجمع يوم المعاد
عليه صلاة يضيق لها   فسيح الرضا كلما صاح شاد (6)
وآل وصحب واتباعه   من الثقلين ليوم التنادي (7)

وقوله :

الام رعاك الله هذا التغيب   وقد ساءنا أن طال منك التجنب
فانت لنا كالبدر مالاح نوره   على القلب الا زال للهم غيهب (8)

وكتب اليه في عنوان رسالة هذا البيت المفرد :

واذا طوى ثوب النوى بوصاله   غفر الهوى ما قد جنى ومحاه

وقال يخاطبه اثناء رسالة :

خذي ياصبا تحيتي واهبطي بها   ديار سليمى ثم عودي بطيبها

---

(1) اورى الزند : قدحه.
(2) الضليع : الشديد الاضلع او القوي.
(3) لعله بيت قديم.
(4) فصيح اياد : قس بن ساعدة الايادي الخطيب الذي يضرب المثل بفصاحته.
(5) المال الطريف : المكتسب حديثا ، والتلاد والتليد : الموروث .
(6) الشادي : المغني .
(7) يوم التنادي : يوم القيامة .
(8) الغيهب : الظلمة .

وقال في مثل ذلك :

قفا بي اعلل من نسيم الصبا نفسي   ففي طيها من نشر انفاسهم انسي

وقال يمازحه وعليه عمامة :

فان تفخر بالتاج فالقرد ربما   تتوج وهو عند ذلك اقبح

ثم كفر عن ذلك بقوله في الحين :

اذا عقدوا تيجانهم خلت انهم   بدور تبدت في برود الغمائم

ذلك ما يظهر من انه هو الذي خاطبه بالبيتين من وجودهما بين ما يخاطبه به فيما نقلنا منه .

وقال وقد خرج معه غب مطر وقد ازينت الارض بازهارها :

احيا الحيا زهر الرياض كمثل ما   يحيي نسيب الشعر فكر اديب

وقد وجد في البيت بعض تصحيف لعله من النساخ ، فاصلح هكذا .

ذلك ما تيسر ان نورده هنا مما كان بين المترجم ورفيقه من الاخوانيات ، وكل ما مضى ينبغي ان لا يحمل الا على ما ينفث به انسان نحو من يعرفه يقبل منه كل شيء ، فلا يجتهد في الاجادة ، ومعلوم أنه يتسامح في هذا النوع من الاخوانيات ما لا يتسامح في غيرها ، وللشاعر الافراني مداعبات كثيرة نحو صاحب الترجمة لطول الصحبة بينهما غير اننا لم نقف على جل رسائله اليه .

مع الاديب سيدي محمد بن الطاهر الافراني

قال ابن الطاهر يخاطب المترجم :

احمل هبات النسيم سلامي   الى خير من قاد العلا بزمام
بجاري سوابق الرياح معطرا   كنفح زهور الروض غب غمام
الى سيد يهديك نور جبينه   اذا غاب في الظلماء بدر تمام
وشيخ له أعلى السيادة رتبة   مفاخره تزري بدر نظام
ومن طبق الافاق أنباء جوده   فجابت اليه العيس قفر موامي (1)
سما لاقتناء المجد والفخر يافعا   فليس مساويه وليس مسام
وعادت به الارجاء مشرقة كما   أزال ضياء البدر كل ظلام
فيا سيدا عم العوالم فضله   وسال ندى راحاته بسجام
بقيت بقاء الراسيات مشيد المعالي مصونا في اعز مقام

فاجابه سيدي العربي بقوله :

حللت وثاقي يا اجل امام   ويا نجل ميمون النقيبة سام
واسقيتني من بحرك العذب صافيا   بمزن قواف لا بمزن غمام
وشرفتني والله يحرس مجدكم   بتوجيه ما أزرى ببدر نظام
وابديت فيه كل معنى مناسب   يروق ببدء منه ثم ختام

---

(1) جاب الارض : قطعها . والعيس : النوق . والموامي ج موماة : المفازة.

وحملت متن الريح اى تحية … فجاءت عل وفق المنى بسلام
فلا زلت مكلوءا بعين عناية … مجنب آثام رفيع مقام
ادام اله العرش والدك الذى … غدا ناصرا للدين بدر تمام

ثم كتب بعد هذا :

كان ابن عمار يشير الى الذى … قصدت فقال فى الرياح النواسم
(تبلغنا انفاسه فيردها … بأعطر أنفاس وأذكى لناسم)
(تسير علينا ثم عنا كأنها … حواسد تمشي بيننا بالنمائم)

الولد الذى تولى الله تعالى ارشاده ، فجدد به من المجد ما بناه ذلك السلف وشاده ، وجدل كل قرن يسامته وساده ، وكيف لا وهو الفاضل الذى ما أتاه الفضل عن كلالة ، والمهدى الذى لم يظفر بالهدى عن ضلالة ،

(وما فيه من خير رايت فانما … توارثه آباء آبائه قبل)

فهو فرع السودد وينبوعه ، واذا طاب الاصل ، فخليق ان تطيب فروعه ، الا وانه الكريم ابن الصيد الاكاريم : مولانا ابو عبد الله محمد بن الطاهر ابن محمد ابن ابراهيم ، حفظ الله تعالى من الافول بدره ، وأدام فى الصالحات ذكره ، وسلام الله ورحمته عليه ، ومن به واليه ، من والد واخوال ، وجيران وآل .

وبعد : فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، واساله لنا ولكم دوام الرضا . واللطف فيما جرى به القضاء ، وانه وصل الى الضعيف ما اسديته ، وخصصته به وله أهديته ، فعانقته معانقة اللام للالف ، وانزلته على الفؤاد الذى بالبعاد دنف ، والله تعالى المسؤول فى مكافاتك على حسن العهد والظن الجميل ، ثم حمل حامل الشوق الذى لا يرد ، وجمع بنا جموح الحب الذى لا يجالد ولا يصد ، على تكلف ما يشبه ان يكون عن ذلك جوابا ، اذ الاعراض عن جواب مثلكم لا يعد بكل حال صوابا ، فاقبله أيها الاخ على ما فيه ، واعيد السلام على الشيخ الوالد وعلى الخالين مولانا البشير والقرشى ، واسالهم صالح الدعاء كما اسالك ذلك . والسلام .

وقال فى المترجم بعض الطلبة لا ادرى الآن من هو ــ لعله ابن الطاهر ــ

سلام كبشرى بالتدانى تجددا … بعيد تناء طالما كان بددا
سلام كاذكى المسك ينفح ما الصبا … ترنح خيطانا من الرند ميدا(1)
على عالم الاعلام حصن ملاذه … وكالقطر فى يوم الندى يجزل اليدا
مليك المعالى سيدى العربى الذى … بسؤدده قاد القلوب وقيدا
وداوى باكسير من العلم كل ما … كسير حماه الله أسود أصيدا
ورد بهتان الجدى كل ذابل … من آمال من وافاه أملد أميدا
وصانه بدرا فى الغياهب ذا هدى … وأبقاه ماوى الناس فى الخطب والردى
وفى العلماء الناصبين نفوسهم … لنشر علوم الدين فى صدر من هدى
ليهنه سير السعد والمجد حيثما … يسير ورعب فى قلوب ذوى العدا

(1) الخوط : الغصن

اذا كان برق العهد فى الناس خلبا … يفى عهده ولو تجاوز فرقدا (1)
فان العبيد من سيادة شيخه … قد ارتاد الاعتذار ملبين مرشدا (2)
وان يستعده من الخالص الوفا … فسؤدده لم يرض الا تجلدا
فسد سخيف القول منى بما ترى … من القول منك فاق درا وعسجدا (3)
فانتم لهذا العصر شمس نهاره … وبدر الدجى لمن تحرى للاهتدا
ولا زلت مولانا معانا مؤيدا … وحزب اعاديكم مهانا مهيدا (4)
جزاكم اله العرش عنا اجل ما … جزاكم واولاكم مناكم وازيدا
وسددنا للذ يوالى رضاكم … ونساله فوزا ، باعلى الورى يدا (5)
صلاة وتسليم عليه وآله … وصحب له غر وكل من اقتدى

ومما نسب المترجم من النظم قوله ــ كما وجد بخط ابن الطاهر ــ

رب منع اتى وفى ذاك نفع … وعطاء لمن ثوى فى الفؤاد
مقتضى الحال والنصيحة يرعى … وسواه المهجور عند الوداد

ذلك ما تيسر مما قاله الاستاذ العربى او قيل فيه ، ونصرح بان اثاره القيمة انما هى فى منثوراته ، ولكن لم نجد منها الا البعض القليل ، لذلك نعلن ان آثاره القيمة لا تزال الى الآن محجوبة عن التاريخ ، ونخاف كثيرا ان تلبس حتى تتبعثر ، فلا تكون لصاحبها المكانة التى تكون له بها ان عرضت بعد فى مسرح التدوين ، ولعل الحظ يلحظه فيستدرك شيئا منها .

وفاته

ذلك هو مجد الاستاذ العربى بن محمد الساموكنى ، امام التدريس ، وصدر المجالس ، ورب البيان ، وصاحب الهمة العالية المندفعة المتموجه كالبحر فيقبل ويرد ، وبذلك امضى ما بين عام 1306 ه الى عام 1329 ه فى مجد مؤثل كما ترى ، فادرك من السودد ما ادرك ، فحين بلغ القمة ادركه ما يدرك كل شمس مشرقة فى الاصيل ، فدخلت فى مغربها وذلك بعد مرض غير طويل وفى حال صحة وقوة لم يكن يظن انه يهصر معهما غصنه بسرعة ، ولكن انى ما لا يفرق بين الاسنان ، او يراعى مجد العرفان ، فالتحقت روح الاستاذ بربها ليلة الاثنين ثالث عيد الاضحى ، فاقبر فى مقبرة (تاباحنيفت) حيث آخر ارض مس جلده ترابها (على عكس ما يقولون) وقد خلف ولدين محمدا واحمد لم يعلقا باهداب والدهما ، والثانى كان من العملة فى فرنسة ثم توفى ، والاول لا يزال حيا .

(1) الفرقد : نجم .
(2) اى من البين ، وحذف النون مع ال معروف عند العرب ويسمى لغة بلحرث بن كعب .
(3) (اقر الخصم وارتفع النزاع)
(4) هيده تهييدا : افزعه وكربه وحركه ، ومثله هاده يهيده هيدا وهادا .
(5) اللذ باسكان الذال لغة فى الذى .

مــراثــيــه

فقد الادب العربى الالفى احد اساطينه فى الاستاذ العربى المبين ، فقامت قوافى الادب العربى تسلسل عبراتها على مجر ذيوله ، فكانت قصائد عديدة نوردها فيما يلى :

قال الاستاذ الشاعر الفحل رفيقه الطاهر بن محمد الافرانى :

الدهر يعقب ايناسا بابلاس … ويعكس الامل المرجو باليأس (1)
من عاش مات ومن عز يذل ومن … أثرى تنكد أو يمنى بافلاس
بينا ترى المرء مغبوطا تعمده … سهم الرزايا فالقاه على الراس
قد قهر الله بالموت العباد فلا … يشذ عن حكمه حي من الناس
لا ملك صانه منه تجبره … ولا احتماه بابواب وحراس
أين الاكاسر بل أين الفراعن بل … أين دهاة أمية وعباس
أين ذوو العلم والحكم المسمط أم … ذووا العطا والندى والسطو والباس
دعا الورى آدب المنية الجفلى … فلا يجيرهم طب ولا آس (2)
فالموت كاس ولا حى يعاف ، وان … مر المذاق ، شراب تلكم الكاس
من كان لا بد أن ياسى على احد … فليبك خوف رداه الوارث الآسى (3)
ابعد ما ذهب الصحب اللدات ترى … ترجو البقاء وانت (الطاعم الكاسى)
فاهد صبرى ولا أوهى قوى جلدى … الا أخ خان فيه الزمن القاسى
أخ به لذ لى صفو الحياة فمذ … بان فلا مونس الا الاسى العاسى (4)
آه عليه أخا ما مثله احد … آه على العربى الجبل الراسى
أنس الضمير خليل الروح خدن صفا … عين الوفا خير خلانى وجلاسى
حب رسا بيننا فى الله راسخه … كأن عقدته شدت بأمراس (5)
كان السمير الانيس للفؤاد فمذ … بان تبدلت وحشة بايناس
فأى علق ثمين كان لى اختلست … يد الردى ، والردى اخبث خلاس
خلق كما صافحت كف الصبا سحرا … زهر الخميلة من ورد ومن آس
ونور علم اذا ليل العويص دجا … أنار للناس منه أى نبراس (6)

---

(1) ابلس : انكسر وحزن ، تحير .
(2) اسا الجرح ياسوه : داواه ، والجفلي بالجيم والحاء : الدعوة العامة ضد النقرى
(3) اسى كفرح اسى : حزن .
(4) العاسى : الجافى .
(5) جمع مرس بكسر الراء : الحبل .
(6) النبراس : المصباح .

يا طالما سهرت عيناه فى طلب الـ … ـابحاث جنح الظلام الغاسق الغاسى (1)
وكم وشى الطرس بالخط الرفيع كما … توشى نحور الدمى بالدر والماس
يا ملقت مثله عين ابن مقلة بل … ما خطه خط مصرى ولا فاسى (2)
ان جال فى عرصات البحث خاطره … أجلى بنور الذكا ظلام الباس
أو صال بالقرن فى يوم مناظرة … أنساك فتكة براض وجساس (3)
حاز خصال العلا والمكرمات فلم … يشن بلولا ، ولا ليت ، ولا باس (4)
وقام بالعلم فى دهر يقل به … من ينتحيه سوى افراد اكياس
فلتبكه اذ توى عين العلوم معى … بمدمع الحبر فى صفحة قرطاس (5)
فلا معين على حر المصاب به … الا البكا والاسى أو حر انفاس
من كان يبقى على طول الزمان اخا … فلست يا عربى عوض بالناسى
لازال غيث الرضا ينهل هاطله … على ضريح حواك بين ارماس (6)
منى عليك سلام الله ما ندبت … ورق على غصن فى الروض مياس

وقال الاديب الكبير احمد بن الحاج محمد اليزيدى :

الدهر مولع بنقض الذمام … وان صفا يوما تكدر عام
كم آنس من فتكة آمن … رماه عن قوس الردى بالحمام
بينا الانام فى فنون المنى … قوضهم ريب المنون الحيام
الدهر لا يبقى على حالة … لا تغترر من وجهه بابتسام
ان مر ساء او تدانى نأى … ما نال منه أحد من مرام
وان اتى بالمشتهى نيله … أعقبه فى الحال بالانصرام
او اضحك المرء بما ناله … أبكاه او خفر شخصا يضام
وان بدا لجاهل ساكنا … فالليث يلبد ان الوثب رام
لا تغترر فالدهر شيمته … وضع الاما جد ورفع اللئام
يولهم ذلا اذا شاء او … يهلكهم لا يختشى من ملام
اين الفراعن واين الالى … قد غبروا وهم ملوك عظام
اين الذى رفع اهرامه … وأين ذو القرنين اقوى الانام
اين الاكاسر العظام ومن … شادوا الخورنق الرفيع المقام

---

(1) الغاسق : المظلم ، ومثله الغاسي .
(2) ابن مقلة : الوزير الخطاط المشهور . ومقله : نظر اليه بالمقلة
(3) المراد البراض بن قيس الكناني قاتل عروة الرحال وجساس بن مرة قاتل كليب بن وائل :
(4) اي لا يقال فيه ما احسنه لولا انه كذا ، او ليته كان كذا ، اولا باس ان لم يكن الا كذا .
(5) توى كفرح : هلك . وتفتح الواو على لغة طيىء :
(6) الارماس جمع رمس : القبر .

وايـن شـداد الـذي قـد بـنـى   ارم ذات عـمـد من رخـام
ايـن سـلـيـمـان الـذي مـلـكـه   جـل فـلـو يـبـقـى مـليـك لـدام
وايـن مـن اسرى بـه لـلـسـمـا   فحـاز أنـوارا بـهـا القلب هـام
صـلى عليـه الله والآل والصـحب الـهـداة الماجـدين الكـرام
ايـن الـغـطـارف الـشـداد الالى   حـازوا الكـمـال ووفـوا بالذمـام
اين الـعـلي الـقـدر أيـن الـذي   نـوالـه ازرى بـجـود الـغـمـام
شهم الندى سهم الـردى ان عـرت   لاواء فـهـو الـبـدر بـدر التمام
مـا ابـن الـمـراغـة على قـدره   من البلاغـة يجـارى الهمـام (1)
المرتـضى ابـن المـرتضى الـعـربي   ابـن محـمـد الجـلـيـل المـقـام
من للـبـلاغـة ومـن للـعـلا   من للـفـضـائـل وحـر الـكـلام ؟
مـا انس لانس الذي مـا دجـا الـدا شـكـال الا وازاح الـظـلام
اخـنى عليـه الـدهـر واستعجمت   تـلـك الـبـقـاع لا تـرد السـلام
ان خـط مـا ابن مقـلة ؟ او غـدا   ينـشر مـا عبد الحمـيد الامـام (2)
او جـال فى القـرطـاس بـذ ذكـا   أقـرانـه فـسـلـمـوه الـزمـام
مـا شئت من طـبـع رقيـق ومن   عـذوبـة ورقـة وانـسـجـام
مـرى ضروع الـعـلـم حتى غـدا   شـمـس الـعـلاء نـيـله لايـرام
خلـق كما هبت صـبـا فى ربـا   خميـلة ، أو مثـل صـافى المدام
عـلـم كـبـحـر زاخـر مـزبـد   فـدره يـزرى بـدر الـنـظـام
عـزم لـو أن الجـبـل الـراسى الـصـلد يـقـابـل لـصـار الـركـام
مـا كنت ادرى قـبـل ان الـثرى   يـكـون مسكـنـا لـبـدر الـتـمام
فلـتـبـكـه بـالـقـان من مـدمـع   حـتى تـودى حـقـه يـا غـلام
لـو يـقـبـل المـوت فـداء فـدتـه بالرضـا نـفـوس قـوم كـرام
واحـزنـا عـن سـيـد زانـه   عـلـم وحـلم ونـدى واحـتـشام
فـالـرزء كـل الـرزء مـوت ابي   محمد شـيـخ الهدى المتـسـام (3)
قـد خلـف الاكـبـاد مـقـروحـة   بجـائـش من وجـدهـا والـغـرام
دعـاه ربى فـاسـتـجـاب لـه   يـا حـبـذا الداعى لـدار السـلام
لـكـنـه خـفـف هـذا الاسى   بقـاء ركـن المجـد والـديـن دام
المـرتـضى الشيخ الامـام الـرضـا   من وضـع العلوم فـوق الثمام (4)
شـيـخى الـزكى الطـاهـر المرتضى   المـعـتـلي الـقـدر البعيـد المـرام
جـزاه رب الـعـرش خـير الجـزا   عن امـة الـهـادى عليـه السـلام

---

(1) ابن المراغة، المراد به جرير الشاعر ، لقبه به الفرزدق في مهاجاته ، واصلها مراغة الدواب في الارض الخ .

(2) ابن مقلة وعبد الحميد كاتبان معروفان: الاول بالخط والثاني بالانشاء.

(3) المراد المتسامي .

(4) يقال هذا الشيء على طرف الثمام: اي قريب والثمام نبت ضعيف لا يطول.

صـل الالـه عـن نـبي الـهـدى   والآل والصحـب بـدور الـتـمام
مـا أحيت الصب العميـد الصـبـا   وفـاح بالانـفـاس مسك الختـام

وقد اجابه الشاعر الافرانى الذى يقصده فى آخر القصيدة بقوله :

نظمت يـا احمد حـر الكـلام   قـلادة تـزرى بـدر النـظـام
مرثيـة فى خـير خـل غـدا   سيفـا ففـل شبـاه الحـمـام
العربى اسمـا ووصف نـدى   وهـمـة وشرفـا واعـتـزام
بـوأه الـلـه بـرحـمـتـه   فى جنـة الخـلد اجـل مقـام
جازاك خير مـا جـزى محـسـنا   عن شيخك المرحوم رب الانـام

وقال الاديب سيدى محمد الاعمرى التيملى :

تـبـا لدهـر مـا رنـا ذا شـان   الا رمـاه بقوسـه المرنـان (1)
أصمى الفتى العربى خير من اعتلى   قمم المـعـالى بـين مـا اقـران
فلكم سما للمجد ذو فضل بـه   وأراه فـوق مـرامـه بعـيـان
فـعـدت عليـه فاختلت ازهـاره   من روضـة ملتـفـة الاغـصـان
لا تغتـرر يـاذا النهى مما حـوت   أيـدى المـنى فى السر والاعـلان
مـا ان رايـت مسرة الا وقـد   عوضت عنهـا خالـص الاحـزان
اين الملوك واين ما شادوه ، من   أبـنـاء قيصر او بنى سـاسـان
أيـن الذى ملك البرايـا كلهـا   قـاصى البـلاد يسوسه والدانى
وعنت لـه بلقيس من سـبـا لمـا   شهدت بـه من ساطـع البرهان
أيـن الدهـاة من الفراعنة الالى   سـادوا وشادوا عـالى البنـيـان
هبت اعـاصـير الدهـور عليهم   فاستاصلتهم فتكة الحدثـان (2)
بل اين من هم صفوة الرسل الالى   قـد اسسـوا بشريعـة المـثـان
ازكى السلام عليهـم مـا غردت   قمرية فى مـورق فـيـنـان (3)
اين الصحابة خير من نشروا الهدى   بالعدل والاخـلاق والمـران (4)
أيـن الجهـابـذة الالى كـانـوا لديـن الـلـه حصـنـا راسـخ الاركان
من كل فـذ فى العلوم غطمطم   او ناسك قـاد العلا بعـنـان (5)
هيهات قـد طوت المنيـة بسطهم   فـكـانـهم لم يلمحـوا بعيـان

* * *

مات الامام ابو المعارف والجدى الـرحب الفنا ذو الفضل والاحسان
العـارف العربى ابـرع عـالم   فذ الـذكا ما ان لـه من ثـان

---

(1) المرنان الكثير الرنين .

(2) حدثان الدهر بكسر الحاء واسكان الدال ، وحدثانه بفتحهما : نوائبه.

(3) الفينان : الطويل الحسن .

(4) المران : الرماح .

(5) الغطمطم : البحر .

درس الفنون وغاص بحر بيانها   غوص الذكي بـلازم الامـعـان
فـاتي بـدر منه يـلـد بـه الالى   جـاروه جهدهم لدى المـيـدان
فاذا قـري انسى سماحـة حاتم   واذا قرا اربى على سحبان (1)
كم مزنـة قـد هاطلته بوبلهـا   تلقى السلاح لوبله الهتان (2)
مـا كنت ادرى قبـلـه ان الثرى   يثوى بها بدر الهدى النوراني
لو يقبل الموت الفدا لفدتـه ار   واح المكارم بله ما الاقران (3)
قد خلف الوجد العظيم فلا ترى   الا دموع الحزن فى الاجفان (4)
لكن يخفف بعض مـا من رزئـه   ذكـر اقتضا الاثمان من مديـان
هطلت على مثـواه سحب تحيـة   من ربنـا محيى الورى الرحمان
بنبيـه صـلى عليه اللـه مـا   اشجت حمامـات على القضبـان
وعلى حماة الدين اصحاب النبى   من كل قرم فى الوغى غضبان

ولبعض الالغيين تناول بالاصلاح فى ابيات قليلة معدودة من هذه القصيدة لكثرة ما عبث بها النساخ حتى دخلها بعض تحريف .

ولما تسابق كل ذى مقول فى رثاء المترجم ولم يشارك شيخنا ابو محمد الالغى ليم على سكوته لان للمتوفى عليه منة التربية ، فقال :

قالوا : ولم لست ترثى سيدى العربى   وانت أولى به فى العجم والعرب
فقلت ما ذاك انى ما اصبت بـه   وحـاش لله أو من سوءة الادب
لكن عدتنى عن قـولى محاسنه الـــعـد ، فعدى لها نوع من الكذب
وخفت عجزى وتقصيرى ، وظن بى استـيـفـاء حق معالى تلكم الرتب
فعاودونى وقالوا : شان شأنك ان   اهملت قولك فيه وهو خير اب
فقلت كيف رثا من لو يراسله الـدهر لقال له : من عبدك الترب (5)
او لـو يفاخره بـدر أقـر لـه   برفعة القدر والمقدار عن غلب (6)
او لوتباريه شمس الافق لاعترفت   بانـه الشمس حقـا غير مغترب
او لو يجاوده البحر اقتضى عجبا   من جوده واجتداه فضلة النشب (7)

(1) سحبان وائل : خطيب مصقع يضرب المثل بفصاحته :
(2) الهتان : المطر المتتابع .
(3) بله : اسم فعل بمعنى اترك ودع ، اي لفقدته ارواح المكارم فضلا عن ارواح الاقران .
(4) من معاني كلمة الوجد : الحزن ، وهو المراد هنا .
(5) الترب : اراد به الشديد الفقر .
(6) الغلب بفتح اللام : القهر والانتصار .
(7) النشب : المال الاصيل من الناطق والصامت .

لغير ذلك من شموس المعالى غدت   طوع يديه بلا كد ولا تعب (1)
جادت ضريحك سحب الله صيبة   من رحمة الله تترى غير مكتئب

ووقفت على رسالة للشاعر الافرانى الى هذا الشاعر يقول فيها :

وقد انهى الينا سيدى محمد بن على مرثيتك لسيدى العربى ، فحسن عذرتها ، وغزر منبعها ، وبلغت على وجازتها ما لايبلغه الاكثار ، فلك والحمد لله البارع الامد ، والسهم الاسد ، والساعد الاشد ، فتقدم فانت المجلى ، وتحكم فانت المتولى ، وقد نبهت النائم ، واقعدت القائم ، واثرت العزائم ، فتداعت الخواطر فى ذلك الغرض ، والفضل للمتقدم .

وقال شيخنا سيدى محمد ابن الاستاذ الطاهر الافرانى يعزى والده فى رفيقه المترجم :

ذوى الفضل والافضال والمجد والفخر   غداة توى فذ العلا العربى الحبر (2)
وعم تـراه المكـرمـات بـاسرهـا   وغاب بانـوار الهـدى ذلك البـدر
وولت عفـاة الجـود باليأس بعدمـا   اصابـهم من بـذله الوابـل الغمر
وابدين خريدات الـعـلوم مئاتمـا   على فقـده اذ عطـل الطرس والحبر
.. مـثـله فلتسكب العـين دمعهـا   فما مـثـله والله يـاتى بـه الدهـر
..ال قليل فى الوفـاء ولـو همت   بحمر حكى تهطالها الصيب الثر (3)
..ف قـلوب قـد اذابت حميمها   لـواعج احـزان يؤججهـا الـذكـر
.. اللـه دهـرا لاتـزال لـه على   ذوى الفضل غارات يحار لها الفكر
.. سيفه سيف العزائم مـاضيا   ومن قبل ماادرى اتفرى الظبى البتر (4)
.. للعلوم تسهر الدهـر عينـه   لحـل عويـص المشكلات اذا يعـرو
.. بعده للمجـد يـهـتزان اتى   الى بـابـه عاف الـح بـه الـفـقـر
.. بعده يشكى الحـزين ويرفع المـــهـين ويـؤوى من عـرا قلبه الذعـر
.. بعده يولى النزيـل كرامـة   فيغمره الاحسـان والبسط والبـر
.. بعده يهدى الضليل الى الهدى   بنور علوم مثل ما تشرق الزهر (5)
.. كان للدنـيـا جمـالا موفـرا   كما زان ، لبات يـلوح بها ، الدر
.. عليه الدهـر خيـل عدائـه   فعطـل من حسن الحـلى ذلك النحر
.. ذاك العـز والحـلم والندى   ونفسا لها فى كل ما يحمد الصدر

(1) الاتوس : الشديد الجرىء .
(2) توى : هلك .
(3) يقال مطر ثر : واسع القطر غزيره .
(4) الظبي بضم الظاء : حد السيف والسنان ونحوهما ، والبتر جمع ابتر .. مراد : القاطع .
(5) الزهر بضم الزاي جمع زهراء يعني النجوم

وحكمة للقمان وراي ربيعة ... الى ادب تلنى برقته الخمر (1)
وعلى رسوم المكرمات وقد زهت ... به مثل ما يزهو بربته الخدر
واضنى قلوبا تشتهى ان تصونه ... بانفسها اما عرا فادحا امر (2)
فما باله لم يرع مجدا مؤثلا ... بناه ولا خلقا حكى لطفه الزهر
ولاحق افراخ يكف يد العدا ... ء عنهم فلا ناب يروع ولا ظفر
فيا عجبا للطود كيف تقله العـ ... ـواتق ، والداماء قد ضمها قبر

* * *

امولاى هل تصغى لدعوة نازح ... همت عينه حزنا وحق له العذر
يرى الصبر من عاداته قبل ، كلما ... عرت حادثات لا يقوم بها ازر (3)
الى ان رماك الدهر بالخسف فانقضى ... تجلده اذ عنك لا يجمل الصبر
تكلف عجزا ذى اللفاظة عله ... يخف بها بعض الذى ضمه الصدر (4)
يريد اداء البعض من حقك الذى ... تكاثر حتى ضاق عن حصره الشعر
ليهنك يامولاى ان فزت بالرضا ... لدى ملك ينمو لديه لك الاجر
حباك جنان الخلد من محض فضله ... بها كل ما تبغيه ياحبذا الذخر
سقى تربة ضمتك هاطل مزنة ... وفى الدمع ما يكفى اذا اعوز القطر

* * *

نعزى بها شيخ المشايخ من غدا ... بافق الهدى شمسا اضاء بها العصر
امولاى يا مغنى المكارم من له ... مناقب يفنى دونها النظم والنثر
تعز عن المفضال صاحبك الذى ... قضى ، اذ قضى ، صفو المودة والبشر
فلبك لنا والحمد لله غنية ... عن الخلق لازيد يرجى ولا عمرو
بقيت امام العالمين فانه ... اذا عشت حيتنا الامانى والخير
منيع حمى رحب الجناب مهنئا ... بما نلته من نعمة ما لها حصر
بجاه رسول الله افضل كل من ... يؤمله جان اضر به الوزر
عليه صلاة الله والصحب والالى ... هم اهله الزهر الغطارفة الغر

* * *

عليك سلام الله مولاى ما سرى ... نسيم وما غنى على ايكه الطير
وما حن مشتاق اضربه النوى ... الى ساكنى نجد وما طلع الفجر

---

(1) لقمان الحكيم المذكور في القرءان الكريم، ويعني برأي ربيعة : ربعة الرأي شيخ الامام مالك بن أنس، سمي بذلك لانه اول من قال برأيه في التشريع في الحجاز ففتح باب القياس

(2) فادحا حال من امر فاعل عرا

(3) الازر هنا القوة

(4) ذي اسم اشارة مفعول تكلف واللفاظة بدل منه، وهي ما يلفظه الانسان، يعني القصيدة

وقرات بخط الفقيه سيدى عبد الله بن محمد السملال الامغارلي من تلاميذ المترجم ما نصه :

ومما اجراه الله على لهجة الكاتب عفا الله عنه ، وادام عونه من لدنه ، تابينا لشيخه الفقيه الناسك العلامة القدوة المشارك سيدى العربى بن محمد الناظرى دارا الساموكنى نجارا ، ما هذا مثاله :

زهبت عيون العصر اين الماء ... والرهط فيها مهجرون ظماء
مرهفون صبابة مشنوة ... ما واردوها الدائرون رواء
وانبرت الارجاء لما اقلعت ... مزن السماء واخلف الانواء
وغدا هشيما كل روض ناضر ... انق فكل مسامة عجفاء
وهوت نجوم السعد فاستعل بها ... من بعدها الدبران والعواء (1)
فالعيش ضنك بعدها ومنغص ... والورد رنق والرباع عفاء
زهب الامام السيد العربى الرضا ... فتراكمت لذهابه الظلماء
وترادفت من قبله الاعلام فى ... اقطارنا وتولت العلماء (2)
كاماما الافران ثم الشيخ ماالعينين ثم تكاثرت اسواء (3)
وهمامنا التمل قبلهما معا ... اودى وللآنام بعد شقاء (4)
كادت نفوس القوم بعد ذهابهم ... عنهم تفيظ وبعد فاظ علاء (5)
فسقى ضرائحهم سحائب رحمة ... رب له الافضال والاعطاء
وحباهم الفردوس فى غرفاته ... حيث النعيم الجم والعلياء
واباحنا ذاك المقر باثرهم ... وابـاحنا ما نرتجى ونشاء

* * *

اسفا لاعلام شوامخ سيروا ... وهم معاقل لائذ ووقاء
ياربِ فاجبر كسرنا وتلافنا ... باطبة تشفى بها الادواء
ومعاقل تؤوى المروع وجنة ... ومرابع تكفى بها اللاواء (6)

---

(1) الدبران والعواء من النجوم

(2) المراد بالاعلام والعلماء واحد

(3) المراد بالشيخ الافراني السيد الحاج الحسين احد اساطين العلم والدين بن السوسيين ،وقد توفى هو والشيخ ماء العينين في 1328 هـ وفي ذلك قال سيدي الطاهر الافراني

مات الامام الشيخ ماء العينين ... بعد وفاة اليفرني الحسين
وكان ذلك عام (حط الشرف) ... فاصبحت عين العلوم تذرف

(4) المراد بالتملي العلامة سيدي الحاج احمد بن عبد الرحمان المتوفي عام 1327هـ

(5) فاظ مات

(6) اللاواء : الشدة

واعجل باصلاح البلاد واهلها الخلق لم صحابة سعداء
بذريعة المختار صل عليه رب فضلا ففضلك للعباد شفاء

هذا وكتب شيخنا سيدي محمد ابن الاستاذ الطاهر الافراني على القصيدة مـا يـلي :

«القصيدة بتمامها للامـام اليوسى رحمه الله سرقهـا هـذا المنتحل فنسبها لنفسه ، ولم يغير منها الا كلمات تظهر للقارىء بلا تامل لخشونتها ، فليقطع لسانه ، رحم الله القادر على ذلك ان فعل»

ذلك ماقاله شيخنا في القصيدة ، كما قال مثل ذلك في اخرى مطلعها :

عليك سلام الله عن خير اجلال لكم وصفاء الود للجانب العالي

قالها السملالي المذكور في الاديب سيدي البشير الناصري ، وهـذا نـص ما كتبه بخطه :

«وهذه يقال فيها ما يقال في اختها الا ان المسروق منه مختلف»

تلك هي المراثي التي شيع بها العلامة سيدي العربي بن محمد الساموكني ظفرنا بها كلها فهي الآن في ذمة التاريخ .



عبد الله بن الحسين الساموكني

نحو 1280 هـ . = 7 — 12 — 1360 هـ .

نسبـه

عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله ـ وتنتهي السلسلة التي ليست عندنا بتفاصيلها الى ان التقى نسبهم بنسب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي وهاك مشجر الاسرة المنسوب الخط للاستاذ محمد بن عبد الله الدفلوي السملالي .

قـال :

لما وقعت الفتنة بين اولاد الشريف داود بن عيسى بن ابي بكر بن احمد ابن داود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حسان ابن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . في وادي سملالة في موضع يقال له (منكب المعدن) ارتحلوا وتشتتوا في البلدان . في (تاغاجيجت) وبعمرانة وافران وبقي البعض في سملالة في (وادي وليل) ، وقد نزل اولاد ابرهيم بن داود في (افران) ثم وقع الخصام ايضا بين اولاد عمرو بن اسحق بن الحسن بن احمد بن يعقوب ابن ابرهيم بن داود . وبين اولاد عمومتهم اولاد اسحق بن الحسن . فارتحل اولاد اسحق المذكور الى وادي ساموكن فقطنوا في (أنامر) وهم ثلاثة : الحسن ابن عمرو ، ومحمد ـ فتحا ـ بن عمرو ، وعثمان بن عمرو ، ثم ارتحل عثمان الى قرية (فراط) أعلى (تانكرت) بافران . فاثل هنالك هو واولاده املاكا ، ثم هلكوا كلهم بلا وارث . فورثهم اولاد الحسن بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ، ثم قل نسل اولاد محمد بن عمرو ، فلم يبق منهم الآن الا اثنان فقط : علي واحمد ابنا محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن يعزى بن علي بن محمد بن محمد ـ فتحا فيهما ـ بن يحيا بن يعزى بن محمد بن عمرو ، بن اسحق بن الحسن ابن احمد بن يعقوب بن ابرهيم بن داود بن عيسى بن ابي بكر بن احمد ، الى آخر ما تقدم في النسب .

واما اولاد الحسن بن عمرو ففيهم فرعان : آل ابرهيم بن الحسن ، وآل محمد ـ فتحا ـ بن الحسن . انتهى باختصار . ولم أستوعب كل مـا هنالك لان فيه تخليطا . وفي آخر المخطوط ملحقا : ان الحسن بن عبد الله هو جد الساكنين في (تايـزرت) واخوانهم لا يزالون في (انامر) ولا يزالون يقال لهم (ايت افرا) نسبة الى القرية التي انتقلوا منهـا في سملالة ، كما تقدم .

وبهذا نعلم الآن ان هذه الاسرة شريفة النسب كما يرى القارئ . وكفى ما بين ايدينا الآن حجة وبرهانا ظنيا على ذلك . وفي ذلك كفاية .

ثم ان هذه الاسرة تعدد علماؤها فهي من الاسر العلمية الصغرى ، فلنتتبع من نعرفهم منهم على قدر الامكان . فهاكهم ناقلين عما عند الاسرة مما يروج عندهم :

1 ـ عبد الله بن الحسن

هو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله
قال احد اهـلـه : انه كان يتردد فى السكنى بين قريتهم الاصيلة (أفـرا) وبين (ساموكن) وانه ولد 1163 هـ. وأخذ عن العلامة عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ الجشتيمي المتوفى 1198 هـ. بالحجاز . كما أخذ ايضا فى تارودانت عن الهوزيوى . ثم قام بما يقوم به الفقهاء عادة فى بلده افتـاء وقضاء بين الناس ، وارشادا الى أن توفى بعد صدر القرن الثالث عشر : فى وقت لم يضبط عند اهله . وقبره فى مقبرة قرية (ايغيرنسموكن) ولا يزال معروفا معلما يزار منه . وله ثلاثة اولاد يذكرون فيما ياتى .

2 ـ علي بن عبد الله

ولد من قبله . يذكر ايضا بالعلم . وقد اخذ من (تيمكيدشت) وفي بعمرانة عن بعض العلماء هناك وكان يشارط فى مسجد (ايغير) من ساموكن . وقد يفتي ويقضي . مات 1259 هـ. ولم يعقب الا بنتا . فانقرض عقبه بها . وقد دفن الى أبيه فى محل واحد .

3 ـ الحسن بن عبد الله :

الولد الثاني . فقيه يذكر ايضا أخذ من أيت بعمران كأخيه علي . توفي نحو 1275 هـ. وولد 1212 هـ. وقد دفن الى أبيه ايضا .

4 ـ عبد الله بن الحسن بن عبد الله

ولد من قبله . له معلومات غير متسعة . وليس كأهله . أخذ عن علماء وادي ساموكن فى مسجد (أنامر) حيث مسقط راسه . توفى نحو 1285 هـ.

5 ـ ابرهيم بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله :

ابن المذكور قبله . فقيه لا يزال حيا الآن 1379 هـ. وقد أخذ من احدى مدارس ايت بعمران . وكان يشارط عمره فى المساجد فى ذلك الوادى الى أن أسن الآن وبلغ نحو مائة مع حفظ حواسه . وقد كان درس فى مدارس (تامانارت) وايت وفقا وغيرهما . وأخذ عنه أناس .

6 ـ الحسن بن عبد الله :

اخو من قبله . أخذ عن فقهاء بلده كأخيه ابرهيم . وباعه فى المعلومات غير متسع . توفي نحو 1358 هـ.

7 ـ الحسين بن عبد الله :

الولد الثالث لعبد الله بن الحسن الذى ذكرنا ولدين آخرين لـه . وهذا فقيه جليل من فقهاء هذه الاسرة . أخذ عن الاستاذ ابرهيم بن احمد ابن يحيا التامانارتي حين كان مشارطا في مدرسة (تانكرت) . وذكر انه ولد [illegible] هـ. وهو الذى انتقل من (أنامر) الى (تاينزرت) لأنـه كان يشارط عندهم . فالفهم والفوه . وهو الذى قسم املاك المعدر الذى ازاء تلك القرية . فاعطوه منه نصيبا يكفيه حرثا . ولا يزال أحفاده يتصرفون فيه الى الآن [illegible] هـ. وقد قرات الرسم الذى كتب فيه ذلك . وهو مؤرخ بـ 1240 هـ. بخط الفقيه سيدي ابرهيم بن احمد المذكور . وعطف عليه بلقاسم بن الحاج ابن الشيخ الحسن الالكاني . وعبد الله بن الحسين بن احمد بن باها بن ابرهيم بن داود الالكاني . مع شهود كثيرين من قبيلة (ادا ولكان) وقد كان الفقيه الحسين مشارطا حينا فى القصبة من (تامانارت) . وقد توفي سنة [illegible] هـ. وله جولات في الافتاء والاحكام . وهو الموثق الكبير اذ ذاك . والقاسم للتركات في تلك الجهة . وكان يدرس فى مسجد (تاينزرت) فمنه اخذ اولاده المبادئ وما بعدها .

8 ـ ابرهيم بن الحسين :

الولد الاول لذلك الفقيه . وهذا هو السيد المشهور بسيدي ابرهيم الساموكني الواعظ الذى كان يعظ الناس فى الاسواق . وولادته 1240 هـ. وقد كان آية فى استحضار الفقهيات . تخرج من أدوز بسيدي العربي بن ابرهيم الشهير . ثم تصدر لارشاد الناس في المواسم والمجتمعات . وقد دعا له الطلبة بذلك ، وله عزيمة وجرءة . وله بغلة بيضاء لا يزال يجول عليها . وقد مثل يوما امام مولاى الحسن الملك . فاستاذنه فى ان يلقى من الغازه الفقهية على كتابه . فاذن له . فتوقفوا فاجازه مولاى الحسن بالبغلة البيضاء التى أبطات عنده . وقد كانت معه مداعبات . منها انه كان يقول للفقهاء الذين يشارطون في المدارس . انني فقيه مثلكم . فانما أخليت لكم مدرسة . فاعطوني مما تاخذونه من مشارطات المدارس . فهيا قرطاسا يوقع له كل فقيه بما طابت به نفسه ، فممن وقع له بذلك العلامة سيدى مسعود البونعماني . فكتب له ما ياتي (على ثلث عشر غرارة) فقراها سيدى ابرهيم هكذا (على ثلاث عشرة غرارة) والغرارة عندهم ستون صاعا نبويا فحين جمع الناس محصولاتهم وتوصل الاساتذة فى المدارس بما ياخذونه من قبائلهم . صار سيدى ابرهيم يدور على اصحابه . ياخذ من كل واحد ما وقع له بـه . فذهب الى سيدى مسعود بجمال مع بغلته ليحمل ما قدر عليه من ذلك الشعير الكثير . فذكر له انه جاء لذلك الفرض الموعود به . فقال له سيدى مسعود ان ذلك موجود . فذهب بقفة فجعل فيها صاعين نبويين . فقال له : هذه هي الامانة . فقال له سيدي ابرهيم ما هذا ؟ اهكذا قلت لي ؟ فقال له نعم ، هكذا قلت لك بعينه . فان ما قيدت فيه ذلك الوعد . فاراه اياه . فقال له سيدي مسعود . أو ليس

ان عشر القرارة ست ءاصع ، وان ثلث الست هو صاعان . فقال له سيدى ابرهيم . عجبا او ليس انك كتبت لى ما يدل على ثلاث عشرة قرارة . فقال له : انما اوتيت من انك لحنت العبارة . مع انني انا كتبتها عربية صحيحة . فذاعت القصة . فتروى نادرة في المسامرات . وقد سمعتها من شيخنا سيدى الطاهر رحمه الله . وعادة المترجم ان يلقى الالغاز الفقهية معاياة متى لقى من يريد أن يخجلهم . كما كان من عادته ان يقيم الحفلات للطلبة فى كل محل نزل فيه ـ يجمع لهم لذلك من عند الناس . وكان يصاحب سيدى المدنى الناصرى ووفاته تكون بعد 1320 هـ. بقليل .

9 ـ احمد بن الحسين

الولد الثانى للفقيه سيدى الحسين بن عبد الله . فقيه جيد أخذ عن ابيه الحسين . ثم أخذ من أدوز عن العربى بن ابرهيم وربما أخذ عن الاستاذ الحسن ابن الطيفور . وقد أثنى على فهمه عمنا ابرهيم الذى عرفه . وقال انه متمكن جيد الفهم . احسن من اخيه ابرهيم . وقد توفى قبل 1320 هـ. بسنوات . وتأخر عنه اخوه ابرهيم .

10 ـ الحسين بن احمد :

ولد من قبله . نجيب يذكر . تخرج بسيدى محمد ـ فتحا ـ بن المحفوظ التازيمامتى السملالى . ثم انه شارط فى القصبة فى (تامانارت) ما شاء الله . وهناك توفى سنة 1342 هـ. فبكى الناس الذين عرفوه نجابته .

11 ـ عبد الله بن الحسين :

الولد الثالث للفقيه الحسين بن عبد الله . والى هذا سبق الحديث فى كل ما تقدم . ولد فيما يقوله نحو 1280 هـ. فاخذ القرءان عن الاستاذ محمد ابن الحاج التاينزرتى . وعن آخرين . ثم التحق بالمدرسة الالغية . فربض فيها حتى اخذ ما تيسر له . فكان وسطا فى معلوماته . ثم أخذ أيضا من أدوز عن ابن العربى وقد كان تزوج الزواج الاول 1295 هـ. عند الرئيس باها بن الحاج . ثم انه كان يشارط فى مسجد قريته وفى (ايغيرويلولن) وفى القصبة بتامانارت وفى الجامع الكبير فى (أداى) وقد رفع راية الافتاء والقضاء ما شاء الله . وكان يعلم القرءان والمبادئ فى الفنون . وكان يصاحب كثيرا علامة العصر سيدى الطاهر بن محمد . وينزل عليه فى (تاينزرت) اياما . ويتعاطى معه الادبيات . وقد وقفنا على ادبية صيغت مداعبة من سيدى الطاهر اليه . وقد ارسل اليه شبه قصيدة . وقد خاطب فيها ايضا سيدى المدنى التامانارتى الذى خاطبه ايضا بشعرورية :

جزيتم جزيتم يابلبور ذوى العلا   على مـا مدحتمونا مدحا مجملا
دعوتم لنـا طـرا وللاهل كلهم   وللمال والاولاد كـلا على الـولا
فـلا زلتم فى رفعـة وصيـانة   وعـز وافـراح تـدوم بـلا ولا

ولا زلـتم للشعـر تنظمونـه   كما نظم الصـواغ عقـدا مفصلا
فليس لحسـان ولا لجـريـرهم   وبشار الاعمى وقيس ود عبـلا
كمثـل شعارير منتم بنظمهـا   فلله در فكـركم صانـه المولى
فلو ابصر الخليل وزن قريضكم   لما قال فى العروض فعلا وفعللا
ولو ان كعبا وامرء القيس ابصرا   ه مااستعملا فى الشعر فكرا ومقولا
فقـد وقـع الاجماع انكما لدى   رهـان القريض السابقان مكملا
سلام سـلام ثم رحمـة ربـنـا   عليـكم عليـكم آخـرا ثم اولا

وكذلك وقفنا على رسم تامين لسيدى محمد بن الحسين بن هاشم له . ونصه . (من محمد بن الحسين بن هاشم الايليغى الى الاحب فى الله السيد عبد الله ابن الحسين الساموكنى الساكن بتاينزرت فى ادا ولكان السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله اما بعد فقد اذنـا لك فى تسويق مواسمنا والجولان فى بلادنا فى امان الله وحفظه ، فلا ينالك منا ان شاء الله ما يسوءك فى نفسك ولا فى مالك . فلا تسأل عن احد الساموكنيين ولا من غيرهم . والسلام فى الخامس من رجب عام 1313 هـ. وتحت ذلك طابعـه وفيه خديم المقام العالى بالله محمد بن الحسين بن هاشم وفقه الله .

وتحت ذلك بخط سيدى على ولد الكاتب . (وعطف على هذا من وافـق على ما سطر اعلاه عبد ربه على بن محمد الايليغى لطف الله به) كما وقفت ايضا على مخطوط ايضا اليه من القائد الحاج احمد التامانارتى ونصه :

(ليعلم الواقف من جماعة اللوكانيين اننا بحول الله وقوته حررنـا الفقيه الابر السيد عبد الله الساموكنى الساكن عندكم من جميع تكاليف العامة مخزنية وغيرها بحيث لا يسأل فى شىء . تحريرا تاما انفذناه وامضيناه له . كتبناه له باذن من القائد السيد الحاج احمد بن محمد الكرضاوى التامانارتى فى تاريخ الثانى من ربيع النبوى عام 1316 هـ. عبد ربه كاتب القائد المذكور الحاج محمد بن الشافعى وفقه عنده امنه الله آمين) .

ثم انه كان يواصل الالغيين . فلا يكاد يخطىء زيارة شيخه ابى الحسن ابن عبد الله . وكان ثريا كريما . له املاك فى (تاينزرت) وفى (ايغيرويلولن) وفى قصبة (تامانارت) وفى (أنامر) فى ساموكن . وفى (أكرض) بتامانارت . وفى (أداى) وفى (اينت) . وكان يتصل بآل سيدى المدنى الناصرى . وسيدى الطاهر بن محمد واهله المرابطين فى القصبة . وقد كانت له صلة بسيدى الحاج الحسن الافرانى . وقد نزل عليه لما رحل عن بلده مرغما يوم أجلاه اهل تانكرت وكذلك الرؤساء من قبائل تلك الجهة وله من الاولاد اربعة ذكور . الحسين ، ومحمد ، وابرهيم ، وعبد الرحمن . وللحسين ، من بين اخوته ، يد فى العلوم اخذها عن ابيه وعن سيدى الطاهر بن محمد وعن ابنه سيدى محمد . ولا يزال حيا الآن 1379 هـ.

محمد بن محمد بووازي الساموكني

28—8—1281هـ = بعد 1360 هـ

نسبه

محمد بن محمد بن محمد بن محمد ــ مكررا اربعا هكذا ــ بن عبد الله ابن ابراهيم بن علي بن موسى بن محمد .

ذكرنا أولا في (القسم الثالث) ترجمة محمد بن محمد والد هذا بين أساتذة الالغيين ، وقد ذكرنا هناك ما يتعلق بنسبه .

في الكتاب

تلقى على والده القرآن من حروف التهجي الى أن أتقن حفظه ، ولا شيخ له في القرآن سواه ، وقد تقدم في ترجمة والده أنه كان يشارط كثيرا في مسجد (ايشوكاك) في (اكادير ايزرى) ، وفي مسجد قرية (ايغير) من ساموكن ، ومن دينك المسجدين تخرج به .

أساتذته في العلم

1 ــ سيدي محمد بن محمد جافور الايسي القاطن في قرية (أكرض ايملالن) ، وهو عالم كبير بين أهل طبقته ، له سمعة كبيرة ، وجرى في ميدان الافتاء والقضاء والتدريس ، وان كان جريه في كل ذلك وسطا ، ولا أستحضر الآن مشيخته ، ولعله اخذ عن الجشتيميين ، ككثيرين من اهله في تلك القرية ، ومن اقرانه في قبيلة ايسي بل سمعت انه اخذ من الخواضر ، وكان يشارط في المدارس ، ومن المدارس التي مر بها المدرسة (الايغشانية) فقد كان بها قبل أن يلقى فيها الاستاذ سيدي العربي الساموكني مراسيه ، ويستحوذ عليها ، وقد كان يرد على الشيخ الالغي كثيرا اذ ذاك . فيباسطه ويقول له : كيف الصناعة ؟ يعني كيف تعاطيه لبعض النوازل ، فيجيبه ان الحاج ابراهيم الايغشاني الرئيس لم يدع لنا معشر الفقهاء قضية نتعاطاها ، فقد استحوذ على كل شيء ، حتى لا يرفع الينا نازلة نقضي فيها ، وله اخلاق لينة لطيفة .

ومن آثاره هذه الرسالة التي وقفت عليها في اضبارة رسائل كتبها الى الاستاذ محمد بن عبد الله الالغي مؤسس المدرسة الالغية ، نصها :

الفقيه الامجد ، والامام الاوحد ، نبراس المستفتين ، وقدوة المستهدين ، ظل الله على طلبة العلم ، والشحذ الذي يسن عليه كل ذي فهم ، ابو عبد الله سيدي محمد ابن سيدي عبد الله بن صالح ، السلام على مجادتكم ، والرحمة والبركة على سيادتكم وعلى من بكم واليكم ، من الاهل والفاشية ، والخدم والحاشية ، وبعد :

فلا زائد بحمد الله الا الخير ، وقد اتصل بنا رجوعكم من السفر المبارك والحمد لله على سلامتكم ، وقد كنت نويت ان اصل اليكم اداء لبعض حقوق الاخوة ، واتصافا باخلاق الفتوة ، غير ان حادثا عرض في الساعة ، فكتبت اليك لتعذرني الآن ، وبعد العيد ستراني ان شاء الله . والسلام ، ولا تنسونا من الدعاء الصالح .

هذا هو الاثر الوحيد الذي له عندي ، وقد توفي بعد : 1310 هـ بسنوات قليلة . وترجمة الفقيه جافور هذا لا تزال نواح كثيرة خافية منها علينا ، وربما جرى ذكره في محل آخر بمناسبة اخرى . هذا هو الاستاذ الاول للمترجم .

2 ــ ابو الحسن بن عبد الله الالغي

3 ــ ابو القاسم التاجارمونتي

اخذ عن هذين في المدرسة الالغية بعد ما أخذ المبادىء عن الاول ولازم الالغية سنوات ، حتى اكتفى من الاخذ .

مشارطاته واعماله

رجع من مدارس اخذه نحو 1315 هـ. فاقبل على الميادين التي ورث عن والده الايضاع فيها ، فكان يفتي ويقضي ويدرس القرآن في المساجد كمسجد (ايشوكاك) ومسجد قريته .

غور مداركه

ان كان لوالده تفوق ما في الفقهيات ، وكان من الموارد التي يستقى منها الفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التيبيوتي الالغي ، فان المترجم ليس هنالك ، فانه لا يعدو الوسط في الفقهيات التي يظهر أنه اولع بها ارثا عن والده . واما العربية فيبدو انه ضئيل فيها ، حتى ان الرسائل التي رايتها له تمتزج باللحن ، مما يدل على انه وان مر بالالغيين ، فانه لم يسق بكاسهم الدهاق في العربية والآداب ، ثم انه زيادة على هذا ليس بين اقرانه من ذوي العلم بمرضي الحال ، ولا بمشهور العلم ، بل ينبزه من لا يتقي مولاه بما يخاله براء منه من التزوير .

يجب علي أن أخلد له شكرا دائما هنا ، لانه وان لم يجر بيننا تعارف ، أسرع بالاجابة الى حين راسلته فى أخبار اهله الذين أسمع عنهم ، فكتب الى كل ما سألته عنه ، وهذا بعض رسالته الى :

الفقيه الماجـد الفاضل صاحب الهمة العلمية ، وذو المرتبة السنية (فـلان) وعليك من السلام اعطره ، يدوم عليك ما دام الملوان .

وبعد ، فقد اتصلت بكتابك الكريم ، وبهديتك المقبولة ، فرجوت الله أن يجمعنا معا تحت ظل عرشه ، يوم لاظل الا ظله ، وأما ما سألت عنه وألححت فى افادته ، فان العبيد الضعيف المسكين ليس هناك ، الا ان رأيتموه بعين الاحترام فضلا منكم لا غير ، وان كان لا بد فلياخذ سيدى ما يتعلق بكل ما سأل عنه من اخبار أهلنا وأشياخهم وما يتعلق بهذا العبد وولده بلقاسم المرحوم الخ .

والمترجم اليوم : 1358 هـ. شيخ مسن حلس بيته ، وهامة اليوم او غد ثم اتصلت بنا وفاته بعد هذه السنة فى وقت لا اضبطه الآن .

بلقاسم بن محمد بووازي الساموكني

10 - 12 - 1317 هـ = اما في جمادى (؟)

وإما في رجب 1352 هـ

هو ابن الفقيه المتقـدم الذكر ، من نجباء الابنـاء ، وممن ذهب في شبيبته ، فذهب ما يذكر عنه من الذكاء المتوقد ، والفهم الحصيف ، واول ما سمعته يذكر يوم كنت استعرض فيه الطلبة ، مع الفقيه سيدي بلقاسم ابن محمد عمنا ، فقد شرع يذكر من كانـوا نجباء في طبقته ، فذكره ، فتنبهت الى والده ، فافادني عنه ما سنذكره :

مـأخـذه

تلقى القرآن عن والده فى قبيلة وادى (ساموكن) وبعد ان تقدم عنده التحق بالاستاذ الشهير سيدى احمد بن عبد الله فى مدرسة (الفهم) من الروالت ، وهي المشهورة بتعليم القرآت المتنوعة ، فاخذ عنه ما شاء الله حتى تمكن فى حفظ كتاب الله الكريم ، وربما أتقن بعض الحروف غير ورش .

ثم التحق بالمدرسة (الايغشانية) سنة 1338 هـ. عند الاستاذ سيدى القاسم التاجارمونتي ، فعلى يد ابن عمنا ، تلميذه ومعلم المبتدئين بين يديه الفقيه سيدى محمد بن احمد ابن الحاج صالح الالغى ثم الحاحى ، تلقى المبادىء وألفى متون المبتدئين ثم صار يترقى شيئا فشيئا ، فاستتم الالفية ثلاث مرات ، والرسالة مرة ، والمختصر مرتين ، والتحفة والمقامات والرسموكية في الفرائض ، والسملالية فى الحساب ، والاستعارات ، ونصف التلخيص ، كل ذلك مرة مرة ، وبعضها أكثر من ذلك .

لازم تلك المدرسة الى سنة : 1346 هـ. وفى اثناء هذه المدة كان بداله ان يلتحق بالمدرسة الالغية ، فبقى فيها اسابيع ، ثم راجع مستقره ، ثم بعد التاريخ المذكور التحق بالفقيه سيدى الحسن التباسينتي فى مسجد (أكرض) في (تامانارت) فكان له كالمعاون ، يعلم عنده المبتدئين ، ويأخذ عنه بعض الدروس العليـا ، بقى هنالك الى 1348 هـ. ثم خلف الفقيـه سيدى احمد السملالي التيمكيدشتي فى ذلك المسجد الفقيه المذكور ولازمه ، ولم ينشب هذا الفقيه السملالي ان توفى ، ثم خلفه فيها الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود السموكي ، فلازمه الى سنة : 1350 هـ.

في الحوز

فارق اهله وبلده ، ناويا ان يكيل تراب الارض بالقـدم ، حين قال الحكماء لا ينال المرء في اوطانه شرفا حتى يتصف بذلك ، فالتحق بالحمراء يجول في نواحي ضواحيها ، لعله يتصل بأحد من ياخذ بيده ، وينظر اليه بعين الغبطة فيوويه اليه ، فيسر الله له ذلك ، فصار يؤدب اولاد انسان مثر في محل نجهله الآن وبعد حين راجع بلده .

يتـــوفى

لم يكد يتصل بأهله ويتصلون به ، ويضم منه والداه قرة أعينهما حتى طرقه مرض مخيف مزمن ، ولم يلبث أن أفجع به أهله ، فذهب مبكيا على نجابته من كل من يعرفه من أقرانه ، فضلا عن والده الذى أجج في صدره بثكله نارا لا تزال تتأجج نيرانها الى الآن ، واى مرمض للاكباد ، مثل ثكل الاولاد ، وما راء كمن سمع .

ما وصفه به واصفوه

كان دمث الاخلاق ، لين العريكة ، لم يعهد منه قط أن خاصم احد أقرانه من الطلبة في المدرسة . على قلة ذلك جدا خصوصا من أبنـاء ذلك الوادى ، وكانت له فطنة متفجرة ، وفهم غواص ، وذكاء مشتعل ، وادراك ثاقب ، فلو مد له من العمر ، لكانت له مكانة . لان اشعاعه يدل على انه من شعاع الشمس الوهاج .

ذلك ماقاله عنه ابن العم الفقيه سيدى بلقاسم الذى القى الينا حوله كثيرا ، ولم يتيسر لنا اثر من آثاره التى تدل على هذه المكانة الكبيرة في المدارك ، ولا شك أن سبب ذلك هو اعتباطه قبل أن يرتفع فوقه علم الشهرة ، وهو رابع علماء هذه الاسرة البووازية الفاضلة .

من منشداته

بعد ما كتبت ما تقدم افضى الى بعض اهله انه سمعه يوما ينشد بيتى ابن الرومى المشهورين :

واذا امـرء مـدح امـرء النواله واطـال فيه فقـد اراد هجـاءه
لو لم يقـدر فيه بعـد المستقى عند الورود لمـا اطـال رشـاءه

وينشد ايضا بيت ابن الفارض ، وهكذا انشده :

هو الحب فاسلم في الحشا ماالهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

وينشد ايضا قول الحريرى من احدى مقاماته :

ولا تـرج الـود ممن يـسـر ى انك محتـاج الى فلسـه

محمد بن احمد الانامري الساموكني

نحـو 1331 هـ = حـي

أبـسه بيته

محمد بن احمد بن الحسن

لم اعرفه ، وانما اخبرنى عنه الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم قال : ابطا في المدرسة الالغية نحو سبع سنوات ، كان فيها مثال الجد والاجتهاد والاكباب على التحصيل ، وهو ذو ذاكرة واعية لا تنخرم ، وذو فهم حسن لامع ، قناص للشوارد والاوابد ، حلال للعويصات والمشكلات ، قرا كل الفنون التى تدرس في المدرسة فكان فيها آية ، وهو مشهور بحفظ المتون ، حتى الكبريات كالمختصر ، ولذلك يلقبه بعض أقرانه بالحافظ ، ولا يعزب عنه شاهد من شواهد العربية او الابيات التى تنظم فيها القواعد او الشواذ ، قال : وليس له في ذلك نظير في عهده في المدرسة الا الفقيه سيدى محمد ابن سعيد الاكنارى ، قال : لا ادرى أنه أخذ من مدرسة اخرى غير الالغية ، وله في الفقه يد طولى مثله في العربية وكل ما أخذه .

ثم انه صار يشارط في مساجد بلده ، ويفصل نوازل ذلك الوادى بالمحكم ومشارطاته تكثر في مسجد (انامر) قريته التى هى مسقط راسه .

هذا ما كنت علقته عن ابن العم ، ولعله أخذ في الالغية بعد 1335 هـ فيكون الاساتذة الذين اخذ عنهم هم الاستاذ احمد اليزيدى وسيدى على بن صالح الاوفقيرى ، ومولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ، والذين يفيدون اذ ذاك في المدرسة حوالى 1340 هـ . كما أنه ياخذ بلا ريب عن رب المدرسة ابى الحسن الالغى قليلا ، كما هى عادته في القائه بعض الدروس فينة بعد فينة .

هذا ما أمكن لنا الآن أن نقوله عنه ، ولم نتصل به قبل هذه الساعة لنستقى ما يزيد ترجمته اتساعا ، من الكلام على أسرته ، ومن ذكر بعض آثاره التى بها تظهر اقدار الرجال ، وهل يظهر الرجال الا الاعمال ؟

من منشداته

ثم انني لاقيت احد من يعرفونه فانشدني عنه قول المتنبي ـ كما قال الحـاكي ـ :

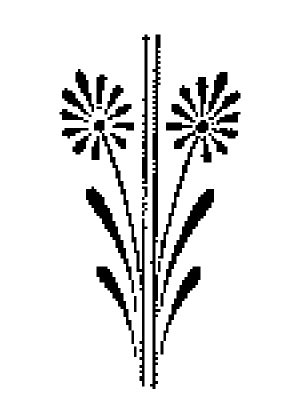
هكـذا هكـذا والافـلالا	طرق الجد غير طرق المزاح

وقول الحريري :

مـا انت اول سـار غـره قمر	ورائـد اعجبتـه خضرة الزمـن
فانظر لنفسك غيري انني رجل	مثل المعيدي فاسمع بي ولاترني

ثم قال لي : انه يستحضر كثيرا من المعلقات والمقامات الحريرية ويحفظ لامية العجم ولامية العربي وامثالهما مما يدرس في المدرسة الالغية ، يدير ذلك على اسلات لسانه .

ويظهر انه لا يزال حيا الآن 1380 هـ. لانني لم اسمع بموته .



سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمن الساموكني

ا — 12 — 1290 هـ = بعد 1378 هـ

نسبه

محمد بن الحاج عبد الرحمان بن عبد الله بن بلقاسم بن يحيا بن موسى بن الحاج عبد الله بن داود بن علي بن عبد الله .

يذكر ان علي بن عبد الله هذا هو الذي انتقل من (تامدولت) الى (ايشت) اولا ثم الى (اكادير تنبسيست) ثم الى (أنامر) بساموكن ، ثم الى (ايمي ايكل) بالغ ثم الى (كاور) ، ثم رده بودميعة الى (ساموكن) وجعله رئيسا على كل وادي ساموكن فاشتهر بامغار علي بن عبد الله ، وعلى يده بثيت القصبة بايدي القبيلة ، وكان يعيش أواسط الحادي عشر ، وله من الاولاد ستة : عبد الكريم وعبد العالي ، وهما من زوجة من (ايت تيكني) ، وعمر وبلقاسم من اخرى من آل عبد الحليم من قرية (ايغير) ، وداود والحسن من اخرى من آل الفيلالي ، او من آل يحيا بن عبد الله من (دويملالن) ، وقد اعقبوا كلهم ، وفي ابناء داود والحسن قلة ، ولكثرة الاخرين تكون فيهم العزة والمنعة ـ وانما العزة للكاثر ـ فيراسون ، وقد رأس بلقاسم بعد ابيه علي في عهد آل بودميعة ، ثم عمر بن علي بعده ، ثم مسعود بن عمر ، ثم ذهبت رياستهم بذهاب آل بودميعة : 1081 هـ. والقرية التي تسمى (ايغير نبلقاسم) مضافة الى بلقاسم بن يحيا المذكور ، فهو مؤسسها وعامرها بالعمرانيين باذن بودميعة ، واما العلم فانه في أبناء الحسن وداود ، ويقل في غيرهم ، فمن علمائهم :

ا = عبد الله بن الحسن بن يحيا بن الحسن بن علي بن عبد الله ، اشتهر في القرن الماضي ، اخذ عن العربي الادوزي ، توفي : 1301 هـ. وعلمه وسط ، ودفن في قرية (تاداكوست) .

2 ـ يحيا بن الحسن اخوه ، اخذ أيضا عن العربي فشارط في (تاداكوست) حتى مات وهو يعلم القرآن ، وعلمه ايضا وسط ، ووفاته : 1300 هـ.

3 ـ ابراهيم بن عبد الرحمان بن الحاج عبد الله بن داود بن علي بن عبد الله

عالم حسن يذكر من اواسط القرن الماضي ، وقد علت شهرته سنة 1264 هـ. وقد كان من المعلمين لكتاب الله في مساجد يشارط فيها ، توفي نحو 1270 هـ.

4 ــ عبد الله بن بلقاسم ، وهو المذكور بين جدود المترجم ، اخذ عن العلامة محمد ــ فتحا ــ بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الله الساموكني نزيل ايت ميلك ، من أسرة تسمى أيت الطالب يعقوب ، وهو علامة جليل ، له صيت وطنين في (ايت ميلك) ولا يزال ذكره يجول في جهة هشتوكة ، ومسقط راسه في قرية (أنامر) من (ساموكن) وقد نشأ يتيما ، ثم التحق بمدرسة ايت حسين بطاطة ، فهناك تخرج ، فرجع الى أمه ، فوجدها تبكي من اهانة لحقتها من أناس ، فحداه ذلك الى أن طلق ذلك الوادي ، فأداه القدر من حيث لا يشعر الى مستقره من ايت ميلك من غير نية ، فوجد من رئيس تلك الناحية الشيخ علي ايركي خير مضياف للعلم ، فنزل عنده في قريــة (تيبيوت) من (ايمي نسبت) وقد ساعده ايضا العلامــة الشريف سيدي سعيد الكثيري ، فشارط في المدرسة هناك ، فقضى وأفتى ودرس ، وولد اولادا اربعة منهم عابد العالم المذكور كابيه ، وابنه محمد بن عابد ، ثلاثة علماء تتابعوا .

ولا ريب ان محمد بن عبد الله توفي قبل أن يختتم القرن الماضي ، أو في مفتتح هذا ، وأصلهم الاصيل من قرية (أفرا) بسملالة .

ذلك هو استاذ عبد الله بن بلقاسم الذي توجــه بعدمـا تخرج الى المشارطة في المساجد لتعليم القرآن ، فأمضى عمره بين قرى (تافكاغت) ، و(أغرابو) من قبيلة ايت وفقا ، الى أن توفي في (أغرابو) سنة 1264 هـ. وقد تعدي عليه في املاكه ببلده فطلق بلده الى (الغ) الى أن قضى نحبه .

5- الحاج عبد الرحمان والد المترجم

ولد : 1260 هـ. فاخذ القرآن عن محمد بن ابراهيم من احفاد العلامة احمد بن الحسن من ايت الطالب ، وهذا العلامة اصل أسرته من قرية (أفرا) من ايغشان ، ويسمون هناك ايت ناصر ، تخرج كغالب طبقة جيله من ذلك الوادي بايت حسين من طاطة ، وقد علم فخرج في القرآن كثيرين ، توفي نحو : 1270 هـ. واحفاده اليوم احياء من حفظة كتاب الله .

كما أخذ ايضا الحاج عبد الرحمان عن الاستاذ محمد بن عبد الواسع الساموكني ايضا .

ثم اتصل بعد حفظ القرآن بالاستاذ الحسين بن عمر بيبيس ، فلازمه ما شاء الله حتى أخذ من المعارف ما أخذ ، ثم اتصل بالشيخ التاموديزتي الشهير ، جنيد وقته ، بعدما كان يجول جولات أمثاله بعد تخرجه ، فانتشله ذلك الشيخ ، فاذا به مسكين يطرق براسه ، فيشارط في مساجد الغ وفي قريته ، فاشتغل بخويصة نفسه ، وعاش على حال مرضية ومسكنة . الى أن توفي سادس ربيع الاول : 1332 هـ.

المترجم

رايت اسرة المترجم ، فعلمت انه ليس من بينهم فلتة في ميدان العلوم ، اخذ القرآن عن والده وحده ، والمبادئ كابن عاشر والآجرومية والرسالة ، وفي 1314 هـ. اتصل بالمدرسة الالغية فاخذ عن التاجارمونتي ، وابي الحسن ، الى سنة 1316 هـ فارسله ابو الحسن مع ثلة الى مدرسة ايمور ، عند الاستاذ سيدي المكي اليزيدي ، فبقي هناك عامين ، قال : ان تعليمه هو الذي نفعني ، ثم في مدرسة ايغشان عند الاستاذ سيدي العربي ، حيث قضى ست سنين ، فاخذ الفنون كلها حتى المنهج فقد أخذه عن الاخــير ، وفي : 1323 هـ كان بمدرسة اداومحمد بهشتوكة ، عند العلامة الطاهر الهشتوكي الشهير ، فاخذ منه المقامات ، وابن السبكي ، والزقاقية ، والحديث ، لازمه ثلاث سنين ، ثم رجع الى مدرسة ايغشان عند سيدي العربي فمكث سنة .

هذه ماخذه ، فرجع مملوء الوطب ، مــروق الخمرة ، محصلا تــام التحصيل ، فقد كنت أسمع بنجابته وأنا صغير .

نتف من احواله واخبارة

لم أكن أعرفه قبل ، ففي الخميس : 14 جمادى الاولى 1364 هـ لبى دعوتي وهو اذ ذاك مشارط في احد مساجد الــغ ، فجلست معه بيــاض النهــار ، فافادني كل ما كتبته عن آله ، كما افادني عن كثيرين من ذلك الوادي ــ كما مرى ــ وهو هين لين ، مسكين ، ألح عليه الاعواز حتى لا يقدر ان يرفع راسه ، مع أنه لو وجد ميدانا لجلى في المجلين .

فاطــرق اطراق الشجاع ولـــو راى مصاغا لناباه الشجاع لصمما

وقد أنشدني في تلك الجلسة :

اعــاتب ذا المــروءة من صديق اذا مــا رابني منه اجتــنــاب
اذا ذهــب العتــاب فليــس ود ويبقى الــود مــا بقي العتــاب

مال الى المشارطة في المساجد ، ولعله ليس بذي همة تحلق به الى المدارس ، مع ان معارفه المتسعة تصلح لذلك ، وقد رأيته متاثرا بحالة التاموديزتي ارثا من أبيه ، وقــد كان حينا يعــلم اولاد شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي سنوات 1331 هـ .

وقد حكى ان والده كان ذكر للشيخ التاموديزتي أنه ينوي أن يرسل ولده المترجم الى احدى المدارس ، ثم انه زار معه في سياحــة مدرسة من بعقيله ، فيها سيدي عبد العزيز الادوزي ، فوجد طلبتها يلعبون (ضامة) فالتفت الشيخ الى الحاج عبد الرحمان ، فقال له : او لمثل هذا ترسل ولدك الى المدارس ؟ قال ثم انه ارسل اليه بعد ذلك ، فقال له : انه ظهر لي أن ترسل ولدك الى أية مدرسة ، فانه وان سدر في غلوائه اليوم ، فلعله يرجع الى الصراط المستقيم هذا .

6 – ومنهم سيدى محمد بن صالح من (تامسولت) ، واله يسمون آل صالح وهم اصليون فى ذلك الوادى . زاول الاحكام ايضا ، وظهر فى ميدانها ، ودام فى الحياة الى نحو : 1300 هـ. وابوه صالح : فقيه تخرج ايضا من (وولت) لا يزال حيا : 1226 هـ. وولت هى طاطة حيث آل حسين .

7 – ومنهم سيدى محمد بن على الانامرى من ايت مسعود بن الحسين ، وهم ايضا اصيلون هناك .

كان عالما كبيرا الشان ، فى النوازل والفتاوى ، وتوفى نحو : 1295 هـ وكان عابدا صالحا ، له خلوة اشتهرت به فى المكان الذى يسمى (امالويد) .

ومن احفاده عبد الله بن مسعود بن محمد – فتحا – بن على المعلوم ، بعلم الجداول والاوفاق ، اخذها عن محمد بن مبارك الشهير فى غيغاية من احواز مراكش . وليس له فن غيره مات بالعطش فى هاجرة الصيف ، وهو متوجه نحو قرية (ايكيواز) : 1363 هـ .

8 – ومنهم سيدى مسعود بن ابراهيم من (أنامر) من ايت موسى ، وهم اصيلون اصلهم من (تيكنى) لان اهل (ساموكن) الاصيلين هم ايت تيكنى ، كان فى ميدان النوازل يجاذب غيره ، وقد شارط حينا فى قرى الوادى ، لانه يشتغل بالنوازل هناك والفتاوى ، وكانت له ارض كان يستخدم فيها من يجىء مستفتيا لاتزال معلومة ، توفى : 1230 هـ. وكان من اكابر هؤلاء العلماء ، لان المذكورين ليسوا من طبقة واحدة ، بل طبقات متوالية ، وان كان يزعم الحاكى انهم كانوا كلهم طبقة واحدة ، ثم يعد من الطبقة الثانية منهم :

9 – سيدى محمد – فتحا – بن محمد بووازى من ايغير ، من آيت الطالب محمد (وقد ذكر آنفا فى هذا الفصل نفسه) .

10 – ومنهم آل الطيفور (وقد ذكروا فى هذا الفصل نفسه فى ترجمة الناظر المزسى) .

11 – ومن علماء ساموكن ، سيدى على بن عبد الرحمان الانامرى من ايت عبد الرحمان ، وسيذكر مع ابنه ابرهيم فى هذا الفصل ، واصلهم من (تامدولت) على ما قيل من قديم .

12 – ومنهم سيدى الحسن بن ابراهيم الانامرى ، كان عالما حسنا ، اخذ ايضا من بونعمان عن سيدى مسعود ، أبطأ فى (اكجكال) بالمشارطة ، وهو من ايت نصر بن داود ، وهم ايضا من (تامدولت) وتوفى نحو : 1323 هـ.

13 – ومنهم سيدى محمد بن ابراهيم نزيل أكلو من (أنامر) من ايت اكنو ، وهم اصيلون هناك ، وسبب رحيل ابيه من ساموكن ان القبيلة غرمته حقا ، فجلا عن بلده الى (ايد كاكرا) بمجاط ، ثم اجلاه مجاط من هناك ايضا ، فصار الفقيه يقول بعد ذلك اربح الله من اجلونا اولا عن (ساموكن) ، واربح كثيرا من اجلونا ثانيا عن مجاط (وقد سمعت انه اخذ ايضا من فاس)

14 – ومنهم سيدى عبد الله بن على من (انامر) من ايت الطالب عبد الله ، تخرج من ادوز عن سيدى العربى الادوزى . وكان يشارط فى مسجد

من فوائد عن الساموكنيين

(هذا محضر الجلسة ، وقد تقدم بعض مما كررناه الآن)

فى الخميس : 14 جمادى الاولى 1364 هـ ، جاء الى فى دارى بالغ بارسالى اليه ، فوافانى لافيد عنه ما تيسر عن وادى ساموكن ، فهاك ما اخذته عنه :

1 – مات والد سيدى العربى الساموكنى : 1328 هـ ، واسمه محمد بن محمد – فتحا – الأعرابى يقال له ذلك لانه يرحل كثيرا الى الصحراء عند الاعراب ، ومات ولده فى السنة بعده ويقال لهم ايت الحاج ، وام العربى اخت العلامة الحسن بن الطيفور ، نزيل تيزنيت وقريتهم (تامسولت) ولا يعرف منهم العلم الا فى سيدى العربى وحده . وقد تقدم كل هذا فى ترجمة سيدى العربى .

2 – محمد – فتحا – بن عبد الله الساموكنى ، نزيل آيت ميلك ، اصله من قرية (أنامر) تخرج من الزاوية الحسينية بطاطة ، نشأ يتيما ، ثم لما تخرج وراح الى داره وجد أمه تبكى من اهانة بعض الناس لأمة لها ، فذلك هو سبب رحيله بامه واهله الى (ايت ميلك) . ولم يكن يعرف تلك الجهة قبل ، وقد كان نزل اولا على الرئيس الشيخ على أيبركى الوادريمى ، ثم نزل فى قرية (تيبيوت) فى (ايمى نسبت) باعانة سيدى سعيد الشريف ، ثم صار يشارط فى مدرسة (ايمى نسبت) دائما ، ودرس هناك كثيرا ، وله اربعة اولاد ، اثنان قارئان ، والثالث يخدم الاسماء والرابع عالم يسمى عابدا ، وولده محمد ابن عابد هو العالم المشهور .

وقد كان سيدى محمد – فتحا – بن عبد الله المذكور ، سابع سبعة من قرية (انامر) انقطعوا الى (وولت) منهم سيدى :

1 – احمد بن الحسن العالم الجليل

من ايت الطالب ، وأصل أهله من ايت ناصر من (أفرا) بغشانة ، ولا تزال هناك أطلال تنسب اليهم ، كما ان سيدى محمد – فتحا – بن عبد الله المتقدم اصله من (أفرا) بسملالة ، ازاء قرية (تالبرجت) واحمد المذكور عالم جليل ، شارط فى مسجد القرية يعلم كتاب الله ، الى أن توفى نحو 1270 هـ ، وبه سميت أسرته أيت الطالب ، وأحفاده موجودون الى الآن ، واحدهم مشارط الآن فى (تاداكوست) .

4) ومن العلماء هناك ايضا : الحسين بن الحسن من أيت موسى بن أبى بكر ، فهو نزيل (تاينزرت) (قد مر فى هذا الفصل مع اهله)

5 – ومنهم ايضا بلقاسم الايغيرى من الموساكنيين ، واصلهم من (اصبويا) ، كغالب اهل (ايغير) وليس هناك الاصليون الا آل عبد الحليم .

زاول النوازل فى عهده ايضا ، واشتهر بذلك ، وشارط فقد شارط كثيرا فى (انفك) فى جهة الغ ، توفى : 1307 هـ .

(ايزروالن) حتى مات ، وكان مسموع الكلمة في وادى ساموكن ، ولا يخاف من اى فريق ان كانت هناك حرب ، توفى : 1300 هـ. وكان عالما دينا خاشعا .

15 ـ ومنهم سيدى ابراهيم من قرية (أكلوى) من (امتضى) توجد احكامه فى (الغ) ، وفى (تاكنزا) ، وكان يعاصر سيدى احمد بن الحسن الساموكنى المشار اليه ايضا ، وكان من اهل اواسط القرن الماضى ، ولعله ابراهيم بن عبد الله .

16 ـ ومن (امتضى) عالم ايضا يظن ان اسمه مبارك ، يعاصره المتقدم ، وقال انه مغمور بسيدى ابراهيم ذى الشهرة الواسعة .

17 ـ ومن علماء تلك الجهة سيدى محمد بن احمد القائد (التيسلكيتى) ، كان نوازليا مرجوعا اليه فى نوازل جهته فى عصره ، توفى نحو : 1300 هـ وكان من اهل سيدى على بن ياسين ، وكان معتنيا ايضا بنظم سيدى حمو الفقهى ، قال المحدث : رايت فى ملكه شرح ابى الحسن على الرسالة ، يعلق على كل مسالة تكلم فيها سيدى حمو بنظمـه ، فيقيده فى الطـرة ، وهذا السفر الآن عند ايت عضيا بسملالة ، وجده على بن ياسين قال فيه الحضيكى : (كان رضى الله عنه فقيها عالما عاملا ، صالحا ، ناصحا فقيرا متصوفا ، ورعا ، زاهدا ، لقى المشايخ وصحبهم واخذ عنهم وظهرت على يده كرامات ومكاشفات وما زالت ذريته كذلك صالحة ، وعمدته فى الطريق رضى الله عنه : الشيخ الكبير سيدى محمد بن عثمان التامانارتي وكان رضى الله عنه من اعبد الناس واورعهم فى زمانه (اقول : انه يعيش فى اواسط القرن الحادى عشر) .

18 ـ ومن علماء (سموكن) : محمد ـ فتحا ـ بن محمد ـ بن محمد ـ فتحا ـ ابن عبد الواسع من (أنـامر) ، تخرج بسيدى الطاهـر الهشتوكى ، نجيب عالم عامل يشارط فى بلده ، توفى : 1346 هـ. امه درقاوية وابوه ، وكذلك هو ، وهو من اصحاب الشيخ الالغى ، وهو من الاصيلين بساموكن ، وقد قال له الشيخ بعدما اختبره : انك عالم غير بلادك ، واما بلادك فلا ، يعنى لخلوه من التشيطن الذى فى البلاد .

19 ـ وخال الحاكى سيدى صالح بن عبد الله التيمولائى من اصحاب سيدى سعيد المعدرى ، وقد اتقن حرف المكى ، ويعلمه فى (تيبيوت) وفى غيرها ، توفى : 1347 هـ.

ومن فوائده ايضا :

انه سمع سيدى سعيدا التنانى وهو يدرس الالفيـة لسيدى محمد الخليفة ـ اخينا الاكبر ـ يفسر له هذا البيت :

وارفع بضم وانصبن فتحا وجر   كسرا كذكر اللـه عبده يسر

(ارفـع شملك بضم احوالك ، وانصبن جميع احـوالك لاخوانك ان اردت فتحا من ربك ، وجر جناحك لكسر نفسـك) وهو تفسير صوفى .

ابراهيم بن علي الساموكني

نحو : 1320 هـ. = نحو 1351 هـ.

نسبـه

ابراهيم بن على بن عبد الرحمان

آله يسمون ايت عبد الرحمان ، وهم اسرة من الاسر التى يذكر انها جلا اسلافها من مدينة (تامدولت) ، وليس المترجم بفريد فى العلوم بين اهله ، فقد ورث ذلك ورضعه من بيئة اهله .

علي بن عبد الرحمان

والده ، كان عالما حسنا ، أخذ عن العلامة سيدى مسعود المعدرى ، ولم يذكر لى من ألقى الى من اخباره سواه ، من أساتذته ، وبعدما اخذ من بونعمان عن ذلك الاستاذ لازم قرية (ايمرز كـل) بايت مـوسى بمجاط ، شارط هناك فيجول فى الافتاء وفى النوازل يقضيها بالتحكيم ، ولكنه مع جولانه ليس بمتسع الشهرة ، فقد غلب عليه ما يغلب على كثيرين ممن تخلقوا باخلاق سيدى مسعود البونعمانى من الاطراق وعدم التطاول ، وقد امتد عمره الى أن توفى سنة : 1351 هـ.

المترجم

اخذ القرآن عن ابيه الذى رأيناه يلازم تعليم القرآن فى ذلك المسجد ، ثم التحق بالمدرسة الالغية ، فاخذ فيها عن عميدها ابى الحسن بـلا ريب ، ولابد مع ذلك ان ياخذ عن آخرين ممن يلازم التدريس فيها كالتاجارمونتى ان كان التحق بالمدرسة قبل ان يغادرها هذا ، او الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وامثاله من الذين درسوا فيها بعد التاجارمونتى ، وقد اكب على الفنون حتى نجب نجابة وصلنى طنينها حين كنت أسأل عن النجباء من المتخرجين من هناك ، فقد تأسف عليه من حكى لى عن نجابته وعن تحصيله ، حين قال لى : انه لم يلبث ان اعتبط بشهور بعد موت والده الذى ذكرنا انه توفى 1351 هـ.

ذلك ما حكى لنا عن هذا النجيب ، ولم نتصل بشيء من الآثار التى ألفناها ادبية من جميع من تخرجوا من المدرسة الالغية او من غالبهم ان اردنا التدقيق فى العبارة .

سيدى ابرهيم بن محمد التاغاجيجتي

1298 هـ = 19 ـ 6 ـ 1378 هـ

1298 هـ ـ ليلة 19 ـ 6 ـ 1378 هـ

نسبه

ابرهيم بن محمد بن الحاج على بن الحاج مبارك بن احمد بن الحسن .
من بني سعيد من ادابرهيم . علامة ناسك عليم مشهور بالبركة . ملازم لبلده لا يكاد يفارقه . يرشد الناس بحاله وقوله وفعله . كتب الى عنه ابن العم سيدى عبد الله بن ابرهيم ما ياتى :

(قرا القرآن عند سيدى محمد بن ابرهيم المرابط من بنى سيدى حمد التاغاجيجتى ثم ذهب الى المدرسة الالغية نحو عام 1312 هـ. فقرأ فيها على سيدى بلقاسم بن مسعود التاجارمونتى ثم على الفقيه الاكبر ابى الحسن سيدى على بن عبد الله الالغى . كان فقيها مشاركا عابدا . وكان مقدم للطريقة التجانية ، ويلقنها ، اجازه التلقين فيها الفقيه الارضى العلامة سيدى الحاج الحسين الافرانى ، فى عام 1326 هـ. وأجازه ايضا النظيفى ، والسيد الحاج الاحسن البعقيلى على ما قال ، واخذ الطريقة التجانية عن الفقيه ابى الحسن الالغى سيدى على بن عبد الله اول يوم تلقنها .

ولد رحمه الله عام 1298 هـ. تقريبا ، ثم توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الثانية عام 1378 هـ. بعد طلوع الفجر . وترك زوجة وبنتا رحمه الله ورضى عنه آمين .

قال فيه المؤرخ ابن الحبيب :

(ومنهم الفقيه المرشد ، ابو سالم سيدى ابرهيم بن محمد التاغاجيجتى مقدم الطريقة التجانية ، قرأ على الفقيه الارضى العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى لقيته مرة ، فوجدته صافى الاخلاق ، وافى المروءة منقبضا ، المزاح عنده غريب ، والجد لديه قريب ، ذا دين متين ، لا يتطرب للزينة ، ولا يفرح للمينة ، دابه عمارة زاويته ، فى اداء اوراده وصلواته ، فارا من مجالس اهل الاهواء والفسقة والجور ، ولهذا قالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ، كما فر موسى حين هم به القبط ، اذ ذهب الذين يعاش فى اكنافهم ، وبقى من قبض على دينه بعدهم كالقابض على الجمر ، صرف اوقاته فى تحصيل الفضل والعبادة ، وترك فضل العيش ، وفضول الناس ، وعده من السعادة ، حسن الظن ، سألنى عن اشياء ، فاجبته بنصف العلم (لا ادرى) ، فلم يقنع منى بلا ادرى ، حتى حلفت بعدم العلم فيهن ، فتعجب ، ظن السراب ماء) .

واخوه سيدى احمد بن محمد بن الحاج على . فقيه لا باس به يذكر بين اهله فى بلده . ولا استحضر من اخباره الآن شيئا .

سيدى ادريس التاغاجيجتي

1293 هـ. = 1365 هـ.

نسبه

ادريس بن الحسن بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الملك بن احمد ابن الحسن من فخذ اد سعيد بن ابرهيم . من قبيلة ادا برهيم . فقيه جليل محترم ، مذكور فى تلك الجهة ، كتب الى ابن العم سيدى عبد الله بن ابرهيم وقد طلبت منه ان يفيدنى بترجمته ، فتلقى من قرينه سيدى ابرهيم بن محمد ما ياتى :

قرأ القرءان على سيدى الحسن بن على بن حمو (كاتاين) به عرف حتى حفظه ، ثم ذهب الى المدرسة الالغية لقراءة العلم فى عام 1308 هـ. تقريبا عند سيدى بلقاسم بن مسعود التاجارمونتى ، وعند سيدى على بن عبد الله ، ثم انتقل من المدرسة الالغية الى بلده بتاغاجيجت ، وتصدر للافتاء ، كان رحمه الله فقيها مشاركا فرضيا ، حسن الخط لا تاخذه فى الله لومة لائم ، صفته اشقر اللون ، متوسط القامة ، ولد عام 1293 هـ. تقريبا ، ثم توفى رحمه الله عام 1365 هـ. تقريبا رحمه الله ، وترك ثلاثة ذكور وثلاثة بنات)

وقال فيه المؤرخ سيدى على بن الحبيب الجرارى ما ياتى :

ومنهم الفقيه العالم سيدى ادريس بن محمد التاغاجيجتى كان هو وسيد ابرهيم التاغاجيجتى قد قرنا فى قرن التدريس ، ولم يفت احدهما الآخر فى الفهم النفيس ، كفرسى رهان ، استحقا السبق بجدهما واجتهادهما ، كان لهذا السيد ولوع بحفظ المقطعات الشعرية ، وغريب اللغة العربية ، حتى صار قاموسا وبدرا وفانوسا .

القائد الحاج احمد اضارضور التاغاجيجتي

نحو 1299 هـ. = 1366 هـ.

نسبه

احمد بن الحسين بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود بن الحسن بن سعيد بن الحسن بن ابرهيم بن الحسن بن عثمان بن بلا .
قيل لي ان عثمان بن بلا هذا له اولاد .

1 ـ صالح لا عقب له .

2 ـ احمد بن عثمان جواد محمود .

3 ـ الحسن بن عثمان . وهو قبيلة ادا برهيم

4 ـ بلا بن عثمان . وهو جد ايت جمل

وبلا ـ عبد الله ـ الاعلى هو جد كثير من هذه القبائل وهو والد عثمان .
كانت رياسة ادا برهيم في محمد بن علي بن احمد . ثم يليه ولده الحسين . ويسمى الحسين أضارضور . وكان في مسلاخ أمثاله من رؤساء القبائل لا يتحرى ولا يحاشي أحدا مما يريده أمثاله من المستضعفين . وله اتصال نسب من الخؤولة من رؤساء ايشت . فحين اشترى الشيخ الالغي من هؤلاء بعض أملاكهم . كان مما اشترى منهم ارض من معدر (تامانارت) المسمى معدر درعة ، فكان الشيخ يحرثها . فاخصبت سنة اخصابا عجيبا . فطمع الحسين ان ينال من غلتها بدعوى ان لامه ارثا بين اهلها . فصار يوعد ويندد . حتى وصل الخبر الشيخ . فمر بالاستاذ سيدي علي بن عبد الله . فقال له لنذهب لنحل عقدتنا مع الحسين أضارضور . فعجز بنا ان نسعى في حل عقد الناس ثم لا نسعى الى حل عقدتنا المختصة بنا . فسافرا من (الغ) الى (تانكرت) . فذهب معهما العلامة سيدي الطاهر بن محمد . وسيدي الطاهر ابن المدني الناصري . فنزلوا عند الحسين في تاغاجيجت . فحين فاتحوه في الذي جاءوا من اجله اغلظ في القول ، واساء الرد في الجواب ، فاذا بسيدي الطاهر بن المدني توجه اليه بوجه وقاح ، يكيل له صاعا بصاع . وكان من جملة ما قال له : اياتي اليك احفاد الاولياء ، سيدي محمد بن ابرهيم الشيخ ـ وهو جد سيدي الطاهر بن محمد ـ وسيدي عبد الله بن سعيد ـ جد

الشيخ الالغي والاستاذ سيدي علي بن عبد الله ، وسيدي محمد بن ناصر ـ جده هو ـ ثم لم تبال بهم . فمن انت يا ابن كذا وكذا ؟ يسبه ويصول عليه بما لا يرتدع امثاله الا بمثله . والشيخ في اثناء ذلك يكفكفه عن تقريعه . ولكن ذلك اجدى ، فلانت شرته . فصار الشيخ يقول له يا حسين ان مرادنا أن تنحل العقدة بينك وبين الفقراء في زاويتنا ، فقل لنا كم تريد من محصول الارض لنفسك . فقال ست وعشرون غرارة . فقال له حبا وكرامة . فستجدها عند فلان . فانفكت القضية بذلك وانتهت دعواه التي لم تكن مبنية على أساس . ثم لم ينشب أن ألم بـه داء عضال ويصرخ فيه كلما أغمي عليه . يصيح بأنه أصيب مما فعلت يـداه في هذا الظلم . الى ان مات وشيكا . وذلك في نحو 1326 هـ.

المترجم

نشا أحمد بين الرياسة والمدرسة . فاقتبس من كليهما من المحاسن وغيرها . وكان مشهورا من صغره بالاقدام والبسالة . وكل ما ورثه عن اهله . ولم يكن مثل اخيه ابرهيم الذي لا يذكر بمثل ما يذكر به اخوه هذا . فقد حكيت عنه اخبار في طوره الاول من الشباب لا ينبغي ان تكتب . فقد مرت تحت نوازع الشباب . وظلال الغرارة .

متعلمه

اخذ القرءان عن الاستاذ سيدي بلال . وكان أسود ، وكان مشارطا هناك يعلم كتاب الله . وهو رجل صالح تلاء لكتاب الله يذكر بكل خير . توفي نحو 1342 هـ. واخذ ايضا في (تادارت) من اد موساكنا عن الاستاذ محمد أمجوض المتوفى نحو 1368 هـ. وقد بقي المترجم هناك ما شاء الله الى أن أتقن حفظ القرءان .

ثم انه التحق بالاستاذ سيدي محمد بن المحفوظ في مدرسة (أمسرا) ، فبقي هناك عشر سنـين . ثم كان عند الاستاذ الحسين بيبيس ، ثم عند الالغيين في المدرسة الالغية فبين يدي هؤلاء تعلم مـا تعلم من معارف غير متسعة . ويستحضر مسائل وادبيات . وجل همه التعالي الى الرياسة . وان يملأ مجالسه بكل ما سنح من فكاهاته ونوادره وحكاياته وغرائبه .

اخبار عنه متفرقة

كان صاحب غرائب وعجائب ومضحكات ومهاجمات ومدافعات وممازحات حتى لا يعرف الا بذلك ولو اعتنى انسان بجمع ما وقع منه لكان منه نحو مجلد .

منها أنه لما ظهر فى أهله سمع بان اليهود فى الملاح يجمعون بينهم ريالا ريالا لشيء يريدونه . فوصلهم . فاعطاهم ريالا . وقال لهم احسبونى من اليوم واحدا منكم . ففرح اليهود بانه واحد منهم . لأنهم وهم مستضعفون يتوقون به . لمكانته فى قبيلته ادا برهيم صقور تلك الناحية . ثم تكرر منه بينهم ذلك . ثم كانت مهمة يوما على قبيلة ادا برهيم احتاجوا فيها لجمع ريال ريال بينهم . فوصل اليهود ، فقال لهم أو لست واحدا منكم أديت ما اديتم ، فقالوا بلى . فقال لهم اننى امس اعطيت بينكم ما اعطيت غرامة . واليوم جاء دوركم لأننا اليوم فى غرامة اخرى . فلم يجدوا بدا من تلبية دعواه . فغرمهم كلهم ريالا ريالا . فجمع مئات . اختص بها فى مقابلة رياله الذى كان أعطاه . ولعله قال للقبيلة ان هذا لى وحدى ، لاننى ما اعطى مع اليهود الا انا وحدى بينكم . فكذلك اختص بما توصلت منهم به بينكم وحدى.

ومنها ماقيل من ان فقيها اسود من اهل تاغاجيجت قرأ وحصل وظهر بعلمه وبمروءته . فقال قائل لماذا لا نشارط ابن بلدتنا فى مدرستنا هذه ؟ فتواعد رؤساء القبيلة فى المدرسة لذلك . فحضر معهم ، وهو احد الرؤساء . وقد ابرم امره سرا كما اراده . فلما اجتمع الرؤساء ، استدعوا الفقيه الاسود . فجاء فى بزة بيضاء يخطر فى مشية الوقار . فقام المترجم ، وتلقاه باجلال . فقال للحاضرين : الحمد لله الذى احيانا نحن علماء قبيلة تاغاجيجت الى هذا اليوم الذى نراكم فيه تقدروننا قدرنا . فهذا الفقيه العلامة المحصل افضل من يعمر مدرستنا . وأكبر من نقتدى به . فلما اتم خطبته التى اصاخ لها الحاضرون استحسانا ، قال : الا أن هنا فقيها آخر جاء ايضا يعرض نفسه للمشارطة في المدرسة . ومن الحق والانصاف أن يستدعى ايضا ليمثل امامكم ازاء هذا الفقيه الجليل . ثم لكم الخيار بينهما بعد ذلك . ثم أشار لصاحب له ان يستدعى الفقيه الثانى ، وهو فى كل ذلك يتكلم بصورة الجد . ففتح صاحبه بيتا فاذا بجحش أسود كثير الشعر . وقد اديرت عمامة كبيرة براسه . وعلت اذناه الى فوق . فقال لهم ايها الحاضرون : اختاروا بين هذين الاسودين . فانه لا فرق بينهما . فماجت موجة الضحك على الحاضرين . وكاد الفقيه الاسود المسكين تسيخ به الارض . فولى هاربا يتعثر خجلا . فكان ذلك هو السبب حتى طلق هذا الفقيه هذه الارض الى أرض أخرى .

ومنها أنه مرة يؤم فى صلاة بالناس فى ظلمة . فسجد بهم . فتسرب من بينهم من غير ان يحسوا به وتركهم ساجدين ماشاء الله . فارسل اليهم من يقول لهم ان امامكم عرج به الى السماء . وقد كان يتعاطى الطريقة التيجانية عن حسن نية . فكان يكرم شيخها سيدى الطاهر بن محمد . ويحترمه الا انه يمازحه كثيرا . فولد فقيه اسود هناك واسمه محمد ولدا له فسماه الطاهر . فقال المترجم لسيدى الطاهر يوما . اننا ما كنا نرحب بك الا لان من يسمى الطاهر بن محمد ينقصنا . واما الآن فان تلميذك الفقيه الاسود فلانا سمى ولده الطاهر . فان عندنا الآن الطاهر بن محمد . فنحن

مستغنون عنك منذ الآن . وان كان طاهرنا اسود ابن الاسودين . وحين كانت الرياسة تملأ دائما ما بين عينيه ، كان يشرئب اليها بكل وسيلة فحين كان الهيبة ومن اليه يدافعون عن تلك الناحية ، كان هو يتصل بالمحتلين فى (تزنيت) ويعطونه الاموال . وينادى اولادا له باسماء النصارى . ويقول لسيدى الطاهر : انا وانت نتكافأ . فانت مع المسلمين ، وانا مع النصارى . ومن فاز أصحابه فلا يخس العهد فى صاحبه . ولما احتلت تلك الناحية . صار قائدا على قبيلته . فكان رجال الاحتلال لا يسلمون من ممازحاته . فبعد احتلال باريس فى الحرب الثانية جلس يوما مع القبطان رئيس مركز (تاغاجيجت) ومعهما القائد الحسن الادايى . فقال المترجم للقبطان لا تصدق محبة القائد الحسن لكم . فانه لا يزال يدعو الله على فرنسة منذ وقع ماوقع فى باريس يدعو بذلك عليكم دبر كل صلاة . فقال القائد الحسن (1) ايها القبطان اجمع قبيلتى كلها فانك لا تجد فيها من رآنى قط اصلى منذ كنت قبل اليوم ولو صلاة واحدة فضلا عن ان اصلى اليوم ثم اعمد الى الدعاء عليكم، فتلك شنشنة أنا منها براء .

ذلك من اخبار المترجم . وقد حج قديما . ويذكر لى بذاكرة غريبة فلا ينسى اى شيء . ويظهر لى ان الرجل لا يخلو من خير . وانما يغلب عليه المزاح . وارسال النكتة . وقد كان ممن استغاث به الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى حين نزعت منه املاكه فى ايشت . وتوجد قصيدة وجوابها حول ذلك فى ترجمة سيدى المدنى بن على الالغى فى (القسم الاول) وكان دائما يفد الى (الغ) وكثيرا ما ينزل على سيدى احمد بن الحاج صالح . وعلى استاذه سيدى على بن عبد الله . وقد كان شانه عاليا يذكر من سنوات 1315 هـ. مبدأ شبيبته .

قال فيه على بن الحبيب الجرارى :

(ومنهم القائد السيد الحاج احمد بن الحسين الاصم الابراهيمى ، يتصور للناس فى كل صورة ، ويتشكل معهم فى كل شكل من غير ضرورة . كان فى اول امره يدرس العلم بالاخصاص لدى شيخه سيدى الحسن بن [illegible] الاخصاصى فاخضر فى العلم عوده . ثم لما كان ما كان لبس للزمان لبوسه ، واظهر عبوسه . صار يتردد الى المحاكم ليله ونهاره ، ويتطور اطواره ، فطلب القيادة فمنحها ، وهو الآن بقيد الحياة مجلسه غير مستطاب . وجواره غير مهاب . فالله يصلح الحالة ، ويمن بالاقالة . تارة يزدرى بنفسه ، وتارة بابناء جنسه . فمجلسه خال من كل خير الا من المضاحك .

اخوه ابرهيم

تولى الرياسة بعد اخيه . ولم يطل به الزمان فلحق به . فرحم الله الجميع . ودارهم لا تزال مصونة الى الآن باملاكها .

(1) مات فى اصطدام بين الرباط والبيضاء اثر الاستقلال .

سيدي محمد بن مبارك أولموش التاغاجيجتي

نحو 1307 هـ. = 1349 هـ.

من فخذ تسمى ايت تيكا من قبيلة ايت أوسا ، ويقطنون في زاوية ايت أوسا الشهيرة . من خدام تلك الزاوية التي كان اسسها الشيخ يعزى وهدى المتوفى 726 هـ. وقد مر في هذه الفخذ علماء يذكرون في العهد الاخير منهم سيدى محمد أوتوا يرى فقيه جليل مذكور . قال الحاكي وهو من تلك الجهة انه قرأ المختصر . بنسخة من الدردير مكتوبة بيد هذا السيد . وقد ظهر فيها حذق وفهم من توقيفاته ، وعدم التصحيف مما كتبه . وقد رسم فيها انصبة الشريف الكثيري المشهور عند الناس بسيدى سعيد الشريف . فاستدل الحاكي بذلك على أنه ممن اخذ عن الكثيري . وعلى طرر تلك النسخة نقول من حاشية الدسوقي . وهذه الحاشية لم تدخل في أيدى الكثيري الا بعد ان حج حوالي 1294 هـ. فأتى بها من مصر . ثم صار الناس يذكرون عن سيدى محمد هذا أنه رجع بعلم وتحصيل واتقان . فحين رجع من الاخذ شارط في قرية (ادا ومليل) وتقابلها قرية (ادا ونكيت) ، وهما القريتان في الزاوية الاساوية ، ولم يعمره كثيرا ، فقد اعتبط شابا . ويوثر ان سبب هلاكه سم دسته اليه امرأة كان خطبها أولا ، ثم تركها الى أخرى . وقد توفي بعد صدر هذا القرن . فطارت له شهرة علمية مكينة . وان لم يطل عمره .

2 ــ ومنهم سيدى على بن بلا التيكائي . عالم مشهور ايضا هناك . وهو من أقران المذكور قبله . كان يتولى الفصل بين الناس ، لاسيما اذ كان مشارطا في احدى مساجد تاغاجيجت فقد ابدأ هناك واعاد . وكان يخب ويضع في ميدان النوازل ، وقد ينقض احكاما أبرمها غيره في تلك الجهة . وما أكثر محررات يده في الرسوم والاحكام هناك . ثم انه كان يقطن حينا في زاوية اسا . وحينا في قرية (دودرار) من تاغاجيجت ، حتى مات هناك حوالي 1320 هـ. وقد اعقب اولادا لا يزالون احياء الى الآن .

3 ــ ومنهم سيدى عبد الرحمان ، تخرج باحد علماء تاكوشت من قبيلة ايت صواب . ثم لما صدر كان قطب الافتاء في زاوية اسا . وشارط في مسجد سيدى عيسى بن صالح . من زاوية أسا . وكان هذا المسجد هو القديم . الذى عليه احباس كثيرة . كان يعلم كتاب الله هناك ، وذلك ديدنه . وقد كان تقيا خاشعا . وقد توفي حوالي 1323 هـ. وقد اعقب ولدا واحدا .

4 ــ ومنهم ولده سيدى محمد . فقد حفظ القرءان عند ابيه . ومتونا كثيرة . ثم أرسله والده الى مدرسة (أمسرا) عند الاستاذ الكبير سيدى محمد ابن المحفوظ الشهير هناك . (وقد ذكرت ترجمته في ترجمة تلميذه سيدى بريك بن عمر المجاطي) ثم ان هذا واظب هناك حتى صدر بعلم كثير . وبتحصيل وفير . حتى ان بعض الناس ليفضله على ابيه . وان كان الولد لا يعدو ان يكون سر ابيه . قال الحاكي رايت في كتب دراسته من الطرر والتقريرات والتنبيهات ما يدل على نبوغه . ثم انه اعتبط وشيكا . وسبب موته انه ورد على ابيه . فدخل بستانا لهم . فشرع يغتسل في جدول مر في وسط البستان . فادركته مسة جن كانت تعتريه ، فلم ينشب ان مات في الجدول ، وثيابه التي كان لبسها ملقاة ازاءه ، وقد كان أوصد دونه باب البستان ، وللبستان سياج عالي السور . فلم يتوصل اهله الى الدخول اليه الا بمشقة . فكانت صدمة عظيمة على والده الذى يراه كثيرا . حتى انه بعد ما وسده في قبره . لم يزل يختلف بيده تحت رجام القبر . يمسه لعلنا ماشاء الله قبل ان يسوى التراب عليه .

5 ــ ومنهم سيدى محمد بن مبارك هذا الذى يساق اليه الحديث .

مآخذه في القرءان

اما استاذه في القرءان فهو سيدى ابرهيم بن بحمان الشريف من اولاد الشيخ سيدى احمد بن موسى ، كان يشارط في قرية ايت بلا همو من قرى تاغاجيجت وهناك اصدر من حفاظ القرءان كثيرين . وكان من افذاذ المعلمين المجودين ممن يضرب بهم الامثال في ذلك الميدان . وفي هذا المسجد اخذ عنه المترجم حتى اتقن حفظ كتاب الله ، اتى به والده الفقير مبارك من مسقط راسه . حيث دار والده من قرية (تاكموت) الى هذه القرية من اجل هذا الاستاذ . وكان للوالد نية حسنة في تعليم ولده ، ويذكر بخير كثير وعبادة وبالاكباب على العمل في حقوله . حتى قيل فيه . ان ديدن الفقير مبارك المعول للارض ، والجبهة للارض . وكان مثريا غنيا موسعا عليه بين اهله . ولكن لا يبطر النعمة ، وقد تأخرت وفاة هذا الفقير عن وفاة ولده المترجم . وأما الاستاذ ابن بحمان فانه بعد ما أمضى ما أمضى في هذا المسجد انتقل الى (ليغمرت) من وادى نون . حيث شارط ايضا . فأكب على ما هو بصدده . حتى فقد بصره . ولا يزال حيا الى الآن . 1374 هـ. يوم نحرر هذه الترجمة .

مآخذه للعلوم

دار في مدارس شتى فاخذ عن عدد من الاساتذة . اخذ من مدرسة (امسرا) عن الاستاذ سيدى محمد بن المحفوظ . وفي مدرسة سيدى (بوعبدلي) عن الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزي . وفي مدرسة (ادا ومحمد) عن العلامة

سيدي محمد بن عبو . وفي مدرسة (الغ) عن سيدي بلقاسم التاجارمونتي
وعن عميد المدرسة يعسوب الغ سيدي علي بن عبد الله ، وفي مدرسة (تانكرت)
عن العلامتين سيدي الطاهر بن محمد ، وولده سيدي محمد ، وكان اتصل
بالعلامة الافراني قبل هذا الوقت في مدرسة (بومروان) السملالية . ففي
هذه المدارس اطال المكث في الاخذ فكانت له مشاركة حسنة . وبصر بالفنون.
وله شفوف في الحساب والفرائض ، وعهدي به في مدرسة (تانكرت) يعلمنا
الحساب والفرائض . ونحن ثلة من الشباب . من بيننا لدتنا الاديب سيدي
الحسن الكوسالي والاديب محمد بن الطيب الصائغ . وذلك باذن شيخنا سيدي
الطاهر . فهو من جملة اشياخي رحمه الله .

مشارطاته

لما اكتفى من الاخذ ، وقد افعوعم وطبه . أقبل على ميدان التعليم .
فمر بمدرسة (اكادير مقورن) من تاغاجيجت ، حيث مسقط راسه (تاكموت)
ومسجد (اغر غار) ويسمى مدرسة ، لكنها صغيرة وهنا أبطا كثيرا . وفي
(تاينزرت) ازاء (أداي) ، وفي بعض مساجد مجاط . واخيرا القى مرساته في
(اسا) . فشارط اولا في مسجد سيدي عيسى بن صالح . ثم بعد أن تمكن
الاحتلال تولى القضاء والعدالة رسميا باذن من هناك من الحكام ، هذه تنقلاته
في حياته . ولم يرزق التدريس ، وانما كان يتعاطى أحيانا ما يتعاطاه أساتذة
المساجد .

نتف من احواله

كان اسود اللون كالزبيبة ، وكان مولعا بالنظافة التامة ، وملازمة
لبسة البياض ، وكان كلما اشتد بياض حلته ، يشتد سواد جلدته . وكان
رقيق الحاشية ، يسيل عرقه كثيرا في الصيف . وكثيرا ما يضع اصبعه على
الواحنا التي نقرأ فيها الحساب في الصيف ، فتسيل اللوحة بمسة من
اصبعه . وكان يتعالى في كل اموره ويحب التفوق ، فيكب على كتب الادب ،
وقد كاد يحفظ (العقد الفريد) لابن عبد ربه لانه كتابه الذي رايناه اذ ذاك
مكبا عليه . وناهيك بما بين دفتي هذا الكتاب النادر ، القليل النظير في
كتب الادب . وقد اعتنى بكل الفاظه اللغوية اعتناء تاما ، بله كتاب الادب
الاخرى ، كنفح الطيب وامثاله . وكان رحمه الله فكها ملاطفا . يداري الطلبة
كثيرا ، لانه لاسوداده كثيرا ما يتخذه سفهاؤهم لقلة ادبهم محور فكاهاتهم
وسخريتهم ، مع انه من افذاذ الطلبة . ومن اللطائف ان طلبة (الغ) اجتمعوا
عليه يوما فعصوه بلا سبب احتقارا لسواده. ولما ذهب الى الاستاذ التاجارمونتي
وحكى له ما فعله به الطلبة لم يزد الاستاذ أن قال له . أضربك الطلبة ياأخي ؟
فحسن ، فحسن ، فكان الاستاذ ارتضى ايضا بدوره ذلك الظلم الشنيع .
المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

ام كان لذلك سبب ثابت عند الاستاذ ، فرضي بناديه . وهذا الذي قاله
الاستاذ صار مثلا عند الالغيين . وقد كان من نجباء الطلبة ومن المحصلين بين
طبقته ، ونحن معه في (تانكرت) اعوام 1332 ـ 1336 هـ. وكان مشاركا في
العربية نحوا ولغة وتصريفا وفقها وحديثا . واما الحساب والفرائض فقد
تفوق فيهما تفوقا مسلما له ، وكان يعتني باقتناء الكتب حتى تكونت لـه
خزانة كبرى تذكر . وكل ذلك من آثار همته العليا ، وقد كان من اكابر
الاخذين عن سيدي الطاهر . ومن المولعين بالتشبه به . والاقتداء به . حتى
في الطريقة الاحمدية ولمحبته له سمى ولده الطاهر .

ما بيني وبينه

رايت انه احد اشياخي رحمه الله . فلم انكره ـ وحاشا ـ ولم انسه
وان كان اسود . فجرت بيني وبينه مكاتبات ، خصوصا حين اكون في الغ
ولم اكن احافظ على المراسلة فيما بيننا . فلذلك لا اجد الآن ما اقدمه كنموذج
من آثاره التي هي بلا ريب ذات رونق ، وعهدي برسالة منه الى وشحها بالادبيات
والامثال . وكيف يكون المضطلع بـ (العقد الفريد) وامثاله الاصاحب فلم
تنتشر منه الادبيات . ولكن بكل اسف يابى التفريط الا ان نميل الى الاصابع
عضا يوم نندم غاية الندم على عدم الاهتبال بمآثار علمائنا الكبار . مثل
مترجمنا هذا . لان بالاثار وحدها ظهر العظماء الكبار .

رسالة

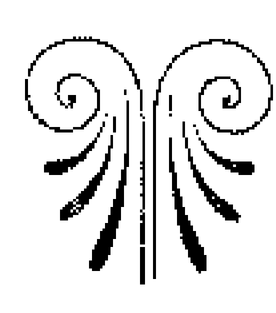
ثم انني وجدت احدى رسائله الي ، وهي :

الاخ الذي أبدا في الوفاء واعاد . والاستاذ الكبير الذي اظهر الله للعالم كل
ما استفاد ، من لم ينس ـ وحاشاه ـ اوداءه . ولم يلق تعارفه معهم وراءه ،
سيدي محمد المختار ابن الشيخ الكبير ، قطب العارفين ، وبحر الغارفين ،
ومحور الفقراء الطائفين . سيدي الحاج علي قطب الطريقة ، وامام الشريعة
والحقيقة . وعليكم من السلام ما بدائم به اخاكم تفضلا . ومن التحايا الطيبة
ما ينسي اريجه عودا ومندلا . اما بعد فلله درك ايها العلامة الاديب لقد ايقظت
نائما ، وارشدت هائما . وارعيت سائما . فقد جاءت الرسالة المشرقة الانوار ،
المبلولة الازهار ، الطافحة بالاسرار فاحتسيت منها ما ينسى الصهباء ، وغرقت
من بلاغتها في مثل الدأماء ، ولو كان يمكن لي لكنت انا بنفسي عين الجواب .
بل ذلك لو تاتي هو عين الصواب . لانني ارى الاقلام ، لا تؤدي ما تؤديه
الاقدام ، ولكن ليس في عصاي سير ، ومن انقطع عن عذر . فما عليه من
ضير . هذا وساكتب اليك بعد اليوم ان شاء الله بكل ما تريد ، فانني لا ارى
عن اجابة مثلك اي محيد . والسلام

اولاده

الطاهر المتقدم اخذ عن ابيه ومن مدرسة (تانكرت) قليلا . ولم يصل شيئا يذكر وهو اليوم مشارط فى زاوية أسا . ثم اليزيد الذى ياخذ الآن فى مدرسة (تانكرت) انقطع اليها بعد موت ابيه . ثم الخليل الذى استحال تاجرا وهو على ذلك الى الآن .

اخذ القرءان عن ابن بحمان الذى كان وحده استاذ كل افـراد هذه الاسرة وقد لازم اخاه المذكور فى (تانكرت) فيواخذه بحفظ المهات . وهو اذ ذاك صغير كما افتتح العلوم . ثم شدا فيها وشيكا . ثم بلغنى انه لا باس بمعلوماته ، ولم يتمكن الا فى العربية . وقد دام على المشارطة فى مساجد شتى ، مسجد (دودرار) ، وفى (تاينزرت) ، وهو على ذلك الآن .



الحاج عبد الله التامانارتي

1286 هـ = 2 ـ 10 ـ 1360 هـ

نسبـه

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن مسعود بن مسعود مكـررا . كان مسعود رئيسا فى قبيلة حربيل ، وله ولد عـدا عليه بعض الرؤساء الحربيليين ففتك به ، ففتك ابوه بسبعة من الحربيليين ، ثم بالرئيس الفاتك ، فهرب من قبيلة حربيل ، فنزل على اعدائهم التامانارتيين آل (اكرض) فتزوج بنت القائد محمد بن عبد الله . وهو منحدر من شعبة يزيدية تفرعت عن الاسرة اليزيدية المتشعبة فى كثير من نواحي سوس ، ونستحضر الآن من مقاطن شعبها ما كنا ذكرناه فى (القسم الثالث) عند ذكرنا لكل علماء هذه الاسرة اليزيدية المرتفع نسبها الى عبد شمس .

اساتذته في القـرآن

تلقى المبادىء الاولية فى مسجد قريته عن بعض الاساتذة ، ثم اتصل بالاستاذ سيدى محمد بن الحسن الاغبالويي الماسي فى مدرسة سيدى همو او الحسن الاخصاصية ، فبه اتقن حفظ القرآن وتخرج ، ولا ادرى ااخـذ عنه حروفا اخرى من القراآت ، كعادة الذين يمرون بين يديه ، ام انما اخذ عنه حرف ورش فقط ، وكذلك اخذ عن الاستاذ الشهير فى القراآت ايضا سيدى علي الرسموكي التيركتي فى مدرسة (المولود) ويعرف ببوتعل ، لقب لقب به ، هؤلاء اساتذته فى القرآن .

وفي المعارف

1 ـ سيدى الحاج محمد بن بلقاسم اليزيدى ، هو اول من افتتح عليه المبادىء ، ولعل ذلك فى احدى المدارس التى تقلب فيها بعد المدرسة الالغية او فى هذه نفسها ، وقد عرفنا انه درس فيها سنة 1301 هـ وسنة : 1305 هـ

2 ـ سيدى العربى الساموكني ، لعله اخذ عنه فى (الايغشانية) او فى احدى التى كان فيها كالادائية ، والبوزاكارنية .

3 ـ ابو الحسن الالغى فى المدرسة الالغية

4 ـ ابو القاسم التاجارمونتي : الغالب انه ياخذ عنه ايضا فى المدرسة المذكورة وان كان لم يذكره لى فى كتابه الى ، ان كان مر فيها بعد 1312 هـ ونحن الآن لم نعرف فى اى عهد كان فيها .

هؤلاء اشياخه في المعارف ، وهم كما يرى القارئ اكابر المدرسين اذ ذاك ، فمن لم يتفوق غاية التفوق بعد ان يلازمهم القدر الكافي ، وله ادراك ، فانما هو ممن كتب عليه ان لايزال سكيتا ما دام في ميدان الحياة .

مشارطاته واعماله

رجع الى اهله بعد ان اكتفى من الاخذ ، وعرف ما قدر له مما ليس بقليل ولا ماؤه فيه بوشل ، فصار يشارط فى مساجد قريته لا غير ، وهى متعددة فحينا يشارط فى مسجد سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ ، وحينا فى المسجد الكبير ، وقلما يبقى عاطلا من المشارطة فى احدهما ، غير انه غير معروف برفع راية التدريس الا قليلا ، ولذلك وئد علمه ، وصار يتناقص ، وقديما صدق من قال :

اذا هجـر العـلم يومـا هجـر	وزال فـلم يـبـق منـه اثـر
كماء ترقـرق فـوق الصـفـا	اذا انقطـع المـاء جـف الحجـر

وكان ما يشتغل به هو الجولان في النوازل احيانا ، ففى تلك الجهة كثير من محرراته فى ذلك ، وقد اثنى على تحريراته فى هذا الباب العم ابراهيم ، وذكر انه ممن يحكم ويتقن فصل النوازل ، وهل يتقن ذلك الا بكثرة المزاولة ، والقضاء صناعة ، قد يتقنها قليل العلم ، وخطه حسن بين .

ثم انه بعد الاحتلال لوى راسه تحت طى جناحه ، فلم يتحرك له بعد قلم فى نازلة .

اتصاله بالشيخ الافراني

كان للعلامة الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى اتصال بالرؤساء التامانارتيين فكان ينشر هنالك الطريقة الاحمدية ، وبذلك اتصل به المترجم ، فصار هناك محورها اسس الزاوية ، واشتغل بنشرها هناك ، وله اليوم هالة غير ضيقة فى ذلك ، وقد تقدمت فى ترجمة الشيخ الافرانى فى (القسم الثالث) من (الفصل الاول) رسالة منه الى المترجم يراجعها هناك من شاء .

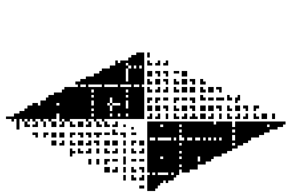
كيف كتابته

لم اقرا له اثرا ، لا فقهيا ولا ادبيا الى الآن ، ولا اخا له يلم من الادب ولو بطرف ، الا رسالته الى ، ونص بعضها :

الفقيه الاجل المرتضى ، الذى كان فى كل اموره عدلا رضى ، بقية الخلف وبركة السلف (فلان) فعليك من السلام افضل ما سلمت به علينا ، ومن التحية ما يملأ الجو ، ويقر العين .

وبعد : فقد وصلت الى رسالتك ، بارك الله فيك وفى همتك ، وليس عند هذا العبد ما يستحق به ان يذكر ، الا انى اجيبك عما تريده اتباعا لك فقط الخ .

ثم ذكر مشيخته ، وولادته كما تقدم ، ويظهر انه وسط فى كتابته ، ولا ريب ان كل من لم يثقفه فن الادب ، ولا وطا له مهاد البلاغة ، فانه لا يكتب الا ساذجا .



سيـــدى الحسين الايموكاديري

قبل 1280 هـ = نحو 1349 هـ.

نسبـه

الحسين بن بلقاسم
فقيه من فقهاء ايموكادير المتاخرين له شهرة وسطى بين الفقهاء فى جهته وآثار قلمية توجد فى بلده وفيما اليه .

مشيختـه

نشأ فى قريته التى هى من كبريات قرى (تامانارت) ففى مسجدها حفظ القرءان عن اساتذة لم نقف على اسمائهم وقد كان مسجدهم الكبير الذى تصلى فيه الجمع اذ ذاك طافحا بالتلاميذ يختار له اكابر الاساتذة .
ثم اعمل الرحلة لاخذ العلم ياخذ عن هؤلاء .
1 ـ استاذ فى مدرسة أيت عمرو بهشتوكة . لم اقف على اسمه الى الآن .
2 ـ العلامة الصوفى سيدى ابرهيم الايسقالى التنانى العلامة الشهير المتخرج بالاستاذ ابى العباس سيدى احمد أوجمل وطبقته فى سوس . ثم ملأ مدرسة (ايسقال) من قبيلة ادا وتنان بالمعارف الزاخرة . وقد عرفنا بعض الاخذين عنـه كخلفـه فى المدرسة سيدى الحاج الحسن (أكـازو) وسيدى الحسـين التامكونسى وآخرين . وقد كان عابدا صالحا متهجدا صواما صوفى النزعة . من اصحاب الشيخ سيدى سعيد بن محمد المعدرى . وعلى يده فتح له وقد لاقاه فى اخريات حياته . ولم ينشب أن توفى 1296 هـ. قبل شيخه بسنوات . (هكذا قيل لى . ان المترجم أدركه حيا فى ايسقال فأخـذ عنه قبل ان يأخـذ عن الاتى وانا فى ريب من ذلك) .
3 ـ سيدى الحاج الحسين الكزويى . الفقيه الصالح المتبرك به صاحب الروحانية العجيبة . واصله من ايت امر بحاحة ثـم اتصل بالشيخ محمد اكنسوس بمراكش فكان احد اتباعه . وظهرت عليه بركته رضى الله عنهما . وقد تصدر للتدريس فى مدرسة (ايسقال) بعد سيدى ابرهيم . فاخذ عنه كثيرون منهم الباشا الحسن بن ابرهيم الحاحى باشا اكادير وشيخنا سيدى سعيد التنانى . والمترجم وغيرهم . وكان له فى الناس اعتقاد عظيم لاخباره بالمغيبات . كما له فى الزهد مقام اختص به . وهو يـلاقى البارزين من معاصريه كالشيخ الالغى بادب زائد . وهو من مفاخر عصره ومن المشايخ الذين ظهروا من اول

هذا القرن الى اواسطه . وقد ترجمه مؤرخ قبيلة ادا وتنان) سيدى احمد الكشطى فى (كتابه) كما اجرى ذكـره غيره تـوفى بعد 1330 هـ. فى سنة استحضرها ، وله اولاد فقهاء قاموا مقامه وحجوا واكبرهم سيدى الحاج محمد توفى فى سنة 1379 هـ.

4 ـ سيدى مسعود المعدرى ـ وقد ترجم فى (القسم الرابع) مع اهله ـ

5 ـ سيدى على بن عبد الله الالغى ـ وقد مرت ترجمته فى (القسم الاول) هؤلاء من اعرفهم من مشيخة سيدى الحسين رحمه الله .

احواله

فقيه جيد حسن التحصيل . له مشاركة حسنة . خصوصا فى النوازل التى كان يجول فيها ببلده احقابا . وقد شارط فى مبادئى تخرجه فى بعض مساجد الغ حيث تخرج به أناس من الاساتذة الالغيين فى القرءان . ثم قطن فى بلده . فداخل الرؤساء فيظهر بمظهرهم احيانا . فنال بذلك جاها ورسوخ قدم . وله حكايات فى ذلك ياثرها اهل بلده . وقعت بينه وبين آل بلعيد ، وبينه وبين رؤساء آخرين . وهو على كل حال فقيه بلده فى عهده اليه يرجع فى الفتاوى وفى الاحكام . وقد كان يكاتب أستاذه الالغى متى توقف فى شئ ، فهاك احدى رسائله اليه :

(سيـدى وسنـدى . ومـن هـو فى كل المعـضـلات عـضـدى . ومتشبث يدى . الفحل الذى لا ينازع . والامام الذى لا يضارع . ابو الحسن سيدى على بن عبد الله الالغى . اعطانا الله ببركته كل ما نبغى . هذا فبعد السلام اوجه الى سيدى هذا الحكم الذى حررته فى هذه النازلة ليدلنى على ما عسى أن أخطئى فيه . فانما انـا سهمك . ولسانك وفهمك ، وتلميذك الصغير . وخادمك الحقير ـ اطال الله عمرك . واطال فينا نظرك وادع لنا بكل خير والسلام .)

نتف من اخلاقه واخباره

حكى لي احد جيرانه انه كثيرا ما يتعجب منه الناس . ويرونه فريدا فيما تحلى به . فلا يقدر احد ان يزعم انه ناوى احدا او زاحمه او خاصمه او راده كلاما . وكان محبوبا عند كل احد . ثم هو مع ذلك يتجافى عن المظهر العلمي . فيابى ان يتولى الكتابة في شيء . فمن ساله عن شيء فلا يعدو ان يلقي اليه الحكم بفيه . ثم يمر مر الكرام . وقد تحرى بذلك كثيرا . ويرى ان كثيرين ممن يخوضون من علماء بلده ينتشبون في الزور او في تاييد من يكتبه . قال الحاكي افضى الي يوما بان كل من يقدر ان يقول الزور او يؤيده فانه بلا ريب غير مقر بوجود الله . والا فكيف يفعل ذلك وقد علم ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في عد الكبائر . الا وشهادة الزور . الا وشهادة الـزور .

وسبب وفاته انه الم به مرض في اسافله لازمه سنوات . حتى الطلع به في بيت بين اهله منفردا . فلم ينفك عنه حتى لوى به . وهو في اوائل كهولتـه .

آثار من بين مكتوباته

كنت اوعزت الى بعض الناس ليقلب لي اثناء كتبه لعله يظفر بشيء من بنات قلمه . فلم يجد الا ورقات فيها ادبيات كانه يقيدها ليحفظها . او كانه اعجب بها اثناء مطالعاته للكتب الادبية التي يالفها بلا ريب من عند الالغيين . وهي مقطعات كثيرة . منها ما هو من المختار ومنها ما هو دون ذلك . فمما اعجبني منها . وهو ما كتبه بعضهم الى من احتجب عنه

يـا اميرا على جريـب من الا — رض له تسعـة من الحجـاب
جالسا في الخـراب يحجب فيه — مـا سمعنا بحاجب في خـراب
لن تـراني لك العيون بباب — ليس مثـلي يطيق رد الحجاب

ومنه :

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت — ولم تخف سوء ماياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغـتررت بهـا — وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ومنه :

وهل يدخر الضرغام قوتا ليومه — اذا ادخـر النمل الطعام لعامـه

ومنه :

سامحت كتبك في القطيعة عالما — ان الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفـاء لانـه — يسري فيصبح دوننـا بمراحل

سيدي ابرهيم العنتري

نحو 1290 هـ = نحو 1346 هـ

نسبـه

ابرهيم بن محمد بن احمد بن محمد

من اسرة اد عنتر وهي الاسرة الاصلية في قرية (ايموكادير) . كانوا هناك منذ قرون سادة البلاد . وحكام الناس حكى لي ثقة ان رسومهم القديمة لا تكاد ترى ممن يذكرون فيها الا امغار فلان وامغار فلان . وقد كانوا مغاوير مقاديم مساعير حروب ما منهم الا سالت نفسه على اسلات الاسنة .

وما مات منا سيد حتف انفـه — ولا طـل منا حيث كان قتيـل
يقرب حب المـوت اجالنا لنـا — وتكرهـه آجـالـهم فـتـطـول
وانا لقوم لا نـرى القتل سبـة — اذا مـا راتـه عامـر وسـلول

اساتذته

اخذ القرءان في القرية عن اساتذة مروا في مسجدها منهم الفقيه سيدي علي بن محمد وسيدي محمد بن مبارك أوجبور . وبه تخرج . ثـم التحق بالمدرسة المعدرية عند الاستاذ سيدي احمد بن مسعود . فافتتح عنده ولازمه ماشاء الله . ثم كان من تلاميذ المدرسة الوفقاوية سنة 1329 هـ حين كان سيدي موسى بن الطيب الالغي مشارطا فيها . ثم من هناك الى المدرسة الالغية . وكان منذ نشاته متواضعا يمشي على الارض هونا . ولكن حظه من المعارف لم يكن مثل حظه في الاخلاق . فكان مع مروره على كل متون الفنون وسطا . حتى في العربية التي كثيرا ما ينبغ فيها الالغيون . ولعل ذلك سرى اليه من عدم افتتاحها عندهم . لان لهم في السير الابتدائي فيها مشيا وئيدا حتى تثبت الخطا وهو مع كل ذلك ذو مشاركة حسنة فيما ذكر لنا .

يشارط في قريته

رجع الى اهله نحو 1334 هـ فشارط في مسجد القرية قليلا ، ثم تنحى عن المشارطة بالكلية لان اسرته العريقة في تلك البلاد ذات حقول واسعة تدر عليهم اموالا تسع افراد الاسرة في كل حاجاتهم . فلذلك لم يدفعه دافع الى اجرة المشارطة . فاقترن بآنسة من بنات اعمامه . فاستقر به القرار . غير انه حبب اليه الانزواء عن الناس . والتباعد عنهم فلم تعهد منه مخالطة احد بعد ان فارق مسجد القرية الا فيما لابد منه من الضروريات .

ومنه :

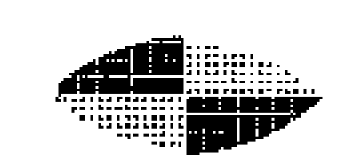
وقد اطال لثـاى طول لابســه ... ان الثنــاء على التنبال تنبـال

الى آخر ما هنالك من الابيات والقطع . كان يتتبعها على عادة الالغيين . ويظهر من ذلك انه متأدب . وان لم يكن يذكر فى حلبة الميدان . ولا رئى له اثر يرفعه الى المكانة التى لا يشغلها الا الادباء .

وله ابن عم يسمى سعيدا اقصر منه باعا . واضأل سمعة . وقد كان معه فى الغ . ولكن ليس كل من زار الغ كان الغيا حقا . ولبعض الالغيين فيما يرمى الى هذا المعنى .

فما كل من يرنــو الجمال يحبه ... ولا كل من يرى الحسان متيما
فللعشق اهل كلما او مض الهوى ... بحسن هفاكا لهيم ان شفها الظما

توفى قبل المترجم بنحو ست سنين .



القاضي سيدي محمد بن الحسن الايموكاديرى

1 ـ 1 ـ 1329 هـ. = حـى

نسبــه

محمد بن الحسن بن حميد بن الحسن بن محمد (فتحـا) بن احمد بن العكيد (بكاف معقودة) عرف اهله ببنى محمد بن احمد . من فخذ اد كليش بقرية (ايمى أوتو) بفم الحصن . وقد كتب الى عن حياته ما يأتى :

قرأت القرءان ببلدى عن السيد احمد بن الحسين المصطفى المتوفى فى ذى الحجة 1374 هـ. وحفظته وانا ابن ست عشر سنة ، فابتدأت عنده قراءة قالون ثم مكثت ببلدى اعـلم التلاميذ القرءان نحو اربـع سنين . وحفظت الاجرومية عن والدى السيد الحسن بن حميد المتوفى فى 15 صفر 1347 هـ. ـ وهو من اصحاب الشيخ الالغى ـ ثم انتقلت مع والدى المذكور الى مدرسة (ايت رخا) فى 15 محرم 1347 هـ. فسمعت قراءة ابن كثير من الطالب السيد احمد بن سى بيه الاخصاصى . فمكثت هناك عامين . كما ابتدأت الاجرومية عند الفقيه السيد الحسين بن على الرخاوى المولود عام 1314 هـ. والمتوفى عام 1373 هـ ـ وهو من الآخذين عن سيدى الطاهر الافرانى وعن ابنه سيدى محمد ـ كما اخذت عنه ابوابا من الفية ابن مالك . ثم انتقلت الى مدرسة (تازاروالت) فى ذى الحجة عام 1348 هـ. حيث مكثت ثلاثة اشهر . فاعدت هناك الاجرومية ، وابتــدأت الزواوى على يـد الفقيه السيد الطيب بن ابرهيم الاكمارى . ثم انتقلت فى اواخر صفر 1349 هـ. الى مدرسة (ايكضى) فى بلد (ادا وباعقيل) فمكثت فيها اربع سنين . ثم انتقلت الى (ايت رخا) للشرط . فمكثت عاما ، فكنت ادرس على السيد الحسين بن على من آل ابى الطعام ـ المتقدم ـ بعض الكتب الادبية كابن خلكان . وعلى الفقيه العلامة السيد محمد أبا الصحراوى الجزء الاول من نفح الطيب . ثم انتقلت راجعا الى مدرسة (ايكضى) حيث اخذت عن الفقيه العلامة السيد محمد بن عمر التملى المزداد سنة 1312 هـ. والمتوفى 15 رجب 1363 هـ. الفية ابن مالك والشيخ خليل والمقامات الحريرية وابن عاصم والزقاقية . ثم انتقلت عام 1358 هـ الى المدرسة (الالغية) ثـم ارسلنى الفقيه العلامة السيد المدنى بن على للشرط فى (تاكانزا) فمكث فيها اربعة اشهر . ثم انتقلت الى مدرسة (تانكرت) فى رجب 1358 هـ. فاخذت عن الفقيه السيد محمد بن الطاهر الافرانى المتوفى عام 1377 هـ. ابوابا من الفية

ابن مالك والزواوى . وحديث البخارى . ومقامات الحريرى . وشيئا من رسالة ابن ابى زيد . ثم انتقلت الى المدرسة الالغية ايضا فى آخر ذى الحجة 1358 هـ. حيث اخذت عن الفقيه العلامة السيد المدنى بن على المزداد سنة 1312 هـ. والمتوفى فى العشرة الاولى من رجب 1365 ابوابا من الفية ابن مالك ومقامات الحريرى والميراث . ثم انتقلت الى (اقا) فى رجب 1359 هـ. حيث اخذت عن الفقيه العلامة السيد سيداتى بن الكنتى بن العربى الجاكانى الفية السيوطى فى البيان . والفية عبد الله بن الحاج ابرهيم فى الاصول . والفيـة الفقيه المذكور فى الفقه . والفقيه المذكور له تئاليف عديدة . وشعر كثير ، بيد ان شعره ضاع منى الكناش الذى اقيده فيه . ومن تئاليفه الفيته فى الفقه وشرحها. ومختصر الاخضرى فى الزهد . وتاليف فى التوحيد . وارجوزة ايام المحنة الاخيرة فيها اربعون بيتا . ولد عام 1301 هـ وتوفى 8 رجب 1374 هـ. ثم رجعت الى المدرسة الالغية ايضا عام 1362 هـ. للازدياد من علومها . فقرات على الفقيه السيد المدنى بن على مختصر الشيخ خليل . والفية ابن مالك . وانتقلت للشرط فى المدرسة الوفقاوية عند الفقيه السيد عبد الله بن الحاج احمد الوفقاوى . فمكثت ادرس لطلبة العلم فيها نحو خمسة اشهر عام 1364 هـ. ثم انتقلت فاتح 1365 هـ. الى مدرسة (أكرض) فى (تامانارت) للشرط . فشرعت اقرئ طلبة العلم هناك الى عام 1367 هـ. فانتقلت الى مدرسة (ايمى نتاتلت) للشرط فشرعت اقرىء طلبة العلم هناك خمسة اعـوام ونصفا وممن اخـذوا عنى ولا باس بهم وأنا فى (أكرض) بتامانارت .

1 ــ السيد الحسن بن المدنى الايموكاديرى فى (ايمى أوتـو) وهو مدرس بالمدرسة الابتدائية سابقا بفم الحصن ،

2 ــ السيد ابرهيم بن الحسن الاخ الساكن فى (ايمى أوتو) وهو وطنى غيور (حج اخيرا مع المترجم) ،

3 ــ السيد الهاشم بن الحسين بن بلقاسم الساكن بفم الحصن مدرس بالمدرسة الابتدائية بقصبة ايت حربيل .

4 ــ السيد احمد بن ابرهيم الايتكنى مدرس بالمدرسة الابتدائية بايالة (ايغرم) وممن اخذوا عنى بمدرسة (ايمى نتاتلت) ،

5 ــ السيد ابرهيم بن سيداتى ووالده هو العلامة المتقدم الساكن باقا مدرس فى (ايميتك) .

6 ــ السيد محمد بن المختارى التيسينتى مـدرس بالمدرسة الابتدائية فى (تيسينت) ،

7 ــ السيد عبد الرحمن بن الحسين التيسينتى مـدرس المدرسة الابتدائية بطـاطـا .

8 ــ السيد الهاشم الايتيكنى ، طالب حسن الفهم ،

9 ــ السيد الحسن الايتيكنى ، كذلك حسن فى معلوماته .

10 ــ السيد عبلا بن محمد الباكيزى الملولى مدرس ببلده .

ثم انتقلت الى (فم الحصن) حيث شرعت فى ايام الازمة اسرد حديث البخارى فى الجامع الكبير فى البلد . فمكثت نحو ثلاثة اعوام على ذلك ، حتى اتى الله بالفرج والاستقلال ، ثم بليت بالقضاء 13 شعبان 1375 هـ.

اخبار عنه اخرى

كان هذا القاضى الجليل من البارزين فى تلك الجهة التامانارتية بين الموسومين بالمعارف . وقد كنت اسمع بـه قبل . وتـرد وتصدر الركبان بنجابته . وبكونه افضل محصل بين اقرانه هناك . فهذا هو السبب حتى تعين قاضيا فى تلك الناحية يوم اهتمت الحكومة ان تنظم القضاء الشرعى فى جميع نواحى المغرب . واخوه ابرهيم لا باس به ايضا وهو عميد الحزب هناك ، وقد كان ابوهما ظاهرا ايضا بمعلوماته قبلهما . وبه استحليا الحياة العلمية ، وسترى ترجمته فى (الفصل) الآتى من هذا (القسم الرابع) ، لانه من اصحاب الشيخ الالغى .

سيدى محمـــــد بن الطاهر الايشتي

قبل 1290 هـ = بعد 1355 هـ

نسبـــه

محمد بن الطاهر بن عمر

لا استحضر من نسبه اكثر من هذا ، ولا من اوصاف اسرته شيئا ، الا ان والده الطاهر بن عمر كان له المام بالمعارف . اخذ عن سيدى الحسن التمكيدشتي في مدرسة (تيمكيدشت) . ومداركه وسطى . وقد كان له مقام علمى كبير فى قريته . لأنه أوى الى ظل يعسوب ايشت فى عهده الحسين بن حمو . فكان فقيه حضرته . فاليه يؤول فى المهمات الشرعية . وعليه يعول فيما عسى ان يتوقف عليه فى ذلك . فكان قاضيه ومشاوره ونجيه في كل ما يروج بحضرته . وهو وان كان يقصر عن كل ما يراد منه الا ان الهشيم قد يرعى اذا صوح النبات . واقشعرت البلاد . وكان يشارط كثيرا . وقد شارط ما شاء الله فى قصبة (تامانارت) حوالى 1308 هـ. وقد كان له اتصال بالشيخ الالغى يحسن فيه الظن . ويحكي انه لما اساء صاحبه امغار الحسين ابن حمو الادب مع الشيخ فى القصبة المشهورة وقد نزل هو وطائفته هناك دخل على الشيخ فى سطح مسجد (ايشت) فافضى اليه بما كان الشيخ لايفضى به الا لمن يثق به . فكان ذلك هو السبب حتى فر ببعض متاعه وحلى عنده الى القصبة . فنجا مما اصاب صاحبه الحسين وكل الايشتيين من الاستحواذ على اموالهم وعلى ديارهم كما بيناه فى كتاب (من افواه الرجال) ، توفى نحو 1326 هـ.

اما ولده محمد فانه وان كان احد الاخذين من (الغ) لم يكن له شفوف امثاله . وهو محسوب عندهم فى غير الرعيل الاول . غير انه نال مجدا علميا في بلده . ولا سيما يوم انضوى الى ضبن آل بلعيد الاقاويين . وقـد كان يشارط كثيرا فى المساجد فى تلك الجهة . وقد يتولى فض النوازل وقسمة التركات . وقد وقفت له على رسالة كتبها الى سيدى ابى بكر الايكيوازى ونصهـا :

الفقيه الامام اللوذعى سيدى ابو بكر بن محمد السلام والرحمة والبركة والرحمة عليك وعلى من بك واليك ما طلعت شمس فى السماء . واحتاج ظمآن الى شرب الماء . افاض الله عليك نعمه . وازاح عنك نقمه .

آمين آمين لا ارضى بواحدة   حتى اضيف اليها الف آمينا

وبعد فالكاتب اليك محمد بن الطاهر بن عمر يذكرك ان تقف على الذى تذاكرنا عليه . حتى يصل الى يدى . فقد حططت احمالى ببابك ، وعلقت رجاءى بحبالك . ولم ار لقضاء حاجتى سواك بين الناس . اذ ليس مثلك بين الاوفياء الاكياس . واما امر التمر الذى وصيتنى عليه . فاطمئن بالا منه فساوصله اليك . وقد تكلمت مع مبارك . وقاطعت معه على النهار الذى تكيله فيه . اذامك الله لنا دوام الملوين . وجعلك لنا فى مقام الوالدين (ومن تكونوا ناصريه ينتصر) ومن وضع رجاءه فى مثلك فحاشا ان يضيع . والجواب مكنه من الحامل والسلام .

هذه هى الرسالة الوحيدة التى وقفت عليها له . وقـد وجدت فيها تصحيفا فى جمل ، وذلك مما يدل على انه وان كان الغى الاخذ . لم يكن الغى الفهم .

وما ينفع الاصل من هاشم   اذا كانت النفس من باهلة

واخلاقه ودينه يقال انه لا باس بهما . رحمه الله .

سيدى ابو بكر الايكيوازى ابن محمد ـ فتحا ـ

نحو 1279 = 24 شوال 1355 هـ

اصله

لم استحضر الآن من نسبه شيئا ، وكل ما عندى عن اسرته ان اصلها الاصيل من وانكيضا ببعقيلة العليا ، ثم انتقلت من هناك الى قرية (اكجكال) بالغ ، ومن هناك الى قرية (ايكيواز) فى (تامانارت) حيث كان يقطن محمد اوفقير كما كان يسمى والد مترجمنا، ومن هناك ولد المترجم . وهناك نشأ وتلقى القرءان . وفى هذه القرية بات الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى . ثم نهبت اثر ذهابه . كما ذكرنا ذلك فى ترجمته فى (الفصل الاول) من (القسم الثالث) .

مشيخته

كان اولا فى المدرسة (الالغية) عند مختتم القرن الماضى ، بعدما اسست 1297 هـ. او كان فيها مفتتح هذا القرن قبل ان يتوفى مؤسسها اوائل 1303 هـ ولم يبطئ فيها ، وحدثنى عنه ثقة ان الذى حمله على مفارقة هذه المدرسة هو البرد القارص الشديد المشهورة به الغ ، الفقيرة من كل شئ الامن الاعاصير الهوجاء التى اذا احتفلت فى فصل الشتاء ، والسماء تجود فى كل صباح ببرد شديد . وجليد تصبح به الارض الالغية الجرداء ووهادها وبسائطها كانما كسيت ازارا ابيض ، فناتى القوا صف العاصفة مع هذا الذى ينتشر فى كل صباح بما لا يمكن لاى حى لا يالفه أن يخرج معه لمقابلة الجو ، فتاثير القر يتخلل الجسوم ، والزوابع تصفر صفير الجنة حول الجدران ، وبين منابت الاشجار ـ لو كان فى الغ اشجار ـ فكيف يتأتى لحى لا يالف حياة هذا الجو ان يستكين اليه خصوصا ابناء الصقع التامانارتى المعتدل فى فصل الشتاء .

اخذ المترجم فى هذه المدرسة عن مؤسسها الاستاذ ابى عبد الله ، وان صح انه كان فيها فى سنة 1301 هـ فانه ياخذ ايضا عن ابى عبد الله الحاج محمد اليزيدى الذى كان فيها تلك السنة مشارطا .

ثم من هناك انتقل الى احدى مدارس الاخصاص ، فربض بين يدى الاستاذ سيدى الحسين بيبيس ، فلازمه ماشاء الله ثم اتصل بالاستاذ سيدى

محمد ـ فتحا ـ بن المحفوظ السملالى فى احدى المدارس بافران حيث كان ينتقل ، ثم القى مراسيه فى المدرسة (البونعمانية) بين يدى الاستاذ الكبير سيدى مسعود المعدرى ، فالقت به رحلته عصاها ، فلازم حضرته سنوات حتى اخذ ما اخذ من علومه ، ومن حسن سمته ، وقد فارقه كما اظن حوالى 1309 . وقد اخذ عنه العلامة محمد بن مسعود قليلا . كما ذاع وشاع ، وربما اخذ عنه فى اوليائه قبل سنة 1310 هـ. لانه فى هذه السنة صار ابن مسعود يزاول التدريس ، فهذه هى المدارس التى اخذ فيها ، وهؤلاء هم الاساتذة الذين اخذ عنهم ، وكلهم كما نرى اجلاء لهاميم فى ذلك العهد ، وقد اختار الله له حين كان المعدرى له ختام مسك اكتسى علمه بما يكتسى به غالب من درجوا بين يدى هذا الاستاذ الصالح ، وقد صدق من قال : ان هذا العلم دين فانظروا عمن تاخذون دينكم ، والتلميذ لا يخرج غالبا الا مرآة صافية لما تاثر به من اساتذته . فليتق الله الاساتذة ، وليعلموا انماهم طوابع تنطبع بها افكار تلاميذهم ،

ان الطباع تسرق الطباعا　　فاختر لصحبتك من اطاعا

مكانته في مداركه

كان ابو بكر الايكيوازى فى عهده كالسواد الاعظم من فقهاء سوس فى عصره ، متوسطا فى معلوماته . ذا مشاركة فى العلوم التى اخذها نحوا وفقها وفرائض وحسابا ، ولم يكن بذى شفوف كبير فى المشاركة التامة الا انه كان له شفوف فى شهرته العلمية فكان حقا فى المرتبة العليا بين فقهاء جهة (تامانارت) الى (اقا) حيث داره التى يسكنها . لعاملين اثنين : احدهما انه هناك فى صقع قليل العلماء ، يحتاج فيه الناس الى من يرجعون اليه فى نوازلهم التى تحدث فى كل حين ، فادرك بذلك مكانة مكينة فى كل وادى (تامانارت) الى (اقا) ، والحاجة الى الشرب وشدة الاعياء تصوران الماء الذى ليس بذى عذوبة فى صورة ماء زلال سلسبيل وصاحب الحاجة اعمى واصم ، وثانيهما ان له من الاخلاق الفاضلة ، وحسن السمت ، وكثرة مداراة الناس ، ولزوم المحجة البيضاء ، وعدم الاسفاف فلا يتطلع الى السحت وراء النوازل ، فنال بذلك مقاما ساميا اشتهر به كل الشهرة ، فاحبه كل الناس ، وقصدوه ورضوا به قاضيا محكما بينهم ، فكان يالف ويؤلف ، ولا ادعى للالفة بين الناس ، ولا اقرب لاستحواذ الافئدة على اكبار الفقيه اذ ذاك من الزهد فيما فى ايدى الناس الذين ينتابونه لنوازل قضاياهم (ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس) كما فى الحديث .

هذان العاملان هما اللذان اضفيا على سيدى ابى بكر الايكيوازى حلة سابغة من الشهرة العلمية فى كل وادى (تامانارت) الى (اقا) فكانت له رتبة عالية سامية يغبط عليها ، خصوصا فى ايامه التى قضاها فى (اقا) تحت كنف الرؤساء آل بلعيد ، ولا ريب ان السعد هو الذى لاحظته عيونه ،

فتأتى له ذلك ، والا فقد نرى كثيرين ممن هم فى مداركه فى اصقاع اخرى من سوس ، محرومين من اية شهرة علمية ، اما لكونهم فى جوار علماء متفوقين ، كسفوهم بانوارهم اللماعة ، واما لكونهم تحت اسفاف اخلاق ، او شره لاكل السحت وراء ما يوضع بين ايديهم من النوازل ،

فلا ترج الود ممن يـرى   انـك محتاج الى فلسـه

تقلباته في حياته

رجع الى قريته (ايكيواز) فلم يستقر فيها كثيرا ، وكان سنة الكون فى المجد وادراكه هى التى حدت به حتى هاجر الى قرية (ايموكادير) فأسس فيها دارا واسعة ، وربما لا يكون متمكنا فى تاسيس مثلها فى مسقط راسه قبل ان يكيل تراب الارض بالقدم ، وقلما يشرف الانسان بين اقاربه ،

آخ الـرجـال مـن الابـــا   عـد والاقـارب لا تـقـارب
ان الاقـــارب كالـعـــقـــا   رب او اشـد من العـقـارب

كان شارط حينا فى مسجد ايموكادير نحـو سنتين ، وربما كانت المشارطة هى السبب حتى انتقل اليها بالكلية ، وايا كان فان هذه القرية مشرق شمسه ، ومطلع مجده ، فبدأت شهرته العلمية وهو فقيه آل نحلة (تاحكات) يزاحم فقيه الوادى التامانارتى اذ ذاك سيدى احمد الايغيرى ، فقيه رؤساء (تامانارت) آل نحـلة (تاكوزولت) فصـار اصحاب النـوازل ينتابونه ، ثم يئوبون شاكرين صنيعه ، فلم تـزل الايام تزيده شهـرة الى شهرة ، حتى اتسع حاله ، فأثل املاكا ، واستجد مالا وفرا ، ونال ما نال من سمو ، ومكانة مكينة ، الى ان بدا للدهر ان يسومه بما يالف أن يسوم به كل الاشراف من أمثاله ، فحكم يوما فى قضية على انسان ، لم يرضخ لحكمه ، مع أنه حق ، فيتقلد المحكوم عليه سلاحه ، فيجرى الى بـاب دار الفقيه فيثور الناس امامه ، فيردونه على نيته الاثيمة ، ثم تكرر ذلك مرة اخرى ، فقال سيدى ابو بكر : كل قرية لا رادع فيها للسفهاء ، ولا يد عليا ترغم على ان تجرى القضايا الشرعية مجاريها ، فانها لا تسكن ، ولا تستحق الا الطلاق الثلاث . فارض الله واسعة ، فالمرء حيث يثبت ، لا حيث ينبت ، وكل الناس من تراب ، فكل بلد يمكن ان يكون بلد اى انسان ، وكل الناس من اقارب الانسان ، فاينما نزل يجد بلاده واقاربه ،

ان كان لابد من أهل ومن وطن   فحيث آمن من القى ويامننى

ومن نبت به ارض ، فان هناك اراضى اخرى تفتح له الباب على مصراعيه ، فعول سيدى ابو بكر على ان يصنع مثل ما قال بعض الالغيين :

خلقت عيوفا اكره العذب ان رأت   على وجهه عينـاى ظـل قـذاة
سارحل ان دار نبت بى ولم أبل   بـحـر سمـوم لافـح بـفـلاة
سموم على حـر الجبين ولا اذى   اناس ينـاوون الكـرام عـتـاة
فلا كان من مس الهـوان جنابه   فيقعى كمثل الكلب فى العتبات

خرج سيدى ابو بكر من تلك القرية التى لا تقدره قدره ، فقاده السعد الذى لا يزال يصاحبه ، حتى نزل به فى قرية (القصبة) فى (اقا) فحل عند امغار عمر من آل بلعيد ، حلول الضيف عند آل المهلب شاتيا ، فوسع لـه فى النزول وافسح من كنفه ، فاستقبل عنده حياة جديدة بسامة مزدهرة ، فكفاه مئونة السفهاء ، وجعل قوته تنفيذا لكل ما يحكم به فى القضايا ، فتحول باهله ، فاسس ثانيا دارا اخرى فيحاء بنعمة عمر ، فطاب له المنزل هناك ، وانشد حاله ما قاله ابن حبوس :

دار بنينـاهـا وكـنـا بـهـا   فى نعمـة من آل مـرداس
قل لبنى الدنيـا الا هـكذا   فليصنع الناس مـع النـاس

فاتخذ ازاء داره مكانا يقعد فيه للخصوم ، فيقضى بما اراه الله ، ويفتى ويرشد ، فكان ذلك ديدنه ، وهو ملازم دائما ظل امغار عمر ، ثم ولده محمد ابن عمر بعده ، لا يفارقه فى الماكل والمشرب ، فتكونت له هالة واسعة اعظم مما كان له فى (ايموكادير) ، فأثل هناك ايضا اموالا ، فاقام فى بحبوحة عيش رغد ، لا يتناول فى داره الا احسن الاكل ، ومائدته لا تعرف الا خبز الحوارى ، واللحم الغريض ، وكساكس ملحمة فى قصاع تصدر العشرات ، كما حدثنى بذلك من اقام عنده ضيفا اسبوعا ، من غير ان يكون ممن يحتفل لمثله ، قائلا : ان ذلك حاله دائما ، ثم هو مع كل ذلك يرد فينة بعد فينة الى قرية (ايموكادير) — فى صحبة رب مثواه امغـار عمر — ، فيطلع راسـه ، ويشيد بالحق فى احكامه ، وقدامن غائلة السفهاء فتأتى له ما قيل : من ان الواجب على الفضلاء فى آخر الزمان ان كانت الاقدار رمتهم الى بيئة ليس فيها للفضل ولا لذويه قيمة ، أن يتخذوا من يسافه دونهم ، فان الحديد لا يفلح الا بالحديد (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) .

في القضاء رسميا

هكذا قضى سيدى ابو بكر فى (اقا) ما قضى ، منذ نزل بها من حوالى 1326 ه الى ان دب الاحتلال الى تلك الجهة الاقاوية نحو 1349 ه. فقدم رسميا قاضيا فى النوازل الشرعية التى يتجافى المراقبون عنها لامثاله اذ ذاك ، فقام بذلك احسن قيام ، الى أن أسن وظهر الضعف فى بصره أول 1355 ه فاخر عن ذلك المنصب ، ثم لم ينشب ان فاظت نفسه .

طرف من اخلاقه

كان رحمه الله هينا لينا مائلا الى المسكنة ، متواضعا لكل احـد ، مشتغلا بخويصة نفسه ، وقورا منحاشا الى السمت الحسن ، متباعدا عن كل ما يلم بعرضه ، او يدنس شرفه ، ملازما للديانة ، متعلقا ببعض الاوراد

بلا تعصب ، مؤديا شعائر الاسلام ، كما ينبغي ، مواظبا على صلاة الضحى ، وعلى نوافل الفرائض منذ نشاته ، كما حدثني به من يعرفه من زمن اخذه وهو بعد في المدارس ، وهذا قليل جدا في طلبة المدارس ، فقلما يتوب احدهم الا بعد ان يتجاوز هذا الطور وقد تناءى عن المشارطة ، فقلما يشارط ، ولذلك قل منه التعليم ، ويذكر ان الاستاذ سيدي مسعودا المعدري اوصاه عند توديعه بان لا يقارب ما استطاع المشارطة ، قائلا له انني شارطت في (بونعمان) وحاولت جهدي أن اؤدي من حق الطلبة ومن حق القيام بالصلاة كامام ، ومن حق كل ما علي للمدرسة وما اليها ، فكنت استعين في ذلك بكل ما في وسعي ان استعين بهم ، لعلني اؤدي ما علي ، فاسلم من كل التبعات ، لكنني مع كل ذلك احس بانني لا ازال مقصرا ، فلذلك لا آذن لك ان تحوم حول ذلك الحمى ، فبهذه الوصاة تاثر سيدي ابو بكر ، فتجافى عن المشارطة ، فلم يؤثر عنه انه الم بمسجد الاستثين في (ايموكادير) حوالى 1314 هـ. كما حدثت به ، أو في مسجد (القصبة) باقا ، ان صح انه كان هناك سنة او مثلها ، وكل ما كان معنيا به هو فض النوازل والافتاء ، الى ان لقي الله في (القصبة) فدفن هناك ، والناس الذين افضوا الى باحاديثه مجمعون على انه قليل النظير بين فقهاء تلك الوجهة في اخلاقه وتواضعه ، وحسن سمته ، وتحريه للحق ، وقد قرات في كلام بخط قاضي (اقا) سيدي الهاشمي الفاسي وصفه بقاضي القضاة ، كما وصفه هو وغيره بكل ثناء ، والسنة الخلق اقلام الحق ، والناس اكيس من ان يثنوا على رجل ما لم يشاهدوا منه ما يدفعهم الى ذلك من آثار الاحسان ، فكذلك كان سيدي ابو بكر حديثا حسنا بعد وفاته ، بين الاحاديث المتداولة ، وهل المرء الا حديث بعده ، ولبعض الالغيين

لكل امرء فعل تطيب به اللسن — تفيض به العينان او تضحك السن
تزيل يد التاريخ ماكان ساترا — اذا بالذي يخفى تشاهده العين

بعض آثاره

وقفت للمترجم على رسائل كان يكتبها الى اساتذته الالغيين وغيرهم . كما وقفت له على اخرى بينه وبين معاصريه ، كما قرات له تقريظا لكتاب فيه نثر ، فلنختر من ذلك ما يليق بالمقام ، كتب الى الاستاذ ابي الحسن الالغي اثناء رسالة لعله يشير فيها الى فتك ابرهيم بن بلعيد بابيه :

. . . اما ما يطلبه سيدي من ايقافه على جلية الخبر من القضية الشهيرة في هذه الناحية ، فان امر الله كان قدرا مقدورا ، وقضى الله ان يكون مالم يكن محذورا ، ولله في خلقه شئون ، وهو العالم بما كان وما يكون ، فقد منعني ما احذر ، ان اقص لك حقيقة الخبر ، غير ان الفرع لم يحترم الاصل واتى بما لم يكن له باهل . سامح الله الجميع بمنه .

وكتب اليه ايضا :

الفقيه العلامة البركة ، المرجوع اليه في السكون والحركة ، سيدنا ومولانا

الامام الهمام السلام الطيب والتحية والبركة ، اما بعد فقد كنت حرصت على لقاء سيدي عند زيارته لـ (ايشت) ، فابى القدر فقطني عن البصر ، لارادتي مراجعته في نازلة آل الحسين ، ليدرك منها ما لعله خفي منه عن العين ، فانني لست اهلا ان أتقدم بين يدي سيدي ، فاتبرك منه بسندي ، ولا اراني الا ضحضاحا ازاءه ، ومن يالف ان لا يمشي الا وراءه ، وهاك اليوم ياسيدي حكمي في القضية التي حكمت به فما زلت فيه قدمي ، وخرج فيه عن الحق الذي تعرفه قلمي ، فليبين لي فيه سيدي الصواب ، وليرد لي الجواب ، ثم لا الف الا حيث يريده الفقيه مثلك ، وما انا يا سيدي هنا الا ظلك (فما لنا الا اتباع احمد (1)) ثم مالنا على ذلك الا ان نحمد ، وقد اخبرني الحامل بانكم تهمون بنقض حكمي الذي حكمته اولا ، فرايت ان الاولى ان يشاركني سيدي في فصل النازلة ، فيبين لي ما رآه مفصلا ، ثم انني اسلم لسيدي فيما ياتي من القضية الا ما سخا لي به سيدي ، وارسله لي في صورة هدية من الشيخ الى تلميذه والسلام .

وكتب الى الاستاذ سيدي الحسين بيبيس الاخصاصي ،

الى شيخنا الامام العلامة الكبير ، ذي القدر الشهير ، سيد العلماء ، وامام الكبراء ، وقدوة الفقهاء ، سيدي الحسين الاخصاصي ، فعلى حضرة سيدي الف الف سلام وتحية وبركة ، ما كان للشمس في السماء حركة ، اما بعد فلا ينسني سيدي من دعواته المجابة ، فهي اكبر مقصودي من هذه الرسالة ثم طلبي من سيدي ان يعير لي اجوبة العباسي لانسخها ، ثم ترجع اليكم في موسم الصيف ان شاء الله ، وايضا احب من سيدي ان ينظر في هذه الرسوم التي مع الحامل ، في نازلة من الشفعة ، فيبين لي ما ظهر له فيها ، فقداشكل علي امرها ، فقد وجدت لابن رحال في مثل هذه النازلة كلاما يخالف ما عند الدسوقي ، فليبين لي شيخي في ذلك ما هو الحق ، واما العبد فانه مشارط في مسجد (ايموكادير) في هذه السنة ، وليدع الله بصلاح الحال والمآل والسلام .

ثم وجدت في ظهر الرسالة جوابا ، من المسئول ما ياتي :

وعليكم افضل ما به بداتم فاما أجوبة العباسي فانها ما حضرت عندي الآن ، فاعذرنا في ذلك ، وان تيسر ان اشترى لكم نسخة من عند طالب سيبيعها فاخبرني بذلك لأحوزها لكم ، فربما كان ذلك اولى لكم من النسخ ، لما الم فيه من التعلق بالمسجد وبالناس ، واما امر الشفعة فالحق فيها مع ابن رحال ، لانه تكلم على عرف بادية المغرب ، بخلاف الدسوقي الذي لا يعرفه ، وبمثل ذلك حكم سيدي العربي الادوزي ، وسيدي ابرهيم بن محمد من الاسلاف الادوزيين ، كما وقفت على كلامهما معا ، جعلك الله قنديل تلك البلاد ، وجعلك مصلحة للعباد ، ولا تنسونا في صالح الادعية والسلام .

(1) شطر من الفية ابن مالك .

وكتب ايضا الى معاصره احمد بن محمد الايفيرى اثناء مجاذبة بينهما في نازلة وقفت على مايترادان به بينهما فيها ، فقد قال في اثناء الرسالة : الكم اقتحمتم على ذلكم قبل ان تنخلوا رسوم القضية ، فبادرتم بحكم الزلل فبنيتم على ما بنيتم من ظن وتخمين ، واما انا فقد اكثرت التامل فيها ، وسالت كلا الجانبين ، ووقفت على حدود الاراضى المتخاصم فيها ، ولذلك لم اعجل حتى استوفيت كل ما يتعلق بها ، فارجع البصر ياسيدى ، واعذرنى عذر الكرام ، وبادر باسترجاع حكمك ، والا فسيرفع الى العلماء ، وقد كتبت الى شيخنا الاخصاصى ، فبينت له كل ما اعرفه عن القضية ، فوافقنى فيها فظهرت الشمس من السماء لذى عينين ، وكذلك الى شيخنا الالغى الخ .

وكتب الى الشيخ النعمة بن ماء العينين حين كان خليفة اخيه في تزنيت ، من ابى بكر بن محمد مغناه فى قصبة اقا الى الاخ الغطريف ، الشريف الحبيب ، الوجيه النسيب ، ذى النسبتين الطاهرتين ، الجسمية والروحية ، والولايتين الكريمتين الملكية والملكوتية ، الحبر الفهامة الورع التقى فريد عصره وزمانه ، ودهره واوانه ، سيدنا ومولانا وقرة عيننا وفؤادنا ، نعمة الله ، ابن شيخنا الولى الكامل ، الغوث الحافل ، الصفى الباهر ، نجم العرفان الزاهر ، صاحب العبادات السنية ، والحقائق القدسية ، والانوار المحمدية ، والاسرار الربانية ، منشئى معالم الطريقة بعد خفائها ، ومبدى علوم الحقائق بعد خبو انوارها ، سيدنا ومولانا الشريف محمد مصطفى ماء العينين سلام الله تعالى عليكم ، وامنكم ورعاكم ، ومن حوض جدكم صلى الله عليه وسلم ، سقانا وسقاكم ، ومن جنته آوانا وآواكم ، وكل من ناط باذيالكم ، وبعد فالمراد من سيدى الدعاء بمعرفة الله تعالى ، ورضاه الذى لا سخط بعده مع سعادة الدارين ، وستره الجميل فيهما ، رزق الله تعالى لنا ولكم ذلك . والبغى تاليفا يا اخى فيما يتعلق بالامام الاعظم اخيكم ابى العباس نصره الله تعالى وسدده على ما يحبه ويرضاه ، وامعن فيه النظر ، واصلح الخلل ، واعف عن الزلل ، وارسل الى اخينا الحاج الابر العالم العارف محيى السنة سيدنا وقدوتنا سيدى الحاج عابد ابن الولى الصالح عبد الله بن عمر الهشتوكي ، فقد ذكرته فيه ، واشرت اليه مع ابيات آخره ، وقل له يرسله الى امير المؤمنين ان شاء الله والسلام ، 13ـ9ـ1330 هـ. انتهى وهذا الكتاب لم اقف له الى الآن على اثر كما أننى ما سمعت به قط الا هنا ،

في هذا القدر كفاية لندرك ما يتعلق بالمترجم في هذه الجهة فانه يستكين امام من يراه فوقه ، ولكنه يزاحم من يراهم من اقرانه علماء ، او من هم جيرانه فى الصقع ، وان كانوا اعلى منه مدارك ، وكل ما وقفت عليه لا يمت فى الكتابة منه الى البلاغة الا تكلفا ، ان كتب الى من يعلم انهم يعرفون ما يقراون ، كالالغيين والصحراويين ، فيتكلف السجع ، وكانه يظن انه وحده دال على البلاغة ، ولكنه مع ذلك لا يحسن بنا ان نبخسه قدره ، لانه على كل حال يقدر قدر البلغاء ، ويتطاول بما فى مقدرتــه ، الى ان يلحقهم

بيديه ، وان كانت العلقاء بالنسبة اليه تكبر ان تصاد ، ويجد القارئ تقريظا له لموازنة (بانت سعاد) المطبوعة للقاضى سيدى الهاشم الفاسى .

مؤلفاته

اخبرت ان له شرح قصيدة له فى التصوف زيادة على مؤلفه المذكور الى الهيبة فى احوال الملك .

بعض منشداته

حدثنى بعض الطلبة انه صاحبه اياما فى احدى وفداته من (اقا) الى (ايموكادير) فكان مما انشده اياه :

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا   فما اعتذارك من قول اذا قيلا

ومنه :

دع الايــام تفــعــل مــا تشــاء   وطب نفسا بمــا فعــل القضاء
ولا تـجـزع لحـادثـة الايـــام   فــرب رخيصــة فـيـهـا غــلاء

هكذا كان انشد هذا البيت الاخير وهو خلاف المتعارف ،
ومنه :

اذا المـرء اعيته المروءة نـاشئا   فمطلبها كهلا عليه شديد

ومنه :

اذا لم يكن عون من الله للفتى   فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

وحكى انه قال مما حفظته من انشادات شيخنا سيدى مسعود المعدرى :

الخـير فى العزلة لكنه   لا بـد للنـاس من الناس

قال وحفظت منه ايضا :

قليل منك يكفينى ولكن   قليلك لا يـقــال له قليـل

هذا ما استحضره محدثى من انشاداته ، وهذه الابيات كلها مشهورة وانما نريد ان ندرك ما يتعلق بنفسيته ، من هذه الناحية لان كل انسان لا يتعلق بذهنه الا ما يوافق فطرته التى فطر عليها .

القاضي سيدي الهاشم الفاسي الاقاوي

نحو 1311 هـ = 1375 هـ

نسبه

الهاشم بن البشير بن محمد الصديق البناني

من قضاة سوس الذين يديرون اليوم الشرعيات . وله شهرة واسعة في الصقع السوسي الذي نسميه نحن الالغيين بتامانارت وما اليها . وهو احد الاريحيين الذين ينفعلون للادب واهله . وهل ينفعل باريحية الادب الا كريم السجايا الطاهر الاعراق ؟

أصله

من الاسرة البنانية المشهورة في فاس ، وهي من نفزة قبيلة يحيا الليثي ، وابن ابي زيد القيرواني وردت من تونس الى المغرب في القرن الخامس . كما ذكر ذلك محمد بن عبد السلام بناني شارح (الاكتفاء) . وقد كنت كاتبت المترجم ليبين لي سلسلة نسبه ويوضح لي كل ما يتعلق بآبائه . فلم يتيسر ان اتوصل منه بجواب في ذلك . وكل ما عندي ما كنت توصلت به على يد بعض الادباء الالغيين .

1 — محمد الصديق بناني . هو اول نازل من هذه الاسرة في (أقا) واول من فارق مستقر آبائه البنانيين بفاس . والسبب في هجرته ان احد ملوك المغرب لعله المولى عبد الرحمن . يريد ان يرغمه على تولي القضاء . فأبى من ذلك كل الاباء . ثم لم يمكن له ان يتملص ويامن على نفسه الا بالخروج من الحواضر . فتوجه الى السودان اولا . ثم بدا له فرجع الى المغرب على طريق الصحراء . فالقى مراسيه في (اقا) اول قرية دخلها بعد الصحراء . فوجد فيها ما يستقر به قراره . فتاهل وولد الاولاد .

ذلك كل ما عندي الآن عنه . وهو بلا ريب من العلماء الكبار الذين يتاهلون للقضاء ويرى امثال المولى عبد الرحمان انه يجب اجباره عليه . ثم هو مع ذلك من اهل الورع والزهد في الرياسة ونفض اليد مما يحلم به كثيرون . ولا ادل على ذلك من هذه الحكاية التي يحكيها اهله . ومفارقة وطن الانسان خصوصا اذا كان مثل فاس حاضرة المغرب . ومغادرة الحاضرة

الى التجول على اكوار اليعملات في الصحاري . والهجير يلفح الوجوه ، والعطش ياخذ بالاكظام . ثم الرضا بعد ذلك بالسكنى في البادية . والقناعة بما يعتاد اهل البادية ان يقتاتوا به . ثم الصبر على ذلك سنين حتى يلفظ النفس ، امر عظيم شديد الوقع على النفوس . لا يندفع اليه الا احد الرجلين . اما واتر يخاف على نفسه فيخرج هاربا لا ينشد الا الامن وحده . وحيثما وجده وان في قرية نائية في واحة في حضن الصحراء مثل (اقا) يلقي رحله . ويبقى بقية عمره لا يقترح على الدهر الا ان ينسى ابد الابدين ، واما رجل من رجال الآخرة يراقب الله سرا وجهرا ، فيقدم مواقع رضا ربه على وطنه وعلى اهله وعلى ماله وعلى كل شيء كان يالفه ، فيندلق من كل ذلك كالسهم في الرمية . ثم لا يطيب له الا مكان يناجي فيه مولاه ، ومنتأى حيث يعبد ربه ، ويسلك المحجة البيضاء التي يراها بين عينيه مسلك النجاة الوحيد . لا يزيغ عنها الا هالك . فتكون قرية نائية عن مسقط راسه كاقا من فاس ، بلائمه ما دام يجد فيه من المسلمين من يعينونه على ما هو بصدده ، فاذا كان سيدي محمد الصديق على ما يذكره به اهله ، فانه حقيقة من علماء المغرب الافذاذ ، يجب ان يقرن مع سيدي احمد بن يوسف الفاسي المحدث الذي هرب ايضا الى البادية من فاس ، خوف ان يفتن في دينه ان افتى تلك الفتوى المشهورة في التاريخ . وكاحمد بن سليمان الرسموكي الذي فر ايضا من مراكش الى البادية في قضية الحراطين في العهد الاسماعيلي . ثم اننا نظنه توفي بعد 1200 هـ. وهو بلا ريب يتخرج من القرويين .

2 — البشير بن محمد الصديق .

كان العم ابرهيم يذكره لي كثيرا . ويقول ان له الماما بالمعارف . وهو من اصحاب الشيخ سيدي سعيد المعدري . وكانوا كثيرين في (اقا) ولهم زاوية هناك لم تزل عامرة باذكارهم الى العهد القريب . ولا تزال فيها بقايا ، ويقول انه كان يرد الى (الغ) عند الشيخ الالغي بعد تاسيسه للزاوية الالغية ، فيبقى ماشاء الله . وله احوال صوفية عليا . وله شهرة كبيرة بين الفقراء ، وحبيت اليه مع ذلك صحبة العلماء . وقال الحاكي ، كان يختلف كثيرا الى المدرسة (الالغية) والى حضرة استاذها ابي الحسن ان كان في الزاوية الالغية ، وكثيرا ما يمضي جل نهاره هناك . ولعله اخذ عن والده . كان لا يزال حيا سنة 1307 هـ. ولا ندري متى توفي بعد ذلك .

3 — عبد الرحمن بن البشير . اصغر اخوته اعرفه ورايت من احواله الخير الكثير . اخذ عن الحاج محمد التاويريرتي القرءان وعن محمد من (اقا ايكرن) من فقهاء بلده ، وعن اخيه القاضي الهاشم . ثم تصدر للتعليم قرآنا وعلوما . وتولى الخطبة في مسجد (تاوريرت) حيث يسكن الى ان توفي بعد ان اسن 1378 هـ. وهو من عباد الله الصالحين الذين تذكر الله رؤيتهم ، فقد عرفناه فعرفنا منه كل خير ، وله تلاميذ كثيرون في القرءان . وقليلون في المعارف .

4 — الهاشمي بن البشير

هو المترجم الذي اليه يساق الحديث .

متعلمه

ذكر لى ان افراد اسرته وهم متعددون ، كثر فيهم حفظة كتاب الله .
ولعل اخاه محمدا هو استاذه في القرءان . فاننا الآن لا نعرف شيئا عن هذه النقطة ، واما فى العلوم فانه اخذ ــ كما عندى الآن ــ فى ثلاثة امكنة تيمكيدشت ، والغ ، وفاس . ورايت فى خاتمة مؤلفه (نيل المراد . على بلغة الارفاد) أنه أتمه فى (تيمكيدشت) 1343 هـ. وقد كان اذ ذاك راجعا من فاس وكان ياخذ عن سيدى الهاشم التيمكيدشتى وسيدى ناصر التونينى الالغى من (تيمكيدشت) فى ذلك العهد ، ثم انه بعد مرجعه من فاس . ربض فيها ايضا حينا حين كان يؤلف ذلك الكتاب ، وقد وجدت فى بعض مقيداتى ان اكثر نفعه كان من (تيمكيدشت) فيصح انه كان تدرج من هناك حتى شدا ، ثم التحق بفاس ، ثم رجع اليها ثانيا . واما الغ فانما كان فيها اخيرا . فاخذ عن الاستاذ ابى الحسن شيئا غير قليل . وطرق اذنى ان بعض كبار الالغيين كان احد الاسباب حتى ربض فيها ولعله الشيخ الالغى لحق والده الذى كان صنوه بشيخهما سيدى سعيد المعدرى . وايا كان فالامكنة التى اتيقن انه اخذ فيها هى الامكنة الثلاثة وانما اجهل التفصيل الآن . لما حرمته فى الوقت الحاضر من الاتصال بمن استمد منه ما اجهله . فاذ خفت العوائق ــ ابعدها الله عنا ــ بادرت بكتابة ما عندى . ثم نبين ذلك ان شاء الله بعد. (ثم لما انفرجت الازمة لم اجد زيادة على ما كان عندى قبل) .

مكانته فى معلوماته

لم اعرف الرجل الى الآن 1358 هـ. بل لم اسمع به قط الا يوم حللت الغ فى منفاى هذا . فبادرت بالكتابة اليه ليوضح لى كل ما اريده . فظن اننى اقنع باليسير . فافضى الى فى رسالته بما علمناه عن جده سيدى محمد الصديق . ثم ارسل لى مؤلفه (نيل المراد على بغلة الارفاد) لاستقى من ذيله بعض قواف له او لغيره مما خوطب به . فشكرت له تلك الاريحية شكرا جما . ثم بينما انا فى انتظار جواب من عنده . يفصل لى من ترجمته ومن الفنون التى اخذها ما اريد اذا بالباب يوصد دونى . ثم اننى سمعت اناسا يذكرونه فيرفعون من شأنه فى المكانة التى يشغلها . والذى اتحققه انا ان الرجل يحب الادب . وتملكه اريحية الادباء . ثم هو مع ذلك له اطلاع يدل عليه ذلك الشرح الذى رايته . فهو ذو مشاركة فى اللغة وعلومها ، وله فى الحديث والتفسير مجال . واما الفقهيات فها هو ذا فى ميدانها يقبل ويدبر ، وله اليوم سنوات . منذ تولاها رسميا بعد سيدى ابى بكر الايكيوازى . فلا ريب ان مكانته فيها تزداد سموا ، وتتسع بتطاول الزمان . وهو الآن لا يزال فى مقتبل عمره ، وهو ذو نشاط فى علمه وفى فكره . افلا ينظر من مثله الا ان يكون مكينا فى كل المعلومات التى يتوجه اليها بهمته .

معاطاته للتدريس

كان هناك فى (افــا) رجل كريم يسمى ابا بكر الرسموكى ، اسس زاوية ذكرية علمية . فكانت هناك ظلا وريفا لكل ذى علم ورد الى تلك الجهة . فيحرص مؤسسها على ان لا تخلو زاويته من تدريس الفنون . وقد كان للمترجم فيها مجالات قبل ان يتولى القضاء . ولعله لا يزال يتعهد ذلك الى الآن . وللتدريس حلاوة وطلاوة فى نفس محبها . فقلما يذوقها من يستفيد منها . ثم لا تفلته اشطانها الامر غما . وقد كان تدريس المترجم هناك فى عهد محمد الرسموكى (وقد ذكر هؤلاء الرسموكيون فى القسم الخامس .)

بعض ما قاله وما قيل فيه

كتب الى شيخنا الامام سيدى الطاهر التامانارتى يستجيزه قطعة منها :

حيا الالــه سرا جنـا ومنيرنـا ... وادامــه فى كل امــر بــالهـنـا
من خاض فى الاداب بحرا زاخرا ... وبعلمــه الشرعى ضــاء زمـاننا
شمس البراعــة طاهر بن محمد ... علم الهدى فالجا بــه تكف العنا
عبد اتــاكم مستجـيزا طالــبـا ... مــددا يفيض بكم لــه كل المنى
ان لم يكــن اهــلا لــذاك فانتم ... اهل لتجنوا كل من طلب الجنى

الجــواب :

ياهاشم الخيرات يا بــدر السنا ... يــا من سعى للمكرمات وماونى
يامن حوى ارث السيادة كابرا ... عن كابر بلغوا من المجد المنى
يا من سما بالعلم آفاق السما ... والـعـلم نـعـم المقتفى والمقتنى
هذا نظامك زاهيــا ام جوهــر ... فى لبة الحسناء ام روض الجنى
وافى يطالب ان أجيز ولم أكــن ... اهلا وهل يشفي المريض من الضنى ؟
انى لمــثـل ان يجيــز ؟ وانمــا ... هاتيك شيمة ذى المعارف لا انا
بيــنى اخى وبــين مــا ظنيته ... بون بعيد مــا حللت له فنــا
لكن لمالك فى الفؤاد من الهوى ... لابــد لى من أن اقــول واعلنا
انى اجـزت السيد البر الــفـقـــيه الهاشمى الفاسى الاقاوى مسكنا
فى كل منقــول ومعقــول ومــســـموع من الشم الشيوخ ذوى اعتنا
فعليه بالتقوى وبالعمل الرضــا ... والزهد جهد الوسع فى عرض الدنا
ويقول لا ادرى فمن يلزمه فى ... يوم الوغى فقد استجن من القنا
فاعمل بعلمك مخلصا واقصد به ... اخرى لتسعد من هناك ومن هنا
واذكر اخــاك لدى الدعاء فانــه ... عبد فــقــير لاصــلاح ولا غــنى

ومن اعظم اثاره شرحه للقصيدة لامية وازن بها (بانت سعاد) وهي التي ذكرناها فيما قبل . وهو شرح حسن ملاه بالادبيات واللغويات . يستحق عليه الثناء العطر . لاننا نرى كثيرين من بني قطره رلموا الخمول . فلا يتحرك لهم قلم . ولا يعرفون اية افادة بوساطة التاليف . وفي آخر ذلك المؤلف مـا يـاتي :

(قال مؤلفه عفا الله عنه . هذا آخر ما تيسر لي جمعه على جناح الاستعجال بحسب الحال . واشتغال البال . بالتعليم وتعليم الطلبة النبال . وقد يسر الله اتمام تبييضه في المقام المتعال (تمكيدشت) ذات الفضل والنوال . في ضحوة يوم الجمعة الذي هو عاشر شعبان 1343 هـ — الى ان قال — ورحم الله من قـال :

جزى الله خيرا من تامل صنعتي | وقابل ما فيها من السهو بالعفو
واصلح مـا أخطات فيه بفضـلـه | وفطنته واستغفر الله من سهوي

ولما طالعه زين النبلا . وسلالة الفضلاء . من هو للسعد الشقيق . السيد ماء العينين ابن العتيق كتب تحته : (الحمد لله وصلى الله على محمد وآلـه وسلم . لما طالع كاتبه هذا الشرح الوحيد . وتدبر نظمه البديع المفيد . فلم يجد في صنعهما ما بهما يخل . بل كلاهما على كل حسن مشتمل . ورأى هذين البيتين اللذين كتبهما المؤلف باعلاه . ملتمسا لادبه وتواضعه السماحة والغض من التامل فيما املاه . دعاه ذلك المجال ، الى ان انشأ بارتجال :

ناهيك عن مدح خير الخير تبجيل | لها عن المـدح تفضيل وتبجيل
والهاشمي بمـدح الهاشمي لـه | بهـا عن الغير تبجيل وتفضيل
لفظا ونثرا تاملنا كتابـك ذا | فراقنـا منـه اجمـال وتفصيل
نظم رقيـق وشرح رائـق حصلا | من ذهن ندب له للعلم تحصيل
تـزين كل مـديح منه اوصـلـه | افـادة مـالهـا لـولاه توصيل
ما زال علمك نورا يستضاء به | لـه بفهمك تفريـع وتاصيل)

ولما طالعه الهمام الفهامة العالم ، ابو عبد الله محمد سالم بن عبد الله بن محمد سالم . اسكنه الله دار النعائم . قـال :

(نيل المراد) افاد العلم ناظره | بسيرة المصطفى والصحب والآل
نظم بديع عديم الشكل مختصر | وشرحـه عجب عـديم امـثـال
لـلـه فـكـر اديـب زانـه ورع | احيا العلوم بـه من منظر عـال
محمد الهاشمي بحر المكارم من | ينسيك مجلسه في الاهل والمال
تـبـارك الـلـه في آدابـه وعلى | صولات همتـه في ايما حـال)

ولما طالعه العالم الاديب . والعالم اللبيب . الشاعر المفلق . الفهامة المحقق ، السيد محمد سالم ابن عبد الفتاح العلوي الشنكيطي كتب عليه بيده الكريمة ما نصه :

وكتب اليه يستجيزه في الطريقة الاحمدية قطعة . منها هذا البيت الحسن .

فافضل الخلق عند الله في الغد من | كانوا على الخير للاخوان اعوانا

الجـواب :

هـب النسيم فحيانـا واحيانا | ورد روح سرور غـاب احيانـا
وافى بنفح سلام من اخي ثقـة | مازال مسكنه في القلوب قد بانا
بدر الدجى الهاشمي بن البشير فتى | قد حاز خصل المدى علما وتبيانا
اهدى لنا من بنات الفكر ساحرة | والشعـر مازال للالبـاب فتانـا
ايه اخي تـه دلالا فالبلاغة قـد | ولتك فاحكم فقد اصبحت حسانا
ارسلتها تبتغي مني الاجازة في | تلقين ورد امام قد عـلا شانـا
قطب الوجود ابى العباس سيدنا | غوث الورى من اتى منهم ومن كانا
فقلت هل يستمد البحر من ثمـد ؟ | ام هل لشمس الضحى استجداء كيوانا ؟
لكن لمالك من حـق الاخوة قـد | اجبت والحـر مـا دين به دانـا
فقلت لانني شهـم ولا بـطـل | لكن على الكره قـد لبيت اذعانا
اني اجـزت اخانا الهاشمي كما | اجازني من غدوا للفضل تيجانا
بحر الكرام الكريم ابن الكريم ابو | على اللـذ بـدا بـدرا بافرانا
ثـم المسن الهمام العبداوي خضـم السركم قـد رمى دررا ومرجانا
عن شيخ كل جزى الله جميعهم | رضـا ولقاهم روحـا وريحانـا
مثل الفقيه لسان العلم بدرسما | كنسوس من بسناه المغرب ازدانا
والسيد السائحي المستضاء بـه | في مهمـه العلم اسرارا واعلانـا
ثم الى حجـة الله التجان أفـا | ض الله من سره فيضا وارونا
اجـازة شملت مافي الجواهر من | قول وفعل حوى حسنا واحسانا
بشرطها المرتضى عند المشايخ من | حسن التثبت والصدق الذى زانا
فهاكها وادع لي واعـذر فكلي من | عيب تجمـع حتى صـار انسانا
مني عليك سلام الله مـا حملت | طيب الحمى نسمات عانقت بانا
ثـم على المصطفى وآلـه صلوا | ت الله مـا مـلأ الاذان آذانـا
ثم رضا الله عن قطب الوجود ابى | الفيض التجـان ممد الكل ايقـانـا
من كلت اللسن عن ادنى مناقبه | سبحان من خصه بالسر سبحانا

وقال يجيب الاستاذ ابا الحسن الالغي حين خاطبه بقصيدة يوم وفد عليه آخر ربيع النبوي 1346 هـ . فاجابه المترجم بقوله في قطعة :

يا عالمـا عمت الدنيـا مفاخـره | والدهر قرت به عينا اواخـره
والعلم بحر محيط ليس يقطعه | فيما سمعنـا بـه الا مواخـره
كفاك في الناس ان قد كنت موردهم | في كل علم وما سواك زاخـره
من لم يرد منك فالتحقيق جانبه | ومن يكن مثلـكم فمن يزاخـره
زاخـر بالالغي فاسا في مفاخـره | يا سوس انك والانصاف زاخره
فالعلم ينبع في جدران مجلسه | والله للعصر فلنشكـره داخـره

(وبعد فقد طالعت (نيل المراد) ووجدته مشتملا على مدح خير العباد . فلله در الهاشمي وما اجاد – فلعمري لقد اجاد فيه وافاد . بما ينفي الهموم عن الفؤاد ، ويسلي عن الاهل وذي الوداد . من اضنته الغربة والبعاد . فلم يوجد يوما مثله في ناد . وما خلت وجد انه الى يوم التناد .

(نيل المراد) اتى فيه من العجب ... مالم يرد قبله في سائر الكتب
لله ايجاد امداح يفننها ... محمد الهاشمي الفاسي في النسب
تفنن العالم النحر يرفيه بما ... يسمو به ابدا في العجم والعرب
لاغرو اذ هو ذو فضل وذو كرم ... وذو حياء وذو علم وذو أدب
لم يدر تقريظ هذا غير منشئه ... لان رتبته جلت عن الرتب
مدح لعمرك لم يوجد مماثله ... بالدر يزرى وبالياقوت والذهب
تنفي حكايته ما كان من الم ... وسط الفؤاد ومن حزن ومن تعب
قد عظم الهاشمي الهاشمي به ... اكرم به قربة من احسن القرب
فحق للهاشمي الفوز المقيم به ... ونيل مايرتجي في الدهر من ارب
ثم الصلاة على الممدوح ملجئنا ... طه محمد المختار خير أبي)

ولما طالعه الامام العالم الهمام ، استاذ عصره واوانه . وشيخ اشياخ زمانه ابو محمد سيدنا الطاهر بن محمد بن ابرهيم التامانارتي الافراني وطنا . اطال الله بقاءه لصلاح المسلمين ووقاه . كتب عليه :

(يقول الفقير المعترف . بقبيح ما يقترف . الطاهر بن محمد التامانارتي ثم الافراني وطنا . غفر الله خطه وخطله . وتغمد بالعفو عثرته وزلله . تصفحت بحول الله هذا الشرح المكتوب على آخر ورقة منه . المسمى (نيل المراد . على بلغة الارفاد) تاليف اخينا في الله . الفقيه الاواه . سيدي الهاشمي ابن البشير الفاسي الاصل الاقاوي المنشأ . فاذا هو بفضل الله واف كاسمه بكل مراد . كاف في بابه لكل مرتاد . جامع لشتات الفوائد . ناقع غلة كل وارد . آخذ من الاجادة بنصيب . ضارب من الافادة بكل سهم مصيب . ما شئت من تفسير غريب . ودفع ايراد يتمسك به المريب . وجمع متناسب السير . ببيان كأنه وشي الحبر ، وادب كمارف النسيم المبلول . مقدود على قد المعنى لا يزرى به قصر ولا طول . فلله در المؤلف من عالم نبيل . جار على قصد السبيل . يضع الهناء مواضع النقب . ويضم الغرض الى الغرض جنبا لجنب ، متعه الله بطول البقاء . وادام له في درجات المعارف الارتقاء . بمنه وطوله . وقوته وحوله كتبه آخر محرم 1350 هـ العبد الفقير الطاهر المذكور داعيا وشاكرا وحامدا الله ومصليا على نبيه المصطفى الكريم وآله ومسلما)

(ولما طالعه الفقيه العالم ، والانسان الكامل ، قاضي القضاة سيدي ابو بكر ابن محمد الايكيوازي اصلا . الاقاوي مسكنا . كتب عليه :

(الحمد لله الذي أنطق كل شيء بدلائل وجوده . وافاض على العباد بحار فضله وجوده . والصلاة والسلام على نتيجة اشكال المخلوقات . سيدنا محمد سيد اهل الارض والسماوات . وعلى آله واصحابه . واتباعه واحبابه . ومن اقتفى اثره ما دامت الموجودات .

قد اطلعت على هذه المنظومة المشروحة المحتوية على مدح خير سيد المخلوقات فوجدتها ناطقة بفضل مؤلفها الفاضل . نتيجة الاوائل الذي لايدرك شأوه مناضل . رزق الله مؤلفها الحسنى وزيادة . فقلت : فلله در الهاشمي محمد الخ .

(فذكر قطعة منظومة على روى التاء المكسورة)

ذلك بعض ما في خاتمة ذلك الكتاب . نقلته مختصرا في بعضه . والقصيدة المشروحة مطبوعة وحدها . وقد جرت بيني وبين المترجم كتابة نثرا ونظما توجد في كتاب (الالغيات) .

لا يزال سيدي الهاشمي الى الآن في اوج عزه ، ولا تزال اخباره ترد علينا وهو في خطته العليا . ولم يتيسر ان نتعارف به الى الآن . كما لم يتيسر ان تمثل الاقلام دورها بيننا الا ما تقدم فقط . وذلك في غفلة من الدهر . ازاح الله العواقب . وقربنا وقرب الينا كل اخ وصاحب :

سلام عليك ايها الهاشمي من ... اخ لم تلده معك ام ولا اب
يحب خلالا منك يسمع فضلها ... ومثلك في تلك الخلال يحبب
فان يسهب المثنون بالعلم والوفا ... عليك يكن من فوق من كان يسهب
فيلتذ فيما بينهم بيت شاعر ... يغالب في الاشواق (والشوق اغلب)
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... واعضائها فالحسن عنك مغيب)
كفى الهاشمي الاريحي مكانة ... جميع الورى من دونها تذبذب
محبته الاداب بين معاشر ... يسرون اقل الناس من يتأدب

بيني وبينه اخيرا وادبيات اخرى

يسر الله ان زرته في محله يوم سرحت في سوس ، في رحلتي الثالثة من رحلات (خلال جزولة) فشاهدت كرما وادبا وعلما . ثم زارنا في الغ بعد ذلك فخوطب بالادبيات الآتية . ثم زارني في مراكش بعد الرجوع اليها ثم في البيضاء . وهكذا توالت بيني وبينه الاتصالات . ثم بقي في قضائه الى ان لبى منادي ربه يوم عيد العرش الاول اثر رجوع الملك . فاراح واستراح وحفظه الله مما اصاب امثاله . فهاك الآن ما يتعلق به مما خوطب به او خاطب هو به زيادة على ما تقدم فقد ظفرنا بالجميع بعدما كتبنا ما تقدم ، فممن خاطبوه الاديب محمد على الالغي فقد هنأه لما توصل بظهير القضاء برسالة وابيات (نصهما) :

الفقيه الاستاذ القاضي بساقا واحوازها سيدي محمد الهاشمي بن البشير الافاوي وطنا ، ومسكنا ، الفاسي اصلا . لما شرفه سيدنا ومولانا السلطان محمد ابن السلطان مولاي يوسف بظهير شريف عزيز وجيز فخيم تظاهر به بين القضاة الجلة ، فاحتفلت له بسببه علماء الملة ، وذلك عام 1361 هـ. حفظ الله الجميع آمين .

بسم السرور فانعش الارواحا   وازاح عن اشباحنا الاتراحا
قلبى يميس تلطفا وتدللا   اذ بدلت اتراحه افراحا
نادي المبشر ان سيدنا الرضا القاضي باقيا فضله قد لاحا
حلاه مولانا الشريف محمد   بظهيره فسما به وارتاحا
نعم الظهير تضوعت انباؤه   في جو سوس مثل مسك فاحا
وتشنفت منه المسامع بالذى   ينسى الجواهر قيمة ورباحا
وتضاءلت لبروزه شمس الضحى   يعشي عيون من اغتدى او راحا
وتشرفت احكامه وتزينت   ان صادفت كفؤا لها وضاحا
فالله يحفظ ذهنه ويعينه   ان غيره يوما ابان كفاحا
يا ايها القاضي الامام محمد   كن دائما في مشكل مفتاحا
تبقى قرير العين تسلم من اذى   اهل الزمان وصادفن نجاحا
مني السلام عليك يا بدر الهدى   يتلى عليك عشية وصباحا

وكتب اليه ايضا يوم حج مع خاله :

(من اسس المكارم فشيدها ، وبنى رسوم المكارم فوطدها . وارتدى من المعالي الثوب الضافي . ومن الفضائل السابغ الوافي . سيدنا العالم الالمعي . الزكي المحتد اللوذعي :

مجد صميم على عرش السماك سما   طالت مبانيه وارتقت مظاهره

الاديب النابغة الخاضعة لآدابه وفصاحته آيات النثر والنظام . وسلمت لاستعاراته وتوشيحاته حملة الاقلام ، ابو عبد الله سيدنا القاضي الحاج محمد الهاشمي بن البشير الاقاوي . ادام الله علاه ، وانجح يده بمناه ، واسبغ عليه ملابس نعماه ، آمين وسلام طيب ، مبارك صيب ، على مقامه العالي بالله ، المصون من كل لاه ، وبعد فقد حمدنا الله وشكرناه على رجوعكما وسلامتكما من عناء السفر . بعد ما اديتما انت وخالك الارضى الاغر السيد الحاج السعيد بن بوبكر الهمام ، ومن هو في مراتب المجد امام ، صديقنا في الله . اذ رباه والده بلبان المحبة وغذاه . ما افترض الله عليكما من زيارة بيت الله الحرام ، وزيادة قبر سيد الانام ، عليه الصلاة والسلام . جعل الله حجكما مبرورا . وذنبكما مغفورا ، آمين ، ولا شك فمن حج بيت الله رجع كيوم ولدته امه ، وفي الحديث بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . فمن زاره دخل الجنة ، نسأل الله ان يشاركنا معكم في ذلك الاجر الجزيل . هنيئا مريئا لقد فزتما برضا الله ورسوله . واسمع مني شبه ابيات من الرجز على انه كما قيل ليس من الشعر . ولكن لا اقل من السلام عليكم . وحمد السلامة لكم وسامح فانا لو نظمنا في مدحكم الزاهر . لئالى الدر الباهر . لما ادينا حقكم الواجب في السر والظاهر نصها .

حمدا لمن قدمن بالسلامة   على الهمامين ذوى كرامة
شكرا لمن قضى لنا الاماني   واكمل السرور والتهاني
برجعة الفذين من زيارة   لشهد فليهنا من قد زاره
سيدنا محمد نجل البشير   العالم الهمام والقاضي الكبير

الحاج بيمن الله في المزايا   من بعد ما اهدوا له الهدايا
وخاله الجواد والنجيب   ومن غدا بين الورى حبيبي
سيدنا الحاج الرضا سعيد   الرسموكي ذى الندى المديد
انكما والله ممن جعلا   يوم القيامة الصراط الاعدلا
فلتهنئا من بعد ما قد طفتما   بالبيت والحجر قد لمستما
بالبشر والخيرات والرضوان   من ربنا الوهاب ذى الغفران
لا سيما اذ زرتما الرسولا   فالله يقضي حاجكم والسولا
وفي حديث المصطفى من زارا   تكن له الجنة حقا دارا
صلى عليه الله ثم سلما   من ناظم حروفها والكلما
محمد نجل على سائلا   ان يقضي الله له الوسائلا

وكتب اليه ايضا في امر آخر ربيع الاول 1361 هـ.

تحية حب من بعيد تأكدت   محبته في الله والعهد جددت
على سيدي قطب الندى الهاشم الذى   بافهامه شمس النهار توقدت
وبعد فهذا الحب نار اشتياقه   باحشائه تصلاه حتى تعودت
الا عطفة من بارد الوصل منكم   تبرد من نيرانه ما تمددت
فاني ذاك الخل ماجن عاشق   وما قمري بايك بان تفردت

وخاطبه ايضا هو والفقيه سيدى عبد الله بن مسعود الالغي والقائد الحسن ابن ابرهيم بن بلعيد وقد وجدهم يسردون البخاري في رمضان 1364 هـ. بقوله :

سلام على الجمع المذكر انه   سليم من التكسير في كل مفرد
ثلاثة اقمار تباهت بها (أقا)   على غيرها من كل قصر مشيد
تفرغتم في شهر صوم الى الذى   يكون لكم ذخرا الى يوم موعد
فتم وجوه كالنجوم تمالئوا   على سرد آثار النبي محمد
لقد طبتم طرا بريا حديثه   وكيف ومن يمدحه بالذات يشهد
حديث رسول الله خير وسيلة   وملجا الورى من كل مثني وموحد
به تغفر الاوزار بل يرأب الونى   ويهدى لاقوم الصراط المهمد
فاول اقماري الرضا القائد الذى   به في المعالي الشم ارفع مقعد
هو السيد الميمون حلف سياسة   يسوس بها الاراء في نجح مقصد
هو الاحسن الارضى السني ومن له   بآبائه اسد الشرى خير محتد
فلله ما اولاه من علم التقى   بافضل زلفى من حديث الممجد
وثاني بدوري سيدى الجهبذ الرضا   امام الندى حلف الطراف المهد
محمد القاضي الخضم ومن له   صحاح الفتاوى بالدليل المسدد
فان قال ما قس لديه وان سخا   فما حاتم يطمو وما ماء مزبد
وثالثها الحبر الاديب حفيدنا   عبيد الاله ان سالته يرفد
ادامكم الرحمان ملجا الورى فان   الى بابكم عاف يعن ويرزد

واسالكم اذا قرأتم رسالتى … دعاء يقيني شر واش معربد
وان تلحظوا اسمى الجناب بدعوة … تجاب فقد احيا شريعة احمد
محب الجميع القائد الاحسن الذى … محضت له ودى الى يوم موعدى

(ووجدت بخط الاديب سيدى محمد بن على المذكور) ما يلى :

لما زرت انا والسيد الارضى الفقيه الاخ المدنى احبتنا الجلة . والسادات الاهلة . الكرام الصيد . من لهم فى الخصال الحميدة الباع المديد . السيد الاجل القائد الحسن ابن القائد ابرهيم . ابن القائد بلعيد الويرانى الامريبضى الاقاوى . والهمام الاتقى العالم الاديب الامام القاضى باقا واحوازها سيدى محمد الهاشمى ابن سيدى البشير الفاسى اصلا الاقاوى منشئا ووطنا . والكرام المرضيين الرسموكيين السيد المقدم ابرهيم بن بوبكر واولاده البررة . واخيه الشيخ سعيد فرحبوا بنا وفرحوا اتم الفرح . وأبدأوا فى الاكرام وأعادوا . فرحب بنا الفقيه الوذعى السيد القاضى بابيات حسان كالجمان ، وهى :

شذا العلوم بالغ طبق الافقا … فعاش (أقا) بما من عطره رزقا
ومن هما فلقا الاحكام حين دجت … ومن هما معقل للعلم ان ابقا
محمد المدنى ابن ابى الحسن الا … لغى من جده رنق الونى فتقا
ومن ينابيع علم الدين منه جرت … لاهل سوس برغم من غدا شرقا
وصنوه اللوذعى الجهبذ الورع … الندب الامام محمد الذى سبقا
وحق فضلكما على السواء لقد … او سعتمانا العلوم الجم والانقا

وذلك فى ذى القعدة الحرام عام 1364 هـ. كتبه محمد بن على اثباتا لمحاسن الادباء . وشكر الايادى الكرماء ، كثرهم الله وادامهم بجاه عين الصفاء صلى الله عليه وسلم . (ووجدت بخطه ايضا) ما نصه :

خاطبت الفقيه الارضى الاريحى الألمعى الاديب الاجل القاضى فى بلد اقا واحوازه الى (فم الحصن) الى (ايشت) وقد ورد علينا فى (ايشت) ونحن اذ ذاك فيها . وهو الحاكم بامر الله ولا يخاف فيه لومة لائم . ابو عبد الله سيدى محمد الهاشم الاقاوى الفاسى . بما صورته .

يا من به تفخر المعالى … ومن به تشرق الليالى
ومن به يزدهى زمانى … مثل ازدها البدر بالكمال
سيدنا الهاشم المعلى … محمد الرضى الخلال
اهلا بكم سادتى وسهلا … فوصلكم قد محى محالى

ثم ذهب عازما على الذهاب الى (اقا) ليركب من (فم الحصن) فكلفه الحاكم ان يرجع الى (ايشت) ليقسم مالا فيه فرجع . فقلت له ايضا ما نصه :

بايابكم آب السرور مع الهنا … وانى المنى وانزاح عن قلبى العنا
ياحبذا يوم اللقا لولاه ما … انسى الذى عمل البعاد وما جنى
لاغرو وان اليوم يوم الجمعة السوالى بنور الله فالبشرى لنا

يا ايها القاضى الامام المرتقى … فقت السوى مع ما حويت من السنا
ورقيت من رسم البلاغة ما وهى … حتى غدا يمشى البصير اذا رنا
احييت سنة حاتم وبنى بسرا … مكة فيالك فى مفاخر تقتنى
لازالت الايام تجرى بالذى … ترضى وتسلم من اذى هذى الدنا
دم فى امان الله مرتفعا الى … اوج الكمال مزايلا كل العنا

(واخيرا اقول) :

كانت بينى وبين المترجم قواف منها ماراج بيننا يوم زرته فى (اقا) وهو فى (الرحلة الثالثة) من (خلال جزولة) ومنها قصيدة رحبت به فيها وقد ورد علينا بالغ ومطلعها :

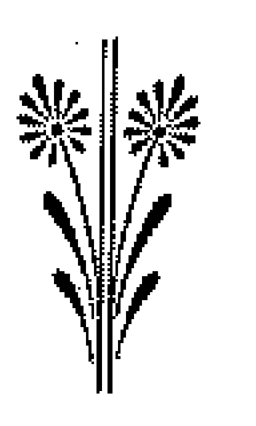
ما الغ غير شعوره فى شعره … اسعد بمن ظفرت يداه بدره

وقد تقدمت القصيدة فى صدر هذا الكتاب . وانما قلت ذلك لان ادباء الغ احتفلوا بمقدمه فقدموا اليه قصائد متعددة كعميد المدرسة سيدى المدنى ، واخيه سيدى الطاهر . وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد . وابى العباس الفقيه احمد البناى الديانى . وآخر تلك القصيدة مما لم يذكر فيما تقدم :

يا ايها القاضى الذى قد اكسفت … انواره فى الافق مشرق بدره
اتمم بود خالص احرزته … من (الغ) لا يذوى تطاول دهره

وكانت هذه الزورة 1364 هـ. فى اوائل ربيع الاول . ولم تحضر عندى الآن القصائد الالغية التى قيلت فيه يومذاك .

وقد نسيت يوم اتصلت به ان استقصى منه تقلبات حياته الاولى . فلم اتذكر حتى توفى رحمه الله .



سيدى الحسن الاعرج الايسى السالمى

13 ـ 9 ـ 1299 هـ. = 1366 هـ.

نسبـه

الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن احمد بن ابى بلقاسم بن احمد بن سالم . وتنتهى سلسلة النسب الى الجد الاعلى : زعم بن عاصم الركراكى . اخى عبد الرحمن بن عاصم جد اهل قرية (دويملالن) من قبيلة (أملن) وعبد الرحمن هذا ـ كما ذكر فى تراجم اهله فى (الفصل الاول) من (القسم الثالث) من اصحاب الشيخ ابى يحيا الكرسيفى المتـوفى 685 هـ. والركراكيون متفرعون فى سوس . وقد ذكرنا منهم فى هذا الكتاب ابناء عبد الرحمن الدويملالنيين . والايديكليين ، والديانيين الايغشانيـيـن ، واهـل تاوريرت وانو الصوابيين . وقد ذكر لنا آن اهل (ابى الاعـلام) فى زاويـة (تازكارت) فى افران منهم . وقد وقفنا على مشجرات لبعض هؤلاء ، ترجع الى القرن السابع . و(زعم) جد هؤلاء الذين منهم المترجم . ذكر لى المترجم ان سبب سكناه فى (تيمكيدشت) ان اهل هذه البلدة استخرجوا عينا . ثم اختلفوا على ارض تحت ماء العين فيتقاتل عليها اهـل (تيواضو) و (أهـل تازكزاوت) فدام القتال بين الفريقين زهاء اربعين سنة . فجاء ابو يحيا مع السيد زعم بن عاصم . ليسعيا بالصلح بينهما . وقد دخل السيدان البلدة وهما يجأران مع اصحابهما بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . فتلقا هما اهل البلدة الفريقان معا . فانصاعوا للصلح . فندبهم السيدان على ان تجعل الارض المتخاصم عليها للمساجد . فاقترح الفريقان ان يجعلاهـا للسيدين . لعل ذلك يجذب من اهـل السيدين من تتشرف (تيمكيدشت) بسكناه فيها . فهذا هو السبب حتى قطن محمد بن عمرو وحفيد ابى يحيا هناك ، فخلف فيه اولاده الى الآن . ومن فروع اولاده ايت حسين سكان زاوية أكلو . وحتى سكن هناك ايضا آل سيدى زعم . واما زعم فقبره فى (تادارت) ازاء قبر الشيخ ابى يحيا استاذه . هكذا حكى لى المترجم . وقال ان اهل زعم واهل ابى يحيا واسرة اخرى ثالثة هى الاسر الاصلية فى سكنى (تيمكيدشت) يعنى من الاسر المحترمة . كما حكى ان تحت يد اسرته بعض رسوم املاك يرجع تحريرها الى القرن السابع . ثم ذكر لى من فى اسرته من العلماء هؤلاء :

1 ـ احمد بن بلقاسم هو اقدم من سالم الذى اختتمت به السلسلة المتقدمة .

عالم مشهور بين الناس ، لعله من اهل القرن الحادى عشر او اوائل الثانى عشر ، قال لاتزال تحريرات قلمه توجد بكثرة فى سلات الرسوم .

2 ـ الحسين بن عبد العزيز

عالم ايضا ، وقاض فى عصره ، قال الحاكى كان قاضيا فى (اكادير) فى عهد الثائر الطالب صالح المشهور الذى اعتقله الملك سيدى محمد بن عبد الله سنة 1170 هـ. قال ان هذا القاضى نال ثروة من هناك آئل بها لاولاده املاكا واسعة . وهو جد آل برايم . ولا أدرى أذكر أن هؤلاء من اهله ام لا .

3 ـ سالم الجد والد احمد :

كان رجلا صالحا يؤثر عنه ما يؤثر عن الصالحين . ويظن انه من حفظة القرآن فقط ككل اهله .

4 ـ محمد بن ابرهيم بن احمد بن ابى القاسم بن احمد بن سالم :

فقيه جليل كان له شأن فى (تيمكيدشت) قبل الشيخ سيدى احمد بن محمد ، ومحمد بن ابرهيم هذا هو اول من ثار الخلاف بينه وبين الشيخ سيدى احمد ابن محمد. ثم ورث ذلك عنهما ابناؤهما الى الآن . وقد ذكر هذا الخلاف ومنشأه واسباب انتشاره العربى المشرفى فى مؤلفه (نور الابصار) الموضوع فى اهل (تيمكيدشت) . قال حدثنى فلان عن الثقة الصدوق محب اهل الله الفقير اليه سعيد المريد تلميذ ابى العباس المذكور ـ يعنى الشيخ سيدى احمد بن محمد ـ قال : ان الذين سلبهم الشيخ فى حياته ثلاثة ، ثم ذكر اثنين ، ثم قال : ورجل آخر يقال له ابن ابرايم ، وسبب سلب هذا عياذا بالله وبرسوله، انه كان جالسا فى مسجد (تيمكيدشت) قبل ظهور الشيخ بـلا شرط ولا مئونة ، فذهب اليه الفقير سعيد المذكور ، وكانت بينهما صداقة ، فقال له يا ابن ابرايم : انك ذو عيال واولاد ، ولأى شىء جلست فى هذا المسجد بلا شرط ؟ فقال له : انصحك يا اخى سعيد : ان هذا المسجد سيعمر عمارة لم تكن من هنا الى مكة المشرفة ، وان النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الاولياء يجتمعون فيه كل ليلة جمعة ، وستدرك هذا ان شاء الله ، وتشاهده برؤية البصر ، فلا يفوتك ان كنت حيا وهو يظن ان ذلك يكون له هو نفسه شهرة ، ولما ظهر فيه صاحب السر العظيم ، انف واستنكف واستكبر ، وفى اول الامر كان يجلس الى الشيخ ، وحين اراد الله سلبه . ساقت الاقدار احد اشياخ الشيخ سيدى احمد ، وهو الولى المشهور بمولاى الحاج ، بات بمدشر (تيمكيدشت) وجاء الشيخ سيدى احمد بالعشاء ، وجاء ايضا ابن ابرايم المذكور بالعشاء ، ورابعهم سعيد المريد ، حضروا كلهم ، ولما فرغوا من الاكل انطق الله ابن ابرايم بما فيه هلاكه دنيا واخرى ، وذلك بأن قال للشيخ (الضيف) يا مولاى محمد الحاج ان من النسوة التى تزف العروس لزوجها من هى احسن منها ، يعنى انه خير منه ، وقد خدمه بذلك العشاء الذى جاء

به اليه ، فسكت مولاى محمد ، ثم لما قام ابن ابرايم ، وغاب عن إبصارهم ، قال الشيخ لسيدي احمد : ان هذا تعدى طوره ، وجاوز قدره عليك به الليلة، وسعيد يسمع ، فقال في نفسه لا أذهب حتى أعلم كيف يكون حال ابن ابرايم مع هذين الشيخين ، فذهب الشريف بكرة كأنه لم يبث بالمدشر ، ولما صلى الشيخ الصبح ، وسعيد المريد معه جاء ابن ابرايم الى المسجد ينوح ، فاقدا لعقله ، وصار يتمرغ ظهرا لبطن ، وبطنا لظهر ، من اعلى المسجد الى اسفله ، وكل من رآه على هذه الحالة لا يشك انه سلب . ورمي بداهية عظيمة . وبعد هنيئة جاءه صهره ، وقال له يا فلان : مالك اصبحت بلا عقل ، ألم يكن عندك شعير وتمر ؟ فلا تشمت بنا الاعداء ، يظنون انه اضطر ، فقام اليه صهره سعيد المريد ، وقال له دعه قائما به خوف الله ، وهو يعلم قضية السلب ، والعياذ بالله ، فاللسان سبع ، ان اطلقته اكلك . _ الى ان قال _ : فاظهر العداوة بعد ذلك للشيخ . واعلن ببغضه ، والشيخ يغض الطرف عنه ، الى ان خرج بنفسه من (تيمكيدشت) وقتل على يد بني حربيل في معركة بينهم وبين غيرهم ، كان معدودا من عصبية ذلك الغير ، وقضيته عند اهل المحل مشهورة . انتهى ، ببعض اختصار . هذا ما قاله المشرفي : او ما يقوله اهل الشيخ سيدى احمد بن محمد . واما هذا المترجم الذي يحكي لي . فقد كتبت عنه انه كان أخذ عن اولاد الشيخ الحضيكي ، ثم عاصر الشيخ ابا العباس التيمكيدشتي . وأنه صالح له كرامات . ولم يكن يشارط . وانما يزاول اشغاله ويحرث في محل يسمى (أكنيكيو) فوق (تيمكيدشت) ، وله املاك اخرى في (تيمكيدشت) نفسها . توفي عن سن تناهز 80 سنة في سنة 1248 هـ. (وقد رايت انه مقتول) .

3 _ عبد الله ولده الاول :

عالم جليل مشهور ، اخذ عن العلامة ابي زيد الجشتيمي ، وعن ولده عبد الله ، وقد ربض عندهما ازمانا ، ثم استتم بفاس ، ويحكى ان عبد الله الجشتيمي هذا لا يفارق خنجره الذي يتقلد به ، كعادة عوام الناس ، حتى في اوقات الدراسة . فكان ذلك عجبا ، لان المعهود من امثاله ان لا يتسلحوا ، لانهم يحترمون ولا يخافون ، كما حكي عن عبد الله الجشتيمي هذا ايضا انه كان يستحضر الاقوال . ومتى قال له تلميذ من قال هذا القول ؟ يقول له انا قلته بنفسي . وربما اخذ بلحيته حين يقول ذلك ، ثم ان عبد الله المترجم بعد ما تخرج ، انتقل الى مراكش في عهد الملك مولاى عبد الرحمن ، فصار خطيب جامع المنصور بالقصبة . ويقطن في دار حبسية نفذت له . وقد علا شأنه في عهد الملك سيدى محمد بن عبد الرحمن . ولذلك طلب ان يحمل الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتي على ان يجيب عن ادعاءات وجهها اليه . فكان جواب سيدى الحسن الذى يجده القارئ في ترجمته في (القسم الثالث) بين تراجم التيمكيدشتيين . ومدار ذلك على ما يزعمه السالميون ان الشيخ واهله ظلموهم في (تيمكيدشت) ، وقد كان طلب من الملك مولاى الحسن ان يبنى لاخيه الفقيه سيدى عبد الرحمن _ الآتي _ مدرسة في شيشاوة ، فقام الملك بذلك،

فشرع في البناء الى ان بني 12 بيتا للطلبة . فلبث الفقيه هنالك قليلا ، ثم اعتذر بزيارة امه بسوس ، فذهب ولم يرجع . هذا وقد وقفت على قصيدة للمترجم يقرظ بها رحلة محمد بن عبد الله الغيغائي الذى حج سنة 1274 هـ. ونص ما وقفت عليه في اوائل تلك الرحلة بخط المؤلف :

(وقال في هذا الكتاب ايضا الفقيه الاديب سيدى عابد التيمكيدشتي السوسي رضي الله عنه :

نحمدك اللهم حيث جعلت لسان الحال ، افصح من لسان المقال ، وذلك ان دلالة الحال بالطبع لا تتبدل على كل حال ، ودلالة اللسان لا تكاد تنفك عن التغير والانتقال . والصلاة والسلام على منبع الشريعة الاخر الاول . وعلى آله وازواجه ما طلع نجم وافل . وبعد فقد وقفت على ما صاغه صوغ التبر الاحمر، ونظمه انتظام الدر والجوهر . اخونا في الله ومحبنا من اجله الفقيه ذو الملكة ابو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله الغيغائي التنصغرتي في رحلته للمشرق ذهابا وايابا . فوجدتها عديمة النظير ، بديعة النقول والتحرير ، محتوية على اغرب الغرائب . لما تضمنته من تواريخ واخبار وعجائب . وقد سلك فيها سبيل السلامة والاحتياط . خالية من التعقيد والاطناب والارتباط .
وفي ذلك قلت :

وقفت على التبر المجمع رحلة ... مرونقة الاسلوب طبقا ومهيع
وابدت شموسا من سماء نجومها ... كأن سناها البدر في الافق يطلع
وحاز بها النهد المؤلف رتبة ... يفوق بها الاتراب زرعا ومزرع
لعلم باني لست اهلا كما ترى ... يشار له بالفضل فالعلم اوسع
ولكن لما طبتم بحسن ظنونكم ... حسنت ظنون الحب للطوع يرجع
تحدث على النفس الامارة معلنا ... بنعمة مولاك الكريم تراجع
وصلى على المختار احمد من له الـ ... ـشفاعة يوم الحشر والخلق مجمع
وهذا عبيد الله مبدى تحية ... وللعجز والتقصير والجهل يسمع

(هكذا القطعة المهلهلة التى لولا التاريخ لوجب نبذها) .

ثم ان المترجم هو الذى وقف مع الاستاذ سيدى على بن عبد الله والشيخ الالغي حين دخلا مراكش سنة 1302 هـ. لينقلا تجاليد الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الالغي . كما حدثني بذلك العم ابرهيم . ولد المترجم 1234 هـ، وتوفي 1310 هـ. ودفن في ضريح السهيلي . وقد ذكر لي ان له آثارا ادبية . ولكن لم يظفر منها الا بما تقدم . وله نونية اجاب بها ابا العباس الجشتيمي الذي كان وجه قصيدة عامة يسأل عن الرهن . كما قرأنا له قصيدتين في مولانا الحسن حين كان لا يزال ولي العهد . وهما في مجموعة الامداح الحسنية مطلع الاول وفيها 50 :

اقول وفي قول بديع محسن ... لمن كان بالانصاف عرفا تمرسا

ومطلع الثانية وفيها 17 :

بهذا عبيد الله يبدى تحية ... يهنا بهـا مولى له وهمام

وقلمه على كل حال فى صوغ القريض اعرج معثار .

6 ـ الحسن بن عبد الله :

كان اخذ عن والده فى سوس ، ثم بعد ان انتقل الى مراكش ذهب هو الى (تارودانت) فكان ياخذ عن ابى العباس الجشتيمى . ثم توجه الى مراكش . فقطن فى المواسين ، فيفتى ويعدل الى ان توفى فى شعبان 1362 هـ. وذكر لى ان له خطا انيقا ، وورعا كثيرا . وقد روى كرامات عن ابى العباس الجشتيمى يوم كان خادمه الخاص ، وقد راوده الكلاوى فى زور ، واعطاه مالا كثيرا ، فلم ينقد له . ويعرف فى مراكش بابن عابد .

7 ـ عبد الرحمن الولد الثانى لمحمد بن ابرهيم :

علامة جليل القدر ، ممن ازدانت بهم جزولة ردحا من الدهر . وقد كان اخذ اولا عن الاستاذ الشهير سيدى محمد (أعجلى) وسبب ذهابه اليه ان والدته فاطمة بنت محمد بن سعيد السالمية . كانت تقرأ وتكتب ، فحرصت على ان يتقن ولدها القرءان . فارسلته الى (أعجلى) قائلة له . ان اتقن حفظ القرءان فارسله الى من يعلمه العلوم . فلذلك الحقه أعجلى بالجشتيميين برسالة الى ابى زيد . وفيها (اننا وان لم تكن تتلاقى بالاشباح . فاننا نتلاقى بالارواح) ثم ربض هناك كثيرا . فكان هو والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ومحمد بن ابرهيم التامانارتى ثم التنكرتى يتعاشرون زمنا . ثم سافروا جميعا الى فاس . والمترجم هو الذى وصل بينهم وبين بقالين سوسيين بفاس . يكونون لهم صلة وصل بينهم وبين اهاليهم . وهناك أخذ المترجم عن الشيخ كنـون ، ومولاى عبد الملك الضرير . وذلك سنة 1369 هـ. ثم لما رجع من هذه الرحلة توجـه الى المشارطة فى المدارس ، فمن المـدارس التى كان فيها مـدرسة (تازاروالت) و (بومروان) و (ايغشان) . وفى هذه المدرسة اخذ عنه العلامة الاديب الحبيب السكرادى ، والعلامة ابو فارس الادوزى . ومدرسة (للا مماس) الامانوزيـة . وفى هذه اخـذ عنه الاستاذ على بن عبد الله الالغى المنطـق والاصول . وقد كان المترجم يختلف الى الغ كثيرا ، فينزل على الاستاذ على بن عبد الله وعلى الشيـخ الالـغى . خصوصا فى اوقات رفـع المحصولات فى الصيف . وكانا يكرمانه بالزرع . لان ايسى قليل الخصب . وقد وقع يوما ان كان له زرع كثير ، عند الالغيين فلم يجد بهائم تحمله له ، فاذا ببهائم زاوية الشيخ الالغى تهيؤ لسفر . فقال للشيخ : ما هذا يا آل عبد الله بن سعيد ؟ انحتاج الى البهائم ثم لا تدفعونها لنا ؟ ام انتم كما قال الله عز وجل (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لامسكتم خشية الانفاق ، وكان الانسان قتورا) ، يعنى اولاد عبد الله بن سعيد . فلم يزد الشيخ على ان تبسم فى وجهه . فقال له لا والله لا نكون كذلك . ثم امر الفقراء بحمل زرع الفقيه الى بلده ببهائم الزاوية . واخر السفر الى اشغال الزاوية حتى رجعت البهائم . وقد كان مولاى الحسن الملك يبنى له مدرسة فى (شيشاوة) ليعمرها، ولكنه غادرها الى سوس ـ كما تقدم ـ وحين ورد الملك الى سوس لمحه بين العلماء ، فتبسم له . ثم طلب منه ان يريه العلماء السوسيين واسماءهم حين يدخلون عليه .

وكان المترجم قد اصيب بكريمتيه اخيرا . وكان يختلف اذ ذاك الى (الغ) ومعه ولده الحسن الاعرج . فغضب عليه يوما فقال له : لامر ما جمع الله فى القرءان بين الاعمى والاعرج . فما اجتمع الاعرج والاعمى الا كان ما لابد ان يكون من ازدواج العيبين معا .

وقد كان فى حين يدرس فى المدرسة الالغية ، فياخذ عنه من فيها . وان كان الاخذ عنه فى غيرها هو المعتبر ، وقد اخذ عن المترجم كثيرون فممن نستحضرهم من الكبار :

1 ـ الحبيب السكرادى الجرارى ،

2 ـ الاستاذ على بن عبد الله الالغى ،

3 ـ الاستاذ ابو القاسم التاجارمونتى . اخذ عنه فى المدرسة الالغية ، وقد كان ياوى احيانا الى بيت فيها . فياخذ عنه المنطق والاصول والبيان من يشاء من الطلبة .

4 ـ سيدى المكى اليزيدى ،

5 ـ سيدى عبد الرحمن الكادورتى الايسى الاديب . اخذ عنه الحديث ،

6 ـ سيدى احمد أو الشلح الاكرضيملالنى الايسى . اخـذ عنه كثيرا من الفقهيات .

ولد سيدى عبد الرحمن نحو 1244 هـ. وتوفى يوم الجمعة مفتتح رجب [illegible] هـ. وكان يقطن فى (أكرضيملالن) فى ايسى وله شرح على حزب الصوابى المنظوم . وحواش على المقامات الحريرية . ومحررات كثيرة فى الفتاوى ومحررات الاحكام . وهذا السيد من اشياخ الالغيين . وقد كان يستحق ان يذكر فى (القسم الثالث) الا اننا اخرناه لنذكره بين اهله .

8 ـ الحسن بن عبد الرحمن :

الى هذا السيد يساق الحديث . لانه ابن المدرسة الالغية . ولد فجر 13 رمضان 1299 هـ. اخذ القرءان اولا عن والده . ثم عن استاذ فى مدرسة (افا وزور) بيعقيلة حين كان فيها ابـو فارس الادوزى . ثم افتتح فى المدرسة الالغية . وكان الذى يتولى تعليمه من الطلبة النجباء المعينين الاستاذ ابرهيم التاغاجيجتى . فمنه اتقن المبادئ على العادة . ثم التحق بابى فارس الادوزى الذى كان فى مدرسة (افا وزور) فوجده ذهب بالطلبة وهم 37 يمونهم فى داره لخلو المدرسة من المئونة . فصار الاستاذ يرهن املاكه فى ماسة ليمون الطلبة لوجه الله . فهنالك استتم المبادئ . وبعض المتون الوسطى . ثم التحق بمدرسة (ايمور) عند الاستاذ سيدى المكى البزيدى . فلازمه سنتين . استفاد فيهما كثيرا . وقد كان للمدرسة امة وبنتها فسرقهما المسمى على بن مسرح الابزريسى المانوزى . فباع احداهما الرئيس الحاج ابرهم الايغشانى . فكان

ذلك هو السبب حتى غادر الاستاذ وتلاميذه المدرسة . فاذ ذاك القطع المترجم الى أهله ردحا من الزمان . فتزوج 1322 هـ. فكان يختلف الى الغ والى المدرسة الالغية كثيرا ، فيتاثر بالبيئة الالغية . فيتطاول الى التفوق . فكان ذلك هو السبب حتى توجه الى فاس سنة 1334 هـ. حيث ربض نحو ثمانية اعوام . فاكثر الاخذ عن الاساتذة احمد بن الخياط في المختصر . وعن احمد بن الجيلالى في المنطق ، وعن مولاى احمد العمرانى فى الالفية والمختصر ، وعن مولاى عبد الله الفضيلى في السلم والاصول . وعن القاضى محمد العراقى فى المختصر ، وعن سيدى الطائع بن الحاج فى البيان ، وعن الفاطمى الشرادى فى ابن عاصم. وفى شوال 1341 هـ. صدر بعلم جم ، ومشاركة حسنة الى بلده حيث بقى الى ان توفى .

زار هذا السيد الغ مرة فكان عند الاخ سيدى محمد ، وذلك فى شهر جمادى الاولى 1358 هـ. فاذ ذاك فقط عرفته ، فقد سمعته يقص ما كان من الشأن بين اهله وبين آل الشيخ سيدى احمد بن محمد . ويرميهم بالتزوير للرسوم . ويسمى من بين المزورين الشيخين سيدى احمد بن محمد ، وسيدى الحسن . فقال له الاخ اننا لا نتصور ان يكون هذان الشيخان اللذان اجمع الناس على مكانتهما فى الدين ممن يتعمدون التزوير فى الرسوم . فحرك سيدى الحسن راسه وقال ، لا يدرى ما فى المزود الا من ضرب به ــ المثل المشهور ــ ثم قال هنا موقع العجب ، فاننا وان كنا نقول وندلى بالبراهين . لا نجد من يصدقنا . ثم ابدأ واعاد فى ثلب آل الشيخين ، بكل مافى وسعه، وزعم انهم من (ادا وبلال) لا شرفاء ، سامحه الله .

ثم حدث عن قصيدة قالها ابو العباس الجشتيمى ، يرد بها على الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى فيما قاله فى الشيخ سيدى الحسن بن احمد التيمكيدشتى من الغلو ، ولم اتوصل منه بالقصيدة الجشتيمية . واما التى قالها الادوزى . فتوجد فى ترجمة سيدى محمد بن العربى فى (القسم الثالث) وكذلك ما اجاب به الادوزى الجشتيمى فى اثناء رحلته الى مراكش .

ثم فى 15ــ5ــ1364 هـ. ورد على فى دارى بالغ . فاذ ذاك استطعت أن اكتب عنه كل ما تقدم من تراجم أهله . والرجل فصيح مقدام لسن مستحضر حافظ . وقد ذكر ان الحضيكى كان ينشد اذا أضجره جلساؤه .

انك ان كلفتنى مـا لم أطق   ساءك ما سرك منى من خلـق

وانشد ماقاله ابو زيد الجشتيمى حين كتب اليه أخوه سيدى الحسن بن عبد الله من الصحراء . وهو رابض عند الشيخ سيدى المختار الكنتى . يطلب منه أن يعمل الرحلة الى الشيخ الكنتى . او يرسل اليه رسالة على الاقل . فاجابه بهذين البيتين :

اغنت خواطرنـا اقطاب بلدتنـا   عن التشوف للاقطـاب من بعـد

وجدتهـم هـا هنـا فما يكلفنى   بعث الكتاب الى الصحراء فى المدد

وحكى انه كان يوما فى طريق ، فلحقه الشيخ الالغى ، وهو على بغلته فاردفه وراءه . ثم صار يسأله عن سيدى عبد العزيز الادوزى . الا يزال على حاله فى الكرم ؟ ثم انشده الشيخ بيت المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم   فالجود يفقر ، والاقدام قتال

وللمترجم ادبيات . فقد سمعت له قافية فى اخينا سيدى محمد . واخريات فى غيره ولم يحضر عندى الآن شيء من ذلك . وقد شارط حينا فى مجاط . ثم سألته عن علماء (ايسى) فافضى الى بما ياتى :

1 ــ محمد ــ فتحا ــ بن بلقاسم من (أكرضملالن) علامة كبير من اهل القرن العاشر ، توفى 980 هـ. وهو جــد المرابطين المسمين (اكرامسن) فى قريــة (اكرضملالن) . واصلهم من القبلة . وقد انقرضوا اليوم . ولا عقب لهم ، واملاكهم صارت الى ايت على بن الحاج هناك . وقبره معلوم فى مقبرة القرية ، وهو الذى سأل أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى عن الصيد بالرصاص ، كما فى ترجمة المسكدادى عند الحضيكى .

2 ــ محمد ــ فتحا ــ بن عبد الرحمن (أمحاولو) الايسى من أهل هذه القرية ايضا . ولا عقب له توفى 1025 هـ. (وولده احمد هو كاتب بودميعة وهــو الشاعر) .

3 ــ محمد بن محمد بن على من هناك ايضا . وهو جد آل أو الشلح . حيسوبى كبير . وآثاره لا تزال موجودة وهو معروف بالاتقان والتدقيق .

4 ــ عبد الله بن احمد جد الفقيه احمد أو الشلح . فقيه كبير . له آثار فى قسم الاملاك والافتاء . وكذلك والده احمد بن عبد الله . وقد كانا يشارطان فى مسجد (تيزى أومانوز) كثيرا . واما الفقيه احمد أوالشلح المعاصر فانه احمد بن محمد ــ فتحا ــ بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد . وقد ولد هذا فى سنة 1272 هـ. فأخذ عن عبد الرحمن السالمى ــ المتقدم ــ وعن الحاج محمد البزيدى . وقد انتفع بهذا فى النوازل كثيرا . فبه تخرج فيها . لم اخذ من فــاس . ولم يبطئ فيها . ثم شارط فى مدرسة ايفشــان ، وفى (تيزى اومانوز) . ثم انقطع الى مزاولة النوازل والافتاء . ويداخل العوام فى منازعاتهم . ولا يفارق سلاحه لذلك . وقد أثرى وراء النوازل . توفى 1363 هـ وابوه من كبار العلماء ايضا ، متدين .

اقول سمعت شيخى سيدى عبد الله بن محمد وقد رأى انسانا يحرص على أن يصلى صلاة الضحى . فقال حضرت يوما للحاج ابراهيم الايفشانى ، وقد راى الفقيه سيدى احمد أوالشلح يواظب على هذه الصلاة ، فاراد ان ينكت عليه . انني اخاف من هؤلاء الذين يظهرون المحافظة على صلاة الضحى ، ومقصودى من الحكاية ان نعرف تدين هذا الفقيه ، حتى انه لا يترك صلاة الضحى . واما تنكيت امثال الحاج ابرهيم فانه سيطير هبــاء منثورا ، لان امثاله كيف يقدرون امثال هذا العالم المحافظ على نوافله .

5 ــ ابرهيم الكادورتي من آل يحيا . ويسكن في قرية (بيغيل) فوق (افيلال) اخذ من (تيمكيدشت) اولا ، ثم صار يزاول النوازل . فحكم في قضية لاهل قرية (اكاديروول) فنقض مبرمه معاصره سيدى عبد الرحمن السالمى . فذهب مغاضبا . فنزل في اكلو عند آل ابى سالم . ثم الى بعمرانة . حيث اتصل به القائد المحجوب الكلولى نحو 1300 هـ. فذهب به الى أهله في اداكيلول ، فانزله في قرية (تيزى البركت) الى ان توفى نحو 1314 هـ. واليه ينسب بعضهم الفية الكادورتى . وان كان شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى يابى ذلك . ويقول ان صاحبها اقدم من ابرهيم هذا . وله ولد يسمى احمد ، فقيه حسن مشارك ، تخرج بوالده . فكان يشارط حينا في مدرسة (افيلال) كما كان والده شارط فيها حينا . وقد توفى هذا الولد قبل 1340 هـ بقليل .

6 ــ محمد ــ فتحا ــ بن محمد ــ فتحا ــ بن عبد الله من بنى الحسين من قرية (اكرضيملالن) وهو الملقب بجافور . كان قرين عبد الرحمن السالمى في الاخذ عن الاستاذ محمد بن ابرهيم أعجلى في مدرسة (ايكضى) وله خط حسن . كان يزاول النوازل ويحرر الاحكام . وقد فتك به انسان في طريق (أسيف أو نسيس) وهو ذاهب الى تازاروالت ظلما وعدوانا . واسم الذى تولى الفتك به على بن محمد بن سليمان في جماعة ، فسلط الله عليه البرص والفقر .

اقول ان جافورا هذا جرى ذكره في ترجمة محمد بووازى الساموكنى قريبا فليجمع ما هنا الى ما هنالك لتتم ترجمته .

7 ــ محمد بن الحاج عبد من بنى على بن الحسن الملقب الاعبوش من (اكرضيملالن) فقيه تقى اتصل بمولاى الحسن حينا . فاتخذه اماما . وقد ابطأ في مراكش . وحين رجع اتى بظهير القضاء ، فبنى دكانا امام داره . فانتصب للقضاء . الا انه وجد امامه علماء فطاحل في قبيلته (ايسى) . وقد كان هو نزر الماء . مع بله فيه ، فلم يشع نوره لذلك .

8 ــ محمد ــ فتحا ــ بن محمد بن بلقاسم من بنى باها (هموش) كما لقب به . علامة كبير القدر . تخرج بالجشتيميين ولازم ابا العباس فتزوج من عندهم الى ان توفى نحو 1326 هـ. قبل احمد الجشتيمى بقليل .

9 ــ عبد الرحمن بن بلقاسم بن احمد الكادورتى من بنى عبد الكريم . علامة فقيه كبير القدر . يقضى بين الناس . وهو معمر . فقد ملأ ما بين 1214 هـ. وبعد 1288 هـ. بالفتاوى والقضاء في النوازل . وابوه بلقاسم علامة نوازلى ايضا . تدل محررات قلمه على انه بحر يطفح بالنصوص العجيبة ، والغالب انه من اصحاب الحضيكى .

10 ــ محمد بن احمد من بنى عبد المؤمن الكادورتى . فقيه نوازلى . له صحبة بعبد الرحمن المذكور قبله من سنة 1214 هـ. فهما يوقعان معا ما يحررانه . ولا يزال عقبه موجودا الى الآن .

11 ــ احمد بن عبد الرحمن النهالى النازل في (كادورت) عالم نوازلى عاش الى نحو 1237 هـ.
اقول ، ان الجشتيمى ذكر واحدا بهذا الاسم وبهذه النسبة في كتابه (الحضيكيون) ولعله هذا . وقد ذكر انه سكن في (تارودانت) قبل 1214 هـ. يراجع ذلك .
12 ــ عبد الله بن منصور . من القضاة الرسميين . من (كادورت) كان لايزال حيا 1237 هـ. وعقبه لا يزال .
13 ــ محمد بن محمد ــ فتحا ــ أحوزى من (تاكموت) ازاء جبل الكست . ويسمى اهله (ايحوزين) ومنهم علماء كاحمد بن محمد أحوزى نزيل درعة . وهم اليوم معدودون من قبيلة ايمسي الكست . طرف من ايالة مركز ايت عبلا . واخوتهم آل الطيب لا يزالون في محلهم الاصلى باكشتيم . وينسب للشيخ ابى العباس الجشتيمى ان الكل بكريون . ومنهم اهل (ازرو او فردو) .
14 ــ محمد بن احمد من بنى ادريس الكادورتى . عالم جليل لا يزال دوى صيته الى الآن . كان حيا من اوائل القرن الماضى . وهو صهر سيدى سعيد بن على السالمى على بنته رقية بنت سعيد . وهى جدة فاطمة ام عبد الرحمن السالمى . توفيت هذه بعده سنة 1290 هـ. ولها صيت عند اهل (اكرضملالن) فبنوا لها دارا في حياتها .

15 ــ عبد الله بن يحيا بن عبد الواسع من (اكرضملالن) . فقيه قديم يدل عليه صيته . ولا يدرى عهده . واهله اصهار سيدى بلقاسم بن احمد الزبدى . وعقبهم لا يزال الى الآن .
16 ــ احمد بن محمد من بنى سيدى داود من ايت منصور من قرية (تامساوت) علم جليل من اهل القرن الماضى . له آثار يذكر بها . ولا يزال الآن سنة [illegible] هـ. حفيده محمد بن بلقاسم بن احمد بن محمد بن داود حيا في فاس يسكن القلقليين .
هذا ما اخذته عن سيدى الحسن في تلك الجلسة . ثم لم أجالسه بعد . مع أنه لا يكاد يتخلف عن الغ . وله صحبة اكيدة مع الاستاذ سيدى المدنى . وطبعهما متقارب في كل شيء شيىء . ولم يزل يتردد على الغ الى ان توفى رحمه الله .
اننا نكتفي بذكر امثال جافور وسيدى احمد أو الشلح وامثالهما من اصحاب الالفيين هكذا بين ذويهم في صعيد واحد . عن ان نذكرهم بتراجم خاصة في (القسم الخامس) المعدود لاصحاب الالفيين . ومثل هذا يقع ايضا في علماء (ساموكن) الذين كتبناهم عن سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمن ، والمقصود ان يذكر عنهم في هذا الكتاب ما وصلنا عنهم . وان في غير الباب الذى جعلناه لهم ، لاننا لم نتوصل عنهم بما نتوسع به في تراجمهم ، لو اردنا ان نضعها ازاء امثالها .

سيدى المكى اليزيدى

نحو 1295 هـ = ـ 10 ـ 1346 هـ

نسبه

المكى بن محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن

كنا ذكرنا فى (القسم الثالث) بين اشياخ الالغيين فى ترجمة سيدى الحاج محمد اليزيدى جملة صالحة من اخبار اليزيديين هؤلاء ومن تراجم اجدادهم واخرنا منهم من يستحقون ان يذكروا فى هذا (القسم الرابع) بين تلامذة الالغيين . وهم هؤلاء المتتابعون .

سيدى المكى هذا استاذ آخر من الاساتذة اليزيديين الذين برزوا الى الميدان فبرزوا . وامتازوا بتخريج تلاميذ نجباء . وهو اصغر اخويه سيدى الحاج احمد وسيدى عبد الرحمن المذكورين فى (القسم الثالث) .

متعلمه

اخذ القرءان من مسجد قريته عن اساتذة مروا هناك . ثم انقطع الى المدرسة (الالغية) فجاور فيها ياخذ عن الاستاذ التاجارمونتى وعن ابى الحسن احيانا . فلم يتجاوزهما فى ابان الاخذ . حتى صدر عن المدرسة (الالغية) وقد ضرب بعطن متمكنا مشاركا بحاثا فهما لقنا . من اقران احمد بن صالح . ومحمد بن الحاج ونظرائهما .

مشارطاته

لازم المدرسة الايمورية سنين عديدة . ملاها بعلمه الجم . وقد مر بنا فى كثير من تراجم الجيل الذى نشا بين يدى طبقته كثيرون اخذوا عنه . فنجبوا غاية النجابة كسيدى الحسن الاعرج الايسى . وسيدى محمد بن الحاج عبد الرحمن الساموكنى . وسيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى . وكان يسير فى تدريسه على نهج اساتذته الالغيين ولذلك وقع به النفع الكثير . ومدرسة (ايمور) هى المدرسة الوحيدة التى مر فيها . ثم لازم داره الى ان توفى وكان يزاول التجارة وخلايا النحل . ومنهما يتعيش طوال حياته . وكان مسكينا مائلا الى الخمول .

من اثاره

هذه رسالة كتبها الى شيخه ابى الحسن الالغى :

(شيخنا الذى به نفتخر بالانتساب اليه . وعمدتنا الذى توكلنا على الله ثم عليه . امام الادباء ، وسيد البلغاء . وامام الفصحاء . سيدى على بن عبد الله سلام اعطر من الرياض المخضلة الازهار . واسطع من الشمس المشرقة فى رابعة النهار . اما بعد فقد تخلفت عن المجىء فى اليوم الموعود لعذر عرض من الم مرض . وهاك ياسيدى الامانة . فليجز الله مولاى على تلك الاعانة . وليسامح سيدى فى حقوقه . ونعوذ بالله من عقوقه الخ .

وكتب ايضا الى الشيخ الالغى .

شيخ العصر المشرق سره اشراق الشمس . من يكون دائما يومه افضل من الامس عوض والدنا . وعظم ساعدنا . سيدى الحاج على بن احمد السعيدى الالغى . رضى الله عنكم واعانكم على ما تقومون به من ارشاد العباد . فى مختلف البلاد . والسلام الاطيب العطر على مقامكم المحمود . الذى تلاحظه دائما السعود . والرحمة والبركة ما تعاقب السكون والحركة . هذا فقد من الله علينا بمعرفة مقامكم الجليل . وللوصول الى ادراك مكانتكم فى الدين بلا دليل . وقد كنت اشتكيت على سيدى بما يصيب قلبى من القساوة احيانا . فدلنى على ذلك الذكر الذى شاهدت له البركة عيانا . وجزى الله الاخ سيدى الحاج احمد الذى ارانى انكم الطبيب لامثال علتى ، والزلال الذى تفشا به قلبى . فرضى الله عنكم . واعلى مكانتكم . وادامكم لعباده . والسلام

ومن انشاداته ما كان ينظم به قواعد نحوية او فقهية ، وما اكثرها ذكرها لى ولده سيدى محمد ، وقد سمعت ان له آثارا فى الادبيات المحضة . ولكن لم اقف على شىء من ذلك . وقد كان ينشد كثيرا من الابيات حفظها كعادة طبقته الذين تخرجوا من الغ . ولكن لم التق بمن يخالطه لآخذ منه بعض منشداته .

وفاته

كان مرض البرد يعتريه فى آخر عمره ، وهو سبب وفاته . وقد توفى قبل اخيه سيدى الحاج احمد الذى كان له والدا ثانيا . وقد وقفت على بطائق يكتبها سيدى الحاج احمد فى شانه الى الشيخ الوالد يوصيه فيها ان يوجهه الى ما فيه منفعته . وبذلك يصح اطلاق انه والده الثانى .

أولاده

اولهم ، احمد وهو اكبرهم ، اخذ القرءان عن والده ، ثم اخذ عن اليزيدى سيدى احمد بن الحاج محمد . حتى حصل وشارك ونظم الشعر .

وهو الآن استاذ في بعض المدارس . ثم عبد الله اخذ القرءان عن ابيه في مدرسة (ايمور) ثم اخذ ما عنده من المعارف عن ابن عمه الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى المذكور ، وقد حصل تحصيلا لا باس به . وقد عرفته وهو شاب ناسك مسكين . وكان يشارط في المساجد مثل بعض مساجد الغ. الى ان توفي نحو 1365 ه. ثم سيدى الحسن ممن أخذوا من المدرسة الالغية فقد مر بالمتون . كما أخذ ايضا عن والده بعض الفنون . وهو الآن 1380 ه. في (زطاط) ثم سيدى محمد . وهو أصغرهم ولد 1339 ه. واخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن احمد الايكدماني الايغشاني . ولا يزال حيا . ثم لازم سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ما شاء الله . ثم اخذ ايضا عن الاستاذ داود الرسموكى في (تيبيوت) ثم انقطع الى البيضاء وهو ناسك رباني حفظه الله .

الطيب بن عبد الرحمان اليزيدى

نحو : 1295 ه = نحو : 1344 ه

نسبه

الطيب بن عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن

هذا فقيه آخر من اليزيديين وان لم يكن من مشاهيرهم في الميادين ،

متعلمه

اخذ القرءان عن والده كما اخذه عنه كل اخوته ، ثم انقطع الى المدرسة الالغية . فلازمها سنين ، حتى حصل ونجب ومر على كل الفنون ، ومارس المتون واستحق ان يظهر بعلمه لو كان ذلك مقدرا له .

في التجارة

ولى وجهته بعدما تخرج الى المقايضة في الاسواق ، وخوض الطرقات في التجارة ، فاستطاع ان يعيش بها ، وليس بوحيد بين فقهاء اهله في هذا السبيل فقد كان سيدى الحاج احمد علامة الاسرة يشتغل ايضا بالتجارة منذ طلق المشارطة وكذلك الاستاذ سيدى محمد بن الحاج احمد ولده ، زاولها ايضا ما شاء الله في (سلا) ، ومعلوم من قديم ما كان لآل عبد شمس في الجاهلية من رحلة الشتاء والصيف ، وكم قاد ابو سفيان العير الى الشام ، وهكذا يجرى في الاحفاد ما كان يجرى في شرايين الاجداد .

هكذا امضى المترجم حياته الى ان لاقى ربه ، وقد غادر اولادا ورثوه في ميدان التجارة ، ولكن لم يرثوه في ميدان المعارف ، والدنيا حظوظ وقسم وقد كان يستحضر الادبيات وينشدها في مواقف المقايضة ، كما حكى لى بعضهم ، وان لم يستحضر شيئا من ذلك .

محمد بن عبد (الكبير) اليزيدى

نحو : 1280 ه = نحو : 1342 ه

نسبه

محمد بن عبد الله بن بلقاسم بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن. فقيه آخر من الفقهاء اليزيديين المشهورين ، وهو ابن اخى الاستاذ سيدى الحاج محمد بن بلقاسم المذكور مع اهله فى (القسم الثالث) .

متعلمه

لم ندر عمن اخذ القرآن ، واما العلوم فلم يعد المدرسة (الالغية) ، وكان يعد من النجباء فيها قبل سنة : 1320 ه. وقد شارك وحصل فى الفنون التى تدرس هناك .

بعد التخرج

كان شغله الشاغل تعليم كتاب الله فى المساجد ، ولم يقدر له ان يجرى فى ميدان امثاله ، لكونـه مغمورا بالفطاحل من بنى عمومته ، ومن مجاوريه ، شارط فى (تيبيوت) بالغ ، وفى (اد على أوباها) بمجاط ، وفى (تالوست) بتاسريرت ، وفى قريته (تازونت) وفى (اينليو) وفى (أكرض ايملالن) بايسى ، وكان يستحضر كثيرا من الشعـر فينشد الابيات النادرة بكل مناسبة ، وكان يحب الاتاى الحار المسوس ، ويقال انه هو الذى قضى عليه رحمه الله .

اولاده

له اولاد متعددون ، حفظوا كلهم القرآن على يد والدهـم ، وابرزهم بالمعلومات اكبرهم : سيدى عبد الله المولود نحو : 1331 ه ، وقد افتتح المتون فى المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ سيدى احمد اليزيدى ، ثم صاحبه الى مدرسة (فوكرض) فالى المدرسة (الالغية) حيث مكث عامين ، ثم المدرسة (الايمورية) عند ابن عمه الاستاذ سيدى المكى اليزيدى ، وفى نحو : 1344 ه

طلق سوس الى التجارة فى (القنيطرة) حيث لا يزال الى الآن ، وقد انشدنى يوما البيت المشهور الذى يعير به اليزيديون :

ارجو امـة قتلت حسينا ... شفاعة جـده يوم الحساب

وانشد ايضا بمناسبة :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الاسباب والموت واحد

وانشد ايضا بمناسبة :

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

واخوه عبد الرحمان المولود نحو : 1333 ه. لا باس بمعلوماته ، اخذها عن الاستاذ احمد اليزيدى فى المدرسة (الالغية) وهو ايضا تاجر فى (القنيطرة) وكذلك اخوهما سيدى محمد ، فقد الم بالثقافة الحديثة بالفرنسية ، زيادة على حفظ القرآن ، وهو هناك ايضا من الرجال الملحوظين .

عبد الله بن الحاج محمد اليزيدى

نحو : 1300 هـ = نحو 1335 هـ

نسبه

عبد الله بن الحاج محمد بن بلقاسم بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن .

من شبان هذه الاسرة اليزيدية ، فقد اخذ القرآن عن والده ، ثم اجتهد فى التحصيل فى المدرسة (الالغية) وفى غيرها حتى شدا ، ثم التحق بفاس حيث ربض سنين مكبا على التحصيل حتى نال غاية تذكر فى المعارف وقد حرص على جمع الكتب ، فكانت له ماءت ، فلما عزم على الرجوع وقد قضى لبانته ، واشبع نهمته ، اذا بالحمام قضى على امانيه فى الحياة فارمس بفاس رحمه الله ، فبكى شبابه كل من يعرف مكانته الفذة ، ولم اكن سمعت به قبل اليوم ، حتى اجتمعت يوما بثلة من بنى عمومته فى (القنيطرة) فذكروه لى ، واثنوا عليه غاية . وقالوا عنه ما يدل على انه من كبار المحصلين وانه لو عاش لنال مثل صنوه احمد بن الحاج محمد مكانة تتذبذب دونها مكانات الرجال . ولكن الحمام قطف زهرته وهى كما تفتحت عنها الكمام رحمه الله .



سيدى احمد ابن الحاج محمد اليزيدى

1303 هـ = 24 ـ 3 ـ 1364 هـ

نسبه

احمد بن محمد بن بلقاسم بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن .

كثيرا ما يعد العاد عندنا فى سوس العلوم التى يعرفها السوسيون فى بلادهم ، فيذكر منها النحو واللغة والبيان والادب ، فيسلك الادب فى سمط هذه العلوم التى طريق معرفتها الوحيد ، انما هو التعلم ، واتقان القواعد لا غير ، ولا اخاله فى ذلك الا مجملا فيما يقول ، لان الادب اذا اطلق ، فانه تلك الموهبة التى تستمد فقط قوالبها من القواعد المقعدة والافانه فطرى فيمن خلق له ، على ان الادب حقيقة له اطلاقان ، يطلق فينة على اتقان ادوات العلوم التى يستمد منها الادب نحوا ولغة وبيانا وتاريخا مطلقا ، حتى يشمل كل انواع التاريخ ، تاريخ الرجال والبلدان والامم ، وتاريخ العلوم التى منها تاريخ علم الادب نفسه ، بالالمام فى ناحية على تشعبها ، وبالمعانى التى كانت تبكر من ناحية اخرى فى مختلف الاعصار ، فيدرك منها ما كان رثا باليا ، وما لايزال بعد مطرفا قشيبا ، وبالمعانى التى لا تزال فى اكمامها ، حتى يمكن لن اتقن ذلك ان ياتى بها اتيانا مقبولا ، يوافق مشرب عصره ، فلا ياتى بالقديم الرث الا ان استولد منه معنى آخر جديدا ، ولا بالقشيب الجديد الا اذا جلل باطار تقبله الاذواق المتكونة بالفن ، فيزيد من روائه لالأ ولمعانا واشراقا ، وتحليقا فى سمو الابتكار فى صوغ عربى لبق اخاذ ، هذا هو الاطلاق الاول .

واما الاطلاق الثانى فهو تلك الروح العليا التى يهبها الله لمن يشاء ، فحديثها حديث الارواح ، ومجاريها فى القلوب هى بعينها المسالك التى تسلكها الطمانينة والسكينة اللتان يحس بهما من خالطت بشاشة الايمان شغاف فؤاده فكم موصوف بادب وليس باديب على الحقيقة ، وكم متشاعر ياتى بالقصائد يتلقاها خليل بن احمد بكلتا اليدين لكنها عند ارباب هذا الشان ، غير مرضى عنها فى اذواقهم السليمة ، وما الفرق بين ذينك الا كالفرق بين دمية متناسقة الاطراف ، القى عليها رفائيل (1) مسحة من الجمال الظاهر

(1) نحات ايطالي له آيات وبدائع فيما نحته من الدمى الرخامية.

الخلاب للابصار ، وبين خود رائعة ، ذات روح ممتلىء بكل ما تنشده الارواح اثناء جمال الاجسام ، افيحسب بين الشعراء الموهوبين كل من قال كلاما معربا مقفى ، موزونا مفعما بمعان مطروقة ، وتشبيهات تمجها الاذواق ، وخيال بارد مسف ، الاكما يحسب نحات تلك الدمية بين الخالقين الذين لهم اتم القدرة فى ان ياتوا بما ياتون به من ربات الجمال الرائعات ، بخفة الروح ، ومغناطيس الحياة ، وشتان ما بين النحات والخالق (افمن يخلق كمن لا يخلق ، افلا تذكرون) .

ان فى سوس اليوم 1358 هـ. طبقات من اربات القريض ، ومن الادباء الكبار ، فمنهم من اندمج فى حياة اليوم مبهورا بما تنتجه الافكار الحديثة ، ويبتكره هذا العصر الجديد ، فيتأثر خطا شوقي وحافظ فى القريض ، كما يقفى آثار المنفلوطي واضرابه فى النثر . ومن هؤلاء شباب سوسيون نراهم منذ الآن كفجر يبشر بطلوع الشمس المشرقة .

ومنهم من لا يزال الى الآن يقدس الادب الماضي ويعلن بملء فيه انه هو الادب المصقول البرىء من تفرنج الافكار ، وجماله جمال العروبة ، الذى عبر عنه من يقول – وهو المتنبى – :

افدى ظباء فـلاة ما عرفـن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولاخرجـن من الحمـام مـائـلة اوراكهـن صقيـلات العـراقيب

والمترجم حفظه الله ، وكل اهل هذه الطبقة من ادبائنـا الكبـار كاستاذنا البوزاكارنى والاستاذ داود وشيخنا سيدى الطاهر وابنه ، من الذين لايزالون يفون لذلك الماضى المجيد ، ولا يزالون فى الدفاع دونه مشمرين كلما مسه ماس ، كما ان العثمانى والبونعمانى والتنانى ، ممن يقولون ما يفاوح اقوال شوقى ونظرائه .

لا ريب ان لذلك الماضى فى نظر المنصفين جلالة وروعة ، ربما لم تكن بعد لهذا العصر ، وان كان عصر الكهرباء والبخار والطيران .

ان المترجم العلامة الكبير هو ممن طبع على الادب منذ نشاته ، فلا تكاد فرصة تسنح حتى ترى له قافية معجبة ، او رسالة فذة ، وكل من وزنه بميزان بيئته ، يعلن بحق : انه من المجلين فى حلبته ، الحائزين فى ميادينهم ، وفى مضامير علومهم على اختلافها : خصالا لا يحوز مثلها الا اليعابيب الذين هم قيد الاوابد ، وسباق الارياح فى جريانها ، فلنفتح ترجمة حياته ، لينفتح لنا سجل مفعم بالغيرة العلمية والاريحية الادبية ، واذ ذاك يدرك المطلع معنا صدق كل ما نقوله عن صديقنا سيدى احمد بن محمد اليزيدى حفظه الله .

اساتيذه في القرآن

كان والده رحمه الله مع كونه يوالى الدراسة فى الفنون فى المدارس العلمية ضم اليه ولده هذا ، فعليه افتتح ، ثم تـدرج حتى وصل حـزب (ولا تجدلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن) وقد حكى المترجم ان والده

ربما كان اخذه – على العادة – ببعض تاديب اذ ذاك ، حتى زار شيخه ابا العباس الجشتيمى مرة ، فنهاه عن ذلك ، فانتهى – وقد ذكرنا ذلك فى ترجمة والده – ثم التحق والده بربه ، نحو اواسط 1309 هـ. وغادره ابن سبع سنين ، فالحقه اولياؤه بالاستاذ الكبير سيدى سعيد بن عبد المؤمن التاوييتى ، وهو مشارط فى (تاوييت) فختم عنده : ختمتين ، وتدرج فى اخرى ، ثم الحق بمدرسة سيدى حمو أو الحسن بالاخصاص عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن الاغبالوبى الماسي : 1314 هـ. – 1318 هـ. فاتقن حرف ورش ، وحرف المكي ، والم بقراآت اخرى ، ثم انتفض من هناك لسبب من اسباب رعونات الشباب .

حكى لى انه دخل على الشيخ الالغى فى زاويته بالغ ، ومعه خاله الاستاذ سيدى الحاج احمد اليزيدى ، فجلس اليهما الشيخ فى الغرفة العليا بجنوب مرقع الزاوية ، فقال خاله للشيخ : اننى سارد هذا الى الاخصاص ، فاننى لا اخاله الا قمص من هناك فارا من غير اذن استاذه الماسي ، فقال الشيخ بل نخبره هل اتقن ما كان اخذه هناك ، قال : فامرنى الشيخ بافتتاح سورة (البقرة) بحرف المكي ، فذهبت اقرأ حتى وصلت : (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) ، فقال : كفى كفى ، ثم قال لخالى : الحقه منذ الآن بالمدرسة (الالغية) فانه وصل ابان افتتاح العلوم .

اساتذته في العلوم

فى سنة : 1318 هـ. التحق بالمدرسة (الالغية) ، فافتتح له الاستاذ ابو الحسن الاجرومية ، وفى المدرسة ابو القاسم التاجارمونتى يعينه كبار التلاميذ النجباء فى الطبقات ، فكان صاحبنـا من نصيب النجيب سيدى ابراهيم الباعمرانى ، قال : لكننى لم آلف ، وبعد قليل ، التحقت بمدرسة (ايمور) عند خالى الاستاذ المكى اليزيدى ، فبه اتقنت المبـادىء ، وانتخلت متـون الابتدائيين وحررتها ، ثم انتقلت الى ما هو اعلى منها ، فختمنا (الرسالة) و (الالفية) ، ثم (المختصر) الى باب النكاح نزاول ذلك حفظا وفهما فى ثلاث سنوات ، وفى : 1321 هـ. راجع (الالغية) ، فياخـذ عن التاجارمونتى وابى الحسن ايضا ، ثم لم يستتم فيها سنة ، فالتحق : 1322 هـ. بالايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، فمكث عنده نحو سنة ، وفى 1323 هـ التحق بالمدرسة التانالتية عند الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الصوابى الافاريضى الشهير ، فلازمه دون سنة ، فمما اخذه عنه الحساب والفرائض . ثم سنح له اذ ذاك ان يزور شيخ الاسلام سيدى ابا العباس الجشتيمى نزيل (تيموت) فى راس الوادى ، وقد قرأت فى كناش من كنانيشه :

ولشيخنا سيدى ومولاى ابى العباس الجشتيمى رضى الله عنه فى شرب الاتاى :

تضلع من الاناء ما استطعت واتخذ ... قداحا ظرافا للتانس والشرب (1)
ولا تتجاوز من كؤوس ثلاثة ... تنل منتهى اشتهاء نفسك في الشرب
ولا تقربنه قبل افراط نضج المـاء ... والغليان واجتماعك في الشرب (2)
ولا تقبلن مناولا غير عارف ... باحوال تحسين الشراب على الدأب
ولا تجلسن في غير مجلس نزهة ... على ارفع الفراش في المنزل الرحب

وانما قلت : ولشيخنا ، لانى والحمد لله قرات عليه الهمزية للامام الابوصيرى ، وذلك : 1323 ه وذلك في عواشر عيد المولد ، اقمت عنده اربعة وعشرين يوما بتيبيوت ، وفي هذه المدة سردتها عليه بحضرة جم غفير من الطلبة منهم الفقيه سيدى محمد بن احمد الرمالي هموش ، صهره ، واتحفني باسرار فصار لى بذلك ، والحمد لله علو في القراءة .

هذا ما وجدته بقلمه ، وهو بعينيه ما حدثني به وجها لوجه ، حين يسرد على تقلباته ، كاقتراح مني ، قال ثم امرني الجشتيمي ان امر بالاستاذ الاديب سيدى محمد ابن الحاج الافراني ، وهو اذ ذاك في مدرسة (تومليلين) من قبيلة ايلالن ، فمكثت هناك شهرين آخذ فيها عنه الاستعارات في منظومة ابن كيران ، ثم امره سيدى محمد بن الحاج أن يزور بلده ليصل والدته ورحمه . وقد ابطأ عنهم كثيرا ، كما امره ايضا ان ينتقل عن (تانالت) الى غيرها بما يراه منه من شفوف الهمة في الادب ، ليلحق بجو ادبي ، ربما كان اعلى من جواء اهل (تانالت) ثم القى ثانيا جرانه في المدرسة (الالغية) سنة : 1324 ه. الى : 1329 ه. فاكب على الفنون كلها تضلعا ، كما أكب على مدارسة الادب . فصدرت عنه اذ ذاك ايات بينات من بنات قريحته ، رأينا منها البعض ، وقد حكى لى انه كثيرا ما ينزل الى دار الشيخ الوالد ، فيكون كلما رآه يمتحنه على عادته ، بل على عادة اهل الغ كلهم مع النجباء امثاله ، تشجيعا لهم ، وشحذا لهممهم ، ثم يمده بعد ذلك بما يريش اجنحته من الزاد ، ليزيده امعانا فيما هو بصدده ، والتشجيع ببنات الجيوب التي تنزل احسن منزل في اثناء القلوب ، ابلغ من التشجيع ببنات اللسان وحدها ، وهكذا يصنع الشيخ مع كثيرين امثاله من المرابطين اذ ذاك في تلك المدرسة ، ثم في سنة : 1329 ه التحق بالمدرسة (البومروانية) عند الاستاذ الكبير شيخنا سيدى الطاهر الافراني ، فالتحق بكعبة الادب ، ووجد طلبته من هذا الفن عن كثب ، وقد

(1) المعروف ان قداحا جمع للقدح بكسر فسكون ، وهو السهم ، واما جمع القدح بمحركات، وهو الاناء للشراب ما دام فارغا، وإلا فهو الكأس فإنه أقداح .

(2) كذا ، وقد زيد فيه سكون في الوزن: والشرب بالفتح: اسم جمع شارب.

عرف انه اكرم فارتبط (1) وانه وقع على كنز عظيم ، فالبل يحتجن منه بكل ما اوتيه من همة ونشاط ، فكان احد افذاذ ادباء كانوا هناك اذ ذاك كابن الاستاذ سيدى محمد بن الطاهر ، والاستاذ ابي زيد البوزاكارني ، والاديب سيدى داود الرسموكي ، والاديبين التيمليين سيدى محمد بن العسري ، وسيدى محمد بن محمد الامسلاتي ، ثم لما اشتغل الاستاذ سيدى الطاهر بقضية الهيبة وبالسفر معه الى مراكش ، وقد نشأ عن ذلك ما نشأ ، بدا لصاحب الترجمة ان يعمل ركابه الى مدرسة سيدى محمد الشريف الاخصاصية ، عند استاذها الكبير ، سيدى الحسين بن عمر بيبيس فاخذ عنه المنهج ، وبعض فقهيات اشتهر بها بين معاصريه ، وذلك في سنة (1331 ه) .

هكذا حكى لى حفظه الله رحلته العلمية ، في مدارس جزولة ، وهذا ترتيب ماخذه ، ولم اكن كتبت عنه ما اخذه في كل وقت ، والامر في ذلك سهل لان العلوم التى تتعاطى في هذه المدارس معروفة ، والمتون التي تقرا بالتدريج لا تزال معروفة عند اهل هذا الجيل ، لا تعدو النحو واللغة والبيان والادب والفقه والاصول والتفسير ، والحديث والوضع ، والهيأة .

وقفة حول هذه الرحلة

ان من يتامل كيف تقلب المترجم ابان اخذه ، كما نراه ، مع معرفته بيئة ذلك العصر التى تميل الى افراد الاخذ في مكان واحد ، عن استاذ واحد واستنكاف ان ياخذ من مدارس متعددة عن اساتذة متعددين ، يدرك مقدار همة صاحبنا العليا ، ويقدر قدر ذلك الطموح الغريب من ايتام امثاله ، فقد اكب غاية الاكباب على المعارف ، وصابر اتم المصابرة ، حتى رجع ابجر الحقائب وقد تتبع افذاذ عصره من العلماء في تلك الجهة ، واخذ عن كل ما يتقنه وذلك لعمرى هو الطريق اللاحب الى النجاح ، والاهتداء الى الطلبة من اقوم سبيل ، ولا يزال من يقصر الاخذ عن واحد ، وان كان ما كان ، يقصر في نواح في المعارف التى اخذها عنه شاء او ابى ، والعلم على الحقيقة : هو ان ياخذ الانسان من كل شيء احسنه ، وان ياخذ عن كل ما اتقنه :

فالنحل لما رعت من كل نابتة ... ابدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا

فالالغيون ومن اليهم كالاستاذ العربى الساموكنى ، والاستاذ المكى البزيدى ، والاستاذ ابن الحاج الافرانى للعربية ، للادب والتاريخ ، والمشاركة في علوم اخرى ، كالفقه ، والحديث والتفسير ، والاستاذ الصوابى للفقه المحض المتخل مع رقة القلب وحب العبادة ، والاستاذ بيبيس للتضلع في الفقه ، لانه من حفاظ (المختصر) القيمين عليه ، وللكروع في مثل ما الف (المنهج) في علمه

(1) مأخوذ من المثل المشهور : اكرمت فارتبط اي وجدت فرسا كريما فداوم عليه في الرباط ، يعني لا تبعه ولا تفرط فيه .

والاستاذ العلامة الكبير ابو العباس الجشتيمي ، لكل العلوم التي شارلا فيها ولكنه لما اسن ، ودخل شهره فى الواوات (1) يجعل مكان التبرك ، وللعلو فى السند والمشيخة ، فمن هذه البحار ارتوى العلامة صاحب الترجمة ، فكيف لا يكون كما نراه في كل فن درسه كانه علم في راسه نار .

تحدر الاستاذ المترجم كما رايت من اسرة عريقة فى بث المعارف ، معروفة من اجيال بالتقلبات فى المدارس ، تهتز بهم كراسى التدريس ، وتتلألأ بهم سماوات التخريج ، فهل ينتظر ممن له هذه الهمة الطموح التى رايناها ، من صاحبنا ، الا ان يحلق فى آفاق اهله ، فتتهاداه مجالس التعليم ، وتضرب اليه اكباد الابل ليحظى منه بالمورد العذب الذى يمد منه لكل الواردين ، وهل هو الا من غزية فاذ رشدت غزية ، وعرفت فى كل ادوارها بهذه المآثر ، فلا بد له ايضا ان يقتفى الاثار ويسلك مسالك الاسلاف .

وهل انا الا من غزية ان غوت   غويت وان ترشد غزية ارشد

كذلك كان ، فتجلت مصادفة عجيبة ، فكان كأنه نسخة من والده شيخ الجماعة فصار غالب المدارس التى درس فيها والده هى بعينها مجر عواليه ، ومجرى سوابقه ، على انه — لمن امعن — اكثر حظا من والده فى المشاركة التامة .

عهود من الآبا توارثها الابنا   ولكنما الابناء كانوا لها ابنى

فان فاز الاصل بظهوره فى عصر يعرف حق العلماء ، فكان له ما كان ، فان لهذا الفرع ايضا فخرا عظيما بكونه اظهر الشعلة العلمية فى ليل مدلهم كان ظلمات بعضها فوق بعض .

وقد قال بعض الالغيين من قطعة :

ما البسالات ان تهاجم مع جيش   ولكنها الهجوم فريدا
باسل القوم من يفل اذا ما   قاوم الخصم بالحديد الحديدا

اقترن الاستاذ بكريمة خاله سيدى الحاج احمد بعد تخرجه ، ثم اقبل على المشارطة ، وهى الميدان الوحيد الذى تؤدى الآن فيه الامانة العلمية ، فكان من اعجب الاتفاقات ان كانت المدرسة التى هى مختتم حياة والده ، مفتتح حياته هو بالمشارطة ، وكم فى تقلبات الدهر من مصادفات ، واتفاقات، تلفت الابصار ، وتستوقف الافكار .

1) — المدرسة (الايغشانية) كان شارط فيها سنة : 1334 هـ. فبقى فيها سنة
2) — مدرسة (تاسريرت) بأمانوز ، شارط فيها سنة : 1335 هـ. فبقى فيها ايضا سنة .

(1) تقول : واحد وعشرون الى تسع وعشرين. فذلك كناية عن قرب الاختتام وهذا مثل قديم .

3) — مدرسة (فوكرض) الصوابية ، شارط فيها سنتين .
4) — المدرسة (الالفية) .

قرات فى كناشة بخط المترجم ، ما نعرف به ان الذى حداه الى هذه المدرسة هما شيخاه : ابو محمد الافرانى ، وابو الحسن الالغى ، وهذا ما فى الكناشة :

كتب الى شيخنا الفقيه الاديب العالم العلامة ، المحقق ، سيدى ابو عبد الله التامانارتى ما نصه :

«حفظ الله مقام الاخ الابر الارضى ، الفقيه النير الاوضا ، ابى العباس سيدى احمد ابن شيخنا المقدس المرحوم سيدى الحاج محمد التازونتى ، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، عن وجد لا يريم ، وشوق لزم لزوم الغريم ، هذا ولا زائد والحمد لله على ما من به من كبت العدو بوجان (1) ورجوعه بالصغار والهوان ، فقد صدق الله وعده ، وهزم العدو وحده ، ادام الله عادة نصره لاوليائه ، وطهر البلاد من رجس الكفرة اعدائه ، بحول الله وقوته .

ثم ان شيخنا الالغى ارضاه الله واطال بقاءه ، استدعاك للمذاكرة فى المدرسة المنورة ، لتحصيل نفع الدنيا والاخرى ، لما رآك احق بذلك واحرى فلب نداء السعد اذ دعاك ، فما كل من طلب السعادة نالها

«خذ النصيحة قبل الفوت من لدني»

فمن طلب ولم يجب ، طلب فلا يجاب ، واغتنم فرصة التدريس فى نعمة الصحة والفراغ ، ولا ترغ عنها فى جملة من راغ ، فالعمر متجر الربح والخسران ، والعاقل لا يعطل الايام فى خصوص الحطام الفان .

اذا كان راس المال عمرك فاحترس   عليه من الانفاق في غير واجب

واعذرنا ايها الاخ الحبيب ، فلولا ما احببناه لك من الخير ما افصحنا لك بمثل هذا من محض النصح ، ولا تنسنا من دعائك ، ونسلم على جميع السادة الاقارب خصوصا الفقيه البركة سيدى المكى ، وسيدى الطيب ، وسيدى احمد بن صالح (2) ، ونسأل من الجميع صالح الدعاء .

ويليه كتاب شيخنا ابى الحسن بلصقه ، رضى الله عنه وارضاه ، نصه :

«اصلح الله اعز الاحبة لذاته ، وسيد لداته ، سيدى احمد ابن الحاج محمد ، وسلام عليه ورحمة الله ، وبعد فاشركنى من الادعية المرضية . وقد علمت حال هذا العبد ، وما كلفه به الوقت من الامور الدينية والدنيوية .

(1) يعني المعركة الوجانية المشهورة التي رد فيها الاستعمار على عقبيه مدحورا سنة 1335 .

(2) هو الشكوكي : كان مشارطا في قرية البزيديين .

تكاثرت الظباء على خداش   فما يدرى خداش ما يصيد

على انه لاخير فى علم لا ينشر ، وجاه لا يذكر ، وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ، وقصر فلاح العبد على التواصي بالحق والصبر ، وقد اعطيت ما يغنى عن هذا كله لكنه كما قيل :

«قد رأينا التأكيد خطة عجز»

فطر على جناح الشوق والتوق ، متحليا من شكر النعم باجمل طوق ، والسلام

هذا ما كتبه فى كناشته ، فعلمنا انه لم ينزل فى هذه المدرسة الا باقتراح اشياخه ، ثم كان عند ظنونهم فاجاب فمكث هناك سنتين .

5) ـ المدرسة (البومروانية) :

شارط فيها سنتين فى المرة الاولى ، ثم راجعها ايضا ، فمكث فيها مثل ذلك ، ثم انه نزل ايضا فى (الالغية) سنة : 1345 هـ. فبقى فيها سنة وعند مغادرتها ، وقع بينه وبين الاستاذ ابى الحسن شىء نشأ عن كون تلك السنة عجفاء ، فاراد المترجم ان يتوصل باجرته ليقيم بها اوده، ولم يجد عنها مناصا، والاستاذ ابو الحسن ربما عراه ضيق لا يقدر معه على اداء ما وجب ، فظن المترجم انه ملىء ، (ومطل الغنى ظلم) فاعلن انه مظلوم ، فقابله الاستاذ بما قابله به ، حتى حضر مجاطيون الى الفريقين تقوية واستعانة ، فكانت مجاذبة أدت الى مقاسمة الصبر ، فاعطى ابو الحسن البعض ، وصبر الاستاذ فى البعض تاجيلا ، الى ان يخصب الناس ، كما هو الواجب : (فان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) فرجعت المياه الى مجاريها ، ولعل كل واحد من الاستاذين مصيب محق ، الا ان اسنات الناس هو الذى منع من جبر جميع الخواطر ، وقبح الله الدنيا ، فانها ما كانت بين اثنين ، الا دبت عقاربها بينهما . وهذه القضية هى التى الم بها الاستاذ ابو الحسن فى رسالته الى البوزاكارتى المنشورة فى ترجمته فى (القسم الاول) .

وقد وقفت على رسالة ، كتبها الاستاذ جوابا لافراد من الاسرة اليزيدية يفهم القصد منها بقراءتها ، ونصها :

«وعلى سادتنا الجلة ، بدور الدين والملة ، اطباء الداء والعلة ، ورى العطش وبرد الغلة ، الشيخ الاتقى ، والعروة الوثقى ، سيدى الحاج احمد اليزيدى ابن محمد ، وابنه الابر ، الاطهر الانور ، سيدى محمد ، وجميع القرابة عموما .

السلام والرحمة والبركة ، وبعد : فالله يبقيكم مفاتيح الخير ، مغاليق الشر ، اساة لمرض الاسواء ، قامعين للبدع والاهواء ، مغبوطين فى جميع الاحوال ، مرضيين فى الافعال والاقوال ، آمنين من شر الفتن والاهوال ، وقد وصل كتابكم المتضمن كل سول ، والموشح بما امر به من اصلاح ذات البين الرسول ، واشهدكم واشهد الله ورسوله انى غفرت وسمحت مما عسى ان يكون خطأ بينى وبين اخينا وابن شيخنا سيدى احمد ، على انه ما طلب الا

حقه ، ففى الحديث : (اعطوا الاجير اجرته قبل ان يجف عرقه) ، والضرورات تبيح المحظورات ، وسلموا منى على السيدة الحنينة والدته ، واخبروها انه ولد قالبها ، وولد قلبى ، فلا ادعو عليه بل ادعو له بما يجد بركته ، فالله يبارك لنا ولها فيه ، وفى اولاده وقرابته آمين آمين ، والله يغفر لنا ما فيه ايلامها ، فقد تسببنا عياذا بالله فى ايلام قلبها وقالبها ، جعل الله ذلك لها مغفرة الذنوب ووصلة لرضا علام الغيوب .

هذا ومحب الجميع الغشانى بخير ، وقد عزم على دخول العشبة ، ثم بدا له فتركها ، وما ذكرتم من امر النصارى عياذا بالله ، فمما ينغص العيش ويهم الطيش ، والحسين بن عمر رجع من (ابى الاحبال) وتسوق الموسم ، ويرجع الى (كردوس) وهو فى ذلك كله ، انما يضرب فى حديد بارد ، والامر فى الازدياد وسيدى الطاهر بن محمد بقى فى داره باداى ، وقد بعثنا اليه بابنا للمشاورة على هذا الامر المدلهم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فى : 8 ـ من شوال عام 1346 هـ.

بهذه الرسالة نعلم ان فقهاء الاسرة كتبوا الى الاستاذ ابى الحسن من لسانهم ولسان والدة المترجم يستعطفونه فى الاناة جانبه ، وعدم السخط على تلميذه فيما وقع ، والمسألة قد سويت فلم تترك فى القلوب اثرا نغلا .

6 ـ المدرسة المولودية

لازمها بعد : 1350 هـ. ثلاث سنوات ، ثم عطل من المشارطة سنة ، ولسان حاله ينشد ما قاله الطغرائى :

«وحلية الفضل زانتنى لدى العطل»

7 ـ المدرسة الوفقاوية

شارط فيها من سنة : 1355 هـ. فى رمضان ، فبقى فيها الى ان غادرها فى مختتم ذى القعدة : 1359 هـ .

8 ـ المدرسة الجشتيمية

ثم التحق بقبيلة أملن ، فاكب اكبابه المعهود منه فى جميع المدارس التى يكون فيها .

❀ ❀ ❀

هذه هى المدارس التى جال فيها هذا الاستاذ المدرس المجد ، وكان فيها كلها مثالا حيا للجد والدؤوب على الدراسة ، والعكوف على موالاة الدروس للتلاميذ على اختلاف طبقاتهم ، فاصدر كثيرين ، لبعضهم الآن شهرة وظهور كبير ، والمرجو من الله ان يطيل عمره فى هذا الميدان ، وان يعينه لاداء هذه

الامانة العلمية التي اولع بها اتم الولوع ، حتى كاد ينفرد هو والاستاذ الحاج مسعود ، والاستاذ الحاج الحبيب والاستاذ ابرهيم بن عبد العزيز الادوزي ، في كل جبال جزولة في السنوات الاخيرة بالقيام على التدريس ، كما كان عليه الاساتذة الكبار في الاجيال السالفة . فلا يرتاح المترجم ، ولا يشعر بالطمانينة الا بين مجالس التلاميذ ، مع اتقان لكل ما يتعاطاه ، وبهذا الاتقان تفوق على بضعة اناس نراهم اليوم مثله مشغوفين بالتدريس ، ففي كل مدرسة نزل بها ، نراها مفعمة مزدحمة الجوانب بالطلبة ، (والمورد العذب كثير الزحام) وفي كل تلميذ لازمه حقبا ، نشاهد نجابة كبيرة (ومن قابل الشمس استنارت جوانبه) فقد تعجب الناس من المدرسة الوفقاوية حين كان بها ، كيف خفقت فيها اعلام المعارف بجد الاستاذ واجتهاده ، وامعانـه في حفـز الهمـم الى الشفوف ، فقيل : ان هذه المدرسة ماتت حين حييت المدارس ، ثم هاهي ذي اليوم تحيا حين تلفظ المدارس نفسها الاخير ، يطيلون التعجب في ذلك ، وما السبب الا همة الاستاذ ، واذا ظهر السبب بطل العجب ، فالارجاء لا يزينها الا رجالها ، والديار لا تغلو ولا ترخص الا بجيرانها ، قال بعض الالغيين :

الا حبـذا نجد اذا عـزة بـه ... ويـا حبذا تهامة ان بها ثـوت
فوجد فؤادي حيث عـزة ثم ان ... تولت تولى الوجد يقصد ما نوت

شهرته الواسعة

اجيل الآن نظرتي في الاستاذ اليزيدي وما له من شهرة ، ثم أجيلها في لداته من نجباء الادباء الذين ثافن معهم الاساتذة في مجالس الاخذ ، فاوازن بينهم ، فتراءى لي مقدار ما فاقهم به من شهرة مدوية في كل جبال جزولة ، ثم تخطت بادية سوس الى أن حلقت فوق الروض الزيـداني في مكناس ، واشرقت في بعض محافل فاس ، كمحفل الفقيه الصوفي سيدي محمد الحجوجي، كما تخللت بعض اندية ادبية في الرباط والقنيطرة ، وما اليهما ، فباى سبب اتسعت شهرته هكذا ؟

ان البلاد البدوية التي يعيش فيها سكانها عيشة ساذجة ، قلما تكون للانسان فيها شهرة ما لم يبهر الناس بجديد يبغتهم ، فاذ ذاك فقط تاتي السنة الصادرين والواردين ، فتقوم مقام الجرائد الدورية في البلاد المتمدينة ، وهبه عالما علامة كابي العباس اليزيدي صاحبنا هذا ، فقلما تطير له شهرة ما لم يكن لذلك سبب خاص .

ان هناك من يشاركون هذا العلامة الكبير في النفوق الادبي ، كما أن هناك آخرين ، نزعوا نزعه في ميدان فض النوازل قبل هذا الاحتلال ، أهم مدركون مقامه في الشهرة لا لا وربك ، لانه فاق الكل بامور خصـه بها من يفضل من شاء بما شاء ، فاقهم بان له اتباعا كثيرين ، رأوا لـه في مجلس دراسته علما جما ، وفكرا وقادا ، وحرصا وراء ذلك كله على أن يؤوبوا من

بحاره بالرى وقد ضربوا بعطن ، كما فاقهم بوداد متين ، صافي النطفة ، يربط به امثال البونعماني العبقري ، فيظل ويبيت ينث في الخواطر في كل فرصة ما له من اعلاق ، ان نزع في قوس القريض نزعه ، ثم يتبع ثنـاءه بانشاد قصيدته العينية التي مطلعها :

برق تالق موهنا بالاجرع ... فجرت ولم ترفق سوابق مدمعي

وقوله في اخرى :

شوقتني للرقمتين ولعلـع ... وهززت اعطافي بـذكر المربـع

هكذا يثني على الاديب اليزيدي بما هو أهله ، ولو سكت لاثنت عليه الحقائب ، بينما يملأ الجواء ايضا بالاشادة بذكره الاديب المانوزي الذي كان ازاء البونعماني ثاني اثنين في الاشادة بالسوسيين في الحضر ، كما فاقهم ايضا برحلات فينة بعد فينة ، فيخطر في الروض الزيداني ، ويخط في دفتر مكتبته الخالد ما يخطه ، كما يلم بحضرة امثال الحجوجي نزيل (دمنات) فيرسل قوافيه تقريظا لكتبه ، افمن اجتمع له هذا كله : اكباب على تدريس يجد فيه الطلبة مايعوزهم في هذا العصر الجاهل ، ثم لا يلبثون أن يصدروا عنه بالعلوم بحورا متدفقة ، واصحاب مخلصون اكتسبهم باخلاقه اللطيفة ، وحسن موادته ومصاحبته . واخوان يستفيدهم بالرحلات المتتابعـة ، افمن كان كذلك تنقصـه اسباب الشهرة الواسعة ، التي ما كانت تنسج الا باعمال سداها الاخلاص ، ولحمتها الدؤوب ، ما طلعت شمس ، وافل قمر .

تلك همة العلامة ابي العباس اليزيدي مفخرة المدرسين الجزوليين اليوم ١٣٦٥ هـ. وتلك هي شهرته الواسعة ، فهل تحس له من ثان بين لداته ، هاانتم اولاء ايها الاساتذة الجزوليون الذين استحضرهم الآن في مخيلتي في غرفتي هذه التي انفرد بها في هذا المنفى . وانتم عشرات، فمنكم من اوى الى كسر بيته، وقنع بكسرة مكرجة ناسة ، من جردق قفار (1) في قوته ، وقد نسي المدرسة وما اليها ، ومنكم من القى علومه المتقنة ظهريا ، فاقبل على العرض الفاني ، فكان احد الاغمار الجهلة ابناء التصفيق في الاسواق ، والتدنيق في المباضعات، والاف المزاحمة حول الارباح ، كانكم ما مررتم قط بكتاب ، فضلا عن مدرسة ، اعرضتم عن مدارس جزولة الشاغرة ، فالقيتم انفسكم بين امواج القوافل ،

(1) الجردق كجعفر : الرغيف ، والقفار كسحاب من الخبز ما لا ادام معه، والخبز المكرج (من التكريج) : الفاسد الذي علته خضرة ، والناس من الخبز اليابس ، نس ينس كفرونس كيمد .

او بين دكاكين الحواضر ، كأنكم ما رئيتم لحال بلادكم ، او ما ادركتم قط لذة للعلم ، وتنشدون بعكس ما الفتموه ما كان لاكه بعض الالفيين تهكما قلبا للبيت الشهير :

لنا مال وللعلماء علم   فلا كنا اذا ما زال مال
فمجد المال يثبت كل حين   لباس او طعام او نوال
دعونا من علوم زائفات   نفوس ذوى تعاطيها تذال
فان جميع ما املت فيها   من آمال مبهرجة محال

الهذا يا فقهاء جزولة خلقتم ؟ ام لهذا لازمتم ممن قبلكم من لازمتم من علماء الجيل الماضى ، حتى اخذتم عنهم تراث الاسلاف ، فلماذا نبذتم العلوم نبذ النواة ، وغادرتم المجد العلمى ملاحس البقر اولادها ، فهلاكان منكم افراد على الاقل يصابرون ويرابطون كالاستاذ احمد اليزيدى ، هذا الذى شاهد كل ما شاهدتموه ، ويحتاج الى الدينار والدرهم كما تحتاجون لكنه نسى بالقيام بالواجب ما انتم فيه غريقون ، فاستحق من بينكم هذه الشهرة الواسعة التى تتلألأ من فوق هامته اكليلا مرصعاً لما عايراه كل احد .

لمحة من وصف اخلاقه

نشأ منشأ طلبة المدارس السوسية ، طلعة الى كل مجد ، تواقا الى رقى كل درجة ، نشيطا خفيف الروح ، كثير الدعابة ، صلب الارادة ، موادا من يواده ، حتى لا يعرف بينهما القراح من الراح ، مهاجما من يناوئه فلا يدرى من اى جهة ياتيه ، كان كل ذلك ، اذ غرارة الشبيبة لا تزال تناغيه ، والمرح الذى ساد اذ ذاك على المدارس . واطلاق الحرية التامة لاهلها يحفزانه الى جنى كل ما أغراه هواه اليه فيجنيه :

فان يك عامر قد قال جهلا   فان مطية الجهل الشباب

ثم لما استتم التحصيل ، واحس بما عليه من المسؤولية تقلب بين عشية وضحاها ، فظهر بمظهر لا يليق بعلماء هذه البيئة سواه ، فاكتسى التؤدة والوقار ، وسكون الطائر ، يتكلف فى غير مجلس اودائه الاخصاء عبوسا ووجوما ، ويتظاهر بين غيرهم من الطلبة بما كان معروفا من الفقهاء المتجهمين ألذين كان التزمت سجيتهم الدائمة ، هذا هو مظهره بين طبقات الناس ، واما العامة فيرفع همته عليهم كما ينبغى ، وهل يليق من العلماء الكبار امثاله نحو الرعاع الا ذلك ؟ واما تلامذته ، فانه وان كان يظهر لهم بذلك ، فانه يخفض لهم الجناح ، يرأف بهم ويحنو عليهم ، حدبا كالام الرؤوم ، لكنه لا يكاد يخلو بمثل الاديب البوزاكارنى والاديب ابن الطاهر الافرانى ، والعبقرى البونعمانى ، ونظرائهم حتى يستحيل الى انسان آخر ، ان خلا المجلس من الرقباء الثقلاء ، اقذار المجالس ، واقذاء العيون ، فيطفح اريحية ، ويزخر فكاهة ، ويطير مع جليسه الى اوج تذوب فيه القلوب ، وتتطاير فيه النفوس مرحا .

ذلك هو الاستاذ ابو العباس اليزيدى ، وتلك شنشنته يكون ساكن النامة مع اصحاب الاذكار فى الاوراد ، ويقعد كالجبل الراسخ امام العامة ، ويحنو بتواضع على الطلبة ، حتى اذا اتيح له احد أودائه كان كما قال ابن مكانس :

فى انقباض وحشمة فاذا   صادفت اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها   وقلت ما قلت غير محتشم

وله فى ناحية اخرى عزوف كبير عن ذات الايدى ، فيمر على الاغنياء كانه اغنى منهم ، واحفل جيبا ، واوسع ثروة ، بل ينزلهم عنده كذلك فى الضيافات ، ويثيبهم بما هو اغلى وانفس :

وليس باوسعهم فى الغنى   ولكن معروفه اوسع

وقد عرفت منه أنه كان فى رحلاته الى المدن ، يتنكب تجار بلده ، كيلا يظنوا به الظنون ، وسترى امامك رسالة الى بعض أودائه صرح فيها بذلك ، كما ان فى اخلاقه من ناحية اخرى صلابة لمن يراه يهم ان يسومه باساءة — حتى من اشياخه كما رايت — اما فى ماله ، واما فى عرضه ، فيدافع بكل ما فى وسعه دونهما (ومن قتل دون ماله فهو شهيد) وله فى ذلك مواقف معروفة ، ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار :

من يسمع الجفوة من خل ولم   يغضب لها فانه كمن جفا

كان مرهف الاحساس ، ذكى الفؤاد ، رقيق الشعور ، لا تتمشى عليه الحيل ، فهو من اللهبيين الذين لا تلغى مقالاتهم اذا الطيور تمر بهم (1) ، يفهم بايماء خفيف ، ويكاد يدرك هواجس الظنون ، ودبيب الخوالج فى النفوس ، شأن الالمعى الذى يظن فيكون ظنه محققا ، كأنه راى مكتوب القدر ، وسمع صرير الاقلام على اللوح المحفوظ ، وبهذه الالمعية تأتت له تلك الفهوم التى حصل بها فى المعارف على المدى .

وصف موجز لما ادركته غاية الادراك من المترجم (وما قلت الا بالذى علمت سعد) :

من يمدح الزهر لا تكذبه نضرته   ولا اريج اذا مر النسيم به

(1) قال :
خبير بنو لهب فلا تك ملغيا   مقالة لهبي اذا الطير مرت

بينه وبين اخوانه الادباء

وقفت له على مخاطبات ادبية تناثرها مع الاديب سيدى داود الرسموكى ومع الاديب شيخنا ابى عبد الله سيدى محمد ابن الطاهر ، ومع الاديب سيدى محمد ابن الحاج الحافظ الحامدى ، ومع ابى زيد البوزاكارنى ، الباقعة بين ادباء عصره ، فضلا عما رفعه الى اساتذته الشيخ سيدى العربى الساموكنى ، والامام ابى الحسن الالغى ، وشيخ الجماعة ابى محمد شيخنا سيدى الطاهر ، والاستاذ ابى القاسم التاجارمونتى ، وقد حضر عندى الآن بعض ما جرى بينهم ، فلنذكر مما عندنا ما عسى ان تقبله الاذواق ، وان كان لا يقول ما ينافى كل الاذواق .

مع الاديب الحامدي

من خط صاحب الترجمة :

«لفق كاتبه ابياتا عفا الله عنه جوابا عن قصيدة طنانة للاديب سيدى محمد ابن الحاج الحافظ الحامدى ، تلميذ شيخنا ابى المحاسن سيدى الطاهر ابن سيدى محمد الافرانى رضى الله عنه ، وقد اغتالت المجاب عنها ايدى الايام ، ومحت آثارها من القلوب كما اعرضت عنها السن الاقلام ، الا اولها وهو :

يا من يحاول ايضاحا وتبيانا   والعلم يمم هديت ارض غسانا

وكنت فيها يومئذ شرطا ، فزارني مع الاديب البوزاكارنى : ما نصه :

اوليت اوليت ياذا الفضل احسانا   ومن غدا للعلا والمجد انسانا
وراكضا بميادين الاجادة يعبو   ب البراعة ابداعا واحسانا
آليت ان رياض العلم باسمة   بك وكنت بها غضا وريانا
حليت من ليس أهلا فانثنى طربا   بكاس نظم جلت هما وأحزانا
يامن ترقى الى أوج الكمال فهل   رأيت غيرك للاداب انسانا ؟
ومن يشوق على بعد تذكره   آليت أن الهوى قدما كما كانا
انت الذى لم يجد روض القراطيس مسك من مدادك الا اخضر وازدانا
رغما لانف ابى فى حيازمه   حقد تلظى فشب الجوف نيرانا
ايه فجدفها العليا ازمتها   اليك القت وان الصعب قد هانا
واصحب اخا الحزم(1) مغبوطا بصحبته   من يستطيل على (الفتح بن خاقانا)
لا غرو ان كان يجلو الزهر مشرقة   بسلك سطر سما طرس فاحيانا

(1) يعني : البوزاكارني .

ابا كريمين لا ارضى فراقهما   ان التصبر من خوف النوى بانا
وواعين على أرض القلوب فلا   أنسى ادكارهما سرا واعلانا
فلرحما مدنفا اقضى مضجعه   شوق وكان له الاخوان خوانا
فلتعذراه فقد حال الجريض به   دون القريض فحالك النظم امكانا
منى عليكم سلام مثل ما عبقت   نجدية صافحت روضا بنعمانا

اقول : ان المترجم حفظه الله فقد القصيدة الحامدية ، وذلك ما الم بها قبل قصيدته هذه ، ولذلك لم نتصل بها الى الآن ، وقد كنت حين سافر الحامدى هذه السفرة ، مع الاديب البوزاكارنى أستاذه فى الادب ، فى مدرسة (تانكرت) وذلك نحو : 1335 هـ. فنزلا عليه فى مدرسة (ايغشان) وقد اكرم وفادتهما غاية ، وقد علق بذهنى من القصيدة الحامدية ، منذ ذلك العهد :

غسان يحكون غسانا بجودهم   وذا البليغ لهم اضحى كحسانا

ويعني بغسان الاولى قبيلة ايغشان هذه ، وبالثانية القبيلة العربية الشامية التى اشتهرت بمدائح حسان . منذ قال فيهم قصيدته التى منها :

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل (1)

وقد كانت فى ايغشان اذ ذاك اسرة الحاج ابراهيم ، وقد اشتهرت ذلك العهد بكرم لا يجاف الباب دونه ، خصوصا للعلماء والغرباء ، وتعريب ايغشان بغسان مما لا ينبغى ، خوف التلبيس بمرور السنين ، والاعلام كالاحباس لا تغير .

مع الاديب داود الرسموكي

لم اقف فيما بينهما الا على مقطعتين لاميتين :

كان داود خاطب المترجم ، فاجابه بقوله :

انى بريد الذى اهوى فجدد لى   ماكنت لم انس من ايامنا الاول
ولم ازل مذ نأى أطوى الضلوع على   داء دفين وأنواع من العلل
ما انس لاانس اذ ارواحنا امتزجت   واذ سبقنا ولو نمشى على مهل
فهدم الدهر ما قد أسه وبنى   بلا أساس فحال الحال للخلل
فاشامت فئة واعرقت فئة   فدع تفاصيل ما ابديه من جمل
حتى أدال لنا الرحمن فانتعشت   ارواحنا بقدوم السيد الجلل

مع الاديب عبد الرحمن البوزاكارني

اقدم غالب ما جرى بينهما من كناشة ادبية للمترجم اعارنيها ، وهو يقدم لنا ذلك بقلمه ، قال : لكاتبه ، وقد ندب بعض محبيه ، وهو السيد المولى عبد الرحمن الى الاصطباح ، وقت الصباح ، ما نصه :

(1) البريص محل سكنى الممدوحين ، وبردى محركا نهر ازاء دمشق .

وللكاتب متشوقا الى الاديب سيدي محمد ـ فتحا ـ الكثيري :

فى شوق الى الندب الكثيري … طويل طالما عنى ضميري

فقال الاحبالي ـ البوزاكارني ـ :

يمثلنيه بدر الليل اما … يغيب فابيت معه كالسمير

ثم قلت :

نظرت اليه اجلالا بعيني … فؤادي فاستطرت من السرور

ايا من غاب عن بصري وما في … سواد القلب غيرك ذا حضور

فقال لافض فوه ، ولا فرح من يجفوه :

الا فاعلم بان العهد ما زلت ارعاه على مر الدهور

فقلت :

سلاما طيبا يزري شذاه … اذا ما فاح بالزهر المطير

وللكاتب مخاطبا بعض اصدقائه من الطلبة ومجيبا له عن نظم :

يا سيدا بالمكرمات ارتدى … ومن بحاتم زرى في الندى

فقال المولى عبد الرحمان الاحبالي مجيزا :

ومن له في خلدي مقة … تصفو وان طال عليها المدى

فقلت :

اجلت فكرا صاد لفظا رقيقا لطفه يحكي زهور الندى

فقال :

وجئت بالنظم الذي يزدري … بهاؤه بالزهر مهما بدا

فقلت :

لا غرو والمجد سيعلو لما … يطلبه رغما لانف العدا

فقال وهو بيت القصيد :

فاجهد اخي ما اسطعت جهدهم … تنتعل العيوق والفرقدا

لم تحية تؤمكم … (يا سيدا بالمكرمات ارتدى)

وللكاتب ايضا القصيدة الآتية شاركني في نسجها مولاي عبد الرحمن ابن الحاج محمد الاخصاصي البوزاكارني ، وسبب ذلك اننا تنازعنا كؤوس الادب ، واذا ذكر الشعر انتهبت وانتهب ، فادعى ان شعره فائق ، وان نفسه رائق ، وهو والله كذلك اذ هو مالك ، وما كل فتى كمالك ، فقلت : ان صدقت فيما ادعيت واردت ان اسلم ما انتحيت ، فانظم لانسج على اسلوبك البديع ، ونفسك الرفيع فان ميز الفحول بين النسجين ، فقد القيت السلاح ، والا فللظفر حلاوة وارتياح . ثم قال : انسج انت لابني على اساسك ، فقلت منتحيا طريقة غير الناسك ،

برق تألق موهنا بالاجرع … فجرت ولم ترفق سوابق مدمعي

داعي الخلاعة هياها اباريقا … فيها معتقة كالمسك مفتوقا

من عهد كسرى أنو شروان قد عصرت … فاحضر فديتك تمريها (1) افاويقا

ودارس الصب فن اللهو مصطبحا … وفوق السهم للاحزان تفويقا

وللكاتب ايضا يخاطبه ، وهو الذي اختلس بظرفه لبه ، شكرا له على كاس قدمها اليه :

أيا من وجهه فضح الصباحا … وهاتي الزهر صرن له وشاحا

سقاك الله من حوض بكاس … كما أسقيت للندمان راحا

وله ايضا وقد تركه هذا الاديب في يوم فرح ، فانبه بهذه الابيات ، وفيها شوقه اليه شرح :

أيا من مد للكاسات راحا … ويا من بان عن قلبي فباحا

وخلاني أقلب في سعير … وعاطى غيره نقلا وراحا

أعندك أن روحي أنت هل من … بغا (2) يرجى اذا نايت ساحا ؟

فلي قلب يحن اليك دابا … اذا نهنهته في الشوق ساحا

فاجاب ودابه الاجادة ، وكيف لا وهو من بيت تأصلت فيه المجادة :

أتى فأتاح قلبي ما أتاحا … فأبدى كامنا قدما فباحا

قريض بارع أبداه ندب … يباهي الورد خلقا والاقاحا

ابو العباس من لم أرض الا … بمحضره اغتباقا واصطباحا

فمهما غبت عنه ليس الا اضطرارا لا اختيارا واقتراحا

الا لله نظم صغته يستميل المنشدين له ارتياحا

فما راح ثوت في الدن حينا … وكان مزاجها الماء القراحا

باعذب منه فاختره احتساء … (ايا من مد للكاسات راحا)

وللكاتب موصيا لاحد الاخوان :

لم لا تشمر جاهدا في كل ما … يعليك مقدارا على كل الورى

فقلت :

وجب المهامه واطو كل تنوفة … واطرح سوى طلب العلا ابدا ورا

وقال وقد ختم ذلك بالمسك الاذفر :

وادأب حياتك ساعيا في كسبها … حتى تسود او تموت فتعذرا

---

(1) مري الحالب الضرع : اذا كان يلامسه برفق ليرسل الحليب : مري يمري كرمى يرمي ؟

(2) البغاء بالضم : الطلب .

فقال البوزاكارني :

فقلت : متعثرا في ذيله ومورقا　　لما اشاح بسيفه في البلقع
فقال : ومذكرا ايامنا اللائي مضت　　محمودة بالمنحنى والاجرع
فقلت : ومبدا صبر المشوق صبابة　　او شمت في التبديد فت اليرمع (1)
فقال : ياقلب كم هذا التشوق للحمى　　والى متى تهوى ادكار الاربع
فقلت : وتهيم بالبرق الخطوف يمانيا　　وتقول ان البدر تحت البرقع
فقال : فدع التغزل عفة وتخلصن　　منه الى مدح الهمام الالمعى
فقلت : ذاك الامام ابن الامام ابن الاما　　م البحر علما والسرى اللوذعى
فقال : حلف السيادة سيدى عبد الاله المرتقي لمراتب لم تسطع
فقلت : وسما ولا أغيى لقدر سموه　　بحلوله فوق السها والا ذرع
فقال : فبدا وحيدا في العلا فتقطعت　　عن قدره آمال كل سميدع
فقلت : فأر الذي يبغى اللحاق غباره (2)　　اما اللحاق فما به من مطمع
فقال : جمع الكمال ومن سواه شته　　شتان بين مشتت ومجمع
فقلت : ختم السيادة والمجادة والندى　　فكمالها في الانتها كالمطلع

(والمقصود بسيدى عبد الله ، هو الاستاذ ابو محمد الالغى ، وهو هو المحكم ليميز ما قاله كل واحد ، منهما ، ولكنه عجز عن ذلك ، ففلج سهم المترجم)
ثم قال :

وللكاتب ايضا في بعض الاصحاب وقد ارتبك حين الاختبار في قول الشعر :

واديب كلفته سبك شعر　　قال أجل فقلت ها الف شهر

فأجازه المولى عبد الرحمن :

غير ان الشهور تلك تقضت　　كلها ثم لم يقل بيت شعر

خاطبت صاحبنا الفقيه النبيه سيدى مولاى عبد الرحمن البوزاكارني ، فالله يرزقنا واياه العلم اللدنى ، بهذه الرسالة :

السيد الحلاحل الندب ، والمرعى الخصيب اذا عم الجدب ، الحبر البحر الزاخر ، من به رد الاعجاز على الصدور الاواخر ، الذى كرع من مياه المكارم غير مرنقة ، وسقى من خمر كلامه كؤوس البلاغة مروقة ، طلبة الفؤاد ، ومنتجع الرواد ، ومن اذا سال جود (3) جوده بطل كل واد ، عمدتى الذى استضىء بضيائه ، واستنير في الليالى المدلهمة بنور سنائه ، علم العلم الشامخ ، ومغنى الود الراسخ ، والمجلى اذا تسابقت في ميادين الاجادة البوازل والقوارح ، ولا يبدو في مهامه المشكلات الا اصماه سانح او بارح .

حلف الزمان لياتين بمثله　　حنثت يمينك يا زمان فكفر

(1) اليرمع كجعفر : حجارة رخوة اذا فتتت انفتت .
(2) المتنبي : اذا شاء ان يلهو بلحية احمق　　أراه غباري ثم قال له الحق
(3) الجود كفلس : المطر .

قرة الابصار ، وغرة الامصار ، من اذا برق نور محياه كبرت (1) وان ابدا وافاد في البيان نسيت به ما قدمت واخرت :

لك في البراعة والبلاغة بعض ما　　تحويه من اثر محل رئيس (2)

القاطف جنا الادب ناضرا ، والذى يقال عند استماع بيانه حيو تماضرا (3) ولطافة اخلاقه تنشد للناس : ما في وقوفك ساعة من باس (4) واذا قيد غيره الى المعالى بالبرين (5) رايته يسمو الى الخيرات منقطع القرين (6)

الـسك والا لا تشد الركائب　　ومنك والا لا تنال الرغائب
وفيك والا فالجمال مضيع　　وعنك والا فالمحدث كاذب
من يزاحم مواكب المعلوات بالمناكب (7)　　وينكسف بطلعة مرآه سنا الكواكب
ماذا اقول وقولي فيك ذو حصر　　وقد كفيتني التفصيل والجملا (8)
ان قلت لازلت مرفوعا فانت كذا　　او قلت زانك ربي فهو قد فعلا

فلو استضاء قائل البيتين بنور محياك لوجد ناقته ، او استفاض نائل يديك على الدهر لاذهب فاقته ، او رآك ابن المراغة (9) لشجى بريقه وما اساغه ، او محمود (10) لاقر بانك اساس البلاغة ، او الميدانى لكفاه الامتثال عن جمع (مجمع الامثال) :

بقيت بقاء الدهر يا كهف اهله　　وهذا دعاء للبرية شامل

او بشار بن برد ، لما نبس ولما عدا ان يشتمل بالبرد ، او الفرزدق ، لاختار

(1) قال المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت　　منها الشموس وليس منها المشرق

(2) لابن خميس، والاثر جمع أثرة كجمل جمع جملة .
(3) قال دريد بن الصمة في الخنساء وإسمها تماضر :

حيوا تماضر واربعوا صحبي　　وقفوا فإن وقوفكم حسبي

(4) لابي تمام، وتمام الشطر : تقضي ذمام الاربع الادراس .
(5) ج برة، حلقة تجعل في أنف الجمل يوضع فيها الزمام الذي يقاد به .
(6) قال الشماخ في عرابة الاوسي :

رأيت عرابة الاوسي يسمو　　الى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رأية رفعت لمجد　　تلقاها عرابة باليمين

(7) إسم المفعول من علاه يعلوه، والاندلسيون يستعملون اللفظة كثيراً .
(8) البيتان لاعرابي اضل ناقته ليلا. فلما طلع القمر ووجدها قال البيتين .
(9) جرير الشاعر .
(10) محمود الزمخشري صاحب كتاب (أساس البلاغة) .

عن تاليف شعره اكل الفرزدق (1) او حماد (2) لما جال في البلاد ، او السري (3) لقال : اتى الوادى فطم على القرى (4)

فلا زلت يا جم المناقب مرتجى   ولا زلت يا زين المكارم ملتجا

ما ذا اقول فى رجل لـو رآه فضـلاء الشـام ، ومضغـة القيصوم وشممة البشام (5) لا قروا بانه مالك ازمـة الفصاحة ، وملك البراعة ، المتصف بالرجاحة ، الكريم الذى له دين ، وحسن خلقه يزين ، وعقله رصين رزين ، من احيا معالم العلم بعد اندراسها ، ولم ينازعه فى رقة الشعر حبيبها ولا ابو فراسها ، شوقى اليه مهلب ، قد تكالب جيشه على قلبى وتالب ، فما شئت من ادب ، وقضاء ارب ، ومنطق عجب .

ان كان يجمعنـا الاخـاء فاننـا   نـغـدو ونمسى فى اخـاء تـالـد
او نفترق نسبـاً يؤلف بيننـا   ادب اقمـنـاه مـقـام الـوالـد

فيا مفاخره ضح رويدا (6) فقد جعل العجز منك فى العنق الغل وفى الرجل قيدا ، اتناوى قيد الاوابد (7) وقانص الشوارد ، أم تبارى من يسلم لـه فارس النعامة (8) فما عدا مما بـدا (9) فالسلامة السلامة ، أم ترجـو ان تنثنى عنه بالملامة :

(1) الفرزدق : القطعة من العجين .

(2) حماد الراوية او حماد عجرد الشاعر المعروف بتقلبه في البلدان هروبا وهو اقرب لانه يعيش مع بشار .

(3) السري الموصلى الشاعر المشهور .

(4) القري كغني : الجداول الصغيرة .

(5) القيصوم والبشام : من اشجار البادية ونباتاتها، والمضغة والشممة بتحريكهما، جمع ماضغ وشام .

(6) مثل مشهور معناه : لا تجعل، قيل ضح أي اذبح، وقيل ضح جمالك أي ارعها وقت الضحى، والضحاء كالغداء، ما ترعاه وقت الضحى كالغداء لها

(7) قال أمروء القيسر :

وقد اغتدى والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل

(8) فارس النعامة: هو الحارث بن عباد من أبطال حرب البسوس ، والنعامة فرسه وقد قال : قربـا مربـط النعـامة مني   لقحت حرب وائل عن حيال

(9) قيل أول من قاله : علي بن أبي طالب للزبير : بايعتني في الحجاز ، وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا، أي ما صرفك اليوم عما بدا لك أمس

قال الشاعر : منحوه بالجزع السلام وأعرضوا   بالغور عنه فما عدا مما بدا

أنامل ذات الخال أنى ظاعن   من الحق لا يقضي بما تامل الدهر (1)

هو سالم (2) احسن ام اسماء ، وساكن السويداء فى الاصباح والامساء ، فواحه عسل ، ولذعه اسل ، يخلق ويفرى (3) وبعض الناس لا يريش ولا يبرى (4) فاقسم بالليل اذا يسرى ، ما هو الا الكوكب الدرى ، بل القمر ابدارا ، والشمس اشتهارا ، والماء مدرارا ، كامل الفتوة ، وضافي المروة :

يشفيك ان قال وان قلت وعى   وان تصبك عثرة يقـل لـعـا
وطـالـمـا ابـدع فيما صنـعـا   وفاق فى النثر وفى النظم معا

هل النظم الا ما يبديه ، وهل العقود المفصلة الا ما من نثره يهديـه ، ان انشا فالسحر الحلال ، او نثر فافصح من البلابل على الاغصان الوارفة الظلال . فلا اقسم الا بشمائله الروضية ، الصبوية الزهرية ، انه لقبلة اهل الادب ، واجل من دعا الى التخلق به وندب ، واجود من اظلته الخضراء ، واعلم من اقلته الغبراء ، واحسن من البدر ، واولى من غيره بكل فخر ،

الشمس تشبهه والبدر يحكيه   والدر يضحك والمرجان من فيه
ومن سرى وظلام الليل معتكر   فوجهه عن ضيـاء البدر يغنيه

غرة فى جبهة الدهر صانها الله من ان تنمحى وتبلى ، وآية مجد عند ذوى الفضائل تتلى ، فرع الشجرة النبوية ، ذات الانـوار البهية ، والمآثر الزكية ، والروائح المسكية ، من اخذ فينا بمجامع القلوب ، ومحضناه ودنا بشهادة علام الغيوب :

عليك الى ذاك الجـلال تشوقى   فكيف ومن اسر الضلالة مطلقى
هو المسك والشمس المنيرة والسها   شميما واشراقـا وبعـدا لمرتـق
سلام يضاحك الزهور على الربا   على مـاجد فـذ السيادة معـرق

هذا وان المراد من المكتوب اليه صفاء الوداد ، وتحمل ما يرى من العبد مما يخالف مقامـه ، فالله يجازيه فى هذه وفي دار المقامـة ، فسامح الاخ فى حقوقك ، فنسأل الله ان يعيذنا بمنه من عقوقك ، اللهم يـامن زين اهل الادب ، وخص هذا الفاضل منهم بالعجب ، ووقاهم ورعـاهم ، واخصب مرعاهم وانجح مسعاهم ، اجعلنا واياهم ، اولاهم بكل خير واخراهم ، فى هذه وفى اخراهم :

(1) من قصيدة للكنسوسي التي يرد فيها على الكنتي الصحراوي في رسالة (الجواب المسكت) .

(2) سالم بن عبد الله بن عمر، كان أبوه يحبه كثيرا، حتى قال فيه : سالم جلدة ما بين العين والانف . فقال بعضهم

يديروتني في سالم وأديرهم   وجلدة بين العين والانف سالم

(3) خلق الصانع الجلد اذا قدر كيف يقطعه. والفري القطع، فكان مثلا قال:
ولانت تفري ما خلقت وإن بعض القوم يخلق ثم لا يفري

(4) برى السهم اذا سواه، وراشه اذا جعل له ريشا يخف به في الهواء .

أمين آمين لا ارضى بواحـدة حتى اضيف اليها الف آمينا
وسلام عليه يزرى بالمسك الاحم ، ورحماته ما شاء ان يترحم .

اواسط شعبان : 1341 هـ.

ثم اجاب المذكور بما يكفى الثناء عليه الوقوف على محاسنه ، فاكرع وذق ان كنت تعرف عذب الماء من آسنه :

الخليل ، الذى ما استاثر عن اخوانه لا بالحقير ولا بالجليل ، من له فى السيادة الاعراق والرسوخ ، وفى كل مقام يعمل قدما لا تتزعزع ولا تسوخ ، الفقيه العلامة ، الذى تذعن له عند المناظرة الفحول فلا تقابـله بكيف ولم وعلى مه . من اذا امرضت الجهالة فهو نعم المرهم ، واذا نزلت العويصات فهو الكفيل بتوضيح خفيها وتفسير المبهم ، سم الاعداء ، وترياق الاوداء ، من يعامل الاقـوام ، بما اقتضاه كل مقام ، فتـارة سهولة عقدتها لا تنحل ، واخرى صعوبة اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل (1) فهو لمن من حـاله تفرس ، احق بان ينشد فى كل مقام ولى فرس (2) من سار بسؤدده المثل ، ونهض لخدمته المجد ومثل ، استاذ الاساتذة ، والجهبذ الذى لا تصدر الا عن رايه الجهابذة . العام صيته الاقطار ، الطام جوده ولا طموم البحار والاقطار (3)

محاسن أبداها العيان كما ترى وان نحن حدثنا بها دفع العقل

منجدنـا ومويدنا ، وملاذنا وسيدنا :

سأقسرن بالتمويل ذكـرك كلما تعـاورت الاسماء غـيرك والكنى

سيدى احمد ابن الحاج ، الذى لم يـزل للادب كعبة تاتى اليها حجاجه من جميع الفجاج ، سلام يستعير منه المسك الشذى والنفح ، وينسى طيبه طيب ليلة الرضى بالسفح (4) سلام مشوق ، لا ياتى على مجمل شوقـه مفصل ، ولا يحاكيه تشوق السرى الى الموصل (5) الذى لا يزال يديـن

(1) قال معن بن أوس المزني من قطعة

إذا انت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

(2) قال الشافعي :

لئن كنت محتاجا الى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الاحايين أحوج
فلي فرس للحلم بالحلم ملجـم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فـإني مقـوم ومن رام تعويجي فإني معوج

(3) الاول جمع قطر بالضم، والثاني قطر بالفتح للمطر .

(4) قال الشريف الرضي :

يا ليلة السفح لا لا زلت منعمة سقى زمانك غيث وابـل الديم

(5) سقي ربا الموصل الفيحاء من بلد جود من المزن يحكي جود أهليها
أ أندب العيش فيها أم أنوح على أيامهـا أم أعزي في لياليهـا
ارض يحن إليها من يفارقـها ويحمد العيش فيها من يدانيها

بودادك ، ولا تريم كما لا يريم سويداء فؤاده وسويداء فؤادك ، وان تباينا انسابا ، فقد حصل ما هو اقوى اسباب المودة وهو توافقنا آدابا :

لئن كان فى الانساب منا تباين فلا تنكر الآداب انا نسيبان

على اخائك الذى فى مثـله يتنافس المتنافسون ، ويتسارع الى اعتيامـه والاحتماء بحماه والتلذم بذمامه الرؤساء والمرؤوسون .

هذا وقد وصلت البطاقة ، مبينة من البدائع الروائـع ، التى هى على تقدمك من اكبر الآيات والحجج القواطع ، ما لايد لاحـد بمعاناته ولا طاقة ، على ان تقدمك فى تلك الميادين غنى عن الاستظهار عليه بالبراهين ، اذ هو اشهر من قفا ، لدى كل من اتبع الانصاف وقفا ، ولا يعانده الا السفلة عبيد اللهازم والقفا (1) ممن استولى عليه الحسد ، وامتلا غيظا فكاد مما يعانيه ان يختنق بحبل من مسد (2) :

وفى تعب من يحسد الشمس نورها ويامل ان ياتى لها بضريب

فلما سرحت منها العيون ، فى مثل بل أفضل من رسالة ابن زيدون (3) فصيت العجب من حسنهـا واحسانها ، وعثرت فيها على قس الفصاحة وحسانها ، فمن معان ، لا تدين لمعان ، والفاظ ، تشذ عن المفلقين الحفاظ ، ورصافة ، تسليك عن عيون المها بين الجسر والرصافة (4) ولطافة ، تفعل بالالباب كما تفعل السلافة (5) ورقة ، تستعبد الحر فيتعوض مكان حريته

(1) قال : وكنت ارى زيداً كما قيل سيداً إذا انه عبد القفـا واللهـازم

(2) المسد : الليف .

(3) (سرح العيون) لابن نباتة شرح به رسالة ابن زيدون الهزلية .

(4) قال علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

(5) السلافة بالضم: الخمر قال ذو الرمة :

لها بشر مثـل الحرير ومنطـق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتـا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

رقه ، وبديع ، تنقطع دونه اماني البديع (1) فلله هي من رسالة استولت على جميع المحاسن ، وكرعت من ماء البلاغة غير آجن ولا آسن (2) ، وابدأت في الاغراب واعادت ، وافادت من الادب ما لم يكن في الحسبان فاجادت اذ افادت ، فصارت بما حوته من المحسنات ، تصبي كل خلي وتمنعه لذيذ السنات ، فيكابد السهر والهجود ، ويحكي ممشاذا بعدما حكى نوم عبود (3) بل لو رآها رهبان مدين ، لقام عذرهم في خلع العذار لها وتبين (4) :

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق كمجنون ليلى او كثير عزة

وبالجملة ، فقد صادفت الاسماع عن الحلي عارية ، فقرطتها بأبهى من قرطي مارية (5) وارت الابصار ، ابهر من العنم والبهار ، واشمت الآناف ، اطيب من المسك باضعاف :

محاسن لو صيغت لالهت بحسنها عن الحلي او شمت لا غنت عن المسك

فوالذي فطر الاولين والاخرين ، ورفع بالاداب اقواما ووضع آخرين ، لقد علمت في الاداب ندا ، وجئت من أساليبه العجيبة شيئا ادا . فلو اجتمعت بجرير ، لاختنق غيظا بجرير (6) او ابن بابك (7) لما وسعه الا ان يقصد بابك ، او الحسن (8) لالقى اليك رسن اللسن ، او المنسوب للحرير لما سمع لماء فصاحته خرير ، او اشجع (9) لسلم بانك على تلك المعارك اجرأ واشجع ، فيالها غادة ، جاوزت الحد في الحسن وخرقت العادة ، وتيمت حتى الشم العرانين ، وفعلت بالبابهم وهي بنت ساعة ما لا تفعل بها العجوز وهي بنت الثمانين (10) ثم لما اجلت الطرف في معانيها ، واعجبت غاية الاعجاب بمعانيها ،

---

(1) بديع الزمان الاديب المشهور .

(2) الآجن والاسن : المتغير من الماء وهما بمعنى واحد.

(3) ممشاذا بكسر الميم الاولى: صوفي من (دينور)، قال ابن الفارض في داليته:

دنف لسيب حشا سليب حشاشة شهد السهاد بشفعه ممشاذا

وعبود : رجل اشتهر بالنوم الطويل، فضرب به المثل فيه.

(4) قال : رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا

(5) ماريا من ملكات العرب، لها قرطان مشهوران اهديا للكعبة.

(6) جرير الثاني : الحبل .

(7) هو عبد الصمد بن منصور ، من شعراء الصاحب بن عباد :

(8) الحسن بن هانيء: ابو نواس :

(9) اشجع السلمي، من شعراء البرامكة :

(10) يعني الخمر، لان الحد عليها ثمانون جلدة، والعجوز من اسماء الخمر .

جعلني حامل المحبات ، التي أرجو بحسنها حسن العواقب والمثبات ، على ان لففت ابياتا هي للمحبين فرحة ، وفي اكباد المبغضين وافئدتهم قرحة على قرحة ، وان لم اكن من اسد هذا الشرى (1) وكان بيني وبين هذا المقام ، البعد المرام ، كما بين الثريا والثرى ، لاسيما والقريحة قريحة ، وبسهام الهم جريحة ، لكني وان كنت بمعزل عن تلك الفنون ، انشئها منشدا ماقال عند الاستجازة كنون :

ولست بـاهـل ان اجـيـز وانمـا قضى الوقت يرقى الدون مرقى الاكابر

❀ ❀ ❀

صبا لاصبا قلبي وقد شاب مفرقي فلم يعـد أن أمسى رهـين التشوق
شباب بديـع كان أدعى الى الهـوى وأهيـج من سجـع الحمام المـطـوق
ازالني أعطـيـت الـغـرام مـقـادتي ولبيت داعـيـه وان شـاب مفـرقي
اجـدك هل حسن حـكاه وهل فتى راى حسنـه المصبي فـلم يتعشق ؟
فهـل من فتى من قد رآه فـلم يهم غرامـا به في كل بيـداء سملق ؟
فلله كم ابـدى مـعـاني أعجـزت فماذا عسى يجدي بيـان الفرزدق ؟
وابـرز من كل العجـائب مـا غـدا (تصوب فيه العـين طـورا وترتقي)
ولـم لا ومهـديـهـا وحـق اخائـه أديـب عـلا كعبـا على كل مفلـق
فان شمت يوما في مدى الشعر كابيا فشمه جـوادا من يسابقـه يسبـق
فياسيدي بـل مـالـكي أحمد الذي لـه مني الـود الذي لـم يرنـق
كتابـك قـد وافى ينـث مدائحـا كزهـر الربـا او كالرحيـق المعتـق
وشهرتني فيهـا وقـد كنت خامـلا كما شهر الاعشى بنـات المحلق (2)
فجـازاك عن حسن الـوداد الهـنـا وارقـاك مـرقى دونـه كل مـرتـق

فهذا سيدي ما في وسعي ، وان لم أقم بواجب الحق المرعي ، فارمقها بعين الاجلال ، واغض عما لا تكاد تخلو عنه من الاخلال ، فانها وان لم تجد في الاسلوب ، اجادت اذ غرست المحبة في القلوب ، فالله يبقيك قذى في عين الاعداء ، وقرة في عين الاوداء ، ولقى أعداءك شرا ، وأتاحهم جارة تأبط شرا (3) وكفانا جميعا ما أهمنا ، وخصنا برحمة من لدنه وعمنا .

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس الا طاهر القلب مسلم

اماتنا الله على الاسلام ، وأسكننا واحبتنا دار السلام ، والسلام .

---

(1) محل عند العرب، مشهور بالاسود الضارية ؛

(2) بات الاعشى عند المحلق، فاضافه، فرآه في ضيق، فقال قصيدته المشهورة:

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

فاشتهر المحلق فما باتت بناته إلا متزوجات بأكابر العرب .

(3) يعني السعلاة (انثى الغول) فقد قال فيها :

فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا انت ما اهولا

ذلك ما نقلته من كناشة للمترجم (حفظه الله) وليس ذلك هو كل ما تعاطاه الاديبان بينهما ، بل كنت سمعت بمماثنات اخرى لم نجدها عندنا الآن ، كما أن عندى فى اضبارة أوراق ، قطعة كتب عليها أنها للمترجم جوابا عن مثلها للبوزاكارنى ، ومطلع قطعة المترجم :

بدت فسبت عقل حليفة ادلال   عقيلة فكر ، هيجت بى الهوى البالى

ومطلع الجواب :

أمن الحمى يسرى نسيم شمال   أم لاح من نعمان برق وصال

وهذه فى ترجمة البوزاكارنى ، وهناك بينهما لاميتان أخريان ، لكننى لم أقف على الجواب عنهما ، وانما وقفت على ما قاله المترجم ، ونصه :

سلام زرى بالحيا الهاطل   على حبنا الماجد الفاضل
حليف العلاء الذى لا ينا   له كل ما قاصد آمل
ايا غاديا عائلا ، مل له   تفز بالهوى ، والندى الهامل
ويا خائفا من خطوب سطت   عليه ومن رائع هائل
لتعمد لاكنافه انها   أمان من الحادث النازل
أقول لمن جد فى نيل ما   لذا المفرد الواحد الكامل
(فليس باول ذى همة   دعته لما ليس بالنائل) (1)

الى ان قال فى آخرها بعد ثلاثة ابيات على هذا المنوال الفاتر :

ومنى دواما على مجدكم   سلام زرى بالحيا الهاطل

اقول : ان المترجم والبوزاكارنى بينهما الفة اكيدة فى عهد الدراسة ، ثم دامت بعد ذلك ، فراجت بذلك بينهما الادبيات .

مع الاديب سيدي محمد بن الطاهر

وقفت على رسالتين جيدتين للاديب شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الى المترجم ، مما يدل على كثرة ما تعاطياه من المنسوجات الادبية ، قرضا ونثرا ، ويجد القارىء الرسالتين فى ترجمة ابن الطاهر فى (الفصل الثاني) من (القسم الثالث) المتقدم .

وعندنا الآن لهما ، زيادة على ذلك ـ ما ياتى :

قال المترجم يخاطبه وهما معا فى المدرسة (البومروانية) :

ذكر العقيق ففاض من أجفانه   وبكى ببكاء حمامه فى بانه
وسطا عليه فتاه فى أوطانه   شوق ، يذوب القلب من نيرانه
كيف المقام ومهجتى ذابت أسى   عمن يرى كالورد فى أغصانه
لم أستطع صبرا عن الخل الذى   قد فاق بالعلياء أهل زمانه
منى السلام اليه ما هبت صبا   نجد فلج القلب فى هيجانه

(1) بيت للمتنبي .

فقال الآخر مقرا للبحر والقافية ، وهى بلا ريب من اولياته لما نعلمه منه بعد ذلك :

يا ابا العباس رفقا   باخى لك صادق
نال منه البعد ما لم   يبده فى القول ناطق
ولو ان النطق يبدى   ما به رق المماذق
فسلام الله ما حن   الى المعشوق عاشق

وقال المترجم يخاطبه ايضا فى مجلس انس :

كاس كوجنة ورد روض مونق   من فوق غصن ذى اهتزاز مورق
او وجه من صدع الفؤاد بحبه   فانشق عن حب كمين محرق
وحبابه شنب الثغور الباسما   ت البارقات من الحبيب المشرق
ارعد وابرق يا زمان فاننى   نلت المرام من الهمام المفلق
فذ السيادة اوحد فى عصره   انواره ازرت بشمس المشرق
علم الهداية باب كل فضيلة   تاج النهاية فى الاجادة معرق
ملك الدراية راكب أوج العلا   فمقامه من فوقها كالمفرق
منى سلام الله ما هبت صبا   نجد وما دام الهيام مؤرقى

الجواب :

بدر بدا فى نحر خود مشرق   أو ذر قرن غزالة من مشرق
ام نظم شعر فائق من سيد   وصل السيادة بعد طول تشوق
فخرا أبا العباس قد حزت المكا   رم والمفاخر عن كرام سبق
ورقيت أعلى المجد دون مشقة   وعنا لنظمك كل شهم مفلق

اقول : قد كان ما بين المترجم وبين سيدى محمد بن الطاهر غير عامر ، لما يعرف مما يقع بين الاقران المتعاصرين فقلت لذلك بينهما الادبيات .

مع الاديب الرباطي الاستاذ محمد بن العباس القباج

كان للمترجم مواصلة مع ادباء الحواضر كما هو معلوم ، فهناك قوافل بينه وبين النقيب العلامة الاديب المؤرخ المولى عبد الرحمان بن زيدان ، وبينه وبين الاديب الشاعر السيد الحاج احمد سكيرج ، وبينه وبين الاديب القباج المذكور ، صاحب «الادب العربى فى المغرب الاقصى» ، ولكن لم يحضر عندنا الآن من ذلك الا قصيدة كان بعث المترجم بها الى الاديب الاخير بمناسبة صدور كتابه المذكور ، وقد ارسلها مع اخرى للاديب محمد بن محمد الكثيرى ذكرت فى ترجمته ، وهاك القصيدة التى للمترجم :

اوحت الى بطرفها النعاس   وزهت ومالت تحت ليل عاس
قادت حلوم الناسكين الى الهوى   مستهترين بقدها المياس
فتانة يسبى العقول كمالها   وجمالها وجلالها فى الناس
يامن يحاول رشف برد رضابها   عز الذى قد رمت ، لذ باياس

أتروم ويحك نظرة تزكى الجوى　　وتمد القلب الجليد الراسى ؟
وتثير اشجانا وتذرى عبرة　　وتؤج بالنيران فى الانفاس
خل الهوى ، وخلاك ذم ، فالهوى　　مستبهم الارجا اشم رواسى
ارجع اليك فلن تنال بحيلة　　ان الهوى صعب شديد مراس
لا ترتضى كفؤا سوى القباج من　　ينمى اذا انتسبوا الى العباس
رب البراعة واليراعة والنبا　　هة والنزاهة والندى والباس
اعلى من الاداب بعد دروسها　　وأبان كيف الفضل للجلاس
بكتابه الادبى الذى يحيى على　　مر العصور بوالى الارماس
ماشئت من شعر يروقك حسنه　　ويتيه اعجابا على المياس (1)
ما منه الاكل زهر باسم　　لكنه يجنى بدون مساس
ما الشعر الا ان تنوء تمايلا　　وتغيب بالانشاد عن احساس
وتخف حتى لست تدرى اين أنـــت　　وتنتشي ويقف شعر الراس
يامن يصوغ قريضه أطرق فقد　　ذهبت به أدبا الرباط وفاس
انظر قصائدهم تجد سلسالها　　يسقى القلوب بروضة القرطاس
لله مختار وقرى وعلا　　ل ، وعهد الكل لست بناس (2)
شوقى الى حضراتهم شوقى الى　　(عيد) الجزائر ، يالهم من ناس (3)
يامن يحاول شاوهم ان الذى　　جارى المذاكى يلتجى باياس
اين الثريا من يديك تناولا ؟　　ام اين نور الشمس للنبراس ؟
حتى متى والى متى لا ترعى　　أتقول مجدا فى لذيذ نعاس ؟
ما المجد الا فى تجاول مقرم　　فى ليل اشكال بهيم عاس
فترى لافكار هنالك عثيرا　　فهنا المجلى لامن الافراس
وتراه اما حله مستبشرا　　ينشو انتشاء لا انتشاء الكاس
انى زعيم أن تسود يا فتى　　وترى من الاجلال فوق كراس
وتقول ثم ولا ترد مقالة　　وتخص بالترحيب والايناس
ان كنت من بين الذين تساجلوا　　برباط او فى فاس او مكناس
ان كان شعر الكل بحرا زاخرا　　موجا ، فياليت الذنوب لشاس (4)

(1) المياس: المتمايل، صفة لموصوف محذوف اي القد المياس .

(2) يعني بالمختار مؤلف هذا الكتاب، وبالقرى العلامة الاديب شهيد الوطنية الاستاذ محمد القرى رحمه الله، واما علال فأشهر من ان يعرف، وهو الزعيم علال الفاسي .

(3) يعني بالعيد : الشاعر الجزائري الاستاذ محمد العيد الذي ذكره المؤلف في قصيدة ذكرت في ذلك الكتاب .

(4) الذنوب بفتح الذال: الدلو العظيمة، وشاس هو اخو علقمة بن عبدة الشاعر، كان معتقلا فقال يخاطب بعض الملوك يستعطفه ليطلقه :

وفي كل حي قد تخبطت نعمة　　فحق لشاس من نداك ذنوب

فقال له نعم. واذنبة. فاطلقه .

مع مؤلف هذا الكتاب

كان وشيج التعارف بيني وبينه قديما ، منذ كنت في المدرسة (الناكرية) . فقد زار تلك المدرسة نحو : 1334 هـ. فعرفني به أستاذي البوزاكارني ، ثم اتصل التعارف ، وقد كان هو ورث عن اهله ، كما ورثت من أهلي ، امتزاج الوداد بين أسرتينا ، زيادة على ما بيننا من رحم من جهة النساء ، فكما كان والدى تلميذ والده ، كان ايضا ينظر الى والدى بغير العين التي ينظر بها اليه مطلق الطلبة ، لما وقر في صدره من شفوفه ، حسن ظن سرى اليه من اعراقه الطاهرة ، وقد كان دائما يدافع عن والدى ، فلا يترك الطلبة يسترسلون على عادتهم فى السخرية به وباصحابه الدرقاويين ، ان كانوا يتفكهون بالاعراض – على عادة الطلبة – فى نوادى مرحهم ، كما انه لا يزال كذلك يقف مثل هذا الموقف ازائى لما سافرت وثاقفت ، واحتدت الالسن تحوم حول مقياس ما اخذته ، وحصلت عليه ، فهكذا الرجل منذ تعارفنا .

ثم لما التحقت بالحمراء ، كنت كلما زرت البلد ، واتلاقى مع الاديب البوزاكارني يكون ثالثنا ، فصرنا كالحلقة المفرغة ، لا يدرى اين طرفاها ، فكانا لي وكنت لهما ، فكانا يدافعان عن مقياس معلوماتى فى غيبتي ، امام حسادى ، وانافح عنهما كذلك فى غيبتهما ، لانهما معا فى جانب ، والاستاذان ابن الطاهر وسيدى المدنى فى جانب – على عادة المتعاصرين – وكانا كلما آنسا مني تقدما فى الادب ، يشيدان بذكرى ، ويرفعاني الى ما فوق مقامي ، تنشيطا منهما ، فكنت أجد لذلك تاثيرا فى نفسي ، فأستفرغ الجهود لاكون عالى الكعب في الادب ، والادب وما اليه هو كل شيء عند الالغيين ، وغيره من العلوم انما هو تبع للادب ، فكنت وان أويت الى المدرسة اليوسفية في مراكش ، أكب على كتب الفن ، أو أقرض قصيدة ، او أحرر رسالة اليهما ، ثم جرى الى هذه الصداقة الاديب سيدى محمد بن محمد الكثيرى ، وهو اذ ذاك كما نبغ ، فكان هذا كله مما قدمني فى مضمار الادب على النمط القديم ، فيجد القارىء فى ترجمة المولى عبد الرحمان البوزاكارني ما بيني وبينه من المراسلات اذ ذاك : (1338 هـ = 1342 هـ) كما يجد بعضها فى ترجمة سيدى محمد بن محمد الكثيرى .

فاما ما كتبه الى المترجم او كتبته اليه – وأنا فى الحمراء – فهاك ما عندى منه الآن ، فقد كتب الي :

الاديب الناشىء الذى طلع فى افق العز بدرا مشرقا ، وفاح فى روضه وردا مفتقا ، السيد محمد المختار ، ابن الكرام الاخيار ، المجلين فى كل مضمار ، سلاما أطيب من الادب ان فاح فى منتدى الادباء ، وتحية اعطر من أخلاق العلماء الاتقياء .

وبعد : فقد مر بي الحامل فلان ، فاردت ان اذكرك اخا كان لوالدك ابنا ، قبل ان تكون له انت وغيرك من الابناء ، فقد كان رحمه الله لي ابا ثانيا ، وكم ملأ لي بيتي في المدرسة وقد كان خاويا ، وكم غطى بمحاسن نصحه لي مني مساويا ، فهل يمكن ان انسى له تلك اليد ، ما طلع وراح فرقد ؟ أو أطوي ذكره ما راج عسجد ، ثم ان أخبارك تصلنا فنشتاق الى لقياك ، نتنسم رياك ، واستطلاع محياك ، فمتى وردت ايضا الى موسم والدكم المرحوم ، فاتصل بي برسول أو بمرقوم ، لنجتمع فنؤدي للاخوة نصيبها ، ولنهنئ في الغ اديبها ، ولنسمع من رياض الادب عندليبها .

ولتعلم أن أقرانك لا يمكن ان ينظروا اليك ، الا اذا هصرت التفوق على رغمهم بيديك ، ولا يمكن أن تتفوق الا بالاجتهاد ، وفراق المهاد ، وتجنب الوساد ، واختيار الصاب على الشهاد ، وسهر الليل ، والصبر على الويل .

«ودون اجتناء النحل ما جنت النحل»

لا تحسب المجد تمرا انت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فسامحني يا اخي ، فليس المقصود ان اريك الطريق جهرة ، فان العوان لا تعلم الخمرة (1) والاديب البوزاكارني اسمع عنه كل خير ، ما به من ضير . والسلام .

هذا ما عندي الآن من رسائله الى اذ ذاك ، وأما ما كتبته اليه فهو هذا بعدما انقطعت عني رسائله ، وهذه من أولياتي – ناتي بها وبأمثالها للتاريخ فقط ، وان لم تكن الا من سقط المتاع – وهذه من بنات مدرسة ابن يوسف المراكشية :

هبت فشب بها الاوام (2)   وازداد في الخلد الهيام
ريح سرت من صوب حضـــرتك المعتقة المدام
فاحت نوافح مسكها   كالورد منفتق الكمام
فشممت من هباتها   منك التحية والسلام
ادت لي الخبر الذي   حملته من غير الكلام
والريح من قدم الزما   ن بريد أصحاب الغرام
هذا لدى تعلل   لو كان ينفع ذا الاوام
هيهات قد جلمت طلى   ود الخليط ظبا الحمام (3)

❀ ❀ ❀

ايه ابا العباس هل   نقضت عهودك والذمام ؟
اولا فما لي لا ارى   رسلا تجيء ولا سلام
انسيت ودا بيننا   كالزبرقان لدى التمام (4)

(1) العوان بالفتح: المرأة المتقدمة في السن: والخمرة بالكسر كيفية لبس الخمار
(2) الاوام كغراب: العطش .
(3) جلمه: قطعه بالجلم محركا: وهو المقراض، والطلى جمع طلية بالضم: العنق.
(4) الزبرقان : البدر .

ودا تعاطيناه مدا   منه وطرف الليل نام
والوصل يرشف ريقه   للمغرمين وللندام
والحب يمنح بالوصا   ل تعطفا للمستهام
فسقى الاله رياض ذا   ك العصر منهل الغمام
وجزى بخير من غدا   غض الوداد على الدوام

سيدي احمد بن محمد البزيدي ، الاديب ، صاحب اليد الطولى في صفاء الفؤاد ، ولكن من الوداد ، والطريقة المثلى في الانفراد بين اهل جلدته ، ولكن بنسيان اهل مودته ، ليت شعري ما هذا الاعراض بلا سبب ؟ وهذا التعرض للريب ، وهذا التخطي للمسلوب الى السلب ، وهذا القرع للنبع بالغرب (1) وهذه الراحلة بلا قتب ، لقد عوض بالصبر الضرب (2) ، وازديد امرار ذلك على امرار الغرب (3) ، فيالك من بخيل حتى بالحروف لمن اجتداها وطلب ، كانك تتحمل في ذلك كل النصب ، عجبا من هذا المنفرد بحاله بين العجم والعرب كأنه قط ما كتب ، او كأنه خط ما تغرب ، او كأنه ما تذكر قط خليطا اغترب ، انها لسوأة سوأى لمن اختار نور عقله وانتخب ، انه لذنب عظيم لا تمحوه جميع الحسنات والقرب ، فكأنه قط ما خط بانامله ما انشرح به صدر الادب ، ونسلت به الافراح الى الصدور من كل حدب ، وكيف لا ينكر بعد الصحة الوصب (4) ام كيف يستنكف من الانهضام بعد القلب :

ومن ركب الشور بعد الجوا   د ادرك اظلافه والغبب (5)

سحر الجمعة العاشر من رمضان : 1341 هـ.
(انتهت الرسالة المتكلفة البدائية)

ثم كتبت على ظهر الرسالة :

طويل انتزاح يشكر الريح ان سرت   وقد قبلت ثغر الحدائق من الغ
طويل البكا عما انطوى من وصالكم   (وفي نشره للعاشق الصب مايفي) (6)

(1) النبع مسكنا، والغرب محركا : من اشجار البادية التي تتخذ منها السهام قال الحماسي : ولما قرعنا النبع بالنبع بعضه   ببعض ابت عيدانه ان تكسرا
وقال ابو تمام :
تخرصا واحاديثا ملفقة   ليست بنبع اذا عدت ولا غرب
(2) الضرب محركا: العسل .
(3) جمع غربة ؛
(4) الوصب محركا: المرض .
(5) الغبب محركا : ما يتدلى من تحت عنق الثور .
(6) هذا شطر لشيخنا سيدي الطاهر : واوله :
(نسيم الصبا هبي بنشر ربا إلخ)

لمن قرطست الخراصه اسهم النوى   فكيف يميل للمسرة او يصغي (1)
جزى الله من يدعو لصب تفصمت   عرى صبره بنيله القصد والمبغى

ثم انه زارني في ذلك العهد بالحمراء ، فاذكر أنه مرت بنا مجالس ادبية حافلة :

منها ليلة طيبة في (الرميلة) (2) ونحن على السطح ، والنجوم تتوقد والجو صاح ، وكانت ليلة من ليالي السرار في الصيف ، فجمعت هدوء الظلمة المشوبة بلمعان كواكب الجو ، الى هواء طلق ، لا برد فيه ولا حر ، فتعاطينا ألغازا عديدة ، ولا ينسين القارئ الكريم ان للالغاز في الادب القديم روعتها وجمالها ، بل هي المرادس (3) الذي يسبر به مقدار غور الذكاء ، فلا يعجبن القارئ : ان رأى من أديب على النمط القديم عدم نسيان ذلك التعاطي ، ثم الولوع بتقييد ذلك للاجيال المقبلة ، كأنه مما تتباهى به الاجيال ، وقد بقي ما قيدنا فيه تحت يدي الى الآن ، وهي ألغاز لا تسمن ولا تغني من جوع ، فاحتراما للقارئ الجديد ، نطوي ذكر ذلك طيا ، لئلا نزيد ثقلها على ثقل تلك الرسالة قبل ، فيكون ذلك ضغثا على ابالة .

ثم لما رجعت من الرحلة العلمية من فاس ، فاستقررت في الحمراء نهائيا ألم بنا هناك ايضا في : 1351 ه ، وصادف ذلك يوم اعراسي ، فمضت لنا ساعة في غاية الانبساط والانشراح ، وأذكر أنني كنت اذ ذاك أذكر له التطور الحديث في الادب ، وأنشد له من قصائد اعلام العروبة اليوم ، الادباء : شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، والزهاوي والكاظمي ، والشابي ومحمد العيد ، وكأنه لم يذق مغزى ما يقولون ، فقال مداعبا : دعونا وأدبنا ، ولندعكم وما تختارون ، فعلمت أنه محق ، لان شيخا جليلا مثله شب الى أن شابت سود ذوائبه في ذوق أدبي له لون خاص ، أفيتحول عنه بسهولة ؟ فيستبدله بذوق آخر ما لم تغمره الامواج وتجرفه السيول رغم أنفه مثلنا .

وفي : (26ـ6ـ1354 ه) كتبت اليه بعدما سمعت بما جرى له من نكبة زار بها المطبق ، ولا ذنب له الا انه عالم ذو سمعة طيبة ، وكان ذلك حين شارط في المدرسة (المولودية) الرسموكية ، بسبب دعوى فضها عن الطريقة الشرعية فلم يطب للمراقب في (أنزي) الا أن يتطلب أدنى سبب ، فاذا به بين المساجين الرعاع ، وأي جبروت مثل هذا . كتبت اليه لأعزيه وأنبهه الى أنه لا يرمى الا شجر له ثمر ، وانه لا يخسف الا الشمس والقمر ، وان صروف الدهر لا تحوم الا حول ذوي الخطر :

---

(1) قرطس الهدف واصماه واقصده اذا اصابه نبله

(2) حي من احياء حومة (باب دكالة) بمراكش. كان حينا مجر عوالينا ومجرى سوابقنا .

(3) المرداس بالكسر : الحجر الذي يلقى في البير، ليدري مقدار عمقها.

لا بأس فالرئبال قد يحبل   ويغمد المهند الصيقل (1)
ويعتري الشمس كسوف ، وان   كان لها مقامها الاول
وليس يكلم سوى مقدم   مدجج لا المحجم الاعزل
لاقيتها كوارثا مثلما   يقبل ليل حالك اليل
ما خاض ظلماها سوى باسل   أروع ، لا ذو اللوثة الزمل (2)
فصادمت منك أخا عزمة   يميد من صدماته يذبل (3)
تغمز منك سمهريا له   صلابة الحديد لا يذبل
مستنجدا لا يستـرد اذا   هم ولا يعيى بما يحمل
يثبت في مستنقع الموت ، لا   يحول ، ينزل الذي ينزل (4)
حتى انجلى ديجورها فاذا   بها جلا يجلى بها المنصل (5)

❀ ❀ ❀

اليوم يدري المجد من ربه   ويعلم النبل الذي ينبل
فالمجد لا يدرك الا اذا ،   تخطيت من دونه الذبل
والروض لا تفتر أزهاره   ان لم تكن عين السما تهمل

ثم في السنة : (1355 ه) في اواخرها سمعت انه زار فاسا ولم يعرج بنا فكتبت اليه بعد رسالة :

مررت وما فكرت في خلك الذي   يرى بين لقياك الاماني كلها
فياليتها اطلالة فنعدها   من السحب طلا حين نفقد وبلها

فاجابني بهذه الرسالة بعد الثناءين :

اسلم على سيدي سلاما طيبا ، وعلى جميع من تعلق به من الادباء ، فقد هيجني ما قرأت ، فاعملت الاقلام ، ولو ترك القطا ليلا لنام . فبينما انا في ملأ من قومي ، اذا ألقي الى كتاب ، من أعز الاحباب ، فقلت : يا ايها الملا انى ألقي الى كتاب كريم انه من فلان ، وانه لبسم الله الرحمن الرحيم ، فاقبلت عليه اقطف من الزهر العميم ، وأتروى من ماء التسنيم ، والكتاب يبدئ ويعيد في الانشاء ، ويذهب ويجيء في فن البلاغة كما شاء .

لا يرجع الطرف عنه حين ينظره   حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

---

(1) الرئبال : الاسد، ويحبل : يصاد بالحبالة .

(2) اللوثة بالضم : الحمق، والزمل كسكر : الضعيف .

(3) يذبل بفتح الياء وضم الباء : جبل في بلاد العرب .

(4) من قول أبو تمام من رائيته المشهورة :

وأثبت في مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت أخمصك الحشر

(5) الجلاء بالكسر : الصقال، جلوت السيف : صقلته ومنصل السيف بضمتين حديدته .

كيف لا ، وكاتبه امير حملة الاقلام ، وسمير الكتب اذا نامت النيام ، ذلك : العلامة المفيد ، من له في العلوم العقلية والنقلية باع مديد ، سيدى ومولاى الذى لا أهم عندى مما يحفظ عهده ، ويصون وده ، من تغيير يدب الى محل الوداد في شغاف القلب ، او يمس ما كان راسخا بيننا من قديم الاخاء وصفى الحب ، فحاشا أن أفرط في الذى بيننا من التصاف ، أو يجد منى ما تطاول من البين أى انحراف ، والاكيد اليوم عندى والذى يجعله قلبى بين عينيه : انهاء عذرى الحقيقى اليه ، حتى لا يختلج في صدره شك في بقاء المودة القديمة التي يفنى الزمان ولا تفنى ، وتندثر كل المودات بالبين وهى لا تزال تزداد جدة كلما أطال الفراق بيننا بينا .

نعم هناك أعـذار مختلفة ، كلها أمامي دون رؤيتك مؤتلفـة ، ولكن أحدها العذر الاكبر ، الذى اذا دققت فيه نظرك السليم ، الذى يميز الطيب من الخبيث والصحيح من السقيم ، تراه عذرا واضحا ، يكون لكل ما قد يتوهم منى شارحا : ألا انه كثرة أهالينا هناك في تلك المدينة ، فمتى رأونا حالين بين ظهرانيهم يظن كل ذى كيس ابجر ظنونه ، وأنا والحمد لله ممن لا يتنازل عن مروءته قلامة ظفر ، وممن يختار أمام تلك الظنون لو ان الراحة دائما من تلك الناحية صفر ، والحر يتعالى عن لمحة تزدريه ، فكيف بقولة زور تعتريه ، فاولئك المساكين البله لم يعلموا ان الله اغنانا عنهم وعن كل ما به يشمخون ، وان الله اعطانا من ذات اليد ومن القناعة وراءها ما لا يظهرون معه لاعيننا وان هم للرؤوس يرفعون ، ولا لأف يحسبون ، وبذلك العذر الكافى ، حرمت الاتصال بالاخ الصافى ، وهو عذر — والله — واضح غير خـافى ، فمررت مرغما ولم اعج بتلك الديار ، وان كان الشوق يكاد به الصبر يؤول للاندثار .

واعظم ما يكون الشوق يومـا   اذا دنت الديار من الديـار

فبهذا يا سيدى تدرك أن أخاك اليك في شوق ايضا ، يفيض كما وصفت به شوقك فيضا ، غير أنه قد حيل بينه وبين الورود وهى يرى المنهل العذب ، والعطش قد الهب منه القلب .

ارى مـاء وبى ظمـأ شديـد   ولكن لا سبيل الى الـورود

فاذ غاب عن سيدى عذرى ، أثقل بالعتاب ظهرى ، وقد نسى أن المعول على ما في القلوب ، وان الظن كذوب ، فاقبل ما لا يتطلب البراهين والحجج ، ويتطلع من كل ثنية على أهل اللوى والمنعرج ، وها أنا ذا قد أتيت بها حجة بالغة وبراهين دامغة ، ان وجدت منصفا ، ومن كان بقبول الاعذار متصفا ، والتحاكم الى ذوقه السليم ، ولا يعلم من هو عليم .

ايه ايها الاخ الفاضل ، والانسان الكامل ، ألم يكن وجـوب قلبى ، وأزيز صدرى ، عدلين مرضيين على صدق ودى ، ودوام عهدى ، فياليتك

تصيخ لهما ، اصاخة الناشد للمنشد (1) فتسمعهما ، وبالعدلين يفلج من ادعى ، اذا كانا مرضيين معا ، ومـا مثل سيدى من يركب راسه ، ويغمط جلاسه ، فالله الله يا سيدى في هجرى ومقاطعتى ، ومدابرتى وممانعتى ، فما أنا الا باخوانى الاصفياء ، وسيدى عندى من اكبر اصفيائى الاوداء ، فارجو الله ان يحل عقدة من لسانى ، ويرجع الى كما اعرف بيانى ، حتى افصح عن صدقى في عذرى ، وابرز الذى يتلجلج من ذلك في صدرى ، كما ارجو من سيدى المعذرة في الكتاب ، ان خلا من محاسن الكتاب .

❊ ❊ ❊

ثم لم ابطئ بعد هذه المراسلة ، فنفيت الى (الغ) مختتم : (1355 هـ) فكان قلمه أول ما تحرك نحوى بابيات موجودة في الجزء الاول من (الالغيات) ثم زارنى في الغ مرتين قبل أن أمنع من لقاء الناس ، كما انه مد الى كثيرا من النفائس الادبية ، وأعلاق الآثار التى كنت في شغف اليها بعدما عزمت على الكتابة حول سوس ، وفى الجزء الاول المذكور ، قطع خاطبته بها شاكرا له ما اتحفنى به من ادبيات ، ثم من اواخر : 1356 هـ انقطع ما بينى وبينه الى ان اتصلت به ايضا في شهر ذى القعدة : 1361 هـ بعدما ابيح لى ملاقاة من اريد ، فامدنى بشيء آخر من كثير أدبياته .

ومما كتب به الى باختصار :

«بعد اهداء اعظم السلام واطيبه الى تلك الخلال الكريمة ، فلا تسل عما احدثـه الكتاب من شدة الغرام وتباريح الاشواق ، فان كنت تسمنى بعتابك ، فقد سرنى أننى خطرت ببالك (2) والود هو الود الذى تعرفه بل ازيد اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بينى وبين ضالتى في قريب» .

وهذه الكلمات جواب عن رسالة دسستها اليه اثناء كتاب له عندى ، فدس الى ايضا في آخر كذلك ، فقضيت حاجاتنا بالضمائر من حيث لا تدرك الحكومة ما بيننا ، لان نطاق الحصار حتى لا ألاقى احدا ، كان مضروبا على اذ ذاك ، وما الاقيه من الجيران الاقارب اشد .

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

---

(1) قـال :

يصيخ للنبأة أسماعـه   إصاخة الناشد للمنشـد

الناشد : الذي يتطلب الضالة، والمنشد الذي يجدها ويتطلب صاحبها ليعطيها له.

(2) قال ابن الدمينة .

لئن ساءني ان نلتني بمساءة   فقد سرني أني خطرت ببالك

وجماع ما عندي عن المترجم : انه علامة سليم الطوية ، عيوف محب للمعالي يجزي الود بالود ، ويقرع السيف بالسيف احيانا ، ويغفي احيانا ، يملكه الاحسان كما يقتاده البيان ، وهو ما هو اليوم من اكابر علماء (جزولة) متضلع في الفقه له الادب والبيان والاصول والتاريخ ، محببة اليه غرائب الكتب ، وله مكتبة حسنة . وهو يحافظ على مروءته وعلى كل مظاهره منذ تصدر للناس ، وقد كتب كتابة حديثية حول بحث كاتبت فيه شيخنا ابا محمد التامانارتي (مما اودعته في (الجزء الثالث) من (الالغيات) ، وحين حللت بالغ وكان اذ ذاك في المدرسة (الوفقاوية) ، ثم (الجشتيمية) وقعت بيني وبينه المراسلات التي توجد في الجزء الاول من «الالغيات» ومما لم يذكر هناك هذه القصيدة التي خاطبته بها وهو في (الجشتيمية) ، ولم يتيسر له ان يجيب عنها الا باقدامه الى :

حدثوني عمن هم روح أنسي   حدثوني تحيوا مباهج نفسي
حدثوني كما تريدون بالجهـــر   والا فحدثوني بهمس
فجميعي مسامع الخبر الطيـــب   من أخمصي الى فود راسي
ان في القلب لوعة ليس يطفيـــها   شراب وان يشعشع بكاس
لا ، ولا رشفة من الظلم عاطتـــه   رعابيب من مراشف لعس
لا ، ولا روضة مفوفة قد   صبغتها شمس الاصيل بورس (1)
كل قلب له هوى وهوى قلـــبي   البهاليل من بني عبد شمس (2)
فبهم مفخري اذا الفخر قامت   سوقه بالاصحاب من كل جنس
وشجتني بهم صحابة صدق   أسست بالصفا على خير اسس
لم تحم قط حول شهوة نفس   لا ، ولا دنست بمطمع فلس
اورثتها الاسلاف منقوشة في   كل قلب، لارقم نقس بطرس (3)
نسحب الود والمصافاة بين النـــاس   سحب العروس ذيل الدمقس (4)
من يكن يشتكي أذى فارطا من   يد خل يزل ، او اي دس
فانا معلن بما كان في الطو   ق لاسماع كل جن وانس
أنني شاكرا اخاء ابي العبـــاس   شكرا مخامرا كل حس
أحمد المخلص الذي أسطعته   للمعالي بنو يزيد كشمس
طيب أصله فكيف ترى الفر   ع ، متى غرس أصله خير غرس
أسرة كلها ملوك على عر   ش ، أو الدارسون من فوق كرسي
أو ببيان مروق فاق سحبا   ن مداه وفات لهجة قس
من دمشق لاندلوس الى سو   س فيامفخرا الى سوس يرسي

(1) الورس بفتح فسكون . نبات كالسمسم يصبغ به .

(2) المترجم من بني أمية ابناء عبد شمس .

(3) النقس بكسر فسكون . المداد .

(4) الحرير الابيض، ويطلق ايضا على الديباج . الثوب الذي سداه ولحمته حرير

فتباهت مدارس السوس الأ سا   لت تلاميذهم كثبان طيس (1)
في جميع الانحاء تلمس آثا   ر تعاليم درسهم ، اي لمس
فابيدان بالغ هذا تشاهد   أثرا من دروسهم غير منسي (2)
وحقيق باحمد العالم الفـــذ   افتخار بيومه وبالامس
فرعت نفسه بهمتها الاتـــراب   طرا وياله رب نفس
من تقده النفس الطموح تسود   ه وتجعله عاليا كل راس
وتنله المجد الرفيع فيبدو   مثل كسرى ان قام تحت الدرفس (3)
فتشير الاكف نحو علاه   في الميادين عن اصابع خمس
وتناط به الاماني حتى   ينفي الناس حوله كل عنس

* * *

يابني سوس اعلنوا ما علمتم   بعد اصغائكم الى كل جرس
أيرى اليوم في جزولة ثان   لليزيدي في مجالات درس ؟
أين منهم نظيره ام يسوى   عسل النحل في الخلايا بدبس ؟ (4)
أين منهم تحقيقه وابتكار   للمعاني ان مس طرسا بنفس ؟
واقتدار على الدؤوب كأن لم   يك ربا للاهل او رب عرس
هكذا هكذا حياة المعالي   لا حياة تملا بممضوغ ضرس

* * *

ايها العالم الاديب الذي بـــذ   باء فلاقه حبيب بن اوس
والذي ان تجس فكرته غصـــن   عويص أجنى الثمار بجس
والذي تشهد المدارس عنه   بدؤوب أحيا به كل رمس
كيف أنت وكيف حالك من بعـــد   فراق مغيض كل انس
كيف تنسى ولا اخالك تنسا   ني وان كان ما تزاول ينسي
كيف أعرضت لم تحبر قصيدا   فائقا يزدري بلاغة عبس
أو لم تدر أن يوم اناشيـــدك   عندي من بعض ايام عرسي
وعليك السلام ما حدثوني   عنك فاسترجعت مباهج نفسي

11 — رمضان — 1362 هـ

(1) الطيس . الرمل .

(2) الحاج محمد والد المترجم احد المدرسين في المدرسة الالغية ، ثم المترجم نفسه كما تقدم .

(3) الدرفس . بكسر ففتح فسكون . العلم بلغة الفرس، وقد استعملت الكلمة في السينية التي وصف بها قصر الاكاسرة، وهي التي عارضها شوقي

(4) الدبس بكسر فسكون . يطلق على عسل النحل وعلى عسل التمر ونحوه، والمراد هنا الثاني .

اثار له أخرى

قـــال :

اهاجرتي لقد سئمت من الشكوى   صليني فاني من على الهجر لا يقوى
تمتعت لكن قدر حسوة طائـــر   وماقدرحسوالطيرعندذوى الشكوى
صددت فلا طيف يـلم بساحتي   فياليت شعرى نعمة تلك أم بلوى
اذا قلت نعمى نازعتنى جوانحي   ويمنعنى الاخرى الهداية والتقوى
لئن دام ما بى من هوى وصبابة   سلام على العشاق طرا ومن أهـوى

وقال ايضا يعاتب بعض من تبطن محبته ، يبث اليه لوعته :

أهجرا وما بد من البين والبعد؟   فياليتـــه ان يقض كان على بعـــد
أفي كل يوم نفرة بعد نفـــرة ؟   فياليتـــه يكفيك من ذلك الصـــد
اما تستحى لما دعيت ولم تجب ؟   لقدضقت ذرعا واصطبرت لذا جهدى
لئن كان ذا من خصلة قـــد كرهتها   فعاتب فعتب الحب أحلى من الشهد
وان كان من اخلال من قد أحبه   بحقى فلا اجفوه في القرب والبعد
اليس قبيحا ان تجازى مخلصا   ودادك بالكفران يا منتهى ودى؟
عـــلى أننى لا أستطيب مـــقـــالة   تدل على ضد الذى كان من عندى
(فلو ملنى يوما من الدهر معصمى   لفارقته طوعا ولم تشكه عضدى)
ولكنـــنى أنهى اليـــك مـــقـــالة   تدل على التبجيل والشرف العد
(وانى لفضفاض السجايا دميثها   لالفى، ونشاب اذا شئت في اللغد(1)
ولم يك غير اول الشعرشاهدى   فقد تعرف الاشياء ويحك بالضد

كتب عليها : ان قولى : فلو ملنى الخ . وانى لفضفاض الخ ، هما بيتـــان لليوسى ضمنا ، وقوله لم يك الخ يعنى البيت قبله : وانى لفضفاض الخ .

وله ايضا :

أيقظـــت قلبك للهـــوى فتناوما   ولـــطـــالـــما نبهتـــه ، ولطـــالـــما
هلا اعنت ولـــو بدمـــع هاطـــل   عار عليك اذا استعنت بما ومـــا
امـــا أردت الشعر فاذكر لعلمـــا   والرقمتـــين وصفهمـــا وربـــاهما
أو لا فكـــرر ذكـــر نعمـــان بـــه   أو سلع، واذكر ماذكرت ظباهما

(1) النشاب بالضم . السهام ج نشابة ، واللغد بالضم ، واللغدود بالضم ، واللغديد بالكسر . لحمة في الحلق ، او ما اطاف باقصى الفم الى الحلق من اللحم .

ومن آثاره ما اجاب به بعض تلاميذه عن قصيدة :

وافت تبختـــر في لبـــاس سندسى   غـــيـــداء قـــد بخلت بثغـــر العسى
نشرت فضلت في الظـــلام ذوائـــبـــا   لـــولا استنارة وجهـــا في الحنـــدس
وصدت اليـــهـــا الطالـــبـــين بنشرهـــا   ولو اختفت في شعرها الملنكس (1)
ورنت بلحـــظ فـــاتـــر بـــل فـــاتـــن   أكـــذا الهلاك من العيـــون النعس ؟
ورنـــت بـــطـــرف بـــابـــلى مقـــصـــد   عن قـــوس حاجبهـــا الاشم الانفس
عـــدى ام الروض المطـــير تجاوبت   أطـــيـــاره فـــوق الغصـــون الميـــس
وجـــرت كـــمـــثـــل أراقـــم أنـــهـــاره   فضـــيـــة فـــغـــدا قـــريـــر تـــانـــس
جـــرت بـــه ريـــح الصـــبـــا معتـــلة   أذيـــالهـــا فاتـــتـــك روح الانـــفـــس
من أبـــيـــض يـــقـــق وأحمر قـــانىء   من زهـــره يـــزهـــو بحسن الملبـــس
لا بـــل نتيجـــة فكـــر شهـــم أيـــــد   في النزع ذى المجد المديـــد الاقعس
شعـــر يـــروق بـــهـــاؤه وصـــفـــاؤه   تحســـو المسامـــع منه راح الاكـــؤس
واذا تكـــرر في الـــنـــدى نشيـــده   مـــالت بـــه عـــذبـــات قلب الاكيـــس
واذا رواه المـــنـــشـــدون تـــمـــايـــلوا   فتـــظـــن ان الارض فـــوق الاطلـــس

وله يخاطبه مرتجلا :

محلك يـــا ابن الاكرمـــين على الراس   وذكرك أشهى لى من الخمر في الكاس
تـــعـــال فـــعـــاطـــنى سلافـــا معتقـــا   عليها فـــدام لم تدنس بادناس (2)
تـــعـــال نغن بالانـــاشيد مثلمـــا   تـــغـــنى حمامـــة على البـــان والآس
تـــعـــال لنبـــكى العـــلم والادب الذى   تهـــدم من بنيـــانـــه الثـــابت الراسى
الا فـــارو لى ورو بالشعـــر مهـــجـــتى   الى أن يـــلـــين مرغمـــا قلبى القـــاسى
فما الـــعـــلم الا بـــاجتهـــاد وهـــمـــة   تـــفـــوق الثريـــا لا بمصر ولا فـــاس
وانت بحمد اللـــه من نســـل جـــلة   بدور الورى في غيهب مظلم غـــاس
ففهمـــك صـــائـــب ، ورايـــك قـــاصد   وذهنك في الاشـــكال ثـــاقب المـــاس
فانـــك يـــا ابن الاكـــرمـــين وكلهـــم   سليل الكرام الماجدين ذوى البـــاس
منـــاى من الدنيـــا ولست أرى بهـــا   لدى القلب نـــازلا سواك من النـــاس

ومن آثاره ارجوزة صغيرة ، نظم فيها اجداد النبى صلى الله عليه وسلم مطلعهـــا :

احمد ربى وهـــو اهـــل الحمـــد   والمستحقـــه واهـــل المجـــد

يقول في آخرها وقد انتهى الى عدنان :

(1) المملنكس . الاسود .

(2) الفدام بالكسر . مصفاة صغيرة او خرقة تجعل على فم الابريق ليصفى بها ما فيه .

هنا انتهى ذا النسب الصريح ... وعدم الرفع هو الصحيح
وكل هذا مجمع عليه ... اذ سيد الورى انتهى اليه
نسبه ليس به سفاح ... بل كله الحلال والنكاح

❀ ❀ ❀

وآخر ما قاله هذه القصيدة الهمزية ، فانه لم يعش بعدها الا قليلا :

مهلا فان العذل من اغرائه ... والصب لا يلوى الى اصغائه
ارفق به فلقد نزحت شؤونه ... وقدحت زند الشوق في أحشائه
بالغت في ابعاده وعتابه ... بالله فلترجع الى استرضائه
فالمدنفون صبابة وكآبة ... أحوالهم في العشق حال التائه
أنى تلوم الصب في شرع الهوى ... ان سال ما يدني الى اروائه
خلع العذار فلا تلمه انه ... ممن يحن الى ظبا جرعائه
أبدا يحن اذا جرى متعثرا ... برق يزيد القلب من أدوائه
ما بال عاذله يزيد تعنتا ... بعدا له اذ هو من اقذائه
هلا على فرط الوداد بعثتها ... فتعوم من قفر بلجة مائه ،
من يعملات قد حداها للحمى ... شوق يذوب القلب من برحائه
فتمر مثل الريح شوقا للحمى ... أو كالظليم يراع في فيفائه (1)
غيرى يحن الى الرياض وطيبها ... وجنى يروق بلطفه وبهائه
ويحار من غصن على دعص النقا ... ويميل من شوق الى أرجائه (2)
ويبيت مسلوب الفؤاد من النوى ... ويروم نيل القرب من أسمائه
ويهيم للبرق الخطوف يمانيا ... ويصيح للورقا لحسن وفائه
ويصيح للاعواد والناى الرخيـم ومن يروق السمع حسن غنائه
ويجول في الاوهام ان جن الدجا ... متذكرا ما مر من نعمائه
متولها حيران لا يصفو له ... زمن لما قد حل من ابنائه
حتى غدا مثلا سرى في دهره ... للآخرين وشاع من انبائه
وانا احن الى الذى ما مثله ... بشر وكل الناس في اضوائه
من اطعم الالف الجياع بصاعه ... وبه ارتوى الالف العطاش بمائه
ورمى بكف من حصى شاهت وجو ... هـهم فاعمى العمى من اعدائه

❀ ❀ ❀

يا من مزاياه العظام تفرقت ... فينا وكل آخذ من انائه
يروى وينعم من اتاه اناءه ... والكل محتاج الى انذائه
نور لهذا الكون سر وجوده ... اصل لمن من بعده وورائه

(1) الفيفاء . الفلاة .

(2) الدعص بالكسر فالسكون . كثيب الرمل المجتمع ، وكذلك النقا كالندى . والارجاء جمع رجى الناحية

نور يتيه العقل في اوصافه ... والعجز وصف الخلق عن عليائه
في موكب ام المقدس بعدما ... هدات عيون الخلق في اسرائه
لما استوى فوق البراق خديمه ... جبريل سار الكل تحت لوائه
جمعت اليه الانبياء فامهم ... فهو الامام وتاج اصفيائه (1)
اوحى اليه الله ما لم يحصه ... قلم من الاسرار في ايحائه
اثنى عليه الله جل جلاله ... في محكم التنزيل حق ثنائه
اطراه بالخلق العظيم ولن ترى ... قولا كهذا القول في اطرائه
من لي بسان يدنو البعيد فاجتلي ... وجها يروق القلب حسن صفائه ؟
من لي بسان احصى الثناء على علا ... اوصافه هيهات من احصائه ؟
اراءيت من احصى الرمال بعالج ... كلا ، ومن يشطيع وصف سنائه
كل يحن لما لديه من الندى ... افلا احن الى ندى انوائه ؟

❀ ❀ ❀

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ... وابوه في طين الكمال ومائه
هذا عبيد صاغر يرجو الحبا ... وجوار اعلى الخلق خير حبائه
لا يرتجي الا علاك وكيف لا ... يرجو وانت ممد انبيائه (1)
امدد بضبعي مذنب متألم ... فهو الغريق وانت خير دوائه

❀ ❀ ❀

يا من يلوذ بجاهه عبد عصى ... واتى قبيح الفعل من انحائه
انا ذلك العاصي ولا ينجي اذا ... اذنبت غير تعلقي بردائه
يدعوك عبد خاضع لك خائف ... مما جنته يداه من اسوائه
يا من اذا انحى الزمان بخطبه ... وذكرته اعتز من اسمائه
اني اتوق الى الحمى ويعوقني ... ما حل من ريب الزمان ودائه
اني استجرت من الزمان بسيدي ... على اكون الدهر تحت ردائه
خير الخلائق كلها وشفيعها ... ان احجم المولود عن آبائه
ما عذر من لم يمر دمع شؤونه ... ما العذر للمشتاق في ابقائه (2)
ما عذر من لم يات روضة أحمد ... مستعطفا متعلقا برجائه
ان الكريم اذا اتيت رحابه ... ودعوته اولاك من آلائه
اسفا على ايام لهو قد مضت ... والعبد يجرى في يدى غلوائه
ان لم تداركه العناية بالرضا ... يجرى من العصيان في ظلمائه
ربي بخير الخلق احمد من له ... جاه عظيم في رفيع سمائه
اشكو ولا يشكى سواك امن له ... قدر يفوق به على نظرائه
وبصحبه الغر الكرام ، ومن لهم ... في القلب صفو الود في سودائه
وبجاه شيخي احمد من لي به ... لهج وشوق في ذرى انذائه

(1) ياء اصفيائه وانبيائه : هكذا ، ولا يمكن الوزن إلا بتشديد الياء .

(2) مرى الدمع يمريه كجباه يجبيه . استفده واستخرج اقصى ما عنده منه

رحب الذرى ، للمعتل ، عذب الروا   للمقتلي ، ابدا مجيب ندائه
يسمو به العرق الشريف الى المدى   متفيئا في المجد من افيائه
سل عن هدى اصحابه وعلومه   وخشوعه وخضوعه ، وبكائه
ياتيك بالاخبار من لم تعطه   زادا فتستهدى بنور ضيائه
اغفر لعبد طالما لعبت به   ايدى الهوى فاطال فى اهوائه
من كان والى غير احمد ، انني   ابدا له فى القلب صفو ولائه

❀ ❀ ❀

ومن آثاره ايضا : مجموع ادبى نفيس ، رايت ورقات اوائله ، افتتحه بقوله :

«هذه كلمات يجمعها العبد ، تتعلق بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان تنفعه يوما ما ان شاء الله . » رأيت فيما رأيت منه حكايات لطيفة والمترجم له خط جيد ، وحرص على التقييد ، واهتبال تام بالفائدة كيفما كانت مواظب على المطالعة لا يملها .

بعض مقيداته الادبية

لا يصعب على الباحث ان يدرك ميول ذى علم معتن بالتقييد ، ان تتبع مقيداته ، فان الفقيه لا يعتنى الا بفقهيات ، كما ان المؤرخ لا يشتغل الا بالتاريخيات ، والاديب لا ترى له روغانا عن الادبيات ، وهذا ما رأيناه من صاحبنا اليزيدى ، فقد رايت له عدة مقيدات ، افعمها بالادبيات ، وهذه نماذج منها من كناش من كنانيشه ، اسوق ذلك بعبارته :

لابى حيان مع نزاهته وطهارته :

ايا كاسيا من جيد الصوف نفسه   ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
اتزهى بصوف وهو بالامس مصبح   على نعجة واليوم امسى على تيس

(اقول : ان بعض الالغيين الادباء انتقد من هاذين البيتين جعل الصوف على التيس . والاولى عنده جعله على الكبش ، فزعم انه اصلح البيتين بقوله :

ايا كاسيا من جيد الصوف نفسه   ويا عاريا الا من الجهل والطيش
اتزهى بصوف وهو بالامس مصبح   على نعجة واليوم امسى على كبش ؟

فكنت انافح عن ابى حيان بان الوصف بالكبشية فيه مدح . بخلاف الوصف بالتيسية . وهذا مغزى قول ابى حيان) .

رجع الى مقيدات المترجم : ولحرقة بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها   تقلب تارات بنا وتصرف

ولابن شرف القيرواني :
قامت تجر ذيول العصب والحبر   ضعيفة الخصر والميثاق والنظر (1)
الى ان قال :
لم يبق للجور فى ايامهم اثر   سوى الذى فى عيون الغيد من حور
وهذا معنى قد فاق فيه من تقدمه .

ولبعضهم ــ وقد ورى بما عرف فى علم البيان ــ :
واصف ابلانى كمال انقطاعه   وصفت له شوقى وليس له وصف
فقلت له بالله عطفا وقال لى   ابعد كمال الانقطاع يرى العطف
وللمعري ولله دره اذ قال :
فيا وطني ان فاتني منك سابق   من الدهر فلينعم لساكنك البال
وله ايضا ولا خفاء باعجازه ، واستيلائه على خصل السباق فى مضمار البلاغة واحرازه :
اذا صدق الجد افترى العم للفتى   مكارم لا تكرى وان كذب الخال (2)
فلله دره ــ هين واعلى النضير ــ فلقد احسن فيما اتى به ، واتى بيت البلاغة من بابه ، ويضاهي بيته الاخير قول بعضهم ــ وقد ذكر عمان بفتح فتشديد بلد فى الشرق ــ
في خده خالان لولاهما   ما بت مفتونا بعمان
ولبعض من برح به الحب واضناه ، وكاد يفنيه جواه او افناه :
فى سبيل الغرام ما فعلت بالعاشقين القدود والاحداق
ولبعضهم :
سحر العيون النجل مستهلك   مالى وتوريد الخدود الملاح
ولاخر :
والقل الناس كلهم رجل   دعاه داعى الصبا فلم يطش
ولاخر :
دعنى على منهج التصابى   ما قام لى العذر بالشباب
ولاخر :
كل شيء رايته غير شيء   ما خلا لذة الهوى والسلافة
سلاح ابى زيد المعروف فى الادب ماخوذ من قول الشاعر ــ وابو زيد كنية الدهر :
اعار ابو زيد يمينى سلاحه   وحد سلاح الدهر للمرء كالم
وكنت اذا ما الكلب انكر اهله   افرى وحين الكلب جذلان نائم

(1) العصب بفتح فسكون : نوع من البرود، والحبر بكسر ففتح . من الثياب . الناعم الجديد ، ويطلق ايضا على البرد الموشي .
(2) الجد بالفتح . السعد . والعم . الجماعة اي جماعة الانسان . لا تكرى اي غير ناقصة . والخال . اي الظن .

في هذا القدر كفاية في ادراك لهج المترجم بالغراميات والحكم ، وكل ما تلقفته السنة الادباء ، وكان من الحفاظ المستحضرين ، يحاضرك في داره بين كتبه ، كما يحاضرك في عزبته عند غنمه ، وفي وسط محرثه في قرية : (تيبيوت) بالغ ، كما له اعتناء بكتابة كل ما سمعه من جليسه ، وكل هذا نموذج من الادب الالغي الذي نريد ان يعرفه البعيدون عنه في الغد القريب ، والاحفاد في الغد البعيد ، ان شاء الله .

تــلاميذه

منهم :

1) ولــده سيدي محمد بن احمد ، هو اليوم في محكمة قاضي (تافــراوت) وسترى كلمة عنه .

2) الأديب سيدي محمد ابن الحاج احمد اليزيدي ، وسيذكر في هذا القسم .

3) سيدي محمد الواعظ اليزيدي ، سيذكر ايضا في هذا القسم .

4) الاديب سيدي محمد بن محمد الكثــيري ، القاضي الجليل واخــوه احمد (سيذكران ايضا في هذا القسم) .

5) سيدي الطاهر : الاديب الالغي (ذكر في القسم الاول) .

6) سيدي احمد البنائي الايغشاني . ذكر في (القسم الثاني) .

7) سيدي محمد اوبلوش البعمراني القاضي (سيذكر في هذا القسم) .

8) سيدي محمد بن مسعود المعدري (يذكــر مع اهــله في هذا القسم في الفصل الثاني) .

9) سيدي مبارك الوفقاوي (ذكر في القسم الثاني) .

10) سيدي الطاهر بن احمد بن الحبيب السكرادي (يذكر في هذا القسم)

11) سيدي صالح بن عبد الله الالغي (ذكر في القسم الاول في الفصل الثاني)

12) سيدي محمد بن ابراهيم بن صالح البعقيلي التيصكيبي ، اخذ ايضا عن ابي عبد الله الاقاريضي ، وهو عالم حسن يدرس الآن ، وابوه ابراهيم ممن اخذوا عن الجشتيميين ، ولا يزال هذا حيا الى الآن : 1361 ه وقــد شارط في (انكيضا) .

13) سيدي محمد بن الطاهر الساحلي (يذكر في الفصل الثاني من هــذا القسم مع اهله) .

14) سيدي محمد بن ابراهيم الباعمراني ، الاستاذ المحصل الذي يشارط ، وقد جال في مدارس شتى كمدرسة (تمانار) و (الكرايمات) بالشياظمة ، وفي مدرسة بسوس 1377 ه ، ثم تولى نيابة القضاء : 1379 ه في قبيلة ايت عبلا ، ازاء ايغرم ، وهو استاذ محصل مشارك يحب معالي الامور .

15) سيدي الحبيب بن علي الكرسيفي ، يذكر مع اهله في هذا القسم في (الفصل الثاني) .

16) سيدي عبد الله الاسكاوري الكرسيفي (يذكر مع اهله هناك ايضا)

17) محمد بن عبد الرحمن الاسكاوري الكرسيفي (يذكر مع اهله ايضا)

18) محمد بن احمد بن موسى الكستي الكرسيفي (يذكر مع اهله ايضا)

19) سيدي عمر بن محمد المانوزي الاولوي ، ولد الاديب الكبير ، سيدي محمد المانوزي الشهير ، توفي بعدما اخذ في فاس نحو 1370 ه (ذكر مع ابيه في القسم الثاني) .

20) سيدي محمد بن ناصر الالغي (ذكر في القسم الاول في الفصل الثاني)

21) سيدي محمد بن الحسن الايغالني التملي ، فقيه نجيب فيما سمعنا به ولا نعرف عنه الآن غير ذلك .

22) سيدي محمد بن ابراهيم الادائي الرسموكي (ذكر مع اهله المسائيين في (الفصل الثاني) (القسم الثالث) .

23) سيدي محمد بن محمد اليزيدي غير الواعظ لم نعرفه الآن . ولذلك لم نترجمه بين اهله هنا .

24) سيدي احمد بن علي البعمراني يذكر مع اهله في هذا القسم في (الفصل الثاني) .

25) سيدي العربي بن الناجم المعدري، المجاهد الذي افنى ريق شبابه في المقاومة، ولا يزال حيا : 1379 ه. وقد اشتغل الآن بالفلاحة . وهو مهذب الاخلاق . وقد اخذ ايضا عن الاستاذ سيدي علي بن الطاهر الرسموكي كما اخــذ في زاوية الرميلة بمراكش عنا ، وعن اساتذة كلية ابن يوسف .

26) سيدي محمد بن المكي الايسي اليزيدي (تقدم مع والده قريبا) .

27) ابراهيم بن احمد التازولتي السملالي : فقيــه حسن يتولى العدالة في (انزي) الآن .

28) احمد بن محمد الزعنوني الرسموكي ، فقيه ذكر لنا ، لا نعرفه لا يزال حيا : 1379 ه.

29) احمد بن محمد التيروكتي الرسموكي ، لا باس بمشاركته فيما قيل لنا ولا يزال حيا .

30) عبد الله بن محمد الادايي الرسموكي النجيب المغتبط نحو : 1350 ه. وله نجابة .

31) احمد بن ابراهيم الايلاني ، حسن الفهم ، له باع غير قصير ، يزاول الآن الاحكام الشرعية في جهته من ايلالن . ويذكر لنا بفهم ثاقب ، وحسن اخلاق ، وديانة حسنة .

32) مولاي عابد التافراوتي ، وهاك ترجمته بقلمه كما هي :

(ترجمة حياتي)

كتبت الى رئيس اسرتنا أسأله عن نسبنا وعن فروعه ، فكتب الى ما ياتي :

وبعد : فقد ثبت ان الشريف سيدى محمد بن علي ابن سيدى محمد بن الشريف ، جاء من سجلماسة في القرن الحادي عشر ، الى (عنق الاصبع) بأملن ، وتزوج في (تاكضيشت) ، وزاد عنده ولدان ذكران : محمد ــ فتحا ــ وعبد الله ، والاول محمد كان فقيها عالما صالحا ، وشارط في المعدر في ازاغار ، وكان يقرىء في مدرسة المعدر الى ان مات وترك محمدا ، وكان ايضا فقيها عارفا للقرآن والعلم ، وكان يشارط الى الوفاة ، ومن عادته انه لا يحلف للغير ولا يحلف احدا استقل بنفسه ، لا يدخل مداخل العامة ، وقد اعقب ولده محمدا ــ فتحا ــ ومات هذا الولد عن ولدين الحاج موسى بن محمد والحاج ادريس بن محمد ، ومات الحاج موسى وترك اولادا اربعة : الفقيه الحاج محمد بن موسى ، والمكي بن موسى ، واحمد بن موسى وعلي بن موسى ، وترك الحاج ادريس خمسة اولاد ، واما عبد الله بن محمد المذكور آنفا مع اخيه محمد ــ فتحا ــ فقد مات وترك سيدى محمدا ، واليزيد ، وسيدى محمدا ــ فتحا ــ فاما محمد بن عبد الله ، فقد ترك مولاى الهاشمي ، واليزيد ومحمد ــ فتحا ــ المذكور ان كانا فقيهين ، ولم يعقبا احدا ، ومولاى الهاشمي اعقب اربعة اولاد اثنان منهما فقيهان ، سيدى بكريم ، وسيدى عبد الرحمان ، والآخران مولاى عابد لم يترك عقبا ، ومولاى محمد ، لا يزال في قيد الحياة ، وولده سيدى مولاى عبد الله ، هو المشهور بمولاى عابد في البيضاء ، وسيرة هؤلاء السادات كلهم : العلم والتجارة ، وعادتهم ترك الامور الخبيثة ، والاشتغال بما يعني ، وترك ما لا يعني ، والهروب الى النجاة ، وهم في الايام التي اشتغل الناس بما لا يليق من اكل اموال الناس بالباطل في ناحية ، لا يسألهم احد عن شيء ، ولا يسألون الناس ، ولا يطمعون في اموال احد والحمد لله .

(هذا ما كتب به الى رئيس اسرتنا المذكور باختصار .) ثم زاد المترجم يقول :

واما انا فولدت بتافراوت ، بقرية (أكرض أوضاض) سنة : 1925 م. من ابوين الام : من قرية (دويملالن) من قبيلة (ايت سمايون) وسكان هذه القرية مرابطون اولاد الولي يحيا بن عبد الله . ووالدهما قضى جل ايامه مقرئا للقرآن في مساجد قرى هذه الناحية ، واسم الام فاطمة بنت الحاج موسى .

والاب هو محمد بن الهاشم بن محمد بن عبد الله بن محمد القادم من (تافيلالت) وكانت مهمة الاب التجارة والفلاحة ، يتجر في اسواق القبيلة متنقلا بسلعة على بغلته ، وفي ايام غير السوق كان يشتغل بضيعته الصغيرة التي يهوى العمل فيها دائما بيديه .

وعائلتنا متدينة ، فقد كان ابي منذ عقلت من اتباع الطريقة الدرقاوية ، بل من الدعاة اليها ، فاتباعها من قبائل (ادا وزكرى) وما اليها يقصدون منزلنا عندما يتوجهون الى موسمهم في (الغ) وقد اتبع اباه وامه في ذلك ، فقد رايت في طفولتي نساء (ادا وزكرى) ينزلن في دار جدي عندما يتوجهن بدورهن لزيارة الموسم الالغي .

لقد كان لابي اصدقاء كثيرون من مقدمي هذه الطريقة ، منهم السيد مولاى الحسن التازاروالتي ، والسيد عمر الدويملالني ، والسيد محمد بن عبد الله الايديكل . وكانوا ــ والحق يقال ــ قد افادوا ابي من الناحية الفقهية ، وقصص الانبياء ، وتاريخ الصحابة ، فهو بالرغم من كونه فوق الامية بقليل على بينة مما ذكر .

وحوالي : 1930 م. دخلت الكتاب القرآني بمسجد القرية عند السيد عبد الله التنكي ، ثم بعد قليل عند السيد محمد التونلي الامسنالي ، فتابعت الى ان وصلت حزب (اقترب للناس حسابهم) . وحوالي : 1933 م. انقطعت عن القراءة ، فسافرت للدار البيضاء ، طمعا من أبوي في ان اكون تاجرا في المدينة ، كما هي العادة السائدة في القرية وفي القبيلة ، فقد كان سكانها يتباهون بارسال ابنائهم قبل العاشرة ليتعلموا التجارة في المدينة ، ويتدربوا على المكيال والميزان ، وكنا نحن الاطفال نسمع من اترابنا القادمين من المدينة، اشياء سارة عن التجارة في المدينة .

مكثت في البيضاء ستة أشهر ، بحانوت بقال من اولاد عمي ، لكن جو البيضاء لم يوافقني ، فقد كنت مريضا في جل الاوقات ، الامر الذي عجل برجوعي لمسقط رأسي ، وبعد رجوعي بشهر ، دخلت مسجد القرية ، اتابع حفظ القرآن ، فكنت اشعر بميل زائد الى حفة القرآن ، وكان المشارط بالمسجد ، وهو السيد ابو القاسم المنصوري صديقا حميما لوالدي قبل ان يشارط في القرية ، وهو من الطلبة الحافظين للقرآن حفظا متقنا ، ولقد كان يعنى بتلاميذه اعتناء فائقا ، فلم يمض على وجوده بالمسجد كثير ، حتى تهيات نخبة من التلاميذ للتخرج على يديه في حفظ القرآن ، وكنت انا في طليعتهم ، بيد انه لم يطل مقامه بالقرية أكثر من ثلاث سنين ، فقد فاجاه مرض توفي على اثره رحمه الله وارضاه .

جاء بعده لمسجد القرية السيد الحسن (1) بن احمد السملالي من (تيمكيدشت) وقد كان تفقه على ابيه الذي شارط بمدرسة (افيلال) بقبيلة ايت منصور فكان يميل الى مطالعة الكتب العلمية ومذاكرة العوام وافادتهم ، الامر الذي جعل حفظ القرآن قد طرا عليه بعض الفتور بالقرية .

---

(1) هذا هو القاضي الان في هشتوكة بعد الاستقلال. ويذكر بين أهله التاغاتيين الرسموكيين في (القسم الخامس) ان شاء الله .

فكر والدى فى هذه الاثناء ان يرسلنى الى مدرسة (ايكفى) لاتمم فيها حفظ القرآن ، وفعلا نفذ فكرته ، فاكترى لى جملا وحمارا من القافلة التى تاتى من قبائل (ادا وباعقيل) لسوق اربعاء (تافراوت) .

سافرت عشية الاربعاء صحبة هذه القافلة ، مجهزا بالزاد وبـلوحين لحفظ القرآن . فسرينا ليلا ، ولم نسترح الا قليلا بسوق الاحد فى (تاهالا) ، ثم تابعنا السير الى ان وصلنا الى مدرسة (ايكفى) قـرب الزوال من يـوم الخميس .

لما شاهدت المدرسة من بعيد تأثرت ، ولم اشعر بالاطمئنان ولا بالالفة، بل احسست بقدمى تتراجعان الى الوراء ، بالرغم من ان فقيه المدرسة وعالمها من قبيلتنا أعرفه قبلا ويعرفنى ، وهو السيد محمد بن عمر (الايغيرى) من قرية (ايغير نتاركانت) بتافراوت .

ظللت بالمدرسة يوم الخميس وبت فيها ، وفى الصباح المبكر من يوم الجمعة صممت على الرجوع بعدما اجتهد الاستاذ ان يثنى عزمى ، وان يزين لى فوائد المدرسة ، والغربة لطلب العلم ، لكنى رجعت فسرت فى طريـقى راجلا ، ووصلت القرية عصر اليوم نفسه ، فتابعت فى المسجد الى ان عين الفقيه السيد الحسن لمدرسة (تافراوت) لاتمم عنده حفظ القرآن ، فقد رغبت بدورى فى الالتحاق بالمدرسة ، وشعرت بان اترابى من التلاميذ قد سافروا الى المدن ، ولم يبق معى من فى سنى ولا من يقرب منه فى المكتب .

بقيت فى المدرسة احفظ القرآن نحوا من ستة اشهر ، ثم ابتدأت فى قراءة الدروس الاولية من نحوية وفقهية ، لكن جو مدرسة (تافراوت) لم يشجعنى ، ولم يوح بالاغراء والمنافسة العلمية ، لقلة طلبتها اولا ، ولكون العوام يلهون الفقيه بالزيارات الغير القانونية .

فى هذه الاثناء سمعت من اوساط الطلبـة وغيرهم عن مدرسة (فـم أكشتيم) سمعتهم يتحدثون عن نشـاط طلبتها وعن اجتهادهم ، فقررت التحول اليها ، ومشاركة طلبتها فى هذا الجـو ، فاستأذنت الفقيه سيدى الحسن وطلبت منه ان يدعو معى بالتوفيق ، فابدى امتعاضا بل اعتراضا فى اول الامر ، لكنه بعد ايام سمح لى بالانتقال ، وزودنى بادعيته الصالحة .

انتقلت الى مدرسة (فم اكشتيم) حوالى : 1941 م. فوجدتها كما يقول الشاعر (قد صدق الخبر الخبر (1)) بل هى احسن مما كنت أتخيل فعشت فيها مع نخبـة من الطلبة همهم الوحيد هو الدراسة من حفـظ للمتون ، ومطالعة للكتب الادبية والتاريخية والفقهية والنحوية واللغوية .

---

(1) قال المتنبي: واستكبر الاخبار قبل لقائكم فلما التقينا صدق الخبر الخبر

اما فقيهها السيد احمد التازولتى اليزيدى فقد كان مثالا للتضحية فى سبيل تثقيفنا وتعليمنا ، ولم تكن هوايتـه الا فى الدراسة والبحـث والمذاكرة ، وتراه فى العطل الاسبوعية يعتكف على مطالعة الكتب ، وخصوصا كتب الادب ، فقد كان شاعرا ولغويا بكل معنى الكلمة ، وكان يكلفنا بنظم ابيات من الشعر فى كل عطلة اسبوعية ، فيطالع كل واحد منا ، ويحفظ ، لم يشعر ، وينظم ، عله ياتى بقصيدة من الشعر تحـوز قصب السبق ، وكنت من الذين يشعرون ويتقدمون فى نظم الشعر ، وكانت لى قصـائد نظمتها فى ذلك الوقت ، ومع الاسف قد ضاع منى جميعها ، لعدم اعتنائى بالتسجيل ، او لعدم تدربى عليه .

فى هذه الاثناء فى سنة : 1362 هـ. اطلعنا الاستاذ فى حلقة دروسه على بحث ابداه المجاهد الكبير العلامة محمد المختار السوسى وهو : (هـل يوجد لقتل تارك الصلاة عمدا فى الوقت حـدا من دليل) كما اطلعنـا على (كتاب الشيخ الجليـل فى البحث هل يوجد لقتل تـارك الصلاة حـدا من دليل) كما اطلعنا الاستاذ على رده على جواب الاستاذ المختار السوسى الذى سماه (التاج والاكليل) .

لقد سار هذا البحث الذى جرى بين هؤلاء الاجلة الاعلام ، سير المثل فى أصقاع سوس ، فكنت لا تلتقى بطالب من الطلبة الا ويسألك عن البحث ومن الجواب الامر الذى جعل سوق العلم نافقة بعد كسادها ، ومشتهرة بعد خمولهـا .

وفى مايه : 1944 م. غادرت مدرسة (فم اكشتيم) بقصد التوجه الى (فاس) لاتمام دراستى بها ، فتوجهت اولا الى (زطاط) حيث كان اخى يتجر فى متجر بطريق اولاد سعيد ، ومكثت معه مدة ثلاثة شهور ، كنت احضر فيها الدروس التفسيرية التى يلقيها القاضى بوعشرين بالمسجد الكبير ، كما كنت احضر الدروس الفقهية التى يلقيها الفقيه بركاش ، فى نفس المسجد .

بيد ان اخى لم يكن بمستطاعه ان يقدم لى اعانة مدرسية ، نظرا لكونه لم ناجح فى التجارة ، الامر الذى جعلنى اسافر للدار البيضاء ، فنزلت عند اخوالى ، وكان اكبرهم سنا الحاج محمد من اتباع الطريقة التيجانية ، ومن المقربين الى الحاج الحسن الباعقيلى ، اكبر مقدمى هذه الطريقة فى البيضاء .

بذل هذا الخال جهوده ليجمعنى بشيخه الذى سيحل مشكلتى المادية كما يقول ، نظرا لما له من نفوذ على اكثر الاغنياء السوسيين ، ونظرا لكون حفلة غداء ، استدعى اليها الشيخ الحاج الحسن ، وبعض اصحابه المقربين ، فقدمنى الخال الى الشيخ ، وعرفتـه بمقصودى ، فطلب منى ان ازوره فى منزله ، ووعدنى خيرا ، زرته بمنزله فى (درب غلف) فاقترح على ان ابقى مع اصحابه ، أعلم اطفالهم القرآن ، نظرا لكون مقرئهم قد قـدم استقالته

قريبا ، ريثما يفكر ويتشاور معهم في قضية الاعانة المدرسية التي سيقدمونها الى ، وريثما يجدون المقرئ الجديد لتعليم اطفالهم .

وافقت الشيخ على اقتراحه شاكرا له عنايته ، فمدحته بقصيدة شعرية ، لم يبق منها الا بيت واحد ، وجدته في رسالة لشيخنا أحمد اليزيدى ، ينتقدني في خصوص البيت ، وهو :

انت رب الزواوى والكتب الزهر   سنـــاء والحســن كالهـالات

قال الاستاذ منتقدا : فلم ادر ما المقصود بالزواوى ، فان كان المقصود جمع زاوية وهو الذى اظن ، فينشد البيت هكذا : (انت رب الزوايا) (على ان وزنه ساقط) بعد انتقادات اخرى كما علم من قول (الخلاصة) : (وافتح ورد الهمز يا فيما اعل + لاما) .

وكنت في اثناء هذا احضر دروسا فقهية واصولية عند الاستاذ العباس السباعى العدل بالمحكمة الشرعية ، بدرب السلطان ، كما كنت احضر دروسا ادبية عند القاضي الزمورى قاضي المحكمة ، الذى كان قاضيا بمدينة (ابن احمد) باحواز البيضاء قبل اليوم ، ولما عين بالبيضاء مدحته بقصيدة لم يبق عندي منها الا بيت واحد وجدته ايضا في الرسالة المذكورة لشيخنا ، ونص البيت :

قدمت وما في الشك موت لظالم   وقهر لمظلوم وذكرى لمن عـــزوا

وقد انتقده الشيخ قائلا : هكذا كتبت ، اما قولك : وفي الشك موت لظالم ، فقد علمت ان قلمك طغا (واردت ان تكتب : ومـــا في المـــوت شك لظالم ، فكتبت هذا ، والخطب سهل ، واما قولك وذكرى لمن عزوا ، فقد انقلبت فيه السماء ارضا ، والارض سماء ، اذ القافية رائية ، وقــد استنوق الجمل ، وصارت النعجة حملا ، وانما ذاكرتك في هذه الكلمة لتستدركها قبل ان تسير القصيدة في الدنيا سير المثل ، اللهم الا ان يكون اجازة بالزاء او بالراء ، وهو الاحسن والاصوب (كتدور - وتجيب) وانظر القوافي من الحمدونية او غيرها ، وبعد كتبي هذا تـــأملته فبان لي انـــه يمكن كتـــابته : غـــروا ، من الغرور ، ولعله هكذا ، فاجبني عن كل ذلك حرفا حرفا . انتهى كلام الاستاذ .

مكثت عند الحاج الحسن واصحابه مدة شهرين ، وكنت انتظر بفارغ الصبر الوفاء بالوعد الذى اعطى لي ، خصوصا والرسائل تاتي الى من ابي ، ومن الاستاذ التازوتني تستنكر هذا التباطـــؤ ، وهذا الاحجـــام عن اتمـــام الدراسة ، لهذا استلفت نظر الخال الى مشكلتي ، فحولها بدوره الى الحاج الحسن ، فارسل الى هذا ولاخي ، فنصحني بان متابعة القراءة بفاس يحتاج الى مال لا يستهان به ، وضرب لي مثلا باولاده الذين يتابعون هناك ، كم ينفق عليهم ، فاتفق معي اخيرا على ان اذهب الى منزله كل يوم خميس ويوم جمعة ليتدارس معي اصول الفقه ، وتفسير القرآن والحديث ، وقال : اتعجب ممن

عطشى عطشا شديدا ، والمعين العذب بجواره ، فتاثرت بكلامه ، وصممت العزم على متابعة ما امكن لي عنده ، فذهبت لمنزله مرة او مرتين ، وامليت على بعض الدروس ، لكنه لم يستطع الاستمرار ، نظرا لكثرة اشغاله ، ولكثرة زواره ، الامر الذى جعلني انقطع عنه .

بعد مرور مـــا يزيد على ستة اشهر على حالتي هذه ، التقيت بالسيد الفقيه الحاج ابراهيم التافراوتي ، بقرية (اميان) التقيت به في مادبة عشاء اقامها احد اصحاب الحاج الحسن ، وكان الحاج ابراهيم هذا يمدني بالكتب الدراسية عندما كنت في (فم اكشتيم) وكان دائما يزودني بنصائح غالية ، ويرشدني في حياتي المدرسية ، لهذا اشفق على كعادته ، ورق قلبه لحالي ، فقرر بعد انتهاء مادبة العشاء أن يبيت معي في المدرسة القرآنية التي اسكنها ، فقصصت عليه قصتي من الفها الى يائها ، فتاثر وطلب مني في الحـــال ان اكتب رسالة الى السيد الحاج عابد التافراوتي ، شارحا له فيها رغبتي في اتمام الدراسة ، والتماسي منه ان يمدني باعانة مادية ، ووعدني بانه سيحمل الرسالة اليه شخصيا ، فوافق الحاج عابد على مساعدتي بما يستطيع ، وهنا لا اريد ان اذكر ما فعله الشيخ المذكور وصحبه ، ولا أريد أن اذكر بالتفصيل ما قاموا به من مناورات وتشكيكات في صحة نوايا الحاج عابد الاحسانية ، لقد اقتنعت أنا بوعد الحاج عابد ، وتنفست الصعداء ، فقدمت فورا استقالتي لهؤلاء السادة ، ولسان حالي ينشد :

ولم اجد الانسان الا ابن نفسه   فمن كان أرقى همة كان اكبرا
فلم يتاخــر من اراد تقــدمـــا   ولم يتـــقـــدم من اراد تاخـــرا

فتوجهت الى فـــاس على بركة الله في سنة : 1946 م. فانخرطت في سلك النظام ، واجرى لي امتحان ، فالتحقت بالثالثة من القسم الثانوى ، وقطنت بمدرسة (الشراطين) (رقم 44) وفي آخر السنة الدراسية بينما نحن نستعد للامتحان ، اذا بجلالة الملك عين الاستاذ محمدا الفاسي مديـــرا للقرويـــين ، فعطل الامتحان في هذه السنة ، نظرا لعدم تمكنه من ضبط ســـير الامور بالادارة ، فكررنا هذه السنة ، وفي السنة الاولى من القسم النهائي ، كررنا السنة ايضا ، نظـــرا لنزاع الطلبة مع الادارة حـــول المقروء والمقـــرر من الدروس ، وفي : 53 ـــ 54 تابعنا في القسم التخريجي ، وكانت درجـــة الحرارة السياسية بلغت منتهاها ، وامتاز كل شيء ، ووضح النهار ، ولم يعد اكثر الحديث حتى في وسط الدروس الا في السياسة : في الاخلاص والخيـــانة والفداء والاغتيال والمسدس ، وفي جزيرة (كورسيكا) وجزيرة (مادغا سكار) ، وعندما قرب موسم الامتحان ، كابدنا وتكلفنا فطالعنا ، وسهرنا الليالي مستعدين للتخرج ، لكن فوجئنا في آخـــر يوم بمناشير معلقة في القروين ، وفي المدارس تنذر لجنة الامتحان والاساتذة والطلبة باغتيال كل من شارك في هذا الامتحان ، فسقط في ايدينا ، ونحن في

امرنا ، هل نقدم ام نحجم ، لكن احدا لم يستطع ان يغامر بحياته بل بشرفه في سبيل هذا الامتحان حتى لو تحقق فيه النجاح .

اختار اكثرنا العودة الى بلادهم ، واخترت انا البقاء بفاس ، وفكرت في ان افضل وسيلة اهدىء بها اعصابي : هي الاشتغال باعمال جسمانية لا تقتضي تفكيرا فاشتغلت في متجر بعض الاصدقاء بالتجارة ، كما اشتغل في بعض الساعات بتعلم سوق السيارة ، فتسليت قليلا ، وفي الشهر الاخير من العطلة سافرت الى الدار البيضاء ، ولم افكر في ان الامتحان سيقع في اكتوبر ، بل أيست منه ، حتى متابعة القراءة فاني اشك فيها ، نظرا لجو السياسة المكفهر ، لذا كانت دهشتي شديدة لما اطلعت بواسطة الصحف ان الامتحان سيقع في اكتوبر ، فترددت ، غير انني في الاخير عزمت على الاقدام ، فكان التوفيق حليفي ولله الحمد .

غادرت فاسا نهائيا في وسط شهر نوفمبر 1954 م. واستقررت بالبيضاء ، فكنت اتامل في المهن التي توافقني ، فوجدتني اميل الى التعليم ، فكتبت الى بعض المدارس اخرة لاتابع فيها ، ريثما يتاتى لي صدق الحلم الذى طالما كان يداعبني في ايام دراستي ، الا وهو القيام بمدرسة أشرف عليها بنفسي ، لكنني لم اتلق جوابا من المدارس التي كتبت اليها ، فصممت العزم على البحث على بناية اجعلها مدرسة وكنت قد اتفقت مع السيد الحاج عابد على ذلك وقد وعدني بمد يد المساعدة من حيث المادة ، فتشجعت وصرت ابحث بنفسي عن البناية الى ان عثرت على المنزل الذى كان يقيم فيه المجاهد الكبير العلامة : محمد المختار السوسي ، فاستبشرت خيرا وتفاءلت كثيرا بهذا المنزل .

استانفت الدراسة فيه في 11 ابريل 1955 م. بعد ان قدمت الطلب مكتوبا الى ما يسمى في ذلك العهد بالصدارة العظمى ، لكن المراقب الفرنسي ، لم يرقه هذا العمل ، فارسل الى فأمرني في الحين باغلاق المدرسة او السجن ، في لهجة وحشية ، بعد ان بقيت انتظر امام مكتبه اكثر من أربع ساعات ، وهو ياخذ على كوني لم اقدم الطلب على يديه قبل الشروع في العمل ، فسعيت مرة اخرى وقدمت له الطلب مكتوبا بالفرنسية ، كما قدمت له البرنامج الدراسي ، غير انه شدد على الخناق مرة اخرى ، وامرني باغلاق المدرسة الى أن أحصل على الرخصة القانونية ، بيد أنني تجرأت وفتحت أبواب المدرسة ، ويظهر أنه قد تخففت حدته بكثرة الحوادث الفدائية في كل يوم .

جاء الاستقلال ونالت المدرسة الرخصة في : 30 — 4 — 1957 م. كجواب على الطلب المقدم للمراقب المذكور ، وفي آخر هذه السنة نفسها ، توصلت من الوزارة بوجوب نقل المدرسة الى مكان صالح متوفر على الضوء والهواء والاتساع ، اى بوجوب تشييد مدرسة جديرة بهذا الاسم .

سعيت لتشييد هذه المدرسة الجديدة ، فاتصلت اولا بالتاجر السيد عبد الله موعامه ، فابدى استعداده الكامل بان يساهم بقطعة ارض هي حديقة منزله الواسعة الفسيحة ، وفعلا نفذ ذلك ، فدفعنا التصميم للبلدية ، ثم اتصلت بالسيد الحسن الراجي التاجر ، وبابراهيم بن الحاج التاجر ، فاستحسنا المشروع ، ثم اتفقا على عقد اجتماع نستدعى له بعض التجار السوسيين بالبيضاء ، فكان الاجتماع بدار الحسن المذكور ، واجتمع عدد مهم من هؤلاء ، كلهم ساهم بما يستطيع ، فكونا لجنة مركبة مما يلي :

الرئيس : مولاى عبد الله ، والخليفة الاول : الحسن الراجي ، والخليفة الثاني عبد الله موعامه ، وامين المال : مولاى عابدو ، وخليفته : محمد الصاحب ، والكاتب : مبارك بن عبد الرحمن ، والمستشاران : ابراهيم الحاج واحمد بساكو ، ومحمد أضراب ، غير ان اكثر المساهمين اقترحوا استبدال الارض المذكورة لبعدها وقلتها ، فوافقنا جميعا على اقتراحهم ، ووافق ايضا عبد الله موعامه على ذلك ، فكلفت اللجنة السادة ابراهيم بن الحاج ، والحسن الراجي ، وعبد الله موعامه ، بشراء الارض كما كلفت الباقين بجمع الدراهم من المساهمين .

بدأ كل يقوم بما كلف به ، غير انه لوحظ مع الاسف فتور ، بل سوء تفاهم او سوء نية بين المكلفين بشراء الارض ، فتثاقل كل واحد منهم ، فبذلت الجهود لاصلاح امرهم ، فجمعتهم ثم جمعتهم ثم جمعتهم الى ان وقعوا طلب البيع من شركة اجنبية ، وقدموا لها مليون فرنك عربونا على شراء 2600 متر بثمن 2500 فرنك للمتر .

طالبتهم الشركة باداء ما تبقى من ثمن الارض ، فكان كل واحد منهم يرد المسؤولية على الآخر ، ومكثت الشركة تطالبهم بالوسائل السلمية ، ما يزيد على سبعة أشهر ، وأخيرا كتبت لهم رسائل مضمنة ، تهددهم فيها برفع القضية الى المحاكم المختصة اذا لم يؤدوا ثمن ما وقعته ايديهم في اجل مسمى .

لما تسلموا الرسائل انطلقوا فزعين يتساءلون عن قضية المدرسة ، ويطالبون بالاجتماع لفض المشكل ، فاجتمعت اللجنة مع عدد آخر من المساهمين ، فكنا نتداول في الموضوع ، فوجدنا أن المشكل هو ان اكثر المساهمين لم يدفعوا سهامهم ، وفي مقدمة هؤلاء أكثر اعضاء اللجنة نفسها ، والماخوذ من السهام ، لا يتجاوز أربعة ملايين من الفرنكات ، بينما ثمن الارض يتطلب ما يقرب من ثمانية ملايين .

بعد اخذ ورد ، وبعد جدال عنيف صاخب اتفقوا على ان يطلب من الشركة اسقاط الف متر ، فيبقى : (1600) متر . ويدفع الماخوذ من السهام مقابل تلك الارض ، فقبلت الشركة ذلك . وبهذه الصفة طوينا صفحة من

صفحات قصة هذه المدرسة ، وانتظرنا ان تسوى عقود البيع ، لنشرع في البناء بما يتجمع من سهام الذين لم يؤدوا بعد ، انتظرنا وطال انتظارنا ، فلم أر أحدا يفكر في الموضوع ، ورايت أنني سابقى اعواما اخرى ان اتكلت على معاونة هؤلاء ، فعولت على الله ، واتخذت الاسباب لأشرع في البناء ، ولسان حالي ينشد :

مـا حك جلدك مثل ظفـرك   فـتـول انت جميـع امـرك

انتهى ما كتبه الى مولاي عابد ، وهذا تسجيل جهود فرد من اساتذة سوس طوال حياته والقضية كافية في تسجيل مشاركة السوسيين في تشييد المدارس الحديثة ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

ولده محمد

اخذ القرآن عن الاستاذ سيدي علي بن همو ، في مسجد من مساجد ايغشان — وقد تقدم ذكر هذا الاستاذ في (القسم الثاني) — ثم لازم والده سنوات في مدارس شتى ، فهذبه وشذبه ، وحصلت له علوم لا باس بها ، الا انه لم يستتم هلاله نوره ليكون بدرا ، وهو اليوم في محكمة شرعية في جزولة : 1379 هـ. وهو نجيب مربالفنون ، وهو جديـر ان يكون ابن ابيه ان اقبل على المطالعة .

وفاة المترجم

هكذا تقوم الساعة بغتة ، فقد كنت في (الغ) وسمعت بالاستاذ التحق ببلده مريضا ، ثم دهمنا نعي ذلك الاخ : الاستاذ ابي العباس اليزيدي ، السبوح بين أمواج التعليم ، فلا تسل عما وقع في (الغ) من التأسف على ضياع ذلك العلق النفيس ، وخراب دعامة جزولية من الدعائم العظمى التي تدعم العلوم العربية في جزولة ، فلله ما اعطى وله مـا اخذ . رحمه الله رحمة واسعة .

مراثيه

بين يدي الآن من المراثي التي وصلت الي شيء كثير ، نختار منه مـا يوافق أو يقارب .

منها ما قاله شاعر الجنوب على الاطلاق الشاعر المفلق المفوه : محمد ابن عبد الله العثماني تحت هذا العنوان «ثكلتك البلاد» :

حادث مفـرد كما انت مفـرد   ان تـنـادي للمعضلات فتفقد
هكذا تنقضي الحيـاة وتمضي   كل نفس يـا احمد بـن محمد
هذه الغاية التي ليس يجـدي   مدركيهـا شيئـا رقـاة وعـود
يعجـز العقل والحكيم لديهـا   ويحـار الطبيب فيهـا ويجهـد
انما المـوت طلسم ليس يبـدي   سره بـحـث فيلسوف مـؤيـد
بينما المرء في الثرى يتهـادى   اذ بـه فـوق آلـة يتـأود
لا تـنـس فهي مـركـب لـغـني   وفـقـير عـاف وشيـخ وامـرد
يـا لهـا من مـطـيـة كل حي   ساعـة فـوق ظهرهـا يتمـدد
حملت للبـلى قرونـا فامسـوا   في شـقـاء أو في نعيم مـؤبـد
ولـد هـم للشـيـخ آدم لكـن   ذاك نـسـي وذا حديـث مـردد
يذهب العبقـري كالرسم أبـقى   بعد محو في الذهن مـا لا يعدد
ينقضي ذلك الرفـات ويـبـقى   كـذوى العبـاب ذكـر مخلـد
انمـا الجسم مظهـر لصـفـات   ان مضى الجسم عمرها ليس ينفد
فتامل مرامس الشرق والـغـر   ب ومن حل في مقابر (غرقد) (1)
من هـداة ومن مـلوك عـظـام   كلهـم من جـلاله كـاد يعبـد
هرم الدهر بعدهم وصفا الكـو   ن وآثـارهـم بـه تـتـجـدد
وكذا انت خالد يـا ابـا العبـاس تطـرى في الخالدين وتحمد
همـة تقهـر الصعـاب وتمـضي   في جليل الامـور فوق المهـنـد
لك شـادت من السيادة صرحـا   هو خـير من صرح طـين مشيد
ان تغادر في الناس ذكرا حميدا   فستلـقى هنـاك من ذلك احمد
عشت فينا نفـوز منك زمـانا   بسعيـد فعش هنـالك أسعـد
ان في الموت راحـة ليس يدري   طعمها غير من يرى الامـر ابعد
يجـزع الجاهـلون منه ، فبـين   لهـم ان الـذل أنـكى وانـكد
الم المـوت ليس يـبـقى وأمـا   الم الـذل فهـو بـاق مـؤبـد
لا تطـيـب الحـيـاة الا بـعـز   فاذا لم يكن فيا طيب ملحد (2)
نم كما شئت ملء جفنك واترك   امـة تحت من عـتـا وتـمـرد
لـو اراد السجود منهم لقـالوا   خافضين الرؤوس (ايـاك نعبد)
جـاوز الامـر منتـهـاه ولكـن   عالم الغيب والشهادة يشهد (3)
ثكلتك البـلاد والـعـلم والاخـلاق والعـزم كالحسام المجرد
حين اخنى عليك ريـب المنـايا   شارك الحامديك في الحزن حسد
اقصدتـك السهـام منهـا وكل   غرض الموت دائما سوف يقصد (4)

(1) بقيع غرقد : مقبرة المدينة المنورة .

(2) قال المتنبي :

عش عزيزا أو مت وانت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود

(3) وصف دقيق لما يقاسي تحت كلاكل الاحتلال .

(4) اقصد السهم : اذا اصاب الهدف .

اقصدت منك امة واغاضت ... منك بحرا طما علوما وازبد

وملاذا يلجا اليه ونجما ... نيرا في حوالك الجهل يرصد

ينشر العلم والشمائل في النا ... س ويعلي منار مجد وسؤدد

غبت عنا وأنت فينا المرجى ... لامور تعيي جليدا تأيد

لدروس وحل عقد عويص ... وبيان له يقام ويقعد

أكفى الناس منك ستون حولا ... وهي في الدهر عسجد وزبرجد

أنت لو عشت بينهم عمر (نوح) ... لدعوا بعده بعمر ممدد

ولمن انت تارك معهدار ... ق له من مصابه كل معهد

وتلاميذ نرتجي أن يكونوا ... في وغى الجهل فوق جند مجند

كل باك عليك ذو كبد حرى وذو زفرة كجمر توقد

طائر عقله من الحزن عان ... بين قلب صلب وجفن مسهد

أسف كالثكلى فلو كنت تفدى ... بنفوس لكان بالنفس أجود

قم تر اليوم منظرا كله من ... التياع وأهة وتنهد

والمآقي على الخدود جوار ... والحشاشات في الحشا تتردد

مأتم ليس فيه الا كئيب ... في حشاه أسى يرد فيصعد

أو شج لم يطق لذلك ردا ... يرسل النوح من قوافي شرد

ما الذي ترتضيه منى اذا أفرغ كل ما يستطيع وازيد

كنت تطرى شعرى وكنت تراه ... أنفس المنطق الذي ليس يجحد (1)

اكفاني اذا أحليك منه ... بنفيس يزرى بعقد منضد

هاك منه فما لدى سواه ... انه في ملائك الخلد ينشد

وقال بعض تلاميذه ممن لا نعرفه :

يا نفس ذوبي قد دهاك مصاب ... تهوى الجبال لوقعه وتذاب

وتميد اكناف السماوات العلا ... والمشرقات السابحات غضاب

وتعود اذ ما حل أيام لنا ... بيض وهن حوالك قطاب

وأغص للنعمان حادثه الذي ... قرت به بين الحشا أو صاب

والارض مظلمة الجوانب أصبحت ... مغبرة الارجاء وهي يباب

مشؤومة لاخير فيها يرتجى ... ما ان لها غير الدجا خطاب

أسفا عليك ابا المكارم والعلا ... فعليك يبكى حسد وصحاب

لما نعيت الى البلاد منيرها ... هاموا وسدت دونهم أبواب

ملئت عليك مآتما اذ حلها ... لما رحلت مناظر نصاب

عز العزاء وساء ما عم الورى ... مما يهول وعى عنه خطاب

(1) حقا انك أيها العثماني لشاعر الجنوب، ومن لم يقر لك بذلك فاما للجهل بما تقول، واما للحسد.

خلفت كل مؤبن ومرقرق ... للعبرة الحرى لها تسكاب

صل السمير برزئه وبحزنه ... احشاء كل مغلف فتذاب

يملي عليك من المراثي آية ... كبرى ترددها لك الاحقاب

ويهون اما تتل بين محافل ... غصت من الادباء منك مصاب

من كل مطبوع يجود بسحره ... شعرا أرق كما يجود سحاب

شعر ينال من الشغوف مكانة ... وتخر ساجدة له الالباب

نوحوا عليه فلا تعازى انما ... منه التعازى جفوة ومعاب

عار علينا أن يدس ولم ينح ... نوحا احباء له نحاب

وهو الذي احيا بلاد جزولة ... بعلومه وله بها أنجاب

اعلامها يروون عنه مآثرا ... غرا وعززها لهم أعقاب

أنباؤها متواترات لم تهن ... قرنا الى قرن لها الاسباب

ايموت بغتتا مثل احمد عالم ... دانت له في العالمين رقاب ؟

ومدرس قد طار صيت علومه ... شدت لاخذ فنونها اقتاب

وغيور قوم نكبت وثباته ... يوم الحفائظ ضراغم وثاب

فتخرج الافواج عنه جهابذا ... وتلوذ افواج به طلاب

فتم عن قرب بحسن طوية ... للراحلين لبابه الاراب

تستيقن الامال أن سيكون من ... أصحابه العلماء والاقطاب

يقفون آثارا له حسنى كفى ... منها على تثقيفنا اكباب

❀ ❀ ❀

أما اليقين فقد أتاك وان تعش ... دهرا يوافك أمره المنتاب

ما من وسائل للخلود فهل يرى ... نجم يخصه بالخلود كتاب

والحق جاءك يا نزيل على الذي ... كرمت لديه اذا أتت احباب

قد كنت اوتيت المواهب التي ... لم يحصها قلم ولا حساب

❀ ❀ ❀

لهفي عليك أبا المحاسن قد مضى ... منك الذكا والعالم الأواب

ومعلم كشف المعمى فهمه ... يجلو العويص وما عليه نقاب

ذو همة شماء عن دنس السفا ... سف دون ماواها العلي عقاب

علمت مبتغيا به رب الورى ... وهديت من لولا هداك لخابوا

في العلم والتعليم عمرك قد مضى ... لله عمر فيهما دءاب

عهد طوالع نجمه ميمونة ... قد بشرتنا بالمنى مخصاب
متدانيات للجناة قطوفه ... شهد مشاربه الزلال عباب
عهد به ريب الزمان مسالم ... شلت يداه وما له انياب
ما ان لنا مثل اليزيدى المرتقي ... العالم الندب الرضا رآب
من فتية قرأوا العلوم فاحرزوا ... خصل السباق كهولهم وشباب
لم لا تميد له العوالم او تزو ... ل الراسيات ورزءه ارهاب

الى ان قال :

هذبت اخلاقا فنعم اديبها ... فالانها التهذيب والآداب
يبكيك سوس والبلاد جميعها ... تبكيك اغوار بها وهضاب
يرثيك سوس والحواضر كلها ... فتبارت الشعراء والكتاب

ويظهر من هذه القصيدة ان قائلها سيكون له شان فى صوغ الشعر ان ثابر على المعاطاة .

❀ ❀ ❀

وقال محمد بن عبد السلام الكرسيفى من تلاميذه ، وممن اخذوا ايضا من الـغ :

رزء عظيم الـم بالمصاب بمن ... قد أعولت فقده الاقلام والكتب
فاهرق الدمع يا جفني فلا أحد ... ينسى بما قد نعاه العلم والادب
فموت سيدنا الاستاذ لو فديت ... تسابقت لفداه العجم والعرب
صبرا فسهم المنايا ما رمت أحدا ... الا ويتبعها أصوات من نحبوا
كيف السرور وشيخنا الامام مضى ... فأعولت بعده الارماح والقضب؟

وقال الاديب الحبيب بن علي الكرسيفي من تلاميذه ـ وهو القاضي في (أنزى) :

كذا عادة الدنيا الدنية تغتدى ... لتشتيت شمل قد أقيم مسدد
وتلبس للاشراف أدرع بؤسها ... وتهبط من فوق السماء فتعتدى
لعمرك ما الدنيا وما شهواتها ... وماذا الذى تشهاه فيها وتجتدى
وما هى الا كالخيال لهائم ... تنبه ثم لم يجد غير مكمد
ولو أنما دنياك تبقي لفضله ... نبيها لأبقت أحمد بن محمد
امامي أبا العباس كنز العفاة من ... نلوذ بجنبيه ان الخطب يقصد
سلاما على هذى الدنية مذ عدمـ ... ـت فيها ابا العباس شما ياسعد(1)
جيوش الاسي أوهت قواى وقرحت ... جفوني وحرقت بأسهم مقصد

(1) كذا .

لقد فضت اعصار المسرات وانقضت ... بفقدان محيى الدين من خير محتد
وشبت لنيران الضلال مجامر ... باطفاء مصباح به المرء يهتدى
فيا لهف نفسي عن ليال بقربه ... تقضت كمحظوظ الجنان المخلد
مضى فمضى أنس الفؤاد فكنت في ... مقيم سهاد منزف القلب مقعد
قضى وفنون العلم ثكل بموته ... أرامل تبكى عنه من كل ما ندى
لقد غادر الصقع الغريب كبلقع ... يبيت غراب البين فيه ويغتدى
جدير لاحداق الخليقة اجراء الد ... موع بهاذا الحادث المتعجلد (1)
به كان ركن الدين قصرا ممردا ... انيقا مشيدا باللجين وعسجد
وكان بنعمى لايطار غرابها ... يتيه كغصن بالحديقة مياد (2)
نزيلا لارباب المعارف والعلا ... مطاف تلاميذ المعارف مجد
له شرف قد عز ادراك شأوه ... ومرتبة قعساء من فوق فرقد
الى أن سقاه الموت كاسا روية ... فبدد شمل عنه لم يتبدد
لقد نصبت فيه المنون شباكها ... فصادت به رغما بشيمة مسلد

❀ ❀ ❀

اقدوتنا قد طبت حيا وميتا ... ونلت مقاما لا يحاول باليد
فصبرا بنيه للذى قد عراكم ... (فتلك سبيل ليس فيها باوحد) (3)

الى آخرها .

وقال الفقيه سيدى الحنفى الجزولى من قصيدة كثر سقطها ، فالتقطنا منها ما ياتى ـ ومطلعها ـ ويذكر الدنيا :

تمنى الناس دابا بالامانى ... وتبنى لا لتحقيق المبانى
وتهدم كل قاعدة وتولى ... موصلها بحرمان الامانى

قال :

نعم في موت ذى الاخلاق رزء ... عظيم جا ، فسد الخافقان
ابى العباس مندوب المعالى ... ومندوب الفصاحة والبيان
تغيب منه نجم العلم فردا ... تشير له الأئمة بالبنان

وقال ايضا بعض تلاميذه ـ ولا استحضر اسمه ـ تائية مطلعها :

الم مصاب هائل بسلاطة ... على قطرنا بعد انبساط وراحة

(1) عجلد الامر : عظم واشتد .

(2) ناعم نضر .

(3) من ابيات للشافعي ، والبيت المقصود :

تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست فيها باوحد

وقال ايضا بعض تلاميذه ، ولا نعرفه كذلك ــ وقد اختصرنا منها ــ :

كل شئ سوى محياك هالك   ربنا والقضاء جار بذلك
كل حى حاس لكاس المنايا   لا محيد ونهجها الكل سالك
كل ماش على الاراضى صغيرا   أو كبيرا فهالك وابن هالك

❀ ❀ ❀

اين رسل الاله من عن علاهم   عجز الكل فى الورى والممالك ؟
أين اصحابهم ومن اقتفوهم   اصطفوا لسلوك تلك المسالك ؟
اين من جار وارتدى ثوب عز   باد ملك وباد من هو مالك ؟
بينما المرء فى حلى الحى زاه   زاهر الوجه اذ غدا فى الهوالك
من تملى بلذة فى حياة   فهو من بعد شرى ذا الموت عالك (1)
من يبالى بالخطب ان جل أوها   ن ونجم الهدى انهوى فى المهالك
شيخنا احمد اليزيدى من تبـ   ـكى الرزايا به الجسام العوارك
بل جميع الورى رثوا وبكوا آ   دابك الغر مع جميل فعالك
قد فقدنا التحقيق والضبط والاتـ   ـقان من بعد ان نعت بهالك
ما راينا من للعكوف على التد   ريس طول الحياة من امثالك
لا ، ولا من له خلال حسان   فى المعالى مولاى مثل خلالك
لا ، ولا من يضئ فى ليل بحث   بدر أفكاره كضوء هلالك
بمثيل لك الزمان كفيل   فاذا ليس كل شهم كمالك (2)
نستقى من بحور علمك قبلا   ونحلى اللسان من در قالك (3)
فمن اليوم نرتجى مزنه فى الجـ   ـدب او نوره باسود حالك ؟
نحن فى حيرة الضباب لدى الما   ء او الحوت فى القفار الهوالك
منذ أنت اختفيت عنا وصير   ت الى ما اقتضى زكا اعمالك
لكن الذكر ان مضى الجسم باق   وعلوم قدمتها لما لك
صرت للخلد فى الجنان بفضل الـ   ـغافر الذنب رافلا من حلالك
بارك الله فى الذى أنت خلفـ   ـت من الاهل والصحاب ومالك

وقال القاضي الجليل سيدى الحاج اسماعيل السكتاني :

سبك القوافى كمسكب الدمع محتوم   غداة فى السوس ركن العلم مهدوم
هو اليزيدى الذى رزئت (سوس) به   فالقلب من عظم ذاك الرزء مكلوم
من ذا يقاوم هذا الرزء مصطبرا   يا سوس إن خميس الصبر مهزوم ؟
من للنتائج من للشعر ينسقه   من للعويص يعن وهو مغيوم ؟
من للتعاليم قد تاهت به زمنا   واليوم من فقده تبكى التعاليم ؟
ناداه ربه للفردوس يسكنه   رحيق شربه فى الفردوس مختوم

(1) الشرى كفلس: الحنظل. عالك: ماضغ.
(2) يعني مالك بن نويرة، وفي المثل: فتى ولا كمالك.
(3) اي قولـك .

وقال الاستاذ مولاى عابد التمل ــ المتقدم بين تلاميذه ــ

قم لاحياء عدة الذكريات   واسكبن ما استطعت من عبرات
واذكرن مادهى بنى شعب سوس   من حواديث غفلة فاجئات
حادثات تتابعت مقذعات   أحدثت فى اكبادنا الفلذات
أعقبت بعدها المدارس فوضى   والتلاميذ فى لظى الحسرات
ذهبت باسائذ العلم والديـ   ـن وسكان تلكم الجدرات
درسوا العلم فى الحياة وربوا   فى الحجور التلميذ كالامهات
شيدوا بالجهود منهم منارا   للعلوم يناطح الشامخات
بينوا الحق نافرين عن الز   يغ وقد ابعدوا عن الهاويات
اقسطوا فى الامور والعيش قصدا   ويسحون بالعطا للعفاة
لهم منة على كل فرد   من بنى جنسهم لدى النازلات
رحم الله منهم كل شهم   عبقرى معاود الحسنات
رغم من كايدوا من الجهل حقدا   تشمئز منهم نفوس الهداة
كانت الناس عنهم فى غناء   لم يؤدوا الحقوق والواجبات
ناكبين عما يقولون ميلا   للهوى والفسوق والترهات
خربوا الدين واستمالوا قلوبا   واجفات كثيرة السيئات
كل قوم منهم سجود لقبر   ميت ربه بقيد الحياة
ينسبون له التصاريف فعلا   وعديدا من الهدى والصفات
نزهوه عن النقائص كالر   ب ويدعى فى النوم واليقظات
فترى من يكيل للآخر الشتـ   ـم مذيعا بافحش اللهجات
باسهم بينهم شديد وما الوعـ   ـظ مفيد سوى لظى الشعلات
كيف ترقى ام كيف تدرى حياة   أمة باسها بشتى الجهات

وقلت انا بدورى على قدر المستطاع :

حياتك لو تدرى الحقائق زور   وآل على مرأى العيون يمور (1)
فمن يعرف الايام لا يستفزه   أساس هباء قد علته قصور
ايفرح بالدنيا ونيل سنائها   وان كان ملكا من لديه شعور ؟
ايقبل عيشا بالخيال وان يكن   له رونق من فى حشاه ضمير ؟
اقفر يباب ليس ينقع غلة   لمن كان فيه : روضة وغدير ؟
هل النوك الا فى امرئ خال انما   عذاب حياة جنة وحرير ؟ (2)
فماذا راى الانسان مذ كان ناشئا   سوى نكد يطفو عليه ثبور
حياة تموج بالبلايا جميعها   اذا ما انقضى شر تلته شرور
فليس بمجد فى الحياة اذا اتت   مصائب ، مال فى اليدين وفير

(1) الال السراب. ويمور. يتحرك بسرعة من جهة الى اخرى رأي العين .
(2) النوك : الحمق .

ولا ريبة في موقف الغم والعنا — عن اصحابها تحميهم فتجير
تساوى اذا صال الزمان بصرفه — ضعيف تفاني جسمه ، وقدير
بماذا يسر المرء والهم لم يزل — على القلب آناء الحياة يثور
أعد نظرا هل شمت قط سويعة — تخطاك فيها للهموم نذير ؟
أما زلت منذ تدري الحياة مولها — بما قد حجوت اللب وهو قشور ؟
تفتش ما بين الاسى عن مسرة — تدوم ، متى يا قوم دام سرور ؟
حياتك هذى فالدياجي محيطة — فهل شمت برقا في الحياة ينير؟
تلون كالحرباء لكن غمها — رحاه على مر الزمان تدور
فافراحها حزن ، واعراسها مين ، — وآمالها عنا الهوى وغرور
فبينا ترى منها سرورا تبينه — اذا بامور بعدهن امور
حوادثها تترى فتعلن حالها — سوى أن فهم الحادثات عسير
فعقل بني الانسان يعقل علمه — بغيب وما في الغيب دونه سور
أيعتسف الاعمى ببيداء مجهل — ولا قائد يهدى هناك بصير ؟
فيرجو وصولا نحو مقصده الذى — اليه على ما يرتئيه يسير
فما ذا يرجي المرء بين حياته — وقد شاهدت عيناه كيف تدور
فأما عطايا الدهر فهى قليلة — وأما بلاياه سلبه فكثير
يسر بشيء ثم يطويه حينما — يعم به بين الانام حبور
فهذا اليزيدي الذى عم نفعه — طوت منه منشور العلوم قبور
فقد كان أزمانا لسانا مدرسا — فهاهو ذا في اليوم ليس يحير
كأن لم يفارق أهله لبيث ما — يكون به للمكرمات نشور
كأن لم يخلف ظهره كل ما له — وليس الى غير العلوم يحور (1)
كأن لم يكن حلس المدارس حقبة — الى جده فيها يشير مشير
كأن لم تكن تلك المجالس حوله — فتزخر منه في البحوث بحور
كأن لم يحم في حلقة بلسانه — فينجد في تحريره ويغير (2)
كأن لم يجل في مبحث بقريحة — تكر كما كر الغداة مغير
كأن لم يزحزح عن عويص فتنجلي — سريعا عن اسرار العويص ستور
كأن لم يشعشع من بلاغة قوله — فينثني اذا ما مد منه مدير
كأن لم يقل شعرا بليغا محبرا — يحار ابن برد دونه وجرير
كأن لم يرق في الطرس منه ترسل — كروض اريض فوقته زهور (3)
كأن لم يطر في الناس صيت لمجده — يصيخ اليه منجد ومغير
كأن لم تفد للاخذ عنه قوافل — تتابع عيرا بالتلاميذ عير (4)

(1) يتحير .
(2) انجد: سلك النجد اي المحل المرتفع، وضده اغار، والغور المحل المنخفض
(3) فوقته زهور : اي زينته وكسته حلة بهية .
(4) يقصد جماعة بعد جماعة، وعير القافلة موقرة.

كان لم يقم سوقا من العلم من أتى — يطيب له بعد الورود صدور
أحقا مضى ذاك المدرس وانقضى — وكان له الى الفناء مصير ؟
أحقا مضى من لا نظير له . وهل — لمن فيه هاتيك الخلال نظير ؟
اعاد هشيما ذلك النبت بعد أن — رعى منه من رادوه وهو نضير ؟
وغاضت سيول كان يطفح ماؤها — زمانا على الشطين وهو نمير
احقا قضى من قبل ان تقضى العلا — به حاجة كانت عليه تدور ؟
فهل اقبروا رغما هناك ذكاءه ؟ — أليس له بين العلوم نصير ؟
وهل دفنوا تلك البلاغة في الثرى — فباد نظيم باهر ونثير
فكيف نعاه للانام نعاته ؟ — ألم يتزلزل حين ذاك ثبير ؟ (1)
ألم تتمزع من ذوى العلم والحجى — غداة نعوه اضلع وصدور ؟
فكيف ترى أحوال أتباعه وقد — دهاهم من أفواه النعاة سعير ؟
اما ذابت الاحشاء منهم بما به — تذوب من اكناف الجبال صخور
فقد اظلمت آفاقهم مذ تحجبت — شموس دروس حولهم وبدور
ومات الذى يرجونه فتمعرت — أسارير كانت من هناك تنير (2)
الى اين يطوون المراحل بعده — فدور جميع الدارسين قبور ؟
فقد عريت افراسهم وتتابعت — عليهم وهم في المعرضين دهور
كأن بني سوس تقضي نصيبهم — من الدرس حتى لا يثور غيور
على مثلها يجرى أسى وكآبة — على الرغم دمع لا يغيض غزير
اذا العلم في قوم خوى نجمه فهم — وان انكروا ، قوم هوالك بور
فقد نكبوا نهج المعالي ومن يحد — عن النهج فهو بالضلال جدير
هل المجد الا في العلوم؟ ومن يقم — بها فجزاء في يديه خطير
جزاء اليزيدي المدرس عمره — فكان يسير العلم حيث يسير
لياليه بين البحث والدرس لا كمن — لياليه مهد للرقاد وثير
مناه مناغاة المعالي وما له — وراء المعالي منية وحبور
فمن منه مهر للمعارف واحد — فقد كان منه للعلوم مهور
ولوع بصيد الآبدات وانه — بذلك عند المنصفين شهير
تراث الفتى أعماله في حياته — وما عنه من بعد الممات يسير
فما أسعد المرء الذى شغل عمره — لدى شعبه ان يذكروه الى

❀ ❀ ❀

تلك هي المراثي التي تيسر جمعها حول هذا الامام الجليل ، الذى ترك قلوب عارفيه وتلاميذه تقلى على الجمر ، يوم زج في القبر ، ولكن ليس في الامكان الا الصبر ، خصوصا عند الصدمة الاولى .

(1) ثبير : جبل بمكة .
(2) تمعر وجهه : تغير وزالت نضارته .

قولة بعضهم فيه أثناء مجموع

علامة خطير الشأن ، واديب متضلع بفنون الادب ، ومدرس مثابر نحو ربع قرن ، فخرج كثيرين ، فادى بذلك ما لا تنساه له المعارف . من متسلسلات العوارف .

كان الاديب احمد اليزيدى ابن ابيه في همته وعزوفه . بل تفوق على والده فى نواح من العلوم . تيسر له منها ما لم يتيسر لوالده . غير ان والده جاء وصروف الدهر لا تزال فى غفواتها . وكوارث البؤس لم تزل تغضى عن العلم واهله . فبدا منه ما بدا . فأثر تاثيرا عظيما ظاهرا . بخلاف ولده فانه جاء والهمم تثني قوادمها وخوافيها . وتعرى عن التحصيل افراسها ورواحلها. وتلقي دون الغاية عصاها ، فكانت اعماله على عظمتها مغموطة ، وان كانت تستحق ان تكون مغبوطة . وناهيك بعمل قد يصل النهار بالليل . لم يجرفه السيل ، ولا لوى راسه تحت طي الجناح . فيكون بكؤوس الكسل فى اغتباق واصطباح . فلم يزل يواظب على بث العلم بهمة عجيبة بلا اناة ، جاعلا ذلك مهمته الوحيدة فى هذه الحياة . ولـه اليوم سن الشيوخ الرقـاق العظم والاهاب . ولكنه في همة اليافعين وعزم الشباب .

اما ادبه فروض اريض . يشفى بالنظر اليه المريض . وغصن مثمر . لكل من يبصر . وراح معتقة . مصفاة مروقة . وهو فى نفسيته الادبية المرحة الطروب لا يعرف ادنى قطوب ، فلا اعلى منه حينما يصوغ القوافى ، بفكـره المرهف الصافى . وهــو وابن الطاهـر . والبوزاكارني . وداود ، ومحمد الحامدى ، والكوسالى ، افراس تلك الحلبة السابقة ، ما من واحد منهم الا فى الطليعة لا فى الساقة ، اذا شعروا بهروا ، او نثروا سحروا ، ولو كانت لصاحبنا بيئة اوسع مما هى . لكان لادبه الرائع ، وكلامه الساطع . ويراعه العجيب ، ونظره المصيب ، شان اعلى واعظم ، اذا سجـع او نظم . ولكن الرجل ابن بيئته ، ففيها يخلق على فطرته . يقول كما يقول بنو بلده . واهل سبده ولبده ، ويؤتى لى ان له تفوقا كبيرا على كثيرين من أترابه المقدمين . فقصائده المزججة . ورسائله المدبجة . تعلن ذلك لقارئيه . اعلانا لا ريب فيه . وفى المجال . تظهر آثـار الرجال . ويظهر الضليع من الظـالع (1) والضائع من الرائع .

(1) الضليع. الشديد القوي. والظالع: الضعيف الجائر القوي.

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم العلامة المدرس ابو العباس سيدى احمد اليزيدى . كان هذا السيد كبير الرواية فى العلم والدروس المفيدة . افاد واجاد . وبلـغ فى تحصيل العلم غاية المراد . كلامه فى المسائل ، كلام ممارس للعلم . طويل الخدمة له . لا يزال على الخوض فيه . وحق له ذلك . خدمه من لدن شب الى ان دب . واولع به ولوع متيم صب . لقى جملة من العلماء . واخذ عنهم لم نعرف له قط هفوة . ولا حلت له الى غير الطاعة حبوة . فهو وحيد الاوان . وعلامة الزمان . الى نزاهة عن الدنيا . وهمة تعلقت بالثريا . قرا على سيدى محمد بن عبد الله الصوابى . ثم على سيدى بلقاسم التاجارمونتى . ثم على الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى . ولا زال الى الآن يدرس العلم ببلده ، تخرج عليه جملة من الطلبة وافرة (ثم توفى رحمه الله فى آخر ربيع الاول سنة اربع وستين وثلاثمائة والف) .

محمد بن عبد الصغير اليزيدى

1306 هـ = حي

نسبه

محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن احد فقهاء الاسرة اليزيدية المتوسطين فى معلوماتهم ، وقد ذكرنا والده الفقيه عبد الرحمان بين فقهاء الاسرة فى (القسم الثالث) وابوه اسمه عبد الرحمان وان كان يقال لولده محمد بن عابد .

متعلمه للقرآن

اخذ القرآن عن والده فى المدارس التى كان يشارط فيها ، وفى المساجد التى تقلب فيها ، كمسجد قريتهم (تازونت) ، وبه وحده تخرج فى القرآن ، وزاد على ذلك ان حفظ عليه المتون ، منها التحفة وغيرها .

في مناغاة المعارف

اتصل بالمدرسة الالغية من اول يوم ، فهناك افتتح ولازم سنين كثيرة ، وكان فى الطبقة النجيبة الممتازة ، فاخذ هناك عن الاستاذ التاجارمونتى ، ثم عن خلفه الاستاذ احمد بن محمد اليزيدى ، يوم تصدر فى المدرسة ، بله عميد المدرسة الاستاذ على بن عبد الله .

في المشارطة

غادر المدرسة بعد : 1343 هـ ، فرابط فى مسجد القرية ، فالقى فيه مراسيه الى الآن ، لا يكاد يغادره الى اى سفر ، وهو مكب على تعليم كتاب الله ، لا يفتر عن الامامة والعمارة للمسجد ، وقد اقام الى الآن 1379 هـ. فى القرية نحو 35 سنة ، وحاله حال الصالحين المؤمنين الذين يعمر الله بهم المساجد ، وهنيئا له .

حاله

يذكر عنه انه غريب الاحوال ، ممتاز فى الدوام على الامامة فى الصلوات الخمس لم يعهد منه قط انه تاخر عن اية صلاة صيفا وشتاء ، وقد اكرمه الله بالصحة والهمة ، فكان نادرة الزمان فى ذلك ، وقد خرج كثيرين من حفظة كتاب الله وهو حي الآن : شوال 1379 هـ .

اولاده

له ولدان : محمد ، وعبد الرحمان ، فاما محمد ، فقد ولد فى سنة : (1344 هـ) فحفظ القرآن عند والده فى ست ختمات ، ثم افتتح المبادىء عند الاستاذ سيدى احمد الاهريبى التاجارمونتى ، يوم كان فى المدرسة الوفقاوية وذلك سنة : 1359 هـ وفى السنة بعدها التحق بابن عمه الاستاذ ابى العباس اليزيدى فى المدرسة الجشتيمية ، فلازمه الى ان توفى : 1364 هـ ثم لازم خلفه الاستاذ سيدى محمدا بن الحاج احمد اليزيدى بعده هناك الى 1367 هـ ثم شارط فى مدرسة فى (ايموساكا) الى 1371 هـ ثم اشتدت ازمة المعاش فطلق تلك الوجهة الى المقايضة فى دكاكين المدن ، فاستطاع ان ينقذ اسرته مما تتخبط فيه الاسر الفقيرة السوسية ، والرجل كل الرجل من يلبس لكل حالة لبوسها وهو الآن فى مدينة (القنيطرة) وفقه الله ، وقد تزوج وولد اولادا اصلحهم الله .

ومن انشاداته ما انشده فى مناسبة ، وذكر ان استاذه احمد ابن الحاج محمد كان ينشده فى مرض موته :

ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكأنها وكأنهم احلام

وانشد ايضا بمناسبة :

ان الزمان وما تفنى عجائبه ... ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس
ابقى لنا كل مجهول وفجعنا ... بالحالمين فهم هام وارماس

وانشد ايضا :

هذا الزمان الذى كنا نحذره ... فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم تحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

واما عبد الرحمان فولد سنة : 1346 هـ واخذ القرآن عن والده ، ثم افتتح المبادىء عند الاستاذ سيدى محمد بن الحاج احمد فى المدرسة الجشتيمية 1362 هـ فلازمه ثلاث سنين ، ثم لازم صنوه المتقدم فى مدرسة (ايموساكا) الى 1371 هـ. فذهب معه الى (القنيطرة) وقد تزوج بنت استاذه سيدى محمد بن الحاج احمد كما تزوج اخوه المتقدم بنت استاذه سيدى احمد بن الحاج محمد .

سيدى محمد بن احمد الواعظ اليزيدى

نحو : 1315 هـ = 1371 هـ

نسبه

محمد بن احمد بن بلقاسم بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن من النجباء المبرزين فى طبقته من بين شباب اليزيديين ، فلولا ان عين الكمال اصابته لكان منه ما كان من قرينه سيدى محمد بن الحاج احمد من الاستاذية التى تفتخر بها المدارس التى ظفرت بها بين مدارس جزولة ، ولكن سبق فى القدر ان يكسف نوره بخلل عرا عقله ، فافقده التمييز حتى دخل قمره فى المحاق .

متعلمه

اخذ القرآن عن الاستاذ احمد بن صالح الشكوكي الافرانى – كما يظن – وهو على كل حال قرين الاستاذ محمد بن الحاج احمد ، فقد قرآ معا ، وافتتحا المعارف فى وقت واحد .

ثم التحق بالمدرسة الالغية مع رفيقه نحو : 1328 هـ فكانا فى طبقة سيدى المحفوظ بن الهاشم الايغشانى ، ثم التحقا بنا فى المدرسة الايغشانية عند شيخنا سيدى عبد الله بن محمد سنة : 1330 هـ ولا ازال استحضر كيف المترجم وكيف خفة جسمه ، وكيف قفزاته الرشيقة حين نلعب الكرة ، وقد وقعت لى معه واقعة تذكرتها الآن حضر فيها لطف الله الخفى ، وذلك اننى اطللت على بيته من خصاص الباب ، فاحس بمن يطل عليه ، فتناول عـودا رقيقا مشققا ، فرمى به من الخصاص بسرعة ، فانفتلت وانا اظن ان العود لم يمسنى ، فذهبت فنمت ، وعند الفجر لما استيقظنا وذهبت لاتوضـا أهويت لاغسل وجهى ، فاذا بطرف ذلك العود ناتىء على وجنتى الى جهـة الاذن ، فازلته ، فاذ ذاك فقط احسست به ، وقد حفظ الله عينى ، فسكتت ولم اذكر ذلك لاى انسان ، خوف ان اتهم بالتجسس على الناس .

ثم التحق مع رفيقه بمدرسة اخرى ، قبل ان يلتحقا ثانيا بالمدرسة الالغية يوم كان فيها الاستاذ احمد اليزيدى ، وقد اجتهد معهما على عادته .

ومما يتعلق بالمترجم اذ ذاك : ان هذا الاستاذ جرى وراءه ووراء رفيقه سيدى محمد بن الحاج ، فيرميهما بالحجر ، فافلت المترجم لخفته العجيبة من اصابة الاحجار ، فالتفت فاذا برفيقه اصابه حجر ، فرفع عقيرته منشدا البيت المنسوب لمعاوية ، لما ضرب ابن ملجم على بن ابى طالب :

نجوت وقد بل المـرادى سيفـه … من ابن ابى شيخ الاباطح طالب

وهكذا احواله وخفته واستحضاره حتى تخرج .

مختلف احواله

تقلبت به الاحوال منذ فارق المدارس ، وقد ابتدأ منه الاختلال ، فكان يخلف كثيرا الى الرؤساء ، فيتكلم بالحكم والامثال والنوادر ، فيتخذه الجهال منهم ضحكة ، فلا يكاد يحضر فى مجلس الا اضحك من فيه ، وكان يسافر كثيرا الى المدن ، ولا يكاد يركب ، وانما يمشى على رجليه ، ويلم بابناء عمومته فى (القنيطرة) ويكرمونه ، ويحافظ على ما دخل يديه ، ويوكىء عليه ، وهو محبوب الى التجار السوسيين ، وقد يغلب على تمييزه فيخرج الى الزقاق ، فسب الاجانب ، وقد عرفوه ، فلا يهيجه رجال الشرطة ، وقد بقى مرة هناك عامين ، ثم رجع الى سوس راجلا ، وقد أبى أن يركب على السيارة ، فبقى على هذه الحالة نحو خمس وعشرين سنة الى ان ادته خاتمة المطاف الى الاستاذ محمد بن محمد بن عـابد الصغير وهو اذ ذاك فى مدرسة (ايموساكا) فى شعبان 1371 هـ قال فقلت له : انك ستصوم معنا ، لان من عادته ان لا يصوم ولا يصلى ، ومن لامه قال له اننى مريض معذور ، قال : ثم بات عندى الناس فجلس منتبذا عنهم بعدما دخل وسلم سلاما رنانا ، فقلت له : اقترب الينا يا سيدى محمد ، فقال : ان السلامة فى الانتباذ ، ثم لما شرب من الكاس رماها متدحرجة على الفراش نحو الصينية ، فالتفت اليه الحاضرون مشدوهين ، فقال لهم انما اهنت فرنسا التى صنعت هذه الكاس ، لا مجلسكم الموقر ، ثم قال له احد الحاضرين تعجيزا بعدما اعلمته انه فقيه فهم لقن مستحضر ، اننا جئنا على بغلة مترادفين ، فسمعنا صوتا ينتقض به الوضوء ولا ندرى امنا ام من البغلة ، فقال له : حين لم تعرفوا ، فكلكم بغال ، فضحك الحاضرون ، ثم لما بيتنا على الصيام بكر مسافرا من عندنا من غير وداع على عادته الى مدرسة (ابكيسل) ، وفيها الاستاذ سيدى محمد بن عبد السلام الكادورتى ، فبقى عنده يومين بلا صيام ، فكانه عاتبه ، فغادره ايضا ، فكان آخر العهد به ولا يدرى

بعد احي ام ميت ، ثم مضت سنون حكم فيها بموته ، لفقدانه بعدما فتش عنه في كل محل يظن انه يوجد فيه ، وقد كان رحمه الله حفظة للاشعار مستحضرا للنوادر ، معنيا بضبط الفاظ اللغة ، ولا يتلفظ في ابن خلكان الا بكسر الخاء واللام المشددة ، لانه راى من ضبطه بذلك .

هذا وللمترجم قواف كنت رايت بعضها . لانه كان يقول كما يقول ابن عمه سيدي محمد بن الحاج احمد رفيقه الدائم الا انني الآن لم يحضرني منها شيء .

سيدي محمد ابن الحاج احمد اليزيدي

1315 هـ = حي

نسبه

محمد بن الحاج بن محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الحسن .

اذا كانت السلسلة المذهبة من هؤلاء السادة اليزيديين تبتدئ بسيدي احمد بن الحسن الذي مر ذكره مع كثيرين من اهله في (القسم الثالث) فانها الآن تختتم بهذا السيد الجليل الاستاذ سيدي محمد بن الحاج احمد . فاننا لا نرى بين ايدينا من يشرئبون من شباب الاسرة ، الى أن يملأ الفراغ الذي كان الاساتذة المتسلسلون من هذه الاسرة اليزيدية المباركة يملؤونه عن جدارة واستحقاق . فهو اليوم احد علماء جزولة . ومن اكابر ادبائها . ومن اعاظم المدرسين في مدارسها . وهم ثلة قليلة . كل واحد منهم هامة اليوم او غد . معنى ان لم يكن حسا .

رايت والده الفقيه الجليل والصوفي الكبير سيدي الحاج احمد . وأدركت المكانة التي كان تبوأها بين فقهاء عصره في مصره . وقد وصفناه بأنه كالاستاذ محمد بن ابرهيم التكروري السباعي في استحضار النصوص الفقهية على لسانه . فنشأ ولده هذا وله من تراث والده ماله . وقد وفقه الله فرجع الى التدريس في تلك الجبال . بعد ما كان يقايض ماشاء الله في الحواضر اقواما بين السلع .

متلقاه للقرآن

كان الاستاذ احمد بن صالح الشكوكي الافراني مشارطا في مسجد قرية (ادا ويزيد) فعنه اخذت طبقة ذكرنا فيما تقدم بعض افرادها . ومن بينهم المترجم ، وهو استاذه الوحيد فيما كتب به الى المترجم نفسه .

متقلبه ابان أخذ المعارف

كان في مدارس شتى ، اولها المدرسة (الالفية) تحت كنف الاستاذ احمد بن محمد اليزيدي الذي كان رابط فيها سنوات (1327 هـ ــ 1320 هـ)

حين كان ياخذ فيها . ثم صاحبه معه الى المدرسة (البومروانية) يوم انتقل اليها ، الى ان فارقها ، فورد علينا نحو اواسط 1331 هـ. ونحن فى المدرسة (الايغشانية) ثم راجع ايضا (الالغية) من 1336 هـ الى 1339 هـ. ثم الم بالمدرسة (الادوزية) حقبة من الدهر . ثم نزل فى المدرسة (التانكرتية) كما الم ايضا كذلك بالمدرسة (التانالتية) وكان ياخذ عن غير اساتذة هذه المدارس كوالده . وكالاستاذ ايكيك ، وكالاديب البوزاكارنى . فهذه مجالاته التى قضى فيها زهاء 15 سنة . فلم يفارق الاخذ حتى نال فى التحصيل مدركا اقر له به اقرانه ، فضلا عن اساتذته . وشهادة الاقران فى تلك المدارس هى الشهادة التى يتخرج بها التلميذ . وهى عملية حقيقية ، لا هذه الشهادة المحدثة التى قد تكون حبرا على ورق ، لا لحم ولا مرق .

قائمة اساتذته

الاستاذ الكبير ابو الحسن على بن عبد الله الالغى
سيدى ابو القاسم التاجارمونتى
سيدى احمد بن محمد اليزيدى
سيدى عبد الله بن محمد الالغى
سيدى الطاهر بن محمد الافرانى شيخ الجماعة
سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ولده
سيدى المحفوظ الادوزى
سيدى محمد بن عبد الله الاقاريضى الصوابى
سيدى محمد بن على ايكيك
سيدى مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى سيد الادباء
سيدى الحاج احمد بن محمد ولده .

هكذا استقى من بحور المعارف المتموجة اذ ذاك فى الغ ، وفى افران وفى أدوز وفى أيت صواب ، وحرى بمن ورد البحور ان يصدر ريان .

في الحواضر

من مزايا هذه الاسرة اليزيدية أن حبب اليها الجولان فى التجارة . ولذلك ترى حتى مثل والد مترجمنا السيد الصوفى الورع سيدى الحاج احمد يجول احيانا فى المقايضة فى الاسواق . بعد ان تورع عن الجولان فى النوازل وأعرض عن استغلال المرهونات التى كان أمثاله يستمدون منها معاشهم ، وقد كثر أمثاله فى فقهاء الاسرة ، كما بينا ذلك فى ترجمة كل واحد منهم . ولذلك لا نعجب ان راينا من سيدى محمد بن الحاج صاحبنا هذا الحنو الى التجارة ، فقد طلق مسقط راسه . فالقى رحله فى مدينة (سلا) فاقبل وادبر ما شاء الله فى هذا الميدان . وكثيرا ما يذكره لى اذ ذاك استاذه سيدى احمد بن محمد اليزيدى ، ويقول : المنى لو جاء الى لنتعاون على تعليم الطلبة في المدارس ، ثم نقتسم بيننا ما افاء الله به علينا . فان اللقمة الضرورية فى الحياة لا نعدمها معا ، مع قيامنا بهذا الواجب . واخيرا استجاب المترجم لهذه الامنية . فاذا به قوض خيامه من الحواضر ، فظهر منه حنين الى التدريس ، فاذا بجزولة تتزين بحليته ، واذا به يكون خير خلف لاستاذه سيدى احمد ابن محمد يوم انتزعه الموت من جزولة .

مشارطاته

1 ـ المدرسة الجشتيمية .

خلف فيها استاذه الكبير سيدى احمد بن محمد بعد وفاته (من سنة 1364 هـ. الى 1375 هـ) فاستتم به فيها كثيرون من اللاخذين عن الاستاذ المرحوم .

2 ـ المدرسة العبلاوية

كان فيها سنة واحدة فقط ، وهذه المدرسة لا تسعد الا يوم يكون فيها امثاله . والا فانها لا تذكر ، ثم انه لم يفارقها حتى اصابته فيها غمزة من احد جهال لا يقدرونه قدره . او كانت غلطة أما من الغامز وحده ، أو منهما معا ، والمقدر لا بد أن يقع . ولا يرمى الا شجر له ثمر ، ولم تكن هذه بالاولى فى حياة المترجم ، فقد مس جنابه ايضا نحو 1354 هـ. بشىء كان هو السبب حتى طلق التجارة فى البلد فالتحق بالحواضر .

3 ـ المدرسة الوفقاوية

كان فيها سنة واحدة ، ولكن السعد الذى كان لاحظه فى (الجشتيمية) لم يكن ليلاحظه فى هذه :

فشتان ما بين اليزيدين فى الندى   يزيد سليم والاغر ابن حاتم

4 ـ المدرسة التافراوتية

هذه هى التى لا يزال فيها الى الآن 1380 هـ. فى (أملن) منذ سنتين ، وعنده ثلة من الطلبة يوالى معهم الدروس بما يقدر عليه .

اثاره الادبية

لهذا الاستاذ الاديب آثار قيمة وقد كنت كتبت اليه ليوافينى بما عنده ، فهاك جوابه :

وافى كتابك بعد طول ترقب   فابل أمراضا وبل غليلا
فلثمته فرحا به وصبابة   حتى محوت مداده تقبيلا
ولو ان روحى فى يدى لبذلتها   بشرى لحامله وكان قليلا

العلامة الذى سرى ذكره فى الآفاق ، مسرى الصبا حتى وقع عليه الاتفاق ، الشيخ العظيم ، ذو المجد الصميم ، الرافل ثوب البلاغة القشيب . الفقيه الاديب ، الافضل الاريب ، سيدى الحاج محمد المختار ابن الشيخ الاكبر ، الياقوت الاحمر ، عمر الله محله بالمسرات ، واضفى عليه كل الخيرات .

هذا فقد توصلت بخط يدكم الكريمة . وتحيتكم الهامية الديمة . فاثبت لى ذلك من العز والفخر ما اشمخ به بين أقرانى ـ واعطر به اقطارى واوطانى ـ من انس جسيم ، وابتهاج عظيم ، على أننى كنت أجبتكم عن كتابكم الاول بما طلبتم منذ ثلاثة أشهر أو أكثر ، فان لم يصلكم فعلى البريد العهدة والذنب الاكبر ، وهكذا يكون الاختلال ، اذا اسندت الامور الى من ليسوا برجال .

واذا تصدر للرياسة خامل   جرت الامور على الطريق الاعوج

(ثم بعد ان بين كل ما تقدم مما يتعلق به قال :) واما ما خاطبت به او خوطبت فقد ضاع منى كل ذلك . وبعضه عند الاستاذ سيدى الحسن الكوسالى ، وقد تلكأ ولم أتوصل به منه . ولذلك لا شيء عندى من ذلك والسلام .

(أقول) من هنا يعرف القارئ كيف أجمع من الآثار ما يراه فى أثناء الكتاب . فلهذا السيد آثار كثيرة جيدة ـ بحسب بيئته ـ فرط فيها . فان لم نجد من عنده هو شيئا منها فسينقع فى اضباراتى على البعض ، لاننى كنت حريصا من ازمان أتقمم من هنا وهناك واستنسخ كل ما وجدت ، لينفعنا يوم نريده .

من آثاره هذه القصيدة التى خاطب بها شيخنا سيدى محمد بن الطاهر يوم كان ياخذ عنه فى (تانكرت) فى اوائل جمادى الثانية 1341 هـ.

دين الصبابة والهوى متقلدى   ان الصبابة نهج هاد مهتد
يا آمرى بالصبر كيف تصبرى ؟   والصبر فى شرع الهوى لم يحمد
ان السلو ـ وما السلو بمذهبى ـ   داب الذى بصبابة لم يعهد
ان الفتى من ان دعا داعى الهوى   لبى الندا بتوله وتنهد
او ان جرى ذكر العقيق جرت به   من مدمعيه عبرة لم تجمد
ان الذى مهما الصبا هبت ، صبا   لهو السعيد وغيره لم يسعد
مما يشير تولعى وتوجعى   سجع الحمام على الغصون الميد
يا هاجرى دع ذا الجفاء فاننى   ان لم امت بصدودكم فكان قد
يا هاجرى اودعتنى جمر الغضا   رفقا بصب فى الصبابة قد ردى
ما بال من اسعفته من مهجتى   فاذا بها وبطبعه لم يسعد
ما باله احمى الفؤاد بهجره   ويقول (لا تهلك اسى وتجلد)
يا عاذل هب اننى اسلو ولكـ   ـن عن سوى حب الالى بالانجد
لم تدر ما صنع الغرام بمهجتى   فلحيتنى عن مدمعى المتبدد
دعنى عدول فعبرتى لا تنقضى   أو ينقضى هجران ذاك الا غيد

او التقى وجه الاديب ابن الاد   يب ابن الاديب ابن الاديب محمد
ندب حكت اخلاقه ريح الصبا   بحر غدا كالنيل عذب المورد
مولى حكت انواره شمس الضحى   لو لم تغب والسيف لو لم يغمد
غيث حكاه سماحة صوب الحيا   ليث حكته الاسد لو لم تفسد
بذ ابن بحر وابن مامة وابن سا   عدة وعمرا والخليل الاحمدى
لا يرتضى غير العلا حتى علا   بعزيمة فوق السها والفرقد
يا ذا الذى داء الجهالة يشتكى   يمم فناه تفز بطب مرشد
واحطط رحالك بابه وتذكرن   (ومن انتمى لذوى السعادة يسعد)
مولاى اعجزنى مديحك جاهدا   والعذر حق للفتى ان يجهد
فاليكها بكرا عروسا تقتضى الـ   ـرضوان والاغضاء مهرا تجتدى
دلتك يا شيخ المشايخ اننى   ثوب الفهاهة والبلادة مرتد
ازكى سلام قد حكى مسك الختا   م عليك من عبد جنى متودد

الجواب :

غنى الحمام على قضيب أملد   سحرا فاذكرنى عهود المربد
وسرى النسيم على الرياض فشوفت   انفاسه لشهود ذاك المعهد
وتألق البرق اليمانى موهنا   فهفا له قلب المشوق المكمد
صب باكناف الحمى ففؤاده   فى زفرة تعلو ووجد موقد
زعم العذول باننى أسلو هوى   ذاك الحمى كذب الجهول المعتدى
فلذا تفنن فى الملامة جاهلا   بمذاهب الشوق المتين المسند
فاباحنى هجر الغرام محرما   وصل التوله بالزفير المعصد
فاجبته ياذا انكفف فمواصل الاحـ   ـزان فى شرع الصبابة مهتد
فابت مكروه الملامة مدرءا   دين الصبابة والهوى متقلدى
يا عاذلى لو كنت تدرى من به   هام الفؤاد لما غدوت مفندى
يا حسنها حضرية بدوية   تسبى العقول بطرفها المتأسد
ما ان سبى قلب الحليم كغادة   هيفاء او شعر الاديب محمد
الفاضل ابن السادة الفضلاء من   ورثوا المكارم سيدا عن سيد
كتب الزمان حلى مناقبهم على   صحف الدرارى السبع خط مجود
يا سيدا دلت طوالع فضله   ان سوف يشرق فى الزمان الاسود
اهديت بنت الفكر منك الى فتى   متباعد عن وصف كل مسود
يا حسن منزعها ورقة طبعها   لو صادفت كفوا لها فى السؤدد
لكن لحسن الظن منك حسبتنى   أهلا لها فزففتها بتودد
فالله يجزيكم على حسن الوفا   بالعهد والظن الجميل المقصد
باجل خلق الله من نرجو من الـ   ـمولى به فوز الخير سرمدى
صلى عليه مسلما رب الورى   ما اطرب المشتاق صوت مغرد
وعليك يا خير الاحبة عاطرا   أزكى سلام يزدرى الزهر الندى
ماسار بالروض النسيم ضحى وما   غنى الحمام على قضيب املد

وقال يهنئ الاديب سيدى محمد بن على الالغى بولد ، بين الهنئين .

أمن حذار النوى دمعك منسكب   ام شاق قلبك يرق فاعتل اللهب
أم جيرة بالحمى قد اودعوك شجى   اذ ودعوك فزال اللهو والطرب
ام اذكرتك عهودا بالعقيق مضت   ورقاء ام غازلتك الخــرد العرب
فغادرتك لــقى تلــظى صبابته   يسامر السهد والاحشاء تلتهب
ترعى النجوم ومن أصموك قد بعدوا   فالعــين جــارية والقلب مكتئب
يــا عاذلى اننى فى سجن حبهم   مقــيــدوهم المــرغــوب والارب
اليــك عنى فان الحــب مســلكه   لومك عن حب سكان الحمى عجب
وان عذ لك صبا قبل عشقك أو   لومك عن حبى سكان الحمي عجب

الى ان قال فى المديح :

ايمة جبروا الاسلام حين هــوت   اركانه وتــداعى الدين والقرب
وسادة رأبــوا ركن السماحة اذ   خوى ولكن علاهم ليس يكتسب
بعلمهم ونواهم يضرب المثل الســـــــارى وتنقشع الاحــزان والكرب
حازوا مفاخر عفوا لاتقــاد لغيـــــــرهم فمن رامها اودى به النصب
قوم اذا وعدوا وفوا وان قدروا   عفوا وان سئلوا جادوا وان تربوا
(تلك المكارم لاقعبــان من لبن)   تلك المفــاخر لا التهويه واللعب
يــا سيدا فضله المأثور عزمنــا   لــه فاقصر عنه العجم والعــرب
يهناك نجل تبدى اذ بــدأ قمرا   فاسرعت نحوه تشتاقــه الرتب

وقال يعتذر للاستاذ ابى الحسن الالغى وقد كان انتقل من مدرسته الى اخرى ثم رجع عن قريب .

فراقكم سادتى صعب المذاق فما   قلبى العهود على بعد المدى ناس
وقد تذكــرت والشوق أكابــده   وعلتى مالهــا غــير اللــقــا آس
(لولا الضرورة ما فارقتكم ابــدا   ولا تنقلت من نــاس الى نــاس)
هذا وانى اعــانى الشوق بعدكم   والبــين عض بأنيــاب واضراس
قلبى رماه النوى فذاب من كمد   ومن معانــاة احــزان ووسواس
اضنى الهوى جسدى فليهن ذو حسدى   او هى البعاد قواى بله انفاسى
لا تحسبوا اننى انسى مودتــكم   بعد الفــراق وحبى راسخ راس
وهكذا الدهر ان حبا الوصال فهو   لــع بتشتيت اخــوان وجــلاس
يا قلب ابشر بلقيانا ابــا حسن   تــاج الفخار امام سائــر الناس
غيث الانام اذا شح الغمام بــدأ   فتى البلاغــة والعلياء والبــاس
عليه منى سلام الله مــا طلعت   شمس وما طرز الطروس بامعاس

وهذه هى التى اجاب عنها ابو الحسن الالغى بما مطلعه .

من حسن عهد الفتى المغبوط فى الناس   ان لا يكون لعهد الصحب بالناسى

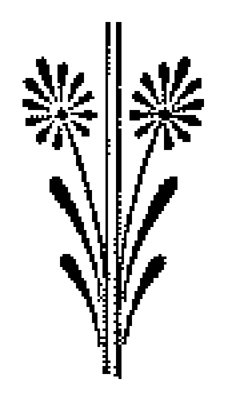
قولهٌ فيــه

قال فيه بعض الالغيين فى (مجموعة) يوم انقطع فى (ســلا) للتجارة :
(اديب جديد من المرتضعين للبان الادب الالغى ، كما ينبغى ، حتى كان مثلا شرو دابين اقرانه فى التضلع . فكان اهلا لمن يحب فى الادب ان يلتــذ به ويستمتع ، الا انه وقد راى اسرته فقيرة . وخاف ان تكون للاعواز بين جيرانها حقيرة ، صار يقايض فى الاسواق ، وياخذ من البضائع الرائجة بالساق . غير ان حرفة الادب لحقته ، ومقلة من مقل من لا يخافون الله من بعض جيران قريته رمقته . فغادر اهله الى حيث التجارة الرابحة . والسعادة السانحة . فالتحق اديب جزولة مرغما . وقد الجم الحياء الفطرى البدوى منه فما . بمدينة الاديب عبد الرحمن حجى (سلا) ، فصار يتجر حيث يجانبه كل بل ، وهو الآن هناك يقبل ويدبــر بين دكاكين البقالين السوسيين ، حيث ارتطم فى صفوف المدنقين الفلسيين . وكأين من سابح فى نهر ابى رقــراق الطامى العباب ، لو درى لسبح من بين علوم هذا السيد فى آداب وآداب ، ولــو تسرب منه الخبر الى الاديب ابى زيد اديب سلا فى وقته ، لحق له ان ينتقل بين دكاكين السوسيين هناك وهو ينادى بملء صوته .

من منــكم ذو الادب الساطــع   والمــقــول المــفــوه البــارع ؟
ومــن اذا مــــا قــال قــافــيــة   يــبــهــر كل منصف سامــع ؟

اذن لبرز اليه فى هياة سوسية ، صاحبنا هذا فيجيبه بدون روية :

انــا اليزيــدى الاديب الاريــب   انــا الذى فى كل عــلم اجيــب
لــــولا الضرورة لجــئــيــتــكم   مــن المــعــارف بشىء عجيــب
انــا نجيــب حــل فى مصركم   اهــكذا يضيــع كل نــجيــب



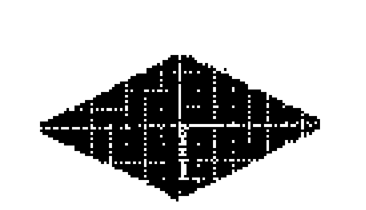
احمد بن الحسن الـواكـنيمي الايسي

نحو : 1320 هـ = 9 ـ 1377 هـ.

هذا الاستاذ من قرية ايت المان ، وتسمى اسرته (ايت واكنيمن) ، وهو سبط اليزيديين ، لان امه بنت سيدى بلقاسم بن احمد اليزيدى ، ولذلك يعرف بسيدى احمد بن الحسن اليزيدى ، وامه وكذلك هو بعدها يقطنون عند اخواله فى (تازونت) ، اخذ من المدرسة الالفية ، ومن المدرسة الايغشانية ، فنجب ، ويعد من اكابر المحصلين فيما يحكيه الحاكون ، وذلك بلا ريب بالنسبة الى بيئته .

ثم انه غاب عن اهله بعد ما تزوج سنين كثيرة تبلغ الى عشرين ، حتى ظن انه مات ، فاذا به ظهر من حاحة ، وكان يشارط فيها ، فرجع الى اهله ، وقد كان ترك ولدا له صغيرا ، كان غادره اثر ولادته ، فوجده الآن رجلا متهيئا للاعراس بامرأة ، فكان ذلك عند الناس عجبا يذكر ، ثم شارط فى وايبيفد بأملن عاما ثم فى استير من تاسريرت عاما آخر ، ثم رجع الى اهله ، فلم ينشب ان توفى فى رمضان : 1377 هـ .

وحين كان ابن اخت اليزيديين ، وكان يعرف باليزيدى ، ادرجناه بينهم وابن اخت القوم منهم .



الاديب سيدى محمد ـ فتحا ـ ابن محمد الكثيرى

25 ـ 7 ـ 1324 = حى

محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن علي بن يعزى ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ، بن عبد الله بن احمد بن يعزى ابن محمد ـ فتحا ـ بن علي بن موسى بن داود بن عيسى بن يعقوب بن موسى ابن عبد السلام ، بن وكاك بن بلال بن يمور ـ كذا ـ بن منصال بن بودلال بن تومرت بن منى ، بن يرتضى ، المكنى بابن كثير بن نصر بن منصور بن يعقوب بن علي بن عبد الرحمان بن حمزة بن رح ـ كذا ـ بن عبد الله بن احمد المكنى بكثير بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل ، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن ابى طالب .

هذا ما فى مشجرين أتانى بهما السيد ابراهيم أخو المترجم ، وقد اجتهدت حتى جمعت منهما معا تنسيق سلسلة هذا النسب ، لان فيها احمد ابن يعزى مرتين ، فيشكل ذلك على من لا يتأمل فيما عند الاسرة وفيما فى المشجرات ، لان احمد بن يعزى الاعلى له اخ يسمى محمدا ، نص فى احد المشجرين على انه ولد فى الثانى عشر من ذى الحجة سنة : 1026 هـ. فهو من اهل القرن الحادى عشر واما احمد بن يعزى الاسفل ، فانه من اهل اواسط القرن الثالث عشر ، وشتان ما بينهما .

ثم بعد التأمل الكثير فى كلا المشجرين وجدتهما ـ وان اختلفا ـ قد نقل احدهما عن كاتب فى القرن الحادى عشر ، وقد تسلسلا بخطوط الموقعين عليهما منذ كتبا ، وهاك اسماء الموقعين فى احدهما :

1 ـ ابراهيم بن سعيد الاثمدى ـ التازولتى ـ التملي الساكن فى تنزلوض (قعدة 1096 هـ) قال المعرف به وهو :
2 ـ عبد الله بن احمد بن سعيد المنصورى : انه عدل رضا ، ثم عقبه :
3 ـ محمد بن محمد بن ابراهيم النظيفى فى أوائل ربيع الثانى 1152 هـ ومعه :
4 ـ محمد بن موسى بن محمد التيسلانى : 1150 هـ وممن ذكر هناك :
5 ـ عبد الله بن احمد بن محمد التامانارتى ، وكذلك :
6 ـ عبد الله بن ابراهيم بن علي التملي ، وقد قيل فى الجميع انهم عدول فقهاء ، وكذلك :

7 ـ محمد بن علي بن محمد ، من الربوة البيضاء (بياض في الاصل) سنة 1122 هـ ومعه :

8 ـ محمد بن موسى بن ابراهيم التاكموتي الامزالي ، ومعه :

9 ـ سعيد بن ابراهيم بن علي النظيفي ، ثم صحح ذلك بعد هذين ، كما يصحح القضاة :

10 ـ محمد بن عبد الله بن علي الومهالي (وقد ذكر الومهاليون استطرادا عند ذكر سيدي عبد الله بن محمد البوشواري ، بين اهله في ترجمة سيدي الحاج عابد) في (الفصل الثاني) من (هذا القسم) .

11 ـ محمد بن سعيد التملي ، ثم عطف عليهما ايضا :

12 ـ محمد بن يحيا الواسكاري ، والواسكاريون ذكروا اثناء تراجم البوشواريين ، ومعه :

13 ـ ابراهيم بن محمد الواسكاري ، ثم وليهما في تصحيح كل ما تقدم :

14 ـ عبد الله بن محمد بن احمد بن ابراهيم التملي ، ثم :

15 ـ محمد بن سعيد بن داود التملي أحوزي ، ثم يليه :

16 ـ محمد بن محمد بن احمد الكرسيفي ، ثم :

17 ـ العباس بن عبد الكريم الوخشاشي الاقاوي ، وممن ذكر في المشجر من السوسيين مما أرخ بـ : (1133 هـ) :

18 ـ محمد بن ابي بكر بن يحيا البوشواري ، ومعه :

19 ـ عبد الله بن ابي بكر البوشواري ، ثم :

20 ـ احمد بن عبد الله الداودي .

هؤلاء غالب اسماء الرجال المذكورين في احد المشجرين ، واما من ذكروا في الآخر فهم :

21 ـ علي بن محمد بن عبد الرحمن الكثيري ، ومعه :

22 ـ سعيد بن محمد بن سعيد الكثيري ، ومعهما :

23 ـ محمد بن عبد الله بن محمد الكثيري ، ومعهم :

24 ـ عبد الله بن احمد بن سعيد الكثيري ، ثم صحح ذلك :

25 ـ عبد الله بن ابراهيم بن علي التملي ، ثم :

26 ـ عبد الله بن محمد التملي ، ثم صحح ذلك :

27 ـ احمد بن بلقاسم بن احمد التملي ، ثم صحح ذلك ايضا :

28 ـ عبد الله بن ابي القاسم ، ثم :

29 ـ محمد بن سعيد التملي ، ثم ختم المشجر كاتبه سنة : 1096 هـ

30 ـ علي بن محمد بن عبد الرحمان الكثيري .

هؤلاء الرجال هم الذين صححوا نسب هؤلاء الكثيريين بانهم اتصلوا بالسيد يرتضى المسمى : ابن كثير ، وان نسبه مرفوع الى احمد بن ادريس ، من كثير بن ناصر بن منصور .

واعلم ان الكثيريين موجودون في فاس وفي سوس ، ولا يزالون يحملون هذه النسبة ، ولا ريب ان فروعهم توجد في محلات متعددة في سوس وفي غيرها ، وهذا الفرع الخاص الذي كتب حوله هذان المشجران لا يعدو هذه الجهة التي فيها قبيلة يقال لها (ادا وكثير) .

وهاك ما في كلا المشجرين عن افخاذ هذا الفرع ، قال كاتبه مبينا هؤلاء .

بنو كثير هم في طرف جبل (الكست) في سوس الاقصى ، فهم في القرن الثاني عشر افخاذ شتى وهي هذه :

1 ـ بنو ابي شعيب الذين لا يذكرون الآن ، ولعلهم انقرضوا ، اوضاع هذا الاسم فتبدل بغيره .

2 ـ بنو حمو ، يوجد هؤلاء في قرية (تافنكاشت) من قبيلة (اداوكثير) وهم نحو 250 دارا ، أو أزيد بقليل .

3 ـ بنو الشلح ، هؤلاء واهل (أنكيم) لا يتجاوزون ثماني ديار ، فهم قليلون .

4 ـ اهل (أنكيم) و (انكيم) قرية يطلق عليهم كلهم اليوم بنو الشلح ، فيجمعهم الاسم عند الناس ، ولا يتفرقون كما كانوا امس .

5 ـ بنو ابي بكر ، يعرفون بايت بوبكر أوبلال ، أي بنو بكر بن بلال ، وهم في قرية (تينماليل) وفي قرية (تينكاكل) يبلغ الجميع زهاء سبعين دارا .

6 ـ بنو حسون ، او بنو الحسن ، يقال لهم اليوم ايت باحسون ، وهم في قرى (افغل بن حسون) و (تيكركار) و (توزامر) وهذه تخربت قريبا ، فانتقل اهلها الى القرية قبلها ، ويبلغ عددهم نحو (70) دارا .

7 ـ بنو داود ، ضاع هذا الاسم اليوم ، ولا يدرى على من يطلق عليهم قبل اليوم . وهناك فخذ ايت داود ، في قرية (فيزيرت) انقرض اهلها بعدما انتقلوا الى هشتوكة في (انشادن) ولعلهم المعنيون في مشجر الانساب بآل داود .

8 ـ بنو محمد من (أخليس) و (اخليس) قرية من قبيلة سندالة ، كانت منازل بني محمد اولا ، ثم انتقلوا الى قرية (تينزلواضو) في اداوكثير ، وان انضمت اليوم وشيكا الى قبيلة (ايلالن) ويعرف اليوم هؤلاء بآيت يعزى .

هذا مجمع ما يعرف عن هذه الافخاذ قديما وحديثا ، ثم قال كاتب المشجر ان بني شعيب التقى نسبهم مع بني حمو في يعزى بن محمد ـ فتحا ـ بن علي بن موسى بن داود بن عيسى الى آخر السلسلة التي تصل الى مني بن يرتضي بن نصر ابن منصور ، وان بني الشلح مع اهل (انكيم) التقى نسبهم في داود بن يرتضي بن نصر بن منصور الخ ، وكذلك بنو داود ، وان بني ابي بكر وبني حسون التقى نسبهم في عبد الحليم الممتد السلسلة الى داود بن يرتضي بن نصر بن منصور ، وان بني محمد النازلين بقرية (اخليس) التقى نسبهم مع بني عمومتهم هؤلاء في محمد بن يرتضي ابن نصر بن منصور .

هذا ملخص ما ذكر في المشجرين معا ، وقد ذكر ان اولئك الموقعين المتقدمين منهم قضاة وفقهاء من المشاهير ، لان المعتاد في امثال هذه المشجرات أن لا يطلب توقيعها الا من امثالهم ، ولذلك حرصنا على عرض اسمائهم ، لعل من لا نعرفه قبل نعرفه هنا ، وان لم نعرف الا اسمه فقط .

ثم هناك وقائع بحروب ومصادمات بين هؤلاء الشرفاء الكثيريين بين فخذين : فخذ بني يعزى الاخليسيين ، وبين فخذ ايت بوبكر بن بلال ، ومن اسباب ذلك طعن بعضهما في نسب البعض ، وقد ذكر لي سيدي محمد بن محمد المترجم أن ما وقع في هذه الحروب مسجل عندهم الى الآن ، ولم نتوصل نحن به لنسجله في دفتر التاريخ ، وعنه استقينا كل ما ليس في المشجرين المتقدمين .

ثم ان الكثيريين فيهم اسر متعددة ماجدة ، تواتـرت فيها البيوتات العلمية والرياسية ، فمن بين هذه التي رفعت راسها بالرياسة اهل (أكرض) القواد الذين استمرت فيهم رياسة (تامانارت) من القرن العاشر الى الآن ، ومن بينها ـ على ما يقال ـ اهل (ايشت) الفتاك فيما بينهم ، حتى ذهبت ريحهم بتنازع الرياسة ، فذهبت رياستهم قبل الاحتلال نحو 1349 هـ. واهل (تيبيوت) في أرباض (تارودانت) فقد تسلسل فيهم الرجال الاعلون من العهد الاسماعيلي ، وربما يكون ذلك فيهم من قبل ذلك العهد ، وقد جرى ذكرهم في كتاب (رحلة الوافد) ثم لم يختتم امـرهم الا بالقائد محمد بن ابراهيم التيبوتي المشهور اخيرا في الازمة المغربية التي جرفته مع المجروفين ، وربما تكون هناك اسر اخرى رئيسية غير هذه لم نستحضرها الآن ، وهناك ثائر من الكثيريين يلقب (بوتكلا) ، يذكر في اواسط القرن الثاني عشر ، كما يذكر (بودربال) ، و (المكاوي) وعبد الله (الاسكاوري) وليس عندنا الآن تفاصيل عن وقته .

واما العلم فيظهر انه يقل فيهم ، بقدر ما يكثر فيهم المتطلعون للرياسة وخوض الحروب ، حتى انني لا استحضر الآن الا قليلين ، زيادة عن الخمسة المتقدمين الذين وقعوا ذلك المشجر المذكور ، فمنهم :

1 ـ سيدي سعيد ، الشريف الهشتوكي ، وهو مذكور في (القسم الثالث) مع اولاده .

2 ـ سيدي محمد بن مبارك ، فقيه مشهور من اهل القرن الحادي عشر ، تدل عليه آثاره ، ومسكنه قرية (توزامر) من قبيلة (اداوكثير) وهي من فخذ ايت حسون التي منها ايضا سيدي سعيد الشريف ، قال سيدي محمد الكثيري الحاكي لنا : رايت احكامه في النوازل وهي حسنة محكمة ، ولا عقب له ، وهناك علماء كثيرون نزحوا من (تامانارت) فرفعوا راية العلم عند اخوانهم هؤلاء ، ازمانا في القرن الثاني عشر ولعلهم اخذوا عن محمد بن مبارك هذا .

3 ـ محمد بن عبد الله الكثيري الفقيه

4 ـ محمد ـ فتحا ـ بن محمد الكثيري الاديب

5 ـ احمد بن محمد الكثيري اخوه

6 ـ احمد بن عبد الله الكثيري ، اخو الفقيه الكبير

7 ـ ابراهيم بن عبد الله اخوه .

وسترى هؤلاء كلهم قريبا .

8 ـ عبد الله الكثيري ، نزيل تانكرت ، من الاسرة التامانارتية الرئيسية ، كان جلا عن بلده بعد اواسط القرن الماضي ، فسكن في تانكرت الى ان توفي حوالي (1299 هـ) والآن نعود الى ذكر آل المترجم (وقد تقدم اسماء كثيرين قريبـا بين الموقعين على احد المشجرين . ولكن لم نعرف عنهم الا اسماءهم تلك فقط .)

سيدي محمد بن عبد الله الكثيري الفقيه

هذا هو والد المترجم صاحبنا اللطيف الاخلاق ، شيبة الحمد ، ولد سنة 1271 هـ فنشأ في بيئة غير علمية ، فحدا به سعده حتى أحيا به الله ما احيا ، وقد كان والده عبد الله رجلا صالحـا ، يحب أن يتعلم ولده القرآن وعلومه فاتم الله له ما أراد .

متعلمـه

اخذ القرآن عن الاستاذ احمد بن محمد اليعقوبي ، وهو من السكان ازاء مشهد (سيدي يعقوب) المشهور في (ايلالـن) فنسب له ، واصله من (ايوفيس) من : (اداكنيضيف) اخذ عنه في مدرسة اداوكثير المسماة مدرسة (اينفال) وهي التي خلفت مدرسة (فيزيرت) بعدما تهدمت هذه سنة 1214 هـ اثر انقراض التامانارتيين الذين كانوا عمروها بالتدريس في القرن الثاني عشر ، وقد كانت مدرسة (اينفال) هذه لا تملأ غالبا الا بالقراء ، ولذلك كان فيها الاستاذ احمد المذكور ، وكان من اساطين تعليم كتاب الله في عهده ، ولم يزل فيها حتى توفي نحو 1290 هـ.

لازمه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله حتى جمع عليه القرآن بسهولة ، وهو استاذه الوحيد .

ثم افتتح المعارف 1286 هـ عند الاستاذ الشهـير سيدي عبد الله بن ابراهيم اليوفتركاوي ، في مدرسة (تانالت) حيث بقي معه عامين ، ثم الى (ايدازن) ، فبقي عنده في الجميع نحو اربعة عشر عاما ، وهو كذلك استاذه الوحيد في العلوم ويذكر عن سيدي عبد الله ان فنه الذي اتقنه هو العربية ، والفقه بفروعهما ، وان باعه في غيرهما ليس بمتسع كما ينتظر من امثاله .

ومما يحكى للمترجم مـع استاذه : ان لصوصا ورجـالا مشهورين بالمشاغبات كثيرا ما ينتابونه في المدرسة ، فكان الفقيه ينهاه عن ذلك ، فلم

يتته ، وفي يوم وهؤلاء عنده سعى ساع به الى الاستاذ ، فقام الاستاذ وقعد لذلك ، فاستدعى كل الطلبة ، وقال لهم الا الكثيري لا يأتيني ، فلما دخل اليه الطلبة قال لهم : أربح الله من أحرق محل الكثيري — وقد كان هذا يسرق السمع — فعجل باحراق محله ليفوز بدعوة الاستاذ ، حسن ظن منه ، فكان ذلك هو السبب حتى ودعه الاستاذ مرضيا عنه .

ثم انه ألم حينا قصيرا بالاستاذ محمد بن عبو ، فاخذ عنه قليلا من اوائل علم العروض ، قال : ذهبت انا ورفيق لي يسمى سيدي محمدا امزيل الانزكاني ، وكان ايضا ممن يلازم سيدي عبد الله بن ابراهيم الى ابن عبو لناخذ عنه الخزرجية ، فاذا به قصير الباع في الفن ، فقال لي رفيقي : اذهب بنا عن هذا الانسان الذي لا يعدو ان يموه علينا ، ففارقناه ، فليقس القارىء ما يقوله هذا السيد الصدوق في ابن عبو بما كتبه عنه المانوزي من انه اية الآيات في جميع العلوم ، مع ان المعروف ان علمه انما هو الفقه لا غير ، وانه قصير الباع ، خصوصا في العربية ، وهذا هو الذائع الشائع عند عارفيه ، وكل تلاميذه .

اجازته

ودعه استاذه ابن ابراهيم بهذه الاجازة :

«الحمد لله ذي العزة والجبروت ، والملك والملكوت ، واصلي واسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه صلاة نحل بها دار السلام ، مع الاهل والاشياخ والاصحاب .

وبعد : فلما ظهرت نجابة الفقيه الشريف : سيدي محمد بن عبد الله الكثيري القبيل ، ورجا منا اجازة بحسن النية ، بلغه الله فوق ما يرجو ، لكنني كما قيل :

خلت الديار فسدت غير مسود   ومن العناء تفردي بالسؤدد

ولكنه لما كثر طلبه وترداده ، ساعفته في طلبه ، فاذنت له في اقراء كل مروياته عنا ، ومسموعاته منا : فقها ونحوا وعقائد وحديثا ، وما يتبع ذلك من كل ما له به قدرة وملكة ، بشرط أن يقول لا أدري فيما لا يدري ، وأوصيه بتقوى الله العظيم وبذل الجهد ، واخلاص العمل لله تعالى ، والنصح وحسن الطوية ، وخفض الجناح لمجالسيه ، تعلما وتعليما ومذاكرة ، ومجانبة الاراذل ، وكل ما ينزل بدرجة العلم واهله ، وان يخصنا بالدعاء الصالح ، والله يجعل العمل خالصا لوجهه ونسأله ان يجمعنا جميعا تحت لوائه عليه الصلاة والسلام آمين ، بتاريخ : (12 — رمضان — 1302 هـ) .

مشارطاته

تخرج من عند استاذه سنة : 1302 هـ فشارط باذن شيخه المذكور : 1303 في مدرسة (ايمواساكا) في (أكنس واسيف) وهي التي كان فيها حينا الفقيه سيدي مسعود بن الطيب أفلوس الصغير ، وهو الذي جدد هذه المدرسة قبل ما تخربت من : 1295 هـ الى 1299 هـ ثم أحياها الله بصاحبنا هذا ايضا ، فعمرها من : 1305 هـ الى 1335 هـ ثم غادرها سنتين بسبب مشاجرة حول المدرسة ، ثم راجعها من : 1338 هـ الى 1354 هـ بعد الاحتلال لما سيذكر فيما بعد .

الآخذون عنه

كانت المدرسة في اوائل اتصاله بها تمتلىء ، فكان يكب على التدريس ثم تناقص ذلك اخيرا ، فكان ممن أخذوا عنه :

1 — احمد بن عبد الله اخوه . كان معه اولا في مدرسة (يوفتاركا) عند الاستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم ، ثم صاحبه معه في مدرسته هذه ، فاستتم على يده ، وكان حيسوبيا فرضيا فقيها حسن المشاركة ، ثم بعد تخرجه صار يشارط ، ومما شارط فيه مدارس (تاسريرت) و (فوكرض) وفي (تاكانزا) باملن ، وكان يزاول الاحكام وقسم التركات والافتاء ، توفي في 1345 هـ .

2 — ابراهيم اخوه الاصغر ، كان نجيبا مشاركا ، مات شابا بعدما حصل نحو : (1324 هـ) فقد كان من نجباء الابناء — وهو أحد علماء الاسرة —

3 — علي بن عبد الله الكرسيفي ، فقيه لا باس به ، وقد مر على الفنون كلها ، ولكنه لم يعد التوسط ، وهو والد القاضي سيدي الحبيب قاضي انزي الآن : (1378) كان علي امضى عمره في المساجد ، الى ان توفي بعد 1354 هـ وسنلم به بين الكرسيفيين ان شاء الله في (الفصل الثاني من هذا القسم)

4 — عبد الرحمن بن عبد الله الكرسيفي ، هو في مسلاخ المتقدم ، وفي اوصافه (وقد ذكر مع ولده سيدي عبد الله بين الكرسيفيين ، في هذا القسم ايضا)

5 — محمد بن علي الجراري الكرسيفي حسن الاخذ ، وباعه غير قصير في العلوم ولا يزال حيا الآن : 1378 هـ ويذكر هناك ايضا .

6 — محمد بن محمد الآنيل التملي ، نجيب مثنى على تحصيله ، ابطأ في مسجد (انامر) في املن ، يعلم كتاب الله الى ان توفي نحو : 1355 هـ

7 — احمد بن يحيا الانيل التملي ، لا باس بمعلوماته ، وهو يتعالى بمعلوماته على نقصها ، ومع ذلك لا يتعهدها ، ولا يزال حيا الآن : 1378 هـ

8 ــ محمد ــ فتحا ــ ولده المترجم ، وستراه .
9 ــ احمد ولده الآخر ، وسترى ترجمته بعد ترجمة اخيه .

هؤلاء من يستحضرهم من يحكى لنا ، وذلك يظهر منه ان تخريج الطلبة النجباء موكول الى الاجتهاد الكثير بالعزم والحزم ، ونظام الدراسة ، لا الى الدروس التى يواليها الاستاذ ، خصوصا اذا كان هادئا ساكن النامة ، منطويا على نفسه . كما هو خلق سيدى محمد بن عبد الله الذى شاهدناه منه ، وشاهده منه غيرنا .

نتف من اخباره

كان رحمه الله طبقة وحده فى الملاطفة ، وحسن المعاشرة ، يالف ويولف ، هينا لينا ، لا يجاذب احدا ، ولا يعاتب خدمه ولا اولاده ، اللهم الا اذا انتهكت الحرم ، او مس فى شرفه ، فانه يمتثل قولة الشافعى : من استغضب ولم يغضب فهو حمار .

كان طوال عمره يزاول الحكم بين الناس فى النوازل ، فيقبل ويرد ما يحكم به غيره ، ولذلك نشأ بينه وبين سيدى محمد بن عبد الله الصوابى الاقاريضى واخيه سيدى احمد ، شنآن . وسبب ذلك ان العادة اذ ذاك فى التحاكم ان كلا من الخصمين تختار له القبيلة فقيها ترضاه ، ثم اذا لم يتفق الفقيهان ، تعين ايضا لهما ثالثا ، يستانفان عنده ما حكم به كلا الفقيهين ، ويسمى هذا الثالث عندهم المفتى ، وقد كان لسيدى محمد بن عبد الله المكانة التى كانت لسيدى محمد الصوابى ، ولاخيه احمد ، ولذلك كثيرا ما يرتضى احد الخصمين فى تلك الجهة سيدى محمد بن عبد الله صاحبنا هذا ، ويرتضى الآخر احد الصوابيين ، ويكون المفتى بينهما سيدى الحاج عابد البوشوارى أولا ، ثم سيدى الحاج الحبيب أخيرا ، وقد صحح هذان أحكاما كثيرة لصاحبنا هذا راياه فيها مصادفا للصواب والحق ، وقد كانت له سمعة طيبة فى تحرى الحق فى هذا الميدان ، حتى قال فيه سيدى الحاج احمد الجشتيمى ، لا أقدر أن أرفع قضية الى من أأتمنه عليها الا للفقيه سيدى محمد الكثيرى ، لما يعلمه منه من الصدق وتحرى الحق ، ومعرفة النصوص ، وكيف تنزيل الجزئيات على الكليات ، وقد قال فيه علامة الغ سيدى عبد الله بن محمد : لم أر من حقق الفقه واستحضره ، كسيدى محمد بن عبد الله الكثيرى . وقال فيه الشيخ الالغى : هو محمد الاكثير ، لا محمد الكثيرى .

ومما وقع له انه كان يعرف الحسين بن عمر الرئيس المشهور فى قضية ثورة الفقيه الشهيد سيدى الحسن الواغزنى سنة : 1354 هـ ، كان يعرفه من عهد المدرسة ، وهو بعد عند الاستاذ اليوفتاركاوى ، فحين وقعت القضية ، كان ممن هلك فيها : محمد بن احمد الملقب عانبوش ــ وكان ابوه رئيسا فى القبيلة الكثيرية وهو ابن عم الفقيه صاحبنا ، ثم هرب الحسين بن عمر فى مبدأ الامر ، فصار البحث عليه فى كل جهة ، وقد كان الرئيس بلا بن محمد

الجشتيمى يصاحب الفقيه قبل الاحتلال ، وهو فقير مدقع ، فيمينه الفقيه بما تيسر ، ثم كان رئيسا بعد الاحتلال ، وكان من ضمن ايالته (اكنس واسيو) حيث مدرسة الفقيه ، فطلب منه ان يسلمه مفتاح هرى المدرسة ليتصرف فيه كما يشاء ، فابى الفقيه ذلك قائلا : ان الامر فى المدرسة للقبيلة لا لك ، فكان ذلك هو السبب حتى وشى بعضهم بالفقيه الى المراقب فى مركز (تافراوت) فلم يشعر الفقيه وابناؤه فى المدرسة حتى احاط بهم الجند ، فسيقوا كلهم الى المركز ، حيث استنطق الفقيه مسؤولا عن الحسين بن عمر أيعرفه ؟ وهل يعرف اين هو الآن ؟ وكيف قتل ابن عمه عانبوش فى الثورة ؟ فصدق المسؤول المراقب الحديث كما هو ، وقد اعترف انه كان يعرف الحسين بن عمر ، ثم لم يلاقه منذ ثمان سنين ، وانه لا علم عنده بالثورة ، وكذلك حال ابن عمه لا يعرف عنه الا انه ابن عمه ، فحين لم ير المستنطقون حجة ياخذون بها الفقيه واولاده سجنوهم شهرا هناك ، ثم اطلقوهم على ان لا يلموا بقبيلة املن ، وان يفارقوا المدرسة ــ هكذا حكى لى الاستاذ سيدى محمد ابن صاحب هذه القضية ، اكتبه كما هو نقلا عنه حرفا بحرف . وهذا مجمل خبر محنة الفقيه الكثيرى ، وقد ناله نصيبه من كل ما اصاب الفقهاء الجزوليين اذ ذاك .

ومن اخباره ايضا : انه كان يعاشر كثيرا اهل ماء العينين بعدما نهضوا للجهاد ، فقد ورد على احمد الهيبة فى (تيزنيت) ثم فى (أسرسيف) ثم فى (ليمكر) ، ثم فى (كردوس) يرد عليهم رأس كل سنة ، مع رؤساء قبيلة (املن) الذين يذهبون بالاعشار ، وبما ينوبهم من المال بين القبائل ريال لكل دار .

ومنها انه يصاحب كثيرا شيخ الاسلام ابا العباس الجشتيمى ، وكان يصله كثيرا حتى ايام سكناه فى تيبيوت آخر عمره ، وما ذلك الا لكونه يحب اهل الخير والصلاح ، على اية طريقة كانوا ، وقد كان من الذين تلقن منهم الأكارا الشيخ الالغى كما حكاه لى ولده سيدى محمد عنه ، كما انه كذلك يزور احيانا الغ عند فقهائه ورؤسائه ، وله ايضا اتصال بآل بونعمان وقد تطلب من علامتهم الاذن فى ذكر الاسم ، فاذن له ، وقد رأيت قافية لابن مسعود فى مخاطبته وهى :

امحمد وهو الكثيرى نسبة ... بل هو اكبر من العرفان
ابشر فقد لاحت بشائر ان قلبك واضح الأنوار واللمعان
لما كتبت اليك بالتحريض فى اسم (الله) وافى الحال بالفيضان
فعلمت عن غلب الرجا لى الله من ... ذا قابلية قلبك النورانى
فانهض لفرصة جوهر عال بقية عمرك الغالى عن الاثمان

ترد العلوم الزهر من عين الشر — يعة والحقيقة مشرب الاعيان
وتـرق من فضل الاله لسر تـو — حيد يجـل سنـاه عن اذهـان
وهناك تلغى الحق لا غير سـوا — ه فنـا عن الاغيـار والاكـوان
وتمـد من سر البقـاء بسـابه — تلـقى قيـام الخلـق بالمـنـان
وهنـا تتـم لك العبـودية التى — هى فى الشريعة مـورد العبدان
وهناك تشهد فى الجميع الحق ليـــس بغائب بـل ظـاهر هـودان

كان كثير الاذكار والنوافل التى من بينها التراويح كل ليلة ، ويقدم اذكاره والنوافل فى اول الليل ، ولذلك لا يستيقظ الا عند الفجر ، وكان فى آخر عمره فاقدا لنور كريمتيه ، فيحث اولاده على التلاوة عليه ، وقال لهم :لا تتلوا على الا من الحديث والتفسير ، والعهود المحمدية ، والاحياء ، وقد تداوى لبصره ، ولكن لم ينجع الدواء .

اقول : اننى لاقيته مرة فى موسم سيدى احمد بن موسى حـوالى : 1340 هـ ، فاعجبت بحسن سمته ، وبشاشته ، ولا ازال استمتع بمحياه النير ، متى تخيلته رحمه الله ، وقد لفظ نفسه الاخير ، عشية الجمعة 20 قعدة 1359 هـ كما ذكره ولده القاضى . واسم قريته : (تيبان) وقد جرى ذكره فى ترجمة الاديب المانوزى ، فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، وقد ذكـر ان له خزانة ذكرها المانوزى ثم استطرد كل الخزانات التى يعرفها فى سوس ، وقد سالت القاضى سيدى محمد ـ فتحا ـ عن هذه الخزانة ، فذكـر ان اصلها خزانة الفقيه سيدى محمد بن محمد ـ فتحا ـ ابو نصر الولياضى ، وهو من اصحاب العلامة على بن سعيد اليعقوبى المتوفى : 1239 هـ كان اشتراها من اولاده ، ثم اشترى اخرى من سيدى محمد بن على الجرارى الكرسيفى احد الاخذين عنه ، كما اشترى ايضا خزانة الفقيه النوازلى سيدى محمد ـ فتحا ـ التاكموتى الامزالى ، وهو من اهل النصف الاخير من القرن الماضى ، وهو معاصر لاحمد أوجمل الامزالى ، و(تاكموت) هذه قرية فى (ايت مزال) .

ثم صار باعتنائه يزيد على مخطوطاتها الكتب المطبوعة ، واتذكر انه سمع بمجموعة النبهانى النبوية ، فاشتاق الى رؤيتها ، فارسلتها اليه ، وتصل كتب الخزانة زهاء الف جزء ، والمخطوطات فيها تكون النصف او اكثر ، وكلها فقهية ونحوية وغالبها من الكتب المتداولة ، ولم يذكر لى القاضى المذكور منها ولو كتابا غريبا وهذه همة الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الكثيرى ، فانه لا يكاد يبصر كتابـا او يسمع ببيعه الا اشتراه ، فقد اشترى كثـيرا من المطبوعات من تركة الفقيه سيدى مبارك بن الحاج عبلا الامزالى التملى ، وقد كان فى (الجزائر) فرجع بكتب كثيرة فباعها اولاده بعده للمذكور ، وهو من المتخرجين بابى عبد الله الصوابى ، توفى نحو : 1347 هـ كما اشترى من عند الفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن السالمى الايسى ، ومن مـوسم (تازاروالت) حيث سوق الكتب الرائجة اذ ذاك ، فرحم الله تلك الهمم .

سيدي محمد ـ فتحا ـ بن محمد الكثيري

الى هذا السيد بسباق الحديث ، فهو الاديب الكبير الذى يشارك فى الميدان الادبى كلما تجارت حلبات الادباء منذ ربع قرن ، وقد رزق الحظوة فى كل ما تلقاه عن ادباء الجيل الماضى ، كالاديب العلامة على بن عبد الله ، والاستاذ الكبير سيدى محمد بن الطاهر ، والعبقرى مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى ، ومفخرة جيله سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، ومن ورد من مثل هذه البحار الزاخرة ، وكرع من معينهم الصافى ، وكان فى مثل همته وذوقه واكبابه جدير ان يحوز الخصل فى كل ميدان ، وان يكون سيدا مرموقا بين الاقران .

متعلمه للقرآن

رايت ان مسقط رأسه قرية (تيبان) سنة : 1328 هـ. ثم رايت همة والده فى تعليم ابناء الناس ، فكيف تراه يصنع فى ابنه الخاص ، وفلذة كبده ، فلا ريب انه سيعتنى به اعتناء تاما فى أسس تعليمه حتى يؤسس للبناء المشمخر الذى ينويه له فى المستقبل . ومن عرف كيف يكون اعتناء الاباء اللبقين ، بافلاذ اكبادهم ، يتخيل بين مترجمنا وابيه كل ما قلناه حقيقة ناصعة .

اول من افتتح عليه الحروف الهجائية الاستاذ سيدى محمد بن الحسن الاسكارى فى مسجد القرية ، وهو استاذ خاشع من عباد الله الصالحين المنيبين لربهم ، وله حفظ من العربية غير متسع ، لا ندرى عمن أخذه ، وديدنه تعليم كتاب الله فى المساجد ، وقد أبطأ سنين فى هذا المسجد قبل ان يفتتح عليه صاحبنا ، ثم بقى معه حتى وصل حزب (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) وقد امتد عمره ، ولم يتوف الا نحو : 1376 هـ بعدما شاخ كثيرا (والوسكاريون بيت من البيوتات الشهيرة بالعلم والدين ، تعدد فيهم العلماء كثيرا ، ويقولون انهم من الوكاكيين ، ولذلك سنتعرض لهم بين تراجم الوكاكيين فى (الفصل الثانى) من (القسم الثالث) ان شاء الله .

ثم شارك فى مسجد القرية بعده ايضا الاستاذ سيدى محمد بن احمد الوشواري وهو ممن اضاف الى قراءة (ورش) حرف المكى ، وكان يعلمهما معا ، وقد تخرج به فيهما كثيرون فى ذلك المسجد ، لانـه هو الذى ابطا كثيرا فى هذا المسجد قبل الاستاذ المتقدم وبعده ، فقد كان ذلك ممر عمره ، ومغداه وممساه فى اعماله المحمودة التى ترك الالسنة رطبة بذكره عليها ، ولم يزل هنالك حتى لحقه أجله ، نحو : 1344 هـ فعلى يده ختم المترجم الختمة الاول ، ثم اعاد عليه اخرى .

ثم صاحبه والده معه الى مدرسته التي شارط فيها ، مدرسة (ايمو أوساكا) ، وهو اذ ذاك ابن ثماني سنوات ـ وكون التلميذ يجمع القرآن وهو ابن سبع سنين فضلا عن الثمان ، كثير جدا اذ ذاك ، ونحن نعلم ان الاجيال الآتية ستستغرب هذا وستعده كذبا ، ولكن ذلك لا يدفع في صدر الحقيقة الواقعية ـ ثم تتبع هناك عند الاستاذ سيدى محمد بن علي الكرسيفي ، وقد شارطه الاستاذ في المدرسة على العادة في بعض المدارس العلمية ، حين يتخذ الفقيه ازاءه مدررا يكفيه هذه المهمة في القرءان حين يقوم هو بمهمة تدريس الفنون ، وبالقضاء بين الناس ، وقد كان هذا الاستاذ من المذكورين بين من اخذوا عن الاستاذ والد المترجم ، وديدنه تعليم كتاب الله في مساجد القرى ، ولا يزال على حاله الى الآن : 1379 هـ.

اخذ عنه ختمتين تامتين ، فاتقن بهما وبما تقدم من الختمتين الاخريين حفظ القرءان .

في مناغاة العلوم

في نحو : 1336 هـ. وله تسع سنين ، الحقه والده بالاستاذ الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى ، وهو اذ ذاك في مدرسة (فوكرض) الصوابية ، فعلى يده افتتح المبادىء ، فاتقنها على يده اتقانا ، وهي الاساس في التعليم دائما ، ثم لما التحق الاستاذ المذكور بالمدرسة (الالفية) صاحبه معه اليها ، هو وكل تلاميذه ، فربض هناك مجتهدا مكبا على تحصيل الفنون ، وقد كان هناك مولاى عبد الرحمن البوزاكارني ، فكان المترجم ياخذ عنه ايضا ، فمما أخذه عنه : الربع الاول من عبادات المختصر ، كما أخذ عنه كتبا ادبية ، مثل (طبقات ابن خلكان) وبعض (نفح الطيب) وغيرهما من كتب الادب المتداولة في تلك البيئة ، وقد لازمه صابرا لأخلاقه ، وقد كانوا امامه ثمانية في الطبقة اول ما افتتحوا ، الا انهم ينقطعون واحدا فواحدا ، فلم يبق اخيرا امامه الا هو وحده ، وربما يلقى عميد المدرسة سيدى علي بن عبد الله الدروس في غيبة الاستاذ اليزيدى ، فياخذ عنه ايضا .

ثم لما أقلع الاستاذ اليزيدى من تلك المدرسة والقى مراسيه في (بومروان) صاحبه ثم فارقه ، فكان في المدرسة (التانكرتية) بين يدى الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الطاهر ، فقد كان هو مدرس المدرسة الملازم ، واما والده سيدى الطاهر فقلما يحضر ، ومع ذلك أخذ عنه في رمضان بعض البخارى في سنة من السنين ، وقد أدرك هناك أخانا الاديب الكبير سيدى الحسن الكوسالي السملالي ، فكان ياخذ عنه الادب ، فمما اخذه عنه كتاب (نفح الطيب) بتمامه ، هو والاستاذ سيدى مبارك التوماناري ثم لم يبق هناك الا ثمانية اشهر .

ثم بدا له ، فانتقل الى مدرسة (امسرا) عند الاديب الكبير سيدى محمد ـ فتحا ـ ابن الحاج التانكرتي الافراني الشهير ، فاخذ عنه (التلخيص) ومن (المختصر) و (التحفة) و (الالفية) لازمه نحو ستة اشهر ، فشكره في اتقان علم البيان ، ثم لما انتقل من هناك الى (تارودانت) غادر صاحبنا (امسرا) معه الى هذه المدينة ، ليستتم عليه التلخيص ، فاتمه عليه في (الجامع) الكبير ، وقد شغله الاستاذ بتعليم ولده احمد ، وهو اذ ذاك كما ابتدأ ، بقي على ذلك ثلاثة اشهر هناك ، قال المترجم : فذهبت لأزور البلد في عواشر ، فلم ارجع بعدها اليه ، حتى سمعت انه لاقى ربه رحمه الله ، وكان فراقه للاخذ : 1347 هـ .

ثم لازم والده ياخذ عنه (التفسير) بروح البيان ، ومسلما بالابي ، وكتاب الاحياء للغزالي ، والشمائل للترمذى ، والعهود للشعراني .

هذه تفاصيل رحلته العلمية ، وهؤلاء أساتذته الفطاحل ، رحم الله الجميع .

نتف من حياته واحواله

كان يوم انقطع الى والده ـ ووالده كما تقدم قطب النوازل في تلك الجهة ـ يرشحه بتفهم الفقه ، وادراك علله ، فكان اذ ذاك كلما وردت عليه نازلة يرسل أصحابها اليه ، فيامره بتاملها ، وبقراءة الرسوم المتعلقة بها ، وادراك مقدار صرف السكك التي تذكر في الرسوم ، فكان يرشده ويشجعه ويلقنه ما عسى أن ينغلق عليه ، ومعلوم أن المتخرجين من الفنون وان حصلوا ، وبلغوا في الفهم ، وادراك المسائل ما بلغوا ، يتحيرون متى خرجوا الى ميدان العمل ، ولا ينبئك مثل خبير .

كان والده يرى الناس أن ولده هذا أفضل منه ادراكا ، وحسن تفهم للمسائل ، وقد يكون الحال كذلك في المشاركة ، والتوسع في الفنون ، ولكن الواقع أن الامر كما قيل :

وابن اللبون اذا ما لز في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

فانه لا يزال اذ ذاك محتاجا لمن ياخذ بيده حتى يتدرب ، وهذا ما وجده في والده المحنك المجرب الذى شب ثم شاخ الى ان دب على الثلاث ، في شعاب الفقهيات ، حتى صار فيها دليلا خريتا ، فكان توجيهه لولده هذا مدرسة اخرى تجريبية ، لم يكن ليجدها لو لم يتح له والد كوالده ، وكأن القدر يرسم له بذلك خطة المستقبل الذى سيكون فيه في جزولة قاضيا كبيرا ، واماما عظيما في الشرعيات .

كان يحرر الاحكام ، ويتدرب على تنسيق شروط كل ما يكتبه كما يقتضيه علم التوثيق ، كما تبينه الزرقانية والوثائق الفرعونية وكتب الفن ، وما اكثر محررات يده اذ ذاك في سجلات الرسوم اليوم .

هذا عمله في هذه الناحية ، واما عمله في مدرسة والده ، فانه كان يدرس لثلة من التلاميذ انقطعوا الى المدرسة ، ثم لم ينشب والده ان سلم له المدرسة ، فاجتمعت القبيلة ، فدعت معه على ذلك — كما هي العادة — وذلك نحو (1351 هـ) هذا مع ان والده لا يزال في مكانته ، وفي مكانه الذي يعهد منه الجلوس فيه في المدرسة ، فهكذا حياة المترجم في هذه الفترة ، وفي كل سنة يجول جولة قصيرة الى الحواضر ، ثم يرجع الى مستقره .

ثم بعد الاحتلال ، وبعد وقوع ما وقع من ثورة (الواغزني) وقع لـه ولوالده ما تقدم تفصيله ، فالزم ان لا يحوم بعد بأملن وما اليه ، فكان ذلك هو السبب حتى طلق دار أهله ، بل نفض عنه القبوع في تلك الجبـال ، ففتح متجرا في مدينة (الجديدة) في تلك السنة نفسها : 1354 هـ. فصـار تاجرا من التجار في سوق المقايضة وقد مر بي يوما اذ ذاك في مراكش ونحن في ذلك الاجتهاد في زاوية (الرميلة) .

كان ينتظر منه أن تخمد جذوته بما يتعاطاه بين التجار الجهلة الاغمار ، ولكن لم نلبث أن صرنا نقرأ له على صفحات جريدة (السعادة) قوافي متعددة ، فقد كنت اذ ذاك في منفاي بالغ ، فكم اطير فرحا يوم اقرأ له قافية ، لانني اعده من أوتاد الادب بين الشبان عندنا .

في مركز أيت باها للنوازل

اذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه ، فقد رايت المترجم تاجـرا ، اختار حرفة الدماميني وامثال الدماميني الذين يرون بيع السلع اولى من بيع ماء محياهم في ميادين الجهال ، وكاد الزمان يوثقه هناك ، ولكن جاءت امـور قلبت حياة المترجم ظهرا لبطن — كما يقولون —

كان يرد على والده فينة بعد فينة من (الجديدة) ففي 1359 هـ ورد عليه ايضا ، فاذا بمدرسة (اداوكثير) شاغرة ، وقد كان استاذها سيدي محمد بن الحسين الاسغاركيسي فيها ، وكان يحضر في مركز (ايت باها) يفض النوازل الشرعية على العادة اذ ذاك في عهد الاحتلال ، حين يكون في كل مركز فقيه عن قبيلة يقرأ الرسوم ، ويحرر الحكم الشرعي فيما يناط به في التركات وقسمة الاموال — فاعطاه المراقب نازلة ليفضها ، فطلب منه ذلك بسرعة ، فاجابه بانه لابد من التأني فلم يعجب ما قاله المراقب ، فامر به فازيل من (المركز) بل حتى من المدرسة ، فورد المترجم ، فتعلقت به القبيلة ليشارط في مدرستهم مدرسة (اداوكثير) فكانه وجد فرصة ليروي بعض الغلة التي يجدها كل من كان ذاق ما ذاق من المدارس ثم لفحته هواجـر اسواق التجارة الكاسدة .

كم منزل في الارض يالفه الفتى — وحـنـيـنـه ابـدا لاول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى — مـا الحـب الا للحبـيـب الاول

لباهم في طلبتهم ، ولم يكن يشعر بما وراء الاكمة ، فلم يلبث ان جـاءه الاستدعاء من مركز ايت باها ليحضر في الجلسة الرسمية ، وقيـل له ان المعتاد ان يحضر استاذ المدرسة عن القبيلة ، فالح عليه في ذلك ، فلم يجد مناصا فاسلس القياد ، فكان ذلك اول ما انتشب في الرسميات ، وكان اكره الناس لذلك المنصب ، لان العهد عهد الاحتلال ، والناس لا ينظرون الى كل من في تلك المراكز الا بالنظر الشزر ، فحاول كثـيرا ان يتملص ، ولكن هيهات ، وقد ورد علي في مراكش سنة : (1366 هـ) لأتوسط له في ذلك ، فكتبت الى بعضهم في ذلك ، ولكن الاقدار تابى ان تساعفه ، فبقي في منصبه وفي مدرسته من سنة : 1359 هـ سنة وفاة والده رحمه الله .

ومما وقع له اذ ذاك ان احد الوشاة وسوس للمراقب ان فلانـا مع رئيس القبيلة انتهبا ما في هري المدرسة ، وانهما يتنكران للعرف ، وانهما يهمان ان يسافرا الى الرباط ، ليقدما الشكاية في ذلك الى الملك تطلبا للحكم بالشريعة الاسلامية ، فارسل اليهما المراقب فسجنهما شهرا حتى بحث عما في هري المدرسة ، فاذا كل ذلك كذب في كذب فسرحا ، وذلك سنة : 1362هـ فبعد السراح تطلب المترجم مرارا ان يعفى مما نيط به ، فلم يجد مصيخا ، ثم لما تكرر ذلك صار يجاب من المراقبة بانه متى اتى بمن يخلفه فانه يعفى ، واين من يخلفه ؟

هكذا بقي هناك محاذرا مباعدا كل ما عسى أن يتهم به ، حتى في ايام الازمة ، والقائد احمد بن المدني ابن حيون الذي كان قائدا على ايت صواب زيد له ايضا اداوكثير وغيرها من القبائل ، فكان القائد هو المرجوع اليه ، فقد تطلب منه اعفاءه ، فلم يجد شيئا ، وهكذا صابر مستسلما محتسبا من جهته ، واما الناس الذين يلاقونه ويلاقيهم في قضاياهم ، فانهم يفيضون عليه ثناء جزيلا لما آنسوه منه من لزوم الصراط المستقيم ، مع حسن الاخلاق في المعاملات .

في القضاء الرسمي بعد الاستقلال

لم يـزل في منصبه ، والناس كانهم معجونون بمحبته الى ان جـاء الاستقلال ، وافتضح الخونة ، وقام الناس وقعـدوا ضد كل من يحومون حول مراكز الاستعمار ، ولكنه هو مصون العرض ، لا يذكر الا بكل خير ، ولذلك لم تكد وزارة العدل تسال لتعيين القضاة الشرعيين ، حتى كان في طليعة القائمة ، فتعين في غشت : 1956 هـ في مركز (ايت باها) وفي(تافراوت) وفي (أنـزي) ، وفي (تانالت) ثم استقر في (تافراوت) : 14 مارس 1957 م فاختص بها وحدها ، بعدما تعين قضاة في (ايت باها) وفي (انزي) وهاهو ذا يستمر في عمله بكل اخلاص ، ولا يزداد الا حسن خلق ، وارتفاع قدر ، لشممه وانفته وعزوفه . وفقه الله وايده .

همته الكبيرة

كتب فيه بعض الالغيين قبل اليوم حين كان تاجرا في الجديدة ما يلي :

اننى لم اخالطه كثيرا ، ولا وجدت الآن عندى من يكشف لى عما اريد من خفايا اخباره ، وانما استروحت كبر همته من شيئين : أحدهما حين قام مشمرا ناهضا بكل ما فى طاقته ووسعه للكسب ، ولم يكن وكلا جاثما فى حفش امه ، ينتظر ان تمطر عليه السماء ذهبا ، فهو فى هذا مثال حى امام اعين الكسالى من طلبة جزولة المدقعين ، ثم لا يعلمون الا الذل فى المشارطات مع ان غالب العامة السوسيين يزاحمون فى البيضاء وما اليها ، فيكتسبون ما يبنون به مجدا مؤثلا ، ومكانة قعساء ، فان استثنيت الاديب ابن الحاج اليزيدى نزيل (سلا) وتاجرها اليوم ، فاننى احكم حكما مسمطا باننى لم اعلم اليوم اديبا كبيرا له همة فى هذه الناحية سوى الاديب الكثيرى ، وكفاه شرفا خالدا ، وفضلا ممتازا ، ان كان ثانيا للاديب الدماميني الشهير او ابن حوقل ، فقد تقلبا فى الشرق الادنى بين بضائع تجارتهما الى ان لفظوا نفسها الاخير ، بل كان اخا الاديب ياقوت الحموى الذى خاض ما بين الزوراء ، وبين ما وراء النهر حتى ذهب كذلك مكفنا فى شرف الكسب مكللا بتاج هذه الهمة وبمثل هذا الاكليل ، اختصت اليوم هامة الاديب الكثيرى اقتفاء للادباء المذكورين ، وان كنا نطلب الله ان يحصنه حتى لا يقع له ما وقع لبعضهم من حرفة الادب التى ابت ان تفلت اى اديب اينما كان .

هذا هو احد البرهانين على علو الهمة الكثيرية الادبية ، صانها الله من حرفة الادب ، وثانيهما : كونه لا يزال يمعن فى ادبه ويرقى شان فكره ، ويتصل بأكابر الادباء فى الحواضر والبوادى ، فأى برهان اعظم من هذا ؟ فلا الميزان ولا عـد الدراهم ، ولا تتبع المدينين ، ولا هم الاداء للدائنين ، حالت دون مناجاة ربة الشعر ، فلتحى هذه الهمة العزوف ، وليبق ذكرها فى الخالدين ، فان لم تكن هذه الهمة هى الهمة الكبيرة ، فقل بربك كيف تكون بعد الهمم الكبيرة فى هذا الوجود ؟

أدبياته

هذا الاديب من الذين كانوا اولا يخبون ويضعون على النمط القديم فى الميدان الادبى ، ثم لما اندفع الى الحواضر ، ورأى ما راى من آثار الادب العصرى ، صار ينتفض فيحب ان يجارى المعاصرين ، ولذلك ينبغى لنا ان نسوق من آثاره القديمة والحديثة معا نماذج .

آثاره في العهد القديم

ان لهذا الاديب الكبير آثارا جمة فى عهده القديم ، وهى بالنسبة لبيئته آثار حسنة تكون فى طليعة ما يقوله لداته واساتذته .

من ذلك مرثيته للاستاذ ابى الحسن الالغى ، مطلعها :

الدهـر بعـد تـعـرف يتنكـر   ونـمـيره بعد الصفـا يتـكـدر
مـا افتر عن اسنـانه الا بـدا   متجهمـا عن نـابـه يـتـكشر
فاذا تذلـل لامرىء يومـا غـدا   من بـعـد اى تـذلل يتـنمـر

وهى قصيدة لها الصدارة بين مراثى الاستاذ ، وقـد ذكرناها فى ترجمـة الاستاذ .

وقال يقرظ كتاب (الادب العربى) للاديب ابن العباس القباج :

نفثت فحلـت عـقـدة الصـبر   وتبسـمـت كمفـتـق الـزهـر
وتمايـلت عن بـانـة وتلفتـت   عن شـادن مستشعـر الحـذر
وتعثرت فى ذيلـهـا وتسترت   فى ليلهـا لـولا شـذا العطـر
غيداء غصن البـان فى حجلانه   لمـا بـدت والـورد فى البهـر
ذات الجمال مع الجـلال مع الكما   ل مع الدلال مع السنـا البدرى
هيفـاء افحمت العذول بوجهها   واتت بعـذر فى الهوى العذرى
حـوراء معطال يحـار الكحل فى   آماقـهـا والـدر فى الـنحـر
عيناء يعشق خصرها اردافهـا   فانظر ذبـول العشق فى الخصر
نكاثة نـفـاثـة هـاروت مـع   ما روت تحت لوائهـا السحرى
وهـنـانة فـيـنـانة فـتـانة   تسبى الخـلى بخدهـا الجمـرى
من لى بـهـا ذهبيـة فضيـة   بـدويـة حـضريـة المـصر
من لى بـهـا شمسيـة بـدرية   شرقـيـة غـربـيـة الـقـطـر
ان قلتشدى بالوصال العذب از   رى شـدت من هجرهـا اسرى
لا ترضى رقى بـريقـة ثغرهـا   فاعجب لذاك الريـق والثـغـر

❀ ❀ ❀

يا ربـة الخدر التى قد عـز من   يصبـو لهـا يـا ربـة الخـدر
يا ربـة القدر التى من رامهـا   رام السهـا يـا ربـة الـقـدر
هـلا مننت بلحظـة او لفـظـة   ففديت صبـا من لـظى الهجـر
مـا كنت اصبو والمعـالى همتى   مـذ نشأتى ـ للبيض والحمـر
كلا ومجدى وهو مجـد صـادق   لا انـتـمى لخـلائـق تـزرى
لكـن سـبـتـنى غـادة فكـرية   زهـريـة الالـحـاظ والـنـشر
حيت فاحيت بالتحيـة مدنـفـا   يـا بـرد مـا ابدت على صدرى
بهرت قلوبا بعد ان بزغت كشمــــس الـرغـت نـورا على الدهـر

من وضع فخر الدهر حامل راية الا   قلام في ذا الجيل والسمر
ذاك الاديب محمد القباج منـــتعل السهـا مستفل الزهـر
بحر الندى، بدر الهدى، احدث بما   تبغيه عن بحر وعن بدر
السحر من انفاسه ، والخمر من   انقاسه ، والدر في السطر
رب المعالى ، والمعانى قيدها   والفضل طوع بنانه العشر
الشعر فضل شعاره والنثر وهـــو دثاره من يمه يجرى
فالعشى تعشو والنوابغ نحوه   تلقى له بازمة الأسر
سعد البيان وفى العروض خليله   ولدى الحديث مناضل الزهرى
خضعت له الافلاك وانخدعت له الا   ملاك وانبعثت على قسر
وضع تباهى حسنه لما تنا   هى غصنه متقاعس الهصر
وضع لنهر بلاغة ونصاعة   وصناعة جسر على نهر
ان السيادة غادة مخطوبة   وسواه لا ترضاه فى المهر
هو مكرع الآداب للالباب فانـــقع غلة من جامه الخمرى
فاجل المحاسن جمعت اشتاتها   فى منطق يلهى عن الشذر
جمع العلوم واهلها واماط عن   وجه المكارم مسبل الستر
اعيا واحيا قطفه او لطفه   فهما وعلما فاح كم دهر
هو مركز الادباء كم حبر يرو   ق ويزدهيك سنا الى حبر
من فتية هم فى الزمان طليعة الا   قبال والاسعاد والنصر
من فتية هم فى الليالى المدلهمـــات الحوالك طالع الفجر
من كل سهم صائب غرض المنى   او كل شهم ممتطى النسر
او كل فذ جامع لمحاسن   او كل فرد نافذ الفكر
او كل قرم باسل متورع   متبرع متدرع الصبر
نفر قضوا بلحاق كل فضيلة   فنضوا بواتر همة تفرى
ساروا فما حاروا ولا جاروا وطا   روا فاستطابوا الغب فى السير
آلوا فلم يألوا فنالوا ما بغوا   وسعوا فوافوا رتبة الصدر
لبوا نداء المكرمات بعزمة   لا تنثنى عن مورد الفخر
بتناسق وتسابق وترافق   وتدفق فى الطبع كالبحر
ثاروا وقد لمعت بوارق جدهم   فى همة ، ما همة الدهر
بفخارهم ونجارهم قد طال او   قد صال مغربنا على مصر
لم لا وفيهم شيخنا الارضى الرضـــى الطاهر المتفضل البكرى
لم لا وفيهم ذلك المختار ذو الـــمجد الصريح المرتضى النجر
لم لا وفيهم ذلك البلغيث (1) ذو   الفضل الشهير الكاشف الخير
لم لا وفيهم كل بدر مشرق   كالخزرجى والعالم الفهرى
اهل السيادة والمجادة والنجا   دة والبلاغة والندى الغمر

(1) حذف ياء النسب والاكتفاء بالكسرة مستعمل على قلة ولكنه افصح من غيره.

دررا لاصداف غدوا غررا لاســـداف واطواد الذى الدعر (1)
اما بكت اقلامهم فى طرسها   ضحكت ثغور النظم والنثر
لو اسمعوا الخنسا لذيذ كلامهم   لسلت وما حنت على صخر
قد صنت شعرى عن سواهم ليتنى   احظى بما يرضى من الشعر
من ذا يبين بقوله عن فضلهم   من ذا ؟ وقد اربى على القطر
او من يعد من السماء نجومها ؟   جلت عن التعداد والحصر
لكن نذرت لذى الفضيلة شكره   عن فضله فوفيت بالنذر
اسديت ما ابديت معترفا بتقـــصير ومعترفا من العثر
عجمية من حيرها لا تهتدى   فبمدحهم وبنورهم تسرى
كثرت انصارى بهم وولائهم   وارى اكيد ودادهم ذخرى

آثاره في العهد الجديد

قال ـ واظن ان هذه من اولياته فى هذا العهد بعدما طالع الادب العربى الذى يضم اندفاعات من شعر الشباب الحى : ـ

طارح نشيدك قبل وقت فوات   ان الفراق لاعظم الآفات
هبنا تجمعنا على وفق المنى   لا غرو يقضى الدهر بالنقلات
بالله متعنى واسمعنى بما   توحى اليك نوافذ الفكرات
عاط النشيد فانت غير مدافع   اصبحت فيه مظفر الرايات
فلأنت انت اذا الفطاحل احجمت   ولأنت شهم صادق العزمات
هات الشجون وهاكها فلربما   يطفى سعير الوجد (هاك وهات)

❁ ❁ ❁

ويروقنى غزل رقيق لو دعا   لبته عصم الحى بالمهجات
ويشوقنى طربا مديح ان جرى   نهضت به همم غدت نخرات
ويثير ما بى من بقايا همة   شعر تحمس صادق المهجات

❁ ❁ ❁

قد كنت اعلم من زمانى فيئة   شكرا لما اسدت يد الغفلات
شكرا لما اسدته من لقياك يا   روح العلاء ومنبع الحسنات
بالله قل لى اين انت ؟ فقد قضى   زمن على بلاعج الزفرات
قاسيت منه نوائبا لا تنقضى   فبك انسرت عنى دجا الازمات

❁ ❁ ❁

يا قوم قوموا فالزمان مساعد   وقد اعتلى قوم بفضل حصاة
هضمتم قطرا ابيا يا لـه   من قطر عز معتلى الصهوات

(1) اسداف ج سدف محركا : الظلمة (ويستعمل للضوء أيضا فهو ضد).

جدوا فقد نجح النبوغ بشعبكم … وسرى الشعور به على الهضبات
هبوا فان الجهل اي مذمة … فالحر يابى ذلة الجهلات
قد كان بين القطر والعليا كما … قد تعلمون به وشيج متات
كم من سراة حسنوا قولا اذا … ما انشأوا في محفل وسراة
كم من اساة ان يؤموا منتدى … فالدهر يحني راسه كم اساة
بالعلم تفترع السماء وتنجلي الـــظلما ويطوى شاسع الفلوات
بالعلم يجتمع الشتات وانه … لاداة خير اصل كل حياة
بالعلم يحيا الدين والدنيا فلا … تسترسلوا في غمرة الغفلات

وقال في رجل اسمه ابو الفضل :

الم علينا مستفيضا ابو الفضل … فسر قلوب السامعين بما يملي
تراه عن الاذكار ليس بفاتر … ويشزر في اسماله شزر ذي صول
يصلي على غير الطهارة عابثا … وليس بذي فرض وليس بذي نفل
عليه من الادران ما لا يطيقه … مجللة بما يروع من القمل

وقال متغزلا :

لم ادر قبل غرامي ايها الغيد … ان الجفون شباك صيدها الصيد
صادت فؤادي بيضاء مهفهفة … تسير تحت لواها البيض والسود
من علم البيض حل الصيد في مهج … ام شرع هذا الهوى بالظلم معهود
فاسبيت منها ولا اشكو خلائقها … صلابة دونها الصم الجلاميد
لم انس يوما وقد زمت ركائبها … فزعزع الصبر وارتجت مناجيد
من خيبة البال مما قد اساوره … تختال تيها وتيه الدل محمود
ناديتها ودنوت من صواحبها … وللدموع على الخدين تخديد
اهكذا كل اهل العشق في نكد … ان كان ذو نكد مثلي ومجدود
ففي لصب اضاع العشق حرمته … وذلل الصعب منه الخد والجيد
قالت حنانيك ان البين مقترب … هبني نزحت فحبل الود ممدود
الا تودعنا فالركب مرتحل … بم اودعها والقلب مفقود ؟

وقال في وصل محبوب :

وحبيب قد حباني … بلذيذ من وصال
في شهي من عتاب … ولطيف من دلال
ونصيب من ملال … ويسير من مطال
قد اتى يختال حتى … حل عندي كخيال
زارني يختال تيها … وكذا داب الجمال
بمحيا كنهار … ولباس كالليالي
قد رثى لي اذ رآني … علم الله بحال
فانبرى ضما برفق … بيمين وشمال

فامنا ننسخ الهجر بوصل ذي اتصال
وطفقنا نشتكي البين بشرح مستطال
قال عهدي بك قدما … غير سال غير قال
كيف لا تشرح مثلي … قالت عذري في مقالي
لذة الوجد قد انست … سورة الهجر ببالي

وقال في غصن يتمايل في روضة :

عجبا لغصن قد تمايل هزة … في روضة تذر النسيم عليلا
يا غصن مالك لا تمل تمايلا … ما كان ضرك لو سكنت قليلا
اسلافة دبت بجسمك ام سبى … منك النهى زهر الرياض بليلا ؟
ام قد عشقت ولا اخالك خاليا … واظن قدك بالغرام هزيلا
يا غصن منظرك الطبيعي آية … تهدي الانام الى الغرام سبيلا

وقال يفتخر :

اتحسب اني لا اجيد القوافيا … واني لا ابدي وان جل ما بيا
الا ان شعري فيضه غير غائض … فما لي لا اجري القوافي ما ليا
متى جال فكري في خيال تسابقت … اليه معان تستفز الرواسيا
وان حام في جو الصفاء سمت به … الى الاوج آمال تناجي الدراريا
فلو صرفت مني الى الليل مدحة … لبيض مدحي الفذ تلك اللياليا
ولو قمت في التاريخ انشر طيه … لجددت من دهري السنين البواليا
متى رمت امرا او رميت رمية … فلست لأنثى دونه من عنانيا
حماسي شعري لو تكتب جيشه … لحطم في قلب الرزايا الدواهيا
ابيت ولي عزم بنجم معلق … اذا بات غيري بالخلاعة لاهيا
واعشق لكن لا سليمى وحزبها … ولكن عشقي للمعارف ساميا
وامدح احيانا مديحا منسقا … ويمنعني عن هجو قوم حيائيا
تخلقت اخلاق السماحة والوفا … وارضعت در العز في المهد ثاويا
وافصح عن شاني اذا الصمت شانني … واصمت ان حلى صماتي حاليا
وتانف لي نفسي التملق لامرىء … يرى نفسه في الفضل فوق مقاميا
واحدو بنفسي نحو كل فضيلة … ولا ارتضى هام السماك مكانيا
ولكن شفوفي عند قوم جريمة … وذلك شيء لا يضير المعاليا
رأوا عطلا اجيادهم فتنكدوا … بما قد رأوا جيدي بفضل حاليا
على انني ادرى زماني واهله … كما قد دروا مني اللبيب المداريا
لذلك ارضى بالخمول وارتدى … رداء حليم يستقل الدواهيا

وقال في مجلس لقبه فيه احد اوداثه بامير القوافي ، ولقبه هو بمدير المعالي مداعبة :

حسب القوافي ان اكون اميرها … وابيت ندمان العروض سميرها
حملت يميني راية قد اصبحت … شم القوافي طوعها واسيرها

فـاظلت في احسانهـا وبيـانها ... حتى دعيت نصيرهـا وبصيرهـا
فقصائدي تنسى العروبة رقـة ... يـوم النشيد زهيرها وجريرها
ان السيـادة كنت انت حقيقهـا ... وجديرهـا وخفيرهـا وخبيرهـا
ان المعـالي قلدتـك امـورهـا ... فاهنأ بها فلقـد غدوت مديرها
فنثرت من عقد العوارف نظمها ... ونظمت من عقد العـلاء نثيرهـا
ودنت اليك سيـادة لا تـرتضي ... الا جنـابك ربعهـا ومصيرهـا
شمخت بانف ان تـنـال وانها ... رضيت لشخصك ان يحل سريرها
قد اوعزت لمعاصريك نذيرهـا ... واتتـك موفـدة اليك بشيرهـا

هذه نماذج مما يقوله اديبنا الكثيري في عهده الجديد ، او ما يحس القارىء معي – ان كان سليم الذوق ، واسع الخيال ، فسيح الثقافة في الكلام العربي العالي في كل ادواره – ان الاديب قد اندلق من كل ما كان يتسكع فيه في عهده القديم ، الى جو واسع مترامي الآفاق ، يسبح فيه الخيال بملء اجنحته ، ويجري فيه اطلاقا على حسب قوته الشعرية ، وقد القى ظهريا ذلك التلاعب بالالفاظ ، فاقبل على المعاني الرائقة المتموجة المغنطسة المكهربة ، فتنجذب اليها الفاظ تلائمها فاصبح في عهده الجديد ، اذا نسب او افتخر ، او غازل املودا في روضة ، او وصف زورة حبيب ، يطير باجنحة خيالية خفاقة ، واين كل هذا مما كان في سردابه القديم حين يقطو ويرسف في قيود ما انزل بها الذوق السليم من سلطان ، ولا كانت معترفا بها قط في عالم الادب الا عند الذين لا يزالون لم يتملصوا الى الحرية الفكرية العصرية الوثابة ، وان كانوا معذورين قبل ان تبلغهم البعثة (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

ان سوس تهنىء نفسها بنبوغ هذا الشاعر الذي ربما يكون له في المستقبل القريب شأن اعظم مما له اليوم ، فهو وابو سالم الالغي ، والبونعماني والتناني والروداني والعثماني مفاخر الادب السوسي باقوالهم الطريفة اليوم في هذه الحياة الجديدة (وانا لنرجو لهم فوق ذلك مظهرا) .

مع الاديب البونعماني

سقطت الى رسالة صغيرة وقطعة شعرية ، ارسلهما المترجم من الجديدة الى الاديب البونعماني ، منبع النعرة الادبية السوسية ، وصاحب لوائها الخفاق ، ويظهر من الرسالة انها جواب لرسالة ارسلها اليه البونعماني ، يقول له فيها : (هل من شعر جديد يا سكان الجديدة ؟) .

الرسالة

الاديب العبقري النقاد صاحب البدائع الروائع ، السيد الحسن البونعماني تحية متجددة ، وسلاما لا يتناهى .

حمل الي البريد رسالتكم المملوءة بالعواطف الصادقة الطافحة بالآداب التي تملك المشاعر ، وتخلب الالباب ، ففتحتها فاذا فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ، وكيف لا وهي نسيجة يد لا تعرف الا التفوق في التعبير ، وفي التحبير ، ونتيجة قريحة لا تعرف الا التقدم الى الامام ، وحفزا للهمم الى المعالي ، آيات بينات ، ومعجزات باهرات ، وبلاغة تبهر القارئين ، وتتخلل المسالك التي تتخللها الخمر في الشارين ، فابقى الله تلك اليد للادب ذخرا عتيدا ، ولسوس وابنائه حصنا حصينا .

سيـدي :

ما زلت ولن ازال على ما علمتم مني من الحنين الى رؤيتكم ، والتشوق لزيارتكم والتشوف للاقاتكم ، هي آمالي بالنهار ، واحلامي في المنام ، وهي كل ما اقترحه على الدهر ، ولكن يابى الله الا ما اراد .

ازعجتني جملتك الجليلة في الرسالة ، حيث تقول : (هل من شعر جديد يا سكان الجديدة) فانبعثت انبعاث البرق في الجـو ، او كما تسيل الكهرباء في الاسلاك ، فقلت ما قلت ، وهي لعمري كلمة تحفـز النوابغ ، فكيف بمن قلت بضاعته ، وبارت صناعته ، مثل هذا الذي انتشب في حب الادب ، ثم يابى الشعر العالي ان ياتمر باوامره ، ولكن اجـابة لندائكم ، وتلبية لدعوتكم ، ونزولا عند ارادتكم ، ارسلت ما تقرأه ، ولعـله يبيض الوجه ، ويبهج بعض القراء ، فانني منكم ايها المحبون للادب ، (ومن انتمى لذوي السعادة يسعد) .

ارقـت من سـكـن الجـديـدة ... اذ قمـت ترهـقـه نـشـيـده
فـــاشـــاد مــــن اسراره ... مـا ليس يـرضى ان يشيـده
حـمـلـتـه صـيـد الخـيـــا ... ل وليس يـدرى ان يصيـده
مـــا راعـــه الا كـــتـــا ... ب ايـقـظ الهـمـم الرشيـدة
بـــل راعـــه ذلك الخـــطـــا ... ب المعتـلى : (هـل من قصيدة)

❁ ❁ ❁

يـــا شـــاعـــر الابـــداع رب ... المـجـد والشـيـم العتيـدة
هــــل تـسـتـزيـد وانـت او ... لى الناس شعـرا ان تجيـده
او تـسـتـفـيـد وانـت اعــــلى القـوم كعبـا ان تـفـيـده
او تـسـتـعـيـد وانـت احـــرى الـنـاس طـرا ان تعيـده
هـــذا الـذى خـــل الخـلـيـــل بـفـكـرة حـيـرى مـديـدة

❁ ❁ ❁

ايـه فـقـد جـددت عـنـــدي اعصرا راجـت حميـدة
واعـــدت دهـــرا كـاد ريـــب الدهـر ظلمـا ان يبيـده

واذقتني طعم الحيا ... ة فبت اونسها جديدة
قربت لي اقصى المنى ... ولطالما راحت بعيدة
فانالتني عزا بذي الـ ... ذكرى التي لاحت سعيدة
ما كل ذكرى تزد هي ... او تبعث الفكر الوئيدة

❀ ❀ ❀

الشعر عندي غير ما ... يجزي به مرء وديده
بذت صداقة صاحب ... ما جال من فكر سديدة

واما ما للاديب البونعماني حوله ، فهاك له مقالا كبيرا منشورا في (حديقة الآداب) في جريدة (السعادة) رقم : 4686 تحت عنوان : (الاديب الكثيري وحنينه الى الوطن) وهو مقال طويل ، نسوق لبه باختصار قال :

ان لمسقط الرأس عاطفة تضمها جوانح كل انسان ، وكلما تلمسها يد الذكرى كما تلمسها اسلاك الكهرباء ، تهز صاحبها وتبعث فيه حنينا الى ذلك المسقط ، وان كان في مهمة قفر ، كما قال العبدري السوسي في رحلته ، وقد عيد بفاس :

قالوا تعيد في فاس فطب فرحا ... فقلت ما لي بها اهل ولا وطن
(بغداد قفر اذا لم تحول سكنا ... والقفر بغداد ان اهلي بها قطنوا)

وقد انطقت هذه العاطفة كثيرين على اختلاف لهجاتهم وميولهم ، فمنهم من ارسلها شعرا ، ومنهم من ارسلها نثرا ، ومنهم من ارسلها ملحونا ، ومنهم من غادرت قلبه وهو خفاق لا يهتدي سبيلا ، كلما حاول ان يعبر عنها ، وانما تختلف بواعث الذكريات الوطنية للقلوب عند الناس ، فمنهم من يبعث فيه غناء من اغاني قومه ذكرى بلده اذا سمعه ، او شجرة من جنس الشجر الذي ينبته بلده تذكره بمجرد ما يراها ، وهؤلاء الذين تبعث منهم الاغاني القومية وما في حكمها ذكريات الوطن هم الطبقة العليا التي لها احساس شريف ، وسمو عجيب ، ومن الناس ايضا من يبعثها فيه ادنى غربة ، وهي الطبقة المتوسطة ، ومنهم من لا يتذكر بلده الا في مظهر من مظاهر الحزن او الفرح ، حين لا يجد من يسليه اذا كان حزينا ، وحين يفقد من يشاركه في فرحه اذا كان مسرورا ، وهذه الطبقة لم يكن لها من الوفاء نحو الوطن او البلد سوى شيء قليل ، ولئن كانت العاطفة تجمع بين تلكم الطبقات كلها ، فان الطبقة التي تبعث فيها الاغاني القومية وجدان الحنين هي اقرب عندي الى الاخلاص والوفاء ، لان الاغاني لا صلة بينها وبين الطمع حتى يهتاج صاحبها لغرض ، واما الطبقتان الاخريان ، فلكل واحدة منهما غرض ، فالاولى لما تذيقها الغربة من خطوب ، والثانية لو وجدت ما يسليها لنسيت جدران تلك المعاطن ، وما كان لمسقط الراس الذي له على كل واحد حقوق

واجبة ، واديبنا الكثيري الذي لم تحركه ذكرى بلده سوس الا في يوم العيد حين لم يجد من يشاركه في مسراته او في شجونه في ثغر الجديدة هو احق بهذه الملاحظة الادبية التي لا شك انه يقدرها قدرها .

او لم يكن لاديبنا ان يسمع اسطوانة سوسية في شارع من شوارع الجديدة ، او يسمع رنة من رنات الوتر السوسي ، او على الاقل بعض الاغاني يسمعها كلما مر باخوانه الغرباء السوسيين في متاجرهم ، او حول بيوتهم ، اذ تنطقهم ذكرى بلادهم ، وحبها المعدود من الايمان ، فيغنون باناشيد شجية ، رغم سذاجتهم ، او لم يكن له ان يسمعها ، وانها لعمري لاناشيد لو اصغى اليها من يفهمها ويتذوقها لملأ الدنيا اشواقا وزفرات وحنينا .

لكن قطعة الاديب الكثيري – رغم هذه الملاحظة – سيراها القارئ تعبر عن خير واخلاص لبلاده ، وكيف لا وهو من الشبان المتنورين المثقفين ثقافة ادبية ناضجة في معاهد بلاده سوس ، فلا غرو ان راينا منه اخلاصا في شوقه اليه ، واي برهان على اخلاصه نحو بلده كقوله في هذه القطعة :

حنينا لاوطاني فدمعي رقراق ... وقلبي من ذكرى الاحبة خفاق
يمينا بمن قد زار طيف خيالهم ... ولي منهم عهد قديم وميثاق
لقد حكم البين المشت بمهجتي ... كما حكمت في مهجة الصب أحداق
فمن لي بارض كلما عجت نحوها ... فللواش (1) ارعاد هناك وابراق
ترحل عن جفني القريح غراره ... وحل به دمع يواليه ارهاق
وما لي لا اسلو وفي الصبر راحة ... وقد سئمت من بث شكواي اوراق
اراني اذا هب النسيم تجددت ... شجون تحتها لقلبي اشواق
وان لاح برق او تغرد طائر ... دهاني هجوم لا يزول واطراق
نهاري كليلي من شجون تواردت ... الم يان يا ليل التسهد اشراق ؟
يمينا لدهر قد رماني بغربة ... عن الاهل ، دهر لا يواتيه اشفاق
تذكرت اخوانا كراما وجيرة ... هم لضنى قلبي الموزع ترياق
رعى الله اياما توالت بقربهم ... وجاد عليها هاطل المزن مغداق
هم العيد لو من الزمان بوصلهم ... فيجمد من دمعي ويخمد احراق
فان ظفروا في ارضهم بمناهم ... فحظي في ارض (الجديدة) اخفاق
الى الله اشكو غربتي ولواعجي ... وهل تشتكي الاقدار يوما وارزاق؟
لقد علموا والدهر قد حال دونهم ... باني الى تلك المعاهد مشتاق
واني لا انفك انشد هاهنا ... (حنينا لاوطاني فدمعي رقراق)

هذه القطعة من مرتجلاته في دكان تجارته في (الجديدة) حيث يشعر كلما شاء ويتلقى وحيه بكل هدوء واطمئنان ، واذا وجدنا شاعرنا لم يحلق

(1) بحذف الياء ، وذلك مستعمل على قلة .

فى قطعته هذه كما كان يحلق دائما ، فاننا نعلم ان له نفسا اعلى من ذلك واسمى .

ثم ان اديبنا قصد بالاوطان فى بيته (حنينا لاوطانى فدمعى رقراق) بلده سوس الذى يضم عشيرته واحبابه ومسقط راسه ، ولم يدر ان كلمة الوطن يقصد بها الناس اليوم المغرب كله فى الشمال الافريقى ، اذا نظرنا الى الاصطلاح الجديد ، ولو كان اديبنا فى خارج المغرب ، لامكن له ان يقول ذلك ، واما اذا كان فى المغرب الذى هو وطنه ، وهو يتشوق الى سوس الذى هو بلده ، فالاولى له ان يقول حنينا الى وكرى او الى ارضى ، ليمكن له ان يجمع بين الوزن والمعنى معا ، على ان اديبنا غير ملوم ، لانه حديث عهد بالتجديد ، لا حديث عهد باللغة العربية التى ارتضع ثديها او لا من والده العالم الكبير محمد الكثيرى ، حامل راية الفتوى والتدريس سابقا فى بلاد (أملن) ومن استاذه الاديب الكبير احمد اليزيدى السوسى الذى يعد اليوم فى العالم العربى من كبار المقتدرين فى الفنون العربية والادبية ، وكلمة الوطن من مصطلحات هذا العصر ، وان كانت تروج فى الزمن القديم فانها لا تروج بهذه الصيغة الحديثة ، ومستند اديبنا فى تعبيره روجان امثال هذه الكلمة بهذه الكيفية ، (وهو الذى يسوغ له ذلك) بوساطة اقلام القدماء حين يستعملون لفظة (الوطن) فى محل لفظة (البلد) كما يعكسون ، وخصوصا شعراءهم ونحن ان انتقدنا صديقنا الكثيرى ، فانما ننتقده انتقادا اصطلاحيا لا انتقادا علميا .

وقفت على مجموع لاديبنا يسجل فيه بعض قصائده الرائقة ، والمرجو ان لا يضيع لنا من درر شعره ما يلفظه ، كغيره من ادباء سوس الذين قضى عليهم وعلى آثارهم ذلك التواضع الذى ما دخل على شيء فى غير محله الا واتى عليه وقد كنت ايام الطلب فى سوس قبل ان اغادرها الى هذه الديار يصلنى — وانا ولوع جدا — طرف من ادب الكثيرى شاعرنا هذا ، ومن ذلك قصيدة له شرقت وغربت فى الاوساط الادبية بسوس ، ومطلعها :

الدهـر بعد تعـرف يتنـكر ونميره بعد الصفا يتـكدر

وانى احمد الله الذى يسر لاديبنا الخروج من بلده ، ومن وسطه الى هـذا الوسط ، عسى ان يضرب بسهم من الاحتكاك ، ويشـارك فى هذه الحيـاة الجديدة باوفر نصيب ، وانا اعرف جدا ان ابناء القطر السوسى هم اسرع ما يكونون الى التطور الفكرى لما منحهم الله من مواهب النبوغ والذكاء ، وان كان التواضع يغلب عليهم كثيرا .

ان حالة سوس اليوم تسرنى ، لاننى رايت ابناءها اصبحوا يحاربون الخمول ، ويميلون الى التفكير الجديد ، وقد شاهدت افكارا سوسية تدل على ان هناك ما يحقق آمالنا ، والحقيقة ان البلاد السوسية لفـى احتيـاج الى التطور والاحتكاك ونشر اللغة العربية بالكثرة بين رجالها ونسائها ، حتى تكون اللغة العربية هى لغة التخاطب فيما بينهم ، ومتى نرى يا رباه الافا مؤلفة من ابناء سوس يشاركون (1) بعد الثقافة العربية فى الثقافة الغربية ، متى نراهم ؟

دعنا يا اخى من حنين الوطن ، فان الامر اعظم من ذلك الحنين ، وخض غمار العلا مع الخائضين ، واياك ان تكون من المقتنعين بالبلل ، فانى وحقك لانسى مسقط راسى وانسى كل شيء كلما تذكرت قول ابن دراج :

دعينى ارد مـاء المفاوز آجنـا الى حيث مـاء المكرمات نـمير
الم تعلمى ان الثواء هو التوى وان بيـوت العاجزين قـبـور
وان خـطـيرات المهـالك ضمن لراكبـهـا ان الجـزاء خـطـير

بينى وبينه

فى اول المحرم : 1342 هـ زرت البلد — الغ — فصادفت مع الاستاذين البوزاكارنى واليزيدى شابا نشيطا طلق المحيا ، فائض الاريحية ، ياخذ بلطفه القلوب ، ويستحوذ برقتـه على المشاعر ، فقـدم الى منه الاستاذ البوزاكارنى من سماه الاديب الكثيرى ، فحضر معنا جلسات ادبية ، فرايت قريحة فياضة ، وذكاء وقادا ، وذلاقة فى اللسان وفهما ثاقبا فى العويصات ، وحسن استماع عند المحادثة ، وطيب مراجعة عند المحاورة ، فعقدت الوسطى ، فقلت : كنت عقـدت قبل اليوم الخنصر والبنصر يـوم فـزت بالاستاذين البوزاكارنى واليزيدى ، وها أناذا اليوم افوز بثالث ، ثم قدم الى قطعة ميمية خاطبنى بها ، وقد تلفت بين الاوراق فى تنقلاتى ، ثم لما رجعت الى الحمراء ارسلت الى الادباء الثلاثة هذه الرسالة ، وقد كتبتها فى يـوم : 18 صفر 1342 هـ — اسجلها للتاريخ لا للادب فانها من بنات مختار تلك السنين رحمه الله —

مجتنى ازهار الاراب ، ومجتلى اقمار الاداب ، طلعات السعادة ، وتلعات السيادة ، الراقون كراسى المعالى ، كانهم والعلاء على وعد ، المغبرون فى وجه المسامى ، وما قلت الا بالذى علمت سعد ، والعالون عن المعالى وهم يحلقون بعد ، والغالون عن سوم الوصف وكيف لا ومنفقهم السعد ، فالاطناب فيهم عين الاختصار ، والاطالة عين الاقتصار .

السن الواصفين كلت ومن يـقـــدر عن عد رمل اكناف عالج ؟

الكارعون فى مناهل الفصاحة ، والطالعون فى سماء السماحة ، سادتى : ابو زيد الاحيالى — البوزاكارنى — وابو العباس اليزيدى ، وابو عبد الله الكثيرى ، اولئك كناناتى وقسيى ودروعى فى المعامع ، اولئك فى افق اختيارى الشموس الطوالع :

اولئك ابـائى فجئـنى بمثلهم اذا جمعتنا يـا جرير المجامع

(1) كتب هذا من نحو 20 سنة ، وقد صاروا اليوم بعد الاستقلال يشاركون

ثلاثة كما اجتمع النسر ، لكنهم ذات واحدة في الجبر والكسر .

ليس على الله بمستنكر   ان يجمع العالم في واحد

انتضى لهم السعد من طول الالفة سيفا صقيلا ، قاطعا ذكر ما منحه الدهر قبل جذيمة ومالكا وعقيلا ، امتزجوا امتزاج الماء بالحميا ، وتحابوا حتى لا تعرف من غيلان ميا ، وتضايفوا ببحر صفاء ، حذف نون اللائم والملوم ، وتناسبوا بنسب شريف وما هو الا نسب الاداب والعلوم :

نسب تحسب العلا بحلاه   قلدتها نجومها الجوزاء

مع اخلاق كالنسيم المعتل ، في الروض المخضل ، واحلام ، كما رست الاعلام ، وفلاح كما لاح الصباح ، ورضى ، يصير سم الخياط فضا ، وعقول ، كما مضى الحسام المصقول ، وجود ، ياتي على الموجود ، وقبول ، كالروض المطلول ، وبلاغة ، انست ابن المراغة (1) ، وقريض ، يصفع قول الاعشى وان غنى به الغريض ، وجزالة الفاظ اعادت سوق عكاظ :

فضلوا الانام بفضل علم واسع   وعلا مقامهم بفضل المنطق
وحكوا لنا وشي الرياض وقد وشت   اقلامهم بالنقش بطن المهرق

فسبحان من اقطفهم ثمرات المجد يوانع ، وشرفهم بل شرف بهم الدواني والشواسع ،

فاذا تشرف بالفضائل غيرهم   فهم الذين تشرفت بهم
فهم الى رتب العلا طرق   وهم على جبل العلا علم

كملوا وهم في المهد ، وشرفوا وهم لا يزالون يمرحون بين الحجر والنهد .

خلق الناس من الطين وهم   خلقوا من محض طين الشرف
فذووا المجد لدى ساحته   وهم فيه باعلى الغرف

فيالها من ليال نفحاتها تزدهى على نفحات الحسن بين الثغر والصدغ ، مرت لنا معهم في حضرة الغ وما ادراك ما الغ :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رايته   وعليه أغصان الشباب تميد

ليال هي غرر في جباه العمر ، واحجال في قوائم لياليها السمر .

هذه ليلة لها بهجة الطا   ووس حسنا واللون لون الغداف
رقد الدهر فانتبهنا وسارقـ   ـناه حظا من السرور الوافي
بمدام صاف وخل مصاف   وحبيب واف وسعد مواف

ليال لا يفي بوصفها لسن لسان الفتح ، ولا فصاحة الرضى وان وصف ليلة السفح ، وكيف لا وقد ادرنا كؤوس النظام مترعة ، وافتضضنا فيها ابكار الافكار غير متمنعة ، نغوص في الآداب فناتي بكل لؤلؤة يقوم لها الحسن

(1) هو جرير .

ويقعد ، ونرقى في معارج الابحاث فيناى عنا العويص ويبعد ، من كل ما شئت من الفاظ نواضر ، تستوقف النواظر ، ومعان عواطر ، تسبي الخواطر ، ونظم يبادره اهل الاذواق بالقبول ، (كأنه منهل بالراح معلول) نؤلف بين المعاني الغريبة ، بسياسة عجيبة .

اذا منعت منك السياسة نفسها   فقف وقفة قدامها تتعلم

ثم ما برح الدهر أن قلب لنا ظهر المجن ، وشحذ غربه لتفريقنا وسن ، فاستبدل كل من خليله جارة من محارب ، ومن نور موانسته نار الحباحب

ان فتى ذاق مر بين فاني   قد تضلعت من مطاعم مره

فهاهم اولاء صرعى في ساحة الشوق الصميم ، لا يشتغلون الا باستنشاق النسيم :

اذا هبت الارواح من نحو جانب   به اهل مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما   هوى كل نفس حيث حل حبيبها

حال الغرام ، بين السمع والملام :

واين من الملام لقى هموم   يبيت ونضوه ملقى الجران ؟

فياله من عقيق ابرزه من آماقهم البين ، ومن تنهد اصم الاذن واعمى العين :

قلدت يوم البين جيد مودعي   دررا نظمت عقودها من ادمعي

لاسيما هذا الغريب منهم الذى زاد البين في طين غربته بلة ، وجمع الى حشفها سوء كيلة ، فزاد في عودها نغمة ، وفي ليلتها ظلمة ، حتى شرق بالريق وصار اضيع من المصحف في بيت زنديق :

لقى جسمه مؤيد بنحوله   مقال الذى قد اثبت الجوهر الفردا

رحم الله غربته ، وكساه عطفته ، وارعاه نظرته ، وقبل توبته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



سيدى احمد بن محمد الكثيـــرى

نحو 1315 هـ = حـــى

نسبـــه

احمد بن محمد بن محمد (الى آخر ما تقدم فى ترجمة القاضى قبله)

هذا السيد اخو القاضى المتقدم واكبر منه سنا . اخـذ القـرآن عن الاستاذ سيدى محمد البوشوارى المذكور فى ترجمة القاضى الذى قلنا فيه انه خرج كثيرون فى القرآن به . وقد اخذ عنه تسع ختمات فى خمس سنوات. ويقول المترجم انه لا يزال يستحضر كيف اخذ الختمة الاولى . وما هو مختتم المحفوظ فى لوحته كل يوم . وما هو رأس الاخرى .

واما العلوم فقد افتتح الجرومية من اول يوم فى (تيمكر) على يد الامير الشيخ احمد الهيبة . تبركا به هو واخوه سيدى محمد ، ذهب بهما الفقيه والدهما ، ثم لازم الاستاذ الكبير سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى من مدرسة (فوكرض) وفى المدرسة (الالغيـة) كما اخـذ عن الاستـاذ احمد التاجارمونتى الاهريبى فى مدرسة (ايموساكا) يوم شارطه هناك والده . كما اخـذ ايضا عن الاستاذ محمد السملالى من الاخذين عن الفقيه سيدى محمد الكثيرى والده فى تلك المدرسة . كما اخذ ايضا عن الاستاذ الكبير سيدى احمد الزدوتى فى مدرسة سيدى عمرو . وهو المشهور بتا لمصحفت . من المتخرجين بالعلامة سيدى عبد الله بن ابرهيم اليوقناركاوى . الشهير . كما اخذ ايضا المترجم عن الاستاذ سيدى محمد التودماوى الهوارى .

هؤلاء هم اساتيذه فى الفنون وقد مر على جميع المتون . حتى كانت له مشاركة . وان كانت دون مشاركة اخيه القاضى . مع ان له حافظة جيدة ، وفهما وحذقا ، وقد كان شارط فى مسجد (تاكانزا) فى (اكنس واسيف) من املن . وفى مسجد (تاكضيشت) هناك ايضا . وفى مدرسة (تافيلالت) فى قبيلة ادا وكنير . وفى مدرسة (تيدلى) من تيزى الاولياء . وفى مسجد (افرنى) حيث هو الآن 1380 هـ. وكان عزوفا قنوعا محبا للعزلة . زاهدا فى الوظائف . ولذلك لم يسلك مسلك اخيه القاضى .

وللمترجم اخ يسمى ابرهيم تاجر فى (الرباط) حسن الاخلاق . كريم طاهر الذيل . وقد باسطته يوما فقلت له . قد حفظك الله من العلم وما يتصف به بعض ذوى العلم من سوء الاخلاق . والبخـل ووسخ الذيـل . فهنيئا لك .

سيدى محمد بن سعيد الاكنارى الايلالنى

نحـــو 1312 هـ = حـــى

نسبـــه

محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن ابرهيم بن على بن سعيد بن محمد بن على بن احمد بن سعيد بن داود بن احمد بن يحيا بن سليمان بن ابى بكر بن يعزى بن عيسى بن اسماعيل بن هرون بن يعقوب بن يوسف ابن اصلتى بن عيسى بن داود بن محمد بن تصلت بن صار بن ملول بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب .

هكذا وجدت سلسلة النسب بخط عالم الاسرة . وجد المتاخرين منها ، كتبه اواخر ربيع الثانى 1164 هـ والجعفريون من قبيلة (ايلالن) كثيرون حتى كاد اهل تلك القبيلة على كثرتها يدعون هذه النسبة . ويرون ان جدودهم انتقلوا من مدينة (تامدولت) وفى ايدى بعضهم ظهـائر ملوكية منذ عهـد السعديين تدل على ذلك .

ثم اعلم ان سلسلة هذا النسب الجعفرى الواصلة الى عيسى بن داود ابن محمد بن تصلت بن صار بن ملول بن عبد الله بن جعفر ، غير السلسلة الموجودة فى نسب الجراريين واخوانهم آل (تلكات) الحامديين و (اولاد عيسى) الايسيين و (اولاد رحمون) الذين منهم محمد بن مهدى الجـرارى الدرعى العلامة المشهور . واولاد سالم الصحراويين . فان سلسلة نسبهم تنتهى بيحيا بن خالد بن جرمون بن جرار بن عرفة بن فارس بن حسين بن منصور بن محمد بن معقل بن عقيل بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ، وهاتان السلسلتان معا تخالفان ايضا سلسلة الجعفريين الاقـاويين الذين منهم آل سيدى عبد الله بن مبـارك العلامة الشهـير . وكذلك من ينضم اليهم فى النسب . كما ذكرنا ذلك فى تراجمهم . فان سلسلة نسبهم تنتهى بعلى بن الشبلى بن يعلى بن محمد بن بربوش بن وصفى بن ظفر بن يعرب بن ايلال بن غفير بن حسن بن ثابت بن عباس بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب .

وهناك نسب آخر للرؤساء الماسيين اهل (تاسيلا) وهو هذا ــ كما هو عندهم ــ عبد الله بن بلـقـاسم بن أحمد بن مسعود بن على بن موسى بن

الحسن بن ايوب بن عيسى بن عبد الله بن سليمان . بن يحيا بن بـدر بن الحاج مومن بن موسى بن ابرهيم بن اسحاق بن علي بن سعيد بن حميد بن سعيد بن عبد المومن بن عمر بن علي بن انيال بن يحيا ابن حريز بن علي بن عمر بن سكير بن بكيل بن رافع بن ابرهيم ابن موسى بن سعيد بن محمد بن احمد بن معقل بن عقيل بن هزراش ابن محمد بن عبد الله بن جعفر .

فهكذا وجدنا هذه السلسلات الاربع ، فيجب على من اراد ان يمرها تحت النقد ان ينظـر في اولاد جعفر بن ابي طالب اولا ، ثم في احفادهم فان علماء الانساب قد بينوا فروع الجعافرة الاولين . ثم ما سلم من هناك وتايد بما يقوله اهل العلم بالانساب يقبل ، والا فان ذلك اول خدش فيه ، وقد يصح كل مافي هذه السلسلات لتعدد أصول الجعفاريين في سوس . ونحن الآن لسنا بصدد هذا البحث . ثم لا ينسين المطالع ما كان يقوله ابن خلدون من ان الجعفريين لا يوجدون في المغرب ، وان كنا نحن نرى هؤلاء كلهم انما اتوا من الصحراء بعد القرن السابع او الثامن ، ولذلك لا يعرفهم ابن خلدون ، والصحراء متموجة بالجعفريين الحقيقيين الصحيحي النسب ، كما يقوله نسابـاتهم .

1 علي بن سعيـد

العلامة الكبير الصالح أحد اعلام وقته الكبار . قال فيه تلميذه ابو زيد الجشتيمي في كتابه (الحضيكيون) .

(ومنهم شيخنا الفقيه النزيه الولي الصالح ابو الحسن سيدي علي بن سعيد الهـلالي – الايلالني – التلعتي – التالاتي – الامسلتيني ، كان رحمه الله نحسبه من عباد الله الصالحين ، ومن حزبه المفلحين ، ومن اوليائه المتقين ، كان دينا خيرا ، فاضلا ناسكا ، محبا للعلم ولاهله ، بحاثا عن دقائق مسائل الفقه ، معتنيا به ، مكثرا من نسخه ، ومن سؤال العلمـاء عنه ، نـاصحا للمسلمين ، محبا للخير لهم ، مهتما بامورهم ، دؤوبا على اصلاح ذات البين بينهم ، هينا لينا ، سهلا قريبـا ، وربما ينهى عن المنكر ، فيعظهم فيغلظ القول . ويضرب من يستحق ذلك . ما رأيت قبله ولا بعده مثله ، وكان دؤوبا على اطفاء الفتن ، وعلى اطعام الطعام ، حريصا على احياء السنن ، واماتة البدع ، محبا لاهل الخير ، مبغضا لاهل البدعة ، يعظ الناس بالقول اللين . والموعظة الحسنة ، ويباشهم ويونسهم ، لـه مكاشفات صادقـة ، وكرامات عجيبة ، لا يحصيها الا الله ، ومن أعظمها أنه أخبرني ان ابي أخبره أنه رأى امـراة تطوف بالكعبة ، على هيأة نساء هلالة – ايلالن – وأبي رحمه الله مات في طريق الحج راجعا ، فليت شعري أين أخبره ابي بذلك ؟ ومـا هذا الا من خوارق العادة ، وكان رحمه الله من الذاكرين الله كثيرا . ومن الذين على صلاتهم يحافظون ، ما رأيته فاتته صلاة الجماعة قط ، وكان صبارا على ما يسمعه من أذى جيرانه ، وعلى ظلم اقاربه ، حتى أورثه الله ارضهم وديارهم ،

وكان قلما ينفك عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي معظم عبادته . وكان يكتب العقود والفتاوى ، ولا ياخذ اجرة عن الفتوى ، وكان يقسم بلا اجرة ، وكان يقول للطلبة ، اكتبوا واعدلوا ، وكان كثير الضحك بين الناس . ويبكي في الخلوة من ذكر الآخرة ، وكان متواضعا يجالس العجوز والصبي ، حتى يقضي حاجتهما . وكانت له زوجة صالحة ، اطلعني على بعض كراماتها ، وكان له أولاد صلحاء علماء . وما زال حيا منهم ابنه الصالح سيدي عبد الله . سالكا منهج ابيه في اصلاح ذات البين ، أعانه الله ، أخذ الشيخ عن الشيخ الحضيكي . وعن الشيـخ سيدي محمد – فتحـا – بن سعيـد التاكربنتي الهاروني . وعن الفقيه سيدي محمد بن عيسى الايتوغاني ، وعن سيدي ابرهيم من بني عبد الكريم البلدي ، وعن غيرهم ، وكان معمرا ناهز مائة عام ، ولم يزل على جهاده واستقامته حتى تـوفي عام 1225 هـ. رحمه الله ، وصلى عليه من حواليه جموعا متالفين ، كأنهم اخوة الاب ، مع ان نار الحرب مشتعلة اذ ذاك بينهم . فالف الله بينهم ببركته ، رحمه الله وجزاه عنا خيرا) .

وقال فيه حفيده الاديب سيدي محمد بن سعيد :

تواتر أنه كان من أولياء الله تعـلى ، وأهل الله العارفين ، وكان امام اهـل عصره وبلده في المعارف . ودوام المراقبة في اقواله وفي افعاله ، وكان ألين اهل زمانه ، وأشدهم لله خوفا ، وأصبرهم على اذاية الخلق ، حمالا للاذى ، سهل العريكة . كبير الشأن . متين الدين ، شديد النكير على أهل البدع ، كثير الاوراد ، نصوحا مرشدا للعباد . حريصا عليهم ، تباعا للخلق . فوالا له ، شديدا في اتباع السنة واحيائها . واماتة البدع واطفائهـا . نساخا للكتب العربية والعجمية . والمصاحف والرسوم بخط جيد متقن . من غير تبديل ولا تغيير في الحروف . متبركا به حيا وميتا ، مزورا مذكورا بأعلى الصالحات ، وبالجمله فهو من اكابر الاولياء ، واجلة الصوفية ، قل ان يسمح الدهر بمثله في الانصاف ، والحرص على الدين ، والتخلق باخلاق السنة ، ويحب الخير للمسلمين ، له احوال صادقـة ، وفـراسة صائبة ، وكرامات ظاهرة . وخوارق باهرة . وأسرار ومكاشفات ، مر يوما بحفيده سيدي احمد بن ابرهيم وهو صبي يلعب مع صبية ، فقال ان هذا الصبي سوف يتزوج بهذه الصبية ، فكان الامر كذلك ، ومن كراماته أن حفيده هذا مرض وهو رضيع ، فجاءت أمـه الى الشيخ وهو في المسجـد صباحا ، وقالت لـه : ياسيدي ان ولدي احمد مريض مرضا شديدا ، فاريد ان ترقيه . فقال لهـا سأفعل . فابطأ الشيخ لاشتغاله باوراده ، فرجعت اليه تستحثه ليدرك منه الرمق . فقال لها اليك عني ، لا تشغليني عن أورادي . فان ولدك لا يموت حتى يبني كل ما خرب في (الزاوية) وفي موضع (تيسلوغاس) – محل قبور رجال الاسرة – فرجعت فرحة . فكان الامر كذلك . وتواتر أنه لما دنت وفاته نادى وهو في الزاوية التي يسكن فيها تلميذه العلامة النحرير سيدي عبد

الرحمن الجشتيمي ، وهو في قبيلة (اندوزال) ، يـا عبد الرحمن فاجابه المذكور لبيك ، وقد كان بين يدى سيدى عبد الرحمن تلك الساعة خصوم ، فقال لهم ألا تعجبون من رجل بهلالة ــ ايلالن ــ ينادى آخر بهوزالة . فقالوا له نتعجب من كلا المنادى والمجيب . أخذ عن كثيرين منهم سيدى محمد بن عيسى الهلالي ــ الايلالني ــ والشيخ الرباني سيدى محمد الحداد . والعارف بالله سيدى محمد بن سعيد من (تاكربونت) من قرية (تاميغاط) والعارف الكبير الزاهد الشهير ، سيدى محمد بن احمد الحضيكي . وعليه اعتماده في طريق القوم ، وتخرج به خلق كثير من العلماء والاولياء والفقراء ، فصلحت به العباد . وانتفع به المسلمون حيا وميتا . منهم الجشتمي المذكور ، وسيدى احمد بن محمد الميموني دفين (تيمكيدشت) وسيدى ابو بكر المحفوظي . دفين (محفوظ) قرية بقبيلة ايت علي . وغيرهم من لا يحصون كثرة من الاولاد والاخوان والاصحاب ، ولما وقف رحمه الله على سنـد بعض الافاضل من تلاميذ الحضيكي نصه ، حدثنا الشيخ الامام العالم الهمام المحدث ابو عبد الله سيدى محمد بن احمد الحضيكي قال : حدثنا الشيخان العالمان : ابو العباس الصوابي ، وابو العباس العباسي . قالا ، حدثنا الشيخان الامامان ابـو العباس سيدى احمد بن محمد بن نـاصر ، وسيدى احمد بن محمد الهشتوكي ، قالا حدثنا الشيخ ابرهيم بن حسين الكردى ، حدثنا عبد الله الهوارى ، حدثنا محمد بن احمد النهروالى عن والده عن ابى الفتوح الطاوسى ، عن ابى يوسف الهروى ، عن الفرغانى عن ابى لقمان الختلاني عن الفربرى عن الامام البخارى كتب تحته ما نصه : اخبرنا الشيخ الامام العلامة المحدث شيخنا سيدى محمد بن احمد الحضيكي ، قال اخبرنا ابو العباس الصوابي ، عن ابى العباس الناصرى عن خطيب الحرمين الشيخ اسماعيل اجازة ، عن العارف بالله الشيخ على الشمولى ، عن الحلبي صاحب السيرة ، عن القاضى شمهروش ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم كتب بعده ايضا في وقت آخر مانصه : انتهى من اصله بلا زيادة ولا نقصان ، وقد وجدت بخط الشيخ الامام سيدى الحاج احمد بن سعيد بن ابراهيم بلدينا ما نصه : توفى الشيخ سيدى على بن سعيد سنة 1225 هـ ودفن في مقبرة بلده (تيسدوغاس) وبنيت عليه قبة عالية منورة ، بناها عليه حفيده سيدى احمد بن ابرهيم في سنة 1262 هـ. وقد اخبر الشيخ في حياته انه سيبنيها عليه . واعقب رضى الله عنه ولدين صالحين : سيدى ابرهيم بن علي وسيدى عبد الله بن علي .

2 سيدي ابرهيم بن علي

رايت في كلام الجشتيمي المتقـدم ، ان اولاد المترجم سيدى على بن سعيد كانوا صلحاء علماء ، وقد قال سيدى محمد بن سعيد المذكور ، في ابرهيم هذا . رجل صالح زاهد عابد ، دين خير ، ظاهر الخير والبركة . احد

الاولياء ، وعلم الاتقياء ، تؤثر عنه كرامات ، وفي ظني ان الجشتيمي ذكر في كتابه انه من العلماء ، فانظره ووجدت بخط ولده سيدى احمد بن ابرهيم انه توفي سحر ليلة الخميس التاسع عشر من المحرم سنة 1231 هـ .

3 عبد الله بن علي

الابن الثاني لسيدى علي بن سعيد . وهو عـالم صالح سالك منهج والده في اصلاح ذات البين ، كما رأيت ذلك في كلام الجشتيمي المتقدم . وقال فيه ابن سعيد المذكور ، رجل صالح فاضل ذو دين متـين ، وصبر ويقين ، له علم وصلاح ، وخلق حميد ، وكرامات عديـدة ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، ودفن هو وأخوه وراء والدهم داخل القبة ، وقد أشار الى ذلك الفقيه العالم الحر الكامل سيدى احمد بن محمد السندالي بقصيدة ، وقفت عليها ، وقد ضاع شيء في اولها واظنه يسيرا ونص ما بقي منها :

افضـل من تـظـله الخـضراء … وخـير من تـقـله الـغـبـراء
لـيـس لـه مـثـل بـه يشبـه … على التحقـق لدى من يـفـقـه
لم تحكه ذكا (1) ولا البدر ولا … بحـر ولا ليث اذا مـا بـسـلا
لا تغتـرر بـقـولهم كالـبـدر … في شرف وفي الـنـدى كالبحر
وجاهـه الاكسـير حقـا فضـلا … كل فضيـل فاستحـال مـثـلا
فـلو شممـت أرضـه كـفـاني … عـن شـم زرنـب او الريحـان
وبعد فالقصد بـيـان من رمس … في القبة المرساة في (تسدغس)
لـيـعـلم الآتي بـمـن يـزور … فصيتهم بـين الـورى مشهـور
ففي رجا (2) القبلة من له الرجا … يسمى ابـا الحسن حبذا الرجـا
ثم يـلـيـه شبـلـه الكـريم … الـبـارع الـعزوف ابـرهيم
ثـم يـلـيـهـمـا ابـو محمد … رد بـه الـكـوثـر ذا تـوده
فمن أتى تـربـتـهم فليلتـثم … ومن غـشـا مرمسـهم فليستلم
فهم نجوم الارض حـقـا كلـما … أفـل نجم لاح نجـم وسـمـا
سقـيـا لهم عمـد ذى الـبـلاد … ومنبـع الحكـمـة والـرشـاد
في مكرمـاتهم لدى الـتـعـداد … يـرتـاح كـل حـاضر وبـاد
فمن اراد رقشـهـا في السفـر … اراد جمـع بحرهم في الـزفـر
افـحـم كل مصقـع قـعـقـاع … ينشرهـا في كل مـا بـقـاع
كم بـلـدة حل بـهـا الاذحـال … وحصها الجـنـف والامـحـال
فزحزحوا مـحـنـهـا والـفـوا … سكانهـا كانـهم مـا اختلفـوا
ووارد قـد اصـدروه بـعـدمـا … اكدى وكـده المطـاف فاعلمـا

(1) ذكاء بالضم . الشمس .

(2) رجا البيت ناحية من نواحيه .

وذى ضنا أضناه ما قد لقيا ... ألفى بهم للداء طبا راقيا
ومبدع به أتاهم عافيا ... فقاء نائلا نووا لاكافيا (1)
والد شيخنا ابو زيد ذكر ... ما فيه غنية لكل ذى نظر
اصغ اليه اذنا قد اسنى ... مقامهم لما عليهم اثنى
وقال شاهدت لهم فضائلا ... من رام حصرها يعود باقلا
فاوبن واغد ورح وادلج ... واسر وسر اليهم وادلج
حتى اذا ببابهم أنختا ... فابتهلن تفز بما ابتغيتا
لو لم تكن تدهلنى الهموم ... او لم تكن تصيبنى الغموم
لكنت ذا الاسهاب فى الاطراء ... من غير ما ريب ولا امتراء
لكن خطوب الدهر من كل رجا ... ترشق قلبى فكانت لى الشجا
فالله يقضى بانقضا الاوام ... والفوز بالنعيم والسلام
بجاه خيرة عباد الله ... أكرم به من آمر وناه
صلى وسلم عليه وعلى ... آل واصحاب وكل من تلا
ما غرد الطيور بالاوكار ... وهبت النسيم فى الاسحار

4 احمد بن ابرهيم

هو احمد بن ابرهيم بن على بن سعيد . الامام الكبير الذى سار ذكره مسير الريح فى البر والبحر . وضربت به الامثال فى تلك الجهات فى حسن التأله والانابة ، وجميل الصبر . لا تكاد ترى أحدا ممن يعرفه الاثر عليك عنه بحسن الاحدوثة ، وبانباء طافحة بالحكم والمواعظ والكرامات التى اكبرها حسن الاستقامة ، وقد عرفنا كثيرين رأوه من المسنين فلا يكادون يرون له ثانيا . ولا يعدونه الا فذا يعجز الزمان أن ياتى له بنظير ، وعقمت النساء ان يلدن له كفوا ، وهو من اصحاب الشيخ سيدى احمد بن محمد التيمكيدشتى ، وقد ذكره العربى المشرفى الفاسى بين الآخذين عنه ، فقال : (كان قوالا للحق سيفا صارما لا يخاف فى الله لومة لائم . قام بامر مصالح المسلمين . مقصودا فى حوائجهم . ويصلح بينهم ، ويطفىء نار الفتنة بينهم . مجاب الدعوة . فطن بصير باحوال العامة) .

وقال فيه حفيده محمد بن سعيد :

آية من آيات الله . ومن عجائب الدهر ، تنفعل له الاشياء بقدرة الله . له قدم راسخة فى الولاية . وكان شديد الشكيمة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . يقصد من كل ناحية للتبرك به حيا وميتا ، يؤدب الناس أول ملاقاتهم له بانواع من الادب ، كل بما يليق به ، وبحسب حاله . ويقول كل من حضره ، اياى يعنى ، وما قصده سوى تصفية البواطن من أكدار رعونات النفوس ، وربما ضرب بعضهم لطمة او صفعة ، يحب العلماء والشرفاء والفقراء والمساكين . ويطعمهم ويكسوهم ، ويعينهم لاسيما فى اعوام المجاعات ، ويجيز الزائر بجوائز سنية ، بنى مساجد ومدارس وزوايا ، وشيد قبة جده ، وأتقنها ببديع الصنعة ، وعمت بركته البلاد والعباد ، وكان من هداة الدين المرشدين ، ومن العلماء العاملين . فاليه المفزع ، وعليه الاعتماد فى المشاورة ، يمتثل أمره ، ويوقف عند اشارته . اخبرنى والدى رحمه الله عن الشيخ سيدى سعيد بن ابرهيم شقيق صاحب الترجمة ، أنه قال : لما أراد الله أن يقلدنى سياسة العباد . سافرت الى ناحية (ازناكن) بقصد التجارة وشراء الفرش والبرانيس التى تستورد من تلك البلاد ، فلقيت فيها وليا من أولياء الله من ذرية الشيخ الربانى سيدى حسين الشرحبيلى ، فاعطانى عصا . وقال لى هذه نوبتك ترعى البقر ، يعنى الناس ، ثم رجعت الى البلد ، فالقيت عصا التسيار . ولم يذكر عنه أنه شارط قط الا أشهرا فى مسجد (ادا وكانسوس) واسراره اغلب من علومه ، وكلامه كله حكمة وموعظة وارشاد ، ولا يتكلم الا بلسان الشرع ، توثر عنه كرامات كثيرة . ذكر والدى عن الشيخ الامام ابى العباس الجشتمى أنه بات ليلة عند الشيخ ، فرأى فى منامه انه يلحس ما تحت اقدام الشيخ ، فذكر له ذلك فقال له الشيخ ابو العباس ما تفسيره . فقال أيخفى عنك تعبيره ياجشتمى ، انك تتبع أثرى فى (هوزالة) فتخيط فتوقهم الى أن تموت . وتترك فيها الابرة من غير اتمامها رتقهم ، ويحكى أنه جلس يوما هو وشقيقه سيدى سعيد . وبقربهما دجاجة وفراخها وديك ، فجعلت الدجاجة تقرقر فى أذن الديك ، كأنها تقول له شيئا ، فقال الشيخ لاخيه سيدى سعيد : ان هذه الدجاجة توصى هذا الديك على أفراخها . فلم تنشب أن انقض عليها عقاب ، فاختطفتها فجعل الديك يحضن الافراخ ، الى أن أدركت ، عملا بالوصية ، وبالجملة انه ضوء البلاد ، وبركة العباد ، ومربى المريدين ، وناصح المسلمين ، أنفد عمره فى مصالحهم وفى اصلاح ذات البين بينهم ، ورتق فتوقهم ، واطفاء نيران فتنتهم ، وفصل خصوماتهم ، وربما كتب بينهم رسم الانفصال بيده الكريمة ، وله فى ذلك احوال لا تطاق . وسياسات ليست لغيره ، وجدت بخط شيخنا الفقيه العالم العامل ابى العباس سيدى الحاج احمد بن محمد الزدوتى مانصه (مات شيخنا البركة وقدوتنا واستاذنا ولى الله تعالى سيدى احمد بن ابرهيم التلعتى فى آخر المحرم الحرام 1290 هـ. ودفن ببيت خارج قبة جده ، عن يمين الداخل ، رحمه الله تعالى) .

5 سعيد بن ابرهيم

صنوه وتلوه فى مناقبه واحواله ، وتقشفه وعزيمته وعزوفه عن زهرة الحياة الدنيا . وهو معدود من اصحاب الشيخ ابى العباس التيمكيدشتى فقد قال فيه المشرفى الفاسى فى كتابه .

(1) ابدع به بالبناء للمجهول : ماتت ناقته .

(صالح ملازم للتدريس والاعتزال عن الخلطة) وقال فيه ابن سعيد المذكور :
(فقيه عالم عامل وورع صالح فاضل ، ناسك ذاكرا استاذ ، ذو الكرامات والخوارق التى لا تظهر الا على يد من استقامت احواله مع الله . وله توقير وتعظيم ، ووجاهة ومهابة عند الخاصة والعامة . وكان من العارفين المخصوصين ظاهر السر والبركة والولاية ، ذا عزم وحزم وجد واجتهاد . ونصح وارشاد . وسعى فى اصلاح العباد ، وفى اقامة الدين ، واحياء السنن ، واخماد الفتن . واماتة البدع . يحب العلماء والصالحين . فاذا جرى ذكر كراماتهم فى مجلسه تراه يتهلل وجهه فرحا . وكان صليبا أكثر من اخيه سيدى احمد ، لا يجسر احد على مصافحته . ويقول لبعض الزائرين قف هناك . ولا تلمسنى ولا تقرب منى لتضرره كما قيل بملامسة الناس . ويضرب بالعصا والحجارة . ويصفع ويلكم . ولا يضرب بالدف ولا غيره من آلات اللهو حيث يسمعه ، وكان اذا زار اخاه سيدى احمد يقول سيدى احمد لمن فى حضرته : قوموا واختفوا حتى تروه يبتسم فاخر جوا ، خوفا عليهم منه . واذا لقيته تسمع لصدره دويا كدوى النحل فى خليته . من شدة الخشية والحزم . ويحكى أنه يعلم الجن ، وانهم طوع يده . وتحت حكمه . فاذا تضرر واحد بهم ، وشكاهم اليه . أشكاه فى الحين ، واذا اذن لبعض الطلبة فى أخذ كنز اخذه بلا محنة ولا كلفة . ويحكى أنه حضر الجهاد الواقع فى (تطوان) فى وقته سنة 1276 ه وهو بمدرسته لم يبرح عنها . وانه جرح فيها فى الركبة ، ومن كراماته ما حكاه عنه والدى قال كنا نحرث فى بعض السنين ، فقال لنا يكفيكم من الحرث . فاستبقوا ما عندكم من الزرع لاولادكم ، فانكم لا تحصدون هذا العام شيئا . فكان الامر كذلك . وقال ايضا عنه : انه امره ان يحرث كثيرا فى سنة اخرى . وان يشارك من استطاع فى الحرث بدفع البذر ، فان العام كثير الخصب . فكان الامر كذلك ، وقال ايضا جيئته زائرا والزرع فى سنبله على أحسن ما يكون . غير ان الله سلط عليه دودا يقطع عروقه ، فيسقط يابسا ، فسألنى فاخبرته بامر الزرع ، فقال : لو جعل الناس نصيبا فى زرعهم ، لسعيد يعنى نفسه ، لرفع الله عنهم ذلك الضرر ، ولا تقل لهم شيئا ، قال فجعلت له نصيبا من زرعى ، فحفظه الله وسلمه من بين زروع الناس ، حتى زرع اولاده ، فلما أتيته بنصيبه قال لى فزت هذه المرة بهذه الكرامة وحدك ، لم يشاركك فيها غيرك ، وقال ايضا ، أعطانى رجل من أصحابه عنبا فأمرنى ان أدفعه اليه يدا بيد . فلما وصلت البلدة ، قلت فى نفسى أدفع العنب لولده اذ لا فرق ، فتذكرت ما قاله لى صاحبه ، فذهبت به اليه بنفسى . فقال لى قبل أن أكلمه ، هات عنبى فوالله لو أعطيته لأحد لأصابك كذا ، لمصيبة ذكرها ، فتعجبت مما سلمنى الله منه ، وقال أيضا أرسل الى فى مرض موته وقال لى ، أريد أن تعاهدنى وأعاهدك معاهدة الحب أن تقف معى اذا مت حتى تدخلنى رمسى ، وسأقف معك يوم القيامة . وأشفع فيك ، فتعاهدنا على ذلك ، ثم لم يمض الا قليل ، فمات

رحمه الله فى يوم شديد البرد ، كثير الامطار والسيول والثلج ، وبالجملة فان الرجل من الافراد واكابر الاولياء والعباد ، أخذ عن الاجلة الاعلام كأبى زيد الجشتمى ، وابى العباس التيمكيدشتى وتخرج به كثيرون من الطلبة كولديه سيدى محمد ، وسيدى الحاج احمد ، وجدى سيدى محمد بن احمد ابن اخيه ، وسيدى محمد بن ابى بكر ، واخيه سيدى محمد بن ابى بكر الضيائيين ، وشيخنا سيدى الحاج احمد بن محمد الزدوتى ، وقد كان شارط فى مدرسة (مرايت) سنين ، فى حدود 1250 ه وبنى بقربها دارا . ثم انتقل منها الى مدرسة (توملبلين) حيث بقى نحو اربعين سنة ، وبنى فيها دارا اخرى ، ونصب من يدرس فى المدرسة آخر عمره ، لفرط هرمه . وقد توفى كما وجدته بخط تلميذه سيدى محمد بن على الضيائى صبيحة الثلاثاء السابع من ربيع الثانى 1301 ه وقد توفى هو واخوه سيدى احمد عن نحو تسعين سنة ، وقد دفن سيدى سعيد وراء مدفن اخيه سيدى احمد .

6 الحاج احمد بن سعيد

ابن المذكور قبله من رجالات ذلك البيت الكريم ، الا انه لم تكن له شهرة ابيه وعمه ، قال فيه ابن سعيد :

(من الفقهاء الاخيار ، ومن اولياء الله الابرار ، كان دينا خيرا فاضلا صالحا ، صليبا فى الحق ، متصوفا متقشفا ، ورعا جامعا بين علمى الشريعة والحقيقة ، محققا متقنا متفننا ، بارعا فى العلوم العقلية والنقلية ، ماهرا فى الطب وعلوم الاسماء الحسنى ، وفى علم جابر ، منقبضا منعزلا غالبا ، فلا يجالسك الا قليلا ، ثم يفارقك ، ولا يجالس الا بعض الخواص ، وكلامه كله نصح وارشاد وارشادات خاصة ، لا يتفطن لها الا اللبيب الاريب ، وقد حبب اليه الجولان ، يجول فى الاقطار للاخذ عن رجالها نحوا من خمسة عشر عاما ، فلم يترك موردا عذبا الا ورده ، ولا معينا الا وشرب منه ، وكان يعرف رجال النواحى الاحياء والاموات ، واحوالهم وسيرهم ، فيخبر عن كل ناحية كأنه من أهلها ، دخل مراكش وأخذ عن اعلامها ، ونزل بفاس ومكث فيها سنين ، ياخذ عن أجلة الوقت هناك ، ودخل مصر والحرمين كذلك ، وكان يميل الى الخمول ، ويتمنى ذلك حياة ومماتا ، الا انه شوهدت له بركات واسرار ، وكرامات ومكاشفات ، ولشدة انقباضه لم ياخذ عنه أحد ، ولم يتصدر قط للاخذ عنه ، وقد اذن لى انا فى قراءة حزب البحر صباحا ومساء ، وقال : ان تأثيره موقوف على الاجازة والاستيذان ، وبالجملة فهو آخر علماء الزاوية ، وخاتمة أوليائها ، أخذ عن ابيه وعن سيدى الحاج داود الكرسيفى ، وعن سيدى ابرهيم الكدورتى صاحب (الملفقات) فى النحو وعن سيدى الحاج على بن سعيد التوفلعزتى ، وعن سيدى احمد بن محمد السندالى (أمزادكو) وعن غيرهم فى البوادى والحواضر ، شرقا وغربا ، ممن لا يحصون كثرة ، توفى رحمه الله عام 1340 ه) أقول انه حج مع الوالد الشيخ الالفى 1305 ه

كما اخبرت به . وقد كان يتادب دائما مع الشيخ كلما ورد سائحا هناك ، ويعرف كل واحد منهما قدر صاحبه ، رحمه الله .

7 محمد بن أبرهيـم

اخو سيدى احمد وسيدى سعيد المتقدمين . وقد توفى قبلهما ليـلة السبت 66 من رمضان 1287 هـ. قال فيه ابن سعيد .

الفقيه الصدر البركة سيدى محمد بن ابرهيم شقيق سيدى احمد . شارط فى مدرسة (الزاوية) الى ان توفى فى التاريخ ــ التاريخ المتقدم ــ وقد افاد تاريخ وفاته تلميذه سيدى على بن احمد الاكتالى ، وقد تخرج به كثير من الطلبة . منهم الجد سيدى محمد بن احمد بن ابرهيم .

8 سيدى محمد بن احمد

هو محمد بن احمد بن ابرهيم بن على بن سعيد ، قال ابن سعيد انه تخرج بعمه المذكور ، ثم شارط فى مدرسة (مرايت) اكثر من عشرين سنة ، باذن عمه وشيخه سيدى سعيد بن ابرهيم ، فبقى هناك الى آخر عمره . ثم انتقل الى (الزاوية) بعد وفاة والده سنة 1290 هـ ــ فتوفى فيها 1295 هـ. اقول اخبرنى من ادركه : انه كان عالما سنيا ، يقصده الناس بعد والده ، حتى كانت له شهرة فى حياة عمه سيدى سعيد ، ويسأله الناس فى امور الشرعيات ، ويثنى عليه بكل خير ، وكان يدرس دائما ، وان لم يكن واسع الخوض ، فقل الصادرون عنه بالرى التام .

9 الحسن بن محمد

ابن المذكور قبله ، فقيه جليل القدر خلف سلفـه فى زاويتهم وفى مقاماتهم ، اخبرنى من كان يعرفه فى مدرسة (سيدى يعقوب) عند الاستاذ سيدى عبد الحميد : انه كان له تفوق على كل من هناك من الطلبـة ، فاذا اشكل عليهم شىء من معضلات الفنون يسألونه ، ووصفه بالسمت الحسن ، والدين المتين ، والخلق الدمث ، وقد قال فيه ابن سعيد :

عمنا الفقيه النبيه ، الجليل النزيه ، أخذ عن العلامة سيدى الحاج عبد الحميد ، وعن الامام القدوة سيدى على بن محمد اليعقوبيين ، واخذ قليلا عن سيدى الحاج احمد بن سعيد المذكور . وشارط فى مدرسة (الزاوية) نحوا

من عشرين سنة ، الى ان تـوفى فيها فى الثانى والعشرين من شوال عـام 1353 هـ ، وصليت عليه ، ودفن بمقبرة الاسلاف قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورثاه الاديب الفاضل سيدى الحنفى بن على الجزولى التملى ، وهو حينئذ بمكتب (ايت عبلا) بما نصه (اما بعد ، فهذا ان شاء الله بعض ادمع ابداها الظن الحسن على الفقيد المـاسوف عليه : الفقيـه البركة الدراكـة الفهامة ، ابى على سيدى الحسن بن محمد ، لما هدنا من فقده ، وان لم تتقدم معرفة ما بيننا وبينه ، سوى ما نسمع عنه من ذكره الحسن (والاذن تعشق قبل العين احيانا) فاعزى اهل بيته وعشيرته بما حضرنى ، وان ضاق المجال ، والمقام ، والمقال ، بتشتت البال ، وان لم اكن اهلا لذلك ، ولا قادرا على ما هنالك ، وانما المرام زيارة مقامه ، وتعزية اخوانه بقلمى ، ان عزت بقدمى ،

امـازالت تـغـر ولا تـغـور … نوائب (ام دفـر) ما تسير (1)
فمن اثـرى بها تفقـره غـبـا … وتـولى حيهـا مـوتـا يـفـير
وتعـقـب عـزهـا ذلا فمن ذا … يـجـابه قمـع أقـدار تـدور
لقـد عظم المصاب بموت شيخ … جليـل القدر ذى صيت يطـير
جلالـة من دعـــوه أبـــا على … بـاعـلام الولايـة يـسـتـنـير
شـهـير عـالـم علم خـضـم … من التقـوى الاكف له تـشـير
سـلالة منبـع الابـرار قـدمـا … بـأسرار تـزار ولا تـزور
وطيّن ولاية تـرنـو وتـزهـو … كـرامتهـا كما القمـر المـنـير
عليـه تحيـتى اذ قـد تـردى … وفـات بـه ردا لا يسـتـشـير
فقـد غمت رزيـتـه البـرايـا … من أهـل الدين عمـا لا يـدور
فسـدنى الى بـيـتـين هاجـا … جـواى فصير اقـلـبى يـفـور
(لعمـرك مـا الزريـة فقد مـال … ولا فـرس يموت ولا بـعـير)
(ولكـن الـرزيـة فـقـد حـر … يمـوت لمـوتـه بشر كـثـير)
اجاب الداع داعى المـوت حقـا … فمن يـبـقى يخلـد لا يسـير ؟
فصبرا فى مجال الصبر صبرا … بنـيـه فانـه كـنـز شـهـير
اتـاح الله رب النـاس روحـا … ورحمى روحـه الاسنى الغفـور
بجـاه القـدوة المختـار حـقـا … عليه صلاتـه الهـادى البشـير

سامح الله القائل ، فى كل ما هو قائل او فاعل . الحنفى بن على ، ثم قال ابن سعيد :

وقد قلت اذ ذاك وان لم اكن من اهل القريض :

(1) أم دفر بفتح فسكون: كنية الدنيا.

مصاب قد الم بنا عسير … عظيم امره امر كبير
وخطب خرق الاحشاء منا … فشتتها حريق مستطير
وسنى كل داهية دهتنا … وصبر كل لسن لا تحير
وأسعر فى الحشاشة نار حزن … شديد دون حرقتها السعير
وأسبل فى العيون سيول دمع … من الاكباد منبعها يفور
كذاك ابو العجائب فى بنيه … (فلا حزن يدوم ولا السرور)
فؤادى قد اصيب برزء شيخ … همام جهبذ وهو البصير
سراج الدين فتح الله سر … مصون قدوة قمر منير
امام المهتدين ابو على … حباه الله جنته الغفور
وفقده ثلمة فى الدين قطعا … فصبرى عن تنقله عسير
يخفف بعض احزانى قواف … قد اتحفنا بها بلغ (2) شهير
فتاة راق مبسمها فجاءت … لفرط جمال سيرتها تزور
بكت شجوا على الف فقيد … فقيه فى الجنان له حبور
تصبر اهله وبكته حتى … بعندم دمعها ابتل النحور
محاسن لفظها هاجت دفينا … عليه طالما انطوت الصدور
لو افر حسن منطقها عليها … قلوب العاشقين لها تدور
لحسن دلالها وجمال ثغر … وعذب رضا بها صيت يطير
تضوع بنشر مبسم بنت فكر … سليم قد صفا وعلاه نور
خريدة سيدى الحنفى المجلى … على المنثور والنظم الامير
طراز الدين قطب رحاه منا … عليه سلامنا الارج العبير

10 محمد بن سعيد

هو المعنون به اولا : الفقيه الذى يحمل الآن راية سلفه فى زوايتهم . وقد عاد الآن العميد المشار اليه فى تلك الارجاء ، بما كان معروفا عن اهله الكرام . وقد ذكر ان ولادته كانت فى اول العشرة الثانية من هذا القرن وقد نشأ بين يدى والده .

مأخذه في القرءان

قال افتتحت حروف التهجى حتى اتممت نحوا من ستة احزاب ، على شيخى سيدى على بن صالح الدوسكاوى — من ايدوسكا — ثم نقلنى والدى الى (هوزالة) بعد موت الاستاذ المذكور ، فلازمت شيخى سيدى احمد بن عبد الله الهلالى — الايلالنى — العبلاوى ، فختمت عليه ختمتين ، وبعض الثالثة ، ثم انتقلت الى مدرسة ذات الدين ، فقرات فيها على شيخى سيدى

(1) البلغ : البليغ يعني الحلفي صاحب القصيدة المتقدمة . فاين البلاغة ياهذا ؟

الحاج احمد بن محمد الزدوتى ، تلميذ الشيخ سيدى سعيد بن ابرهيم بلدينا ، وختمت عليه ايضا ختمتين ، وبعض اخرى ، وعلى يده فتح الله على فتحا مبينا . ثم انتقلت الى مدرسة سيدى عثمان بقبيلة (مزداكن) وقرات فيها على شيخى سيدى احمد الكونكى نحو من ثلاثين حزبا . ثم الى مدرسة ذراع الروضة فى (اسندالن) فقرات فيها على شيخى سيدى محمد بن سعيد السندالى ، من حزب (ولقد وصلنا) الى آخر القرآن العظيم ، عام 1327 هـ . ذلك ما ذكره المترجم عن تقلباته فى وقت اخذه للقرآن الكريم .

مأخذه فى المعارف

قال قرات أولا على شيخى الفقيه سيدى محمد بن على اليعقوبى — الصغير — الاجرومية ، وآخر الرسالة القيروانية ، حيث وجدت نصاب الطلبة ، وحفظت على يده النصف الاول من الفية ابن مالك ، ثم انتقلت الى (تازمورت) فى آخر نحو سنة 1329 هـ . فقرات فيها على شيخى الفقيه العلامة الاديب الدراكة الاريب قاضى الجماعة الآن بمحروسة تارودانت سيدى الحاج محمد بن على بن ابرهيم الهوزالى التيمغاطى ، فسح الله فى اجله آمين ، ثم خرجت منها لاهوال ، فانتقلت الى (مدرسة) سيدى ابرهيم ابن على الوادريمى فقرات فيها سنة 1331 هـ على شيخى الامام العلامة الهمام المتقشف المتصوف السنى الكبير سيدى محمد بن ابرهيم الركراكى بربوة البير . ثم فى آخر 1332 هـ انتقلت بسبب كثرة جدب المحل الى مدرسة (تاكوشت) فمكثت فيها نحوا من خمس سنين ، فقرات فيها فى السنتين الاوليين على شيخى الهمام الاوحد الجامع الامام . المفرد العلم ، ابى العباس سيدى الحاج احمد بن عبد الله الصوابى ، فسح الله فى عمره ، وفى الثلاثة الباقية على شيخى الفقيه البركة العلامة الدراكة المتقى المحقق الماهر ، البارع الباهر ، ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد السلام الكدورتى ، فسح الله فى اجله آمين . ثم انتقلت الى مدرسة (تحت الحصن) بالغ أواخر السابع والثلاثين فقرات فيها على شيخى الربانى الفقيه الاديب ، المحقق العجيب ، ابى الحسن سيدى على ابن عبد الله الالغى ، وفى تلك المدة قرأنا شيئا من علمى الحساب والفرائض على شيخنا الفقيه المتجرد ابى عبد الله سيدى محمد اكيك (به عرف) الرسموكى . ثم انتقلت الى (حاحة) ، فكنت فى مدرسة يقال لها (فم الاحد) بادا وكرض فقرات فيها على شيخى العالم العامل السنى الصوفى المتواضع ابى حفص سيدى عمر بن محمد الحاحى الايداوكرضى نحوا من سنة .

هؤلاء هم اشياخ المترجم ، وهذه هى المدارس التى تلقى فيها معارفه ، فلا ريب ان من استقى من البحار ، يكون بحرا ثجاجا ، لا يكون له قرار .

مشارطاته

قال : ان اول ما شارطت فيه قرية هناك في حاحة سنة 1340 ه ثم بعد تمام العام رجعت الى مسقط راسي ، والقيت عصا التسيار ، فشارطت في مدرسة (دوتكاديرت) اى تحت الحصنة كما يقولون في قبيلتنا ثمانية اعوام . وفي آخر 1348 ه انتقلت الى جامع (أنامر) بتيبيوت ، فشارطت اهله عاما كاملا ، ثم انتقلت الى مدرسة (ايبركاك) فبقيت فيها سنة ، ثم الى مدرسة (توملیلین) بقبيلتنا بجوار الولى الصالح الشهير سيدى عبد الله بن ييبورك حيث لا ازال الى الآن (1) واسال الله العظيم بجاه نبيه الكريم ان يحسن فيما بقى كما أحسن فيما مضى ، وأن لا يزيل عنا وعن اشياخنا وعن احبتنا وجميع المسلمين ، نعمة الايمان آمين .

اثار قلمه

كنت كتبت الى المترجم أن يتحفنى بما تيسر من أحوال علماء اسرته ، فلبى ندائى ، وأجاب دعوتى ، جزاه الله خيرا ، وذلك لاريحية الادب التى ملكت عليه لبه ، واستولت على شعوره ، فكتب لى كل ما تقدم نقله عنه ، ثم حرر ترجمته بعد تراجم أهله . فكتب الى بعد ذلك كله .

(اعلم ان للقوم مفاخر عديدة ، ومآثر حميدة ، الا ان سكنى البادية من اسباب ضياع العلم ، فلا تجد علماء يقيدون شاردة ، او يسطرون فائدة ، الا افرادا نادرين ، الا ترى ابن ناصر لما سأله بعض العلماء ان يقيد له شيئا من احوال رجال السلسلة المنورة الشاذلية . اجابه بان تقييد ذلك ليس من شأننا ، فمدار اهتمام القوم عندنا العبادة ، واتباع السنة واحياؤها ، وتشييد اركانها وتدعيمها ، وايضاح معالمها وتبيينها ، وارشاد العباد ، وتعليم الجهال ، واطفاء الفتن ، واخماد البدع ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وايصال الخير الى كافة المسلمين ، ودفع الاذى عنهم ، فقد كانوا يوثرون ذلك على غيره لعموم نفعه ، ولما يرون ان ذلك اليق بالامة واولى بالايمة ، واصلح بهذا الزمان الذى عاد فيه الدين غريبا ، والمنكر معهودا ، فلهذا كله ، لم ازل اقدم رجلا واوخر اخرى ، منذ وصول رسالتك ، فاعزم تارة لتحصيل الاجر والثواب ، ثم افتر حينا ، مخافة الوقوع فى الخطر ، والتخطى الى المحظور ، لعدم وقوفى على من قيد شيئا من احوال علماء زاويتنا قبل . ثم بان لى ان اتحفك بقل من كثر ، وبقطرة من بحرهم مما تواتر حتى غلب على الظن انه صحيح ، لئلا يخلو كتابك من ذكر علمائنا ، واعلام زاويتنا ولو بادنى الالمام ، فتعود على الكتاب بركتهم ان شاء الله ، فيكون عليه القبول ، فلذلك كتبت ما رايت ، والله الموفق الهادى) فذلك نموذج من نثر المترجم ،

(1) وقت كتابة الرسالة وذلك قبل 1360 ه .

زيادة على كل ما تقدم ، واما نظمه فمنه ما قاله بسبب مرض ، وقد كتب قبله ما نصه : في مدة اقامتي بتيبيوت اصابني مرض شديد لعدم موافقة هواء المحل لمزاجي ، فكان ذلك سبب انتقال ، وان كان اهلها لا يسمح بهم ، ولكن قد يسمح عند الضرورة البخلاء ، ولو كنا نعطى الخيار لما تاتى لسهم البين في قلوبنا اندلاق ، ولما شبت في الصدور نيران الفراق ، فلذلك قلت عند القراءة مع اخواني الطلبة منظومة الزواوى متبرما متشوقا الى الوطن :

بحق الهوى جد بالوصال على العاني … فمن ذا يطيق الصبر عن دوم هجران
اذاب الهوى قلبي وجسمي فلا انا … بهجران اهل الود حي ولا فان
وحل بنا من بينهم سقم قضي … علينا الهوى العذرى منه بالوان
ولكن بصحب دام عزاز تقاتهم … اسل قليلا بعض ما بي من اشجان
صدور ايمة كرام اجلة … بدور وسادات وترياق احزان
فنادى لسان الحال فيهم منشدا … (لهم همة تعلو بهم فوق كيوان)
فديدنهم توضيح كل عويصة … واتقان دين الله غاية اتقان
لهم في ميادين البيان مزية … فسل ان ترد عنهم مؤلف زيان (1)

وقد كتب عليها شيخنا سيدى محمد بن على قاضي تارودانت .

امن نفحة وردية سحرية … تضعضع ركن الصبر من ذلك العاني
ومن بارق من جانب الاجرع الذى … معاهده كانت ملاعب غزلان
تناثر من جفنيه در منضد … وهاجت له الاحزان من بعد اشجان
ام انبلجت انوار علمك فانجلت … غياهب جهل من بيان وتبيان
فدم والعلا ترضاك اهلا لها فما … لها لسواك اليوم وقفة صديان

قال : بعت لصاحبي الاديب سيدى الحنفي بن على الجزولي التملي 1354 ه. نسخة من شرح الشريشي على المقامات الحريرية، فعقدت رسم البيع شعرا ، وهو :

كاتب هذا العقد امضى البيعا … في حالة الجواز بتاقطعا
في شرح ما الفه الحريرى … رئيس اهل الفضل والتحرير
مما روى الثبت عن السروجي … اللوذعي السميدع الفملوج (2)
شرح الاديب احمد القيسي … ثم الشريشي الرضا السني
خطه بالمطبعة الانيقة … ذات الحروف العذبة الرشيقة
فهاؤها او ياؤها غريب … الفها اعتدالها عجيب
نوناتها حواجب المعشوق … واواتها الاصداغ من معشوق
سيناتها ازرت بكل طرة … على الجباه فاعملن بنية
كل حروفها حروف صحة … فليس فيها من حروف علة
امضيت فيها البيع للمحبوب … فتح الكريم فضله الموهوب
الجهبذ المطلع الوجيه … الالمعي الفهامة النبيه

(1) يعني منظومة الزواوي المسمى زيان .

(2) الفملوج : الذي لا يثبت على حال في قوله وفي فعله .

قاضي القضاة سيدي وسندي — وعمدتي وعدتي وعددي
هو الامام المنتقي المرضي — والسيد علامة عل
محمد نجل سعيد كتبه — فليغفر الغفار وزرا كسبه
حق لتاريخه ان يكون في — آخره في راى كل منصف

وقد اجابني صاحبي بقصيدة مطلعها :

اتتني في قرطاسها تميس — بكر لمن سودده قدموس

وحين جرت المحاورة المشهورة بين الاديبيين الكبيرين سيدي داود الرسموكي، وسيدي الحاج محمد بن علي القاضي بتارودانت ، كتب المترجم على قطعة لشيخه ابن علي ابياتا منها :

تبدت تبختر في حلل — يقد به في فؤادي الكلام
ومرت بنا وهي مزفوفة — الى كفئها في حلل الاحتشام
تميس الخريدة في حسنها — وضنت علينا بغير السلام

اقول هذه المحاورة الادبية سنكتبها ان شاء الله حين نترجم للقاضي سيدي ابرهيم التيبيوتي الشاب المعتبط الذي كان سببها في (القسم الخامس) وقد كنت كتبت الى المترجم حين طلبت منه ان يوجه الى ما تيسر من اخبار اهله في سحر يوم ارتجالا ما مطلعه :

من لي بان القاك يا ابن سعيد — فلدى وقت لقاك صبحة عيد
أني يطيق اخو اشتياق سلوة — واخوه في منآه جد بعيد

الى آخرها ، وهو قواف مهلهلة تحريقها اولى من سماعها ، فانها ربما لا تصلح حتى للتاريخ .

لقاؤه اخيراً

دارت الايام دورتها ، فسرحت نهائيا من السغ في آخر 1364 هـ ، فالتهمتني الحواضر ، ثم لم يمكن لي ان ازور الناحية التي فيها هذا الاستاذ الا بعد الاستقلال ، ففي سنة 1377 هـ مررت من (تافراوت) الى (ايغرم) فكان احد الذين تعرضوا لي مع المستقبلين . فرأيت ما انشدت به قول ابن الحسين :

واستكبر الاخبار قبل لقائكم — فلما التقينا صدق الخبر الخبر

سمت حسن ، وبزة نظيفة ، ووقار مع تواضع ، تلوح عليه سيمى الصلاح غير المتكلف ، مع بشر المحيا ، وطلاقة الاسارير ، فحمدت الله على لقياه . وقد كان شارط في مدارس شتى منها مدرسة (تاتلت) ومدارس بلده ، الى ان استقر اخيرا في مدرسة (تيمولاى) في آدا وزكرى حيث هو الى الآن 1380 هـ ، حفظه الله للمعالي ولم اعلم الآن فقيها يضاهيه في تلك الجهة في التحصيل والمشاركة وحسن السمت .

انتهى الجزء التاسع
ويليه العاشر ان شاء الله

فهارس الجزء التاسع من (المعسول)

الفهارس خمسة

(الفهرس الاول في المترجين في الجزء)

الفهرس الثاني في محتويات الجزء بعناوينه

الفهرس الثالث في القوافي من المترجمين وحواليهم

ونكتفي بالشطر الاول من القصيدة ان كان في المطلع التصريع وإلا فنأتي ايضا بالكلمة الاخيرة من الشطر الثاني

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشيــــن

الضـــــاد

العيـــــن

الغيـــــن

الـفـــــاء

القـــــاف

الـــكا ف

الــــلا م

الميـــم

النـــون

الهـــاء

الـــواو

اليـــاء

الاراجيز

الفهرس الرابع

في المنثورات: الرسائل وامثالها

الفهرس الخامس في الخطا والصواب (على قدر المستطاع)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
7	19	علمه	عمله
7	14	تقتضته	تقضيه
10	رقم الصفحة	٠١	١٠
19	10	من صقر	في صفر
19	20	خريرة	خريدة
19	26	فتضرع	فتضوع
21	19	ام لا	ام لاح
21	33	عبية	عيبه
23	29	يفصح	ينصح
27	14	وممن اخذوا	ومن اخذوا
35	5	طبية	قبلة
35	11	والده محمد بن مبارك	والده مبارك
55	10	من المخبر	من الحبر
59	7	وسيدنا	ولسيدنا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
68	2 في الحاشية	الظالمر	الظلم
72	10	وليبة	وليلة
77	10	المترجم	للمترجم

86 هكذا البيتان:

واعجل باصلاح البلاد واهلها   فضلا ففضلك للعباد شفاء
بذريعة المختار صلى عليه ر   ب الخلق ثم صحابة سعداء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
98	1	من منسداته	من منشداته
100	34	فاشتعل	فاشتغل
106	9	مقدمر	مقدما
114	27	كتاب الادب	كتب الادب
114	35	المستجبر	المستجير
116	7	المهات	الامهات
120	20	الحسين	الحسن
123	6	عشر سنة	عشرة سنة
140	23	بغلة	بلغة
143	19	خير الخير	خير الخلق
143	1	باتت سعاد	بانت سعاد
144	19	خطه	خطأه
145	30	الظاهر	الطاهر
145	18	تذبذب	تذبذب
145	8	الالغيلت	الالغيات
147	16	ماجن	ماحن
149	2	ورقوت	ورفوت
150	20	عمرو ويحيا	عمر ويحيا
154	15	تلاقى بالاشباح	تلاقى بالاشباح
154	1	الفريض	القريض
179	2 في الحاشية	فلا تلك ملغيا	فلا تك ملغيا
180	23	اطول	الطوى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
186	8 في الحاشية	لا تجعل	لا تعجل
196	4 في الحاشية	الزبريقان	الزبرقان
197	19	ادرك	انكر
198	9	المرادس	المرداس
207	10	يشتطيع	يسطيع
208	27	ابى جبان	ابى حيان
213	24	حفة القرآن	حفلة القرآن
216	26	مدرة	ميدة
216	28	التازوتني	التازوتي
225	1	لقد مضت	لقد فات
225	4 في الحاشية	وان اهت	وان امت
226	2 في الحاشية	نوبرة	نويرة
229	15	منذ	مذ
239	2	ثم تقتسم	ثم تقتسم
240	17	فسينقع	فسنقع
240	34	عدول	عذول
241	22	فابت	فايت
241	24	تسيى	تسبى
242	2	يرق	برق
255	19	المنبين	المنيبين
260	13	نفسها	نفسهما
261	24	لا ترضى	لا ترتضى
268	13	في مهمة	في مهمه
276	21	المثقين	المتقين
277	20	فوالا	قوالا
285	20	فقد غمت	فقد عمت

طبع
بمطبعة الشمال الافريقي
الرباط
عام 1380 هـ = الموافق سنة 1961